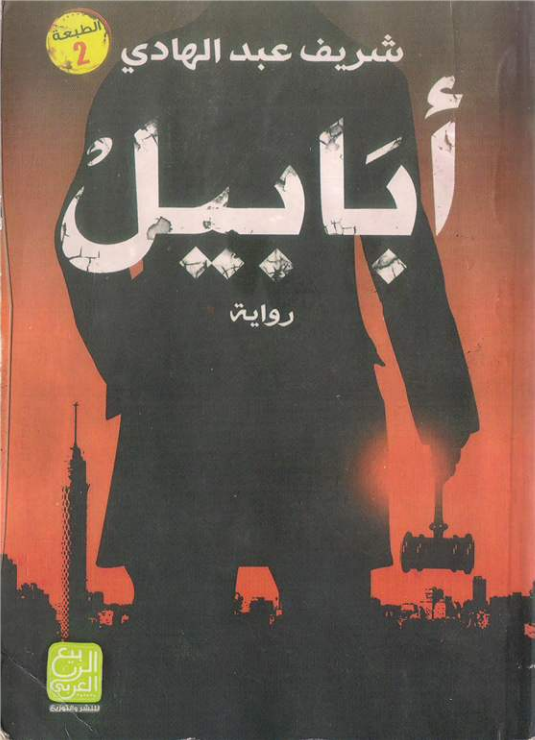

الطبعة 2
شريف عبد الهادي
أبابيل
رواية
الربيع العربي
للنشر والتوزيع

«لا يمنع انهيار السماء على الأرض سوى أعمدةٍ خفيَّة
اسمها العدالة،
فإذا ما ضاع العدل... انهار كل شيء»

شريف عبد الهادي

إلى

فارس العدالة الأول، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ورفاقه من النبيِّين، والصدِّيقين، والشهداء، الذين عاشوا وماتوا من أجل إعلاء كلمة الحق، وسيادة العدل.

أول من قال: «ياما في الحبس مظاليم»!

كل قاضٍ شريف، وأي بريء ذاق مرارة السجن.

الشهداء الذين أفلت قاتلوهم بسبب ثغرات القانون!

مقدمة

بفضل الله تعالى حقق عملى الأول «كوابيس سعيدة» نجاحا مُرضِيا، كأول فيلم مقروء بطولة نفس نجوم السينما المفضلين.

واستكمالًا لهذا النجاح أقدم إلى حضراتكم عملى الثانى «أبابيل»، كرواية سينمائية لن أحدد لكم فيها النجوم الذين يصلحون لأداء شخصياتها، حتى أعطي لعقولكم جرعة أكبر من الخيال.

أتمنى لكم قراءة سعيدة، رغم أن الأحداث ليست كذلك.. على الإطلاق!

قبل البداية

اسأليني يا حبيبتي ع اللي داير في البلاد
اللي فيها صادروا حلمي وباعوا صوتي في المزاد
اسأليني عن ولاد شُفتهم بعنيًا دُول
جرِّبوا كل الحلول، وبيفشلوا بالاجتهاد
أحكي ليكي ألف قصة من حكاوي التعبانين
اللي عايش نص ميِّت، واللي ميِّت من سنين
اللي نُص كلامه كُحّة، واللي شاف خمَّارة راحها
واللي أكل العيش دبحها، دايرة دور ع السكرانين
زحمة زحمة زحمة زحمة، زحمة زحمة زحمة زحمة
اللي نامية وفيها ثروة م الفلوس تعمل جبال
اسأليني عن كباري نايمة تحتيها العيال
اسأليني ع الغلابة، واسأليني ع التّقال
اسأليني ع الديابة، واسأليني ع الفساد
زحمة زحمة زحمة زحمة، زحمة زحمة زحمة زحمة
اسأليني اشمعنى صابر ع المآسي الملهية
أقولك إني كنت واحد م الغلابة الأغبيا
اللي صبروا ف انتظار المعجزات والأنبيا
واللي فاق من وهمه فجأة لاقى كُفر قوم عاد
لسه برضه قلبه طاير، كعب داير في البلاد
زحمة زحمة زحمة زحمة، زحمة زحمة زحمة زحمة

فريق: بلاك تيما
كلمات: ميدو زهير

الفصل الأول

سبتمبر 1983

لم يكن الطقس في تلك الحقبة الزمنية كالمدفأة الكهربائية التي نحيا بها اليوم...

يكفي أن تُلقي نظرةً عابرةً على أحدهم وهو يسير في ليالي سبتمبر، مرتديًا معطفًا سميكًا، وفي يده شمسية، لتعلم كيف كان البشر يتّقون وقتها أي هزار «بوابين» مُحتمل من جرعة مطر تسكبها السماء عليهم، على حين غِرّة، أثناء السير في الشوارع.

في تلك الليلة قرر استديو السماء أن يُعطي الطبيعة صورة تذكارية بفلاش من البرق، وجاملته السحب بغسلة مجانية للأرض، قضت على مخزونها الاستراتيجي من السيول التي أفرغتها بسخاء شديد، غير أن فيلا شامخة تُطل من جدرانها العراقة والأصالة لم تعبأ بكل هذه التفاصيل، بينما طردت سخونةُ الحديث المُشتعل في الردهة الخاصة بها أيَّ أثر للبرودة، في لقاء عائليٍّ أدار دفته المستشار "سيف العزازي" صاحب الفيلا، الذي يعيش معه ابنه الرائد "مهران العزازي"، وزوجته "منى" وطفلهما الجميل "مجد الدين"، في حين حلّت شقيقتُها "هيام" وزوجها وكيل النيابة "حسام البسطاويسي" وطفلهما "أُبيّ"، ضيوفًا على حفل بسيط أقامه سيادة المستشار بلا مناسبة إلا ليُدلي بنصائحه القانونية، ويرى في أعين من حوله الاهتمام بحديثه والإنصات لكلامه، ككبير للعائلة، بينما في غرفة جانبية نرى الطفلين "مجد الدين" ذا الوجه الأبيض المُستدير، والشعر الناعم كستنائيّ اللون، وابن خالته القصير السّمين "أُبيّ"، ذا الوجه الممتلئ، والشعر الأسود متوسط النعومة، وقد انشغل كلاهما بمنافسة شرسة في لعبة «حرب الطائرات» على جهاز «الأتاري»، بعد أن وصل كلاهما إلى مرحلة «بيت النمل».

وفي غمار اندماج المستشار "سيف العزازي" في الحديث عن وضع القضاء المصري في ظل حكم الرئيس الجديد محمد حسني مبارك، بالغ الرجل في الدفاع عن النظام، بشكل يوحي إليك أن الطين الذي خُلِق منه قد أُخذ خصيصا من حديقة القصر الجمهورى! بينما ظهر السمو على ملامحه الوسيمة ذات الشعر الفضيّ، الذي زاده الشيب تألُّقًا وجمالًا، وكست الحُمرة بشرته البيضاء التي تكللها لحية خفيفة، في حين ارتدى «روب» فخمًا، وأمسكت أصابعه بسيجار فاخر كوبي، أخذ منه نفسًا عميقًا، قبل أن يتكلم بثقة وخُيلاء كدوق إنجليزي يجلس في ضيعته مترامية الأطراف، قائلًا:

– أنا شخصيًّا متفائل جدًّا بالراجل ده.. ما تنساش إنه مسك الحكم في مرحلة حرجة، مصر فيها كانت واقفة بطولها والعالم كله مستنِّي لها غلطة، كأنها فريسة وسط أسود ما بترحمش. الدول العربية مقاطعاك وبتعتبرك خاين وعميل، والتيارات السياسية والأحزاب من أقصى اليمين لأقصى اليسار كلها بتنطح في النظام وبتعارضه معارضة شرسة، لمجرد الانتقام من اللي عمله فيهم السادات في اعتقالات سبتمبر. ورغم كده له مجهودات عظيمة عشان يرجّع العلاقات مع الدول العربية، واسترداد باقي «سينا» من إسرائيل من غير نقطة دم واحدة. ده غير إنه عمل مصالحة وطنية مع كل تيارات وأحزاب المعارضة، وحاكم عصمت السادات وولاده وشريكهم رشاد عثمان، وصادر منهم فوق الـ100 مليون جنيه بعد ما نهبوا خير البلد وفرضوا إتاوات على رجال الأعمال ودخلوا معاهم شراكة بالعافية من غير ما يدفعوا ولا مليم. ده غير قضية أطنان الفراخ الفاسدة بتاعة توفيق عبد الحي، وغيرها من القضايا، عشان ينقّي عصر السادات من الفساد اللي حصل فيه، ويصحح أخطاءه السياسية.

مع آخر حروف كلماته، رد عليه "حسام البسطاويسي" بنظرة ثعلبية ماكرة سرعان ما تحوّلت إلى كلمات مدروسة خرجت من فمه بهدوء ودبلوماسية، بينما نطقت عيناه بنظرات تمنّى المستشار لو أن هناك نصًا قانونيًا يحاسب عليها حتى يعدمه بسببها، وهو يستمع لكلمات ولكمات وكيل النيابة الشاب الذي يقول بثقة:

— سيادتك لو عايز تدافع عنه أنا ممكن أزيدك من الشعر بيت.. وأفكرك لو نسيت إنه قال السنة اللي فاتت إن الكفن مالوش جيوب.. وإنه هيقف مع أصحاب الأيادي الطاهرة.. ده غير إنه قال من سنتين في بداية عهده إنه مش هيرحم أي حد يمد إيده على المال العام.. حتى لو كان أقرب قريب ليه.. وإنه بيكره الظلم والواسطة.. ومش هيسمح باستغلال علاقات النسب.. لكن...

أوقف "حسام" كلماته وألقى نظرة عابرة على عديله الرائد "مهران"، قبل أن يتأمل ملامح المستشار بالمزيد من المكر وهو يباغته بسؤال:

— تقدر حضرتك تقول لي ليه قال في أول شهر من حكمه لجورنال الـ "نيويورك تايمز" إنه مش عايز قانون الطوارئ.. ومع ذلك عدى سنتين وإحنا لسه شغالين بنفس القانون اللي العالم كله بيعتبره استثنائي وكأن الطوارئ عندنا هي الأصل؟! وإيه اللي يضمن إن مبارك هيسمح بتداول السلطة زيّ ما وعد وما يكملش فترات رئاسية تانية؟ وإيه اللي يضمن إنه ما يحولش مصر لعزبة وشلليّة طالما أول القصيدة كفر ووعود بتتقال في الهوا من غير ما يكون لها أي أساس على أرض الواقع؟ متهيأ لي يا سيادة المستشار لو مش من حقنا نهاجمه، فعلى الأقل واجبنا ناخد حذرنا منه

بهدوء أعصاب اكتسبه من ساحات المحاكم، دفن المستشار غضبه في ابتسامة غامضة رسمها على شفتيه اللتين ركن عليهما السيجار لثوان لم يتذوق فيها تبغه، قبل أن يتدخل ابنه الرائد "مهران" قائلًا:

— انت عارف قانون الطوارئ اللي مش عاجبك ده يا حسام ساهم في القبض على كام خلية إرهابية؟ عندك فكرة كام واحد متطرف أصولي كان عايز يشارك في قلب نظام الحكم ويمشّي البلد على حسب فهمه الضيق للدين؟ إحنا في مرحلة حرجة، والبلد كانت ولا زالت على كف عفريت، وطول ما النوعيات الغلط دي من البشر موجودة، الراجل معذور في أي خطوة هياخدها عشان يحافظ على الأمن والأمان، وإلا هتبقى ميغة.

كضربة اسكواش مقابلة، ارتدت إليه إجابة "حسام" الغاضبة السريعة لتقول كلماتها:

— وانت عارف قانون الطوارئ ده جالنا بسببه كام واحد مظلوم واتأكدنا في النيابة إنهم ضحايا لقضايا متلفقة؟ وزي ما انت عارف بعد ما بنفرج عن أي متهم بريء إجراءات الإفراج لازم تكمل من القسم، وعدد كبير من اللي أفرجنا عنهم ما رجعوش بيوتهم وتم اعتقالهم في أماكن مجهولة. يمكن أنا واثق فيك بحكم عملك في قوات مكافحة الإرهاب إنك مش بتستغل قانون الطوارئ غلط. لكن لو بصيت على زمايلك في الأمن العام هتلاقيهم اتحولوا لآلهة بتلعب بالبشر، تدخل فلان الجنة وترمي علان في النار.. ومحدش يقدر يعترض إلا اللي له ضهر وبس.. وخد عندك بقى أمناء الشرطة اللي بقوا ياخدوا شهريات من أي بياع سريح على فرشة.. والظباط اللي رُتبهم أعلى شوية وشغالين مع تجار السلاح والمخدرات.. ده غير المخبرين وصفّ الظباط اللي يفتشوا الناس في الشوارع ويعملوا عليهم مصالح.. واللي يفتح بقه.. في ثانية تتحط له حتة مخدرات ويتقال إنه اتمسك بيها.. وطبعًا مش محتاج أفكرك بكل من له قريب ظابط أو حتى مخبر إزاي بقى ممكن يستغله في إنه يخليه

يحبس له جاره اللي متخانق معاه.. أو زميله في الشغل اللي مش نازل له من زور ويلبّس لهم أي قضية.. ولا حتى يرميهم في الحجز بدون تهمة لحد ما يقولوا حقي برقبتي!

جاء الدور على سيادة المستشار ليرد اعتباره قائلًا:

– كلام سليم.. بس انت والشباب الصغير اللي زيك محتاج يقرا ويفهم كويس اللي بيحصل جوًا وبرًا البلد بدل ما تتكلموا بمثالية ماحدّش هيدفع تمنها غيرنا لو العيار فلت.. يا ترى قريت اللي بيحصل دلوقت في الشرق الأوسط وشفت اللي بيحصل في "بيروت" والحرب الأهلية اللي دمرت "لبنان"؟ خدت فكرة عن منظمة "التحرير الفلسطينية" اللي خطفت سفن وطيارات؟ الدنيا حوالينا والعة والراجل رغم كل ده قال مش هندخل في صراع مع حد وهنمدّ إيدينا للكل.. وأفرج عن المعتقلين.. وسمح للصحافة تنتقد الحكومة رغم إنه قبل ما ييجي بكام شهر هيكل بجلالة قدره اترمى في السجن.. ولو هتخيّرني بين كام بريء ممكن يترمي في السجن شوية، ووكيل نيابة زيك يطلّعه في الآخر.. وبين أمن وأمان البلد اللي ممكن تولع في لحظة أو يسيطر عليها شوية إرهابيين، أكيد هختار مصلحة البلد حتى لو هيعتقلوني أنا شخصيًّا.. لكل معركة ضحاياها وخسايرها.

"حسام البسطاويسي":

– في الحقيقة يا سيادة المستشار أنا مش شايف غير إن مبارك راجل نمطي تقليدي بيتصرّف زي أي موظف روتيني ماشي اليوم بيومه من غير رؤية واسعة ولا خطة واضحة للمستقبل.. في عيد ثورة يوليو يحيي عبد الناصر.. وفي مناسبة ثورة التصحيح يترحّم على السادات.. لكن هو نفسه مالوش خط واضح بيحمل بصمته المستقلّة.. ماحدش فينا عارف هو رايح ناحية المعسكر الشرقي، والا المعسكر الغربي.. ولا هيفضل يطبطب على الكل في حين إن السياسة يعني تحالفات وشراكة وخطط استراتيجية مع كيان على حساب كيان عشان يحصل توازنات دولية.. ماحدش يقدر يراضي الكل زي ما سيادتك عارف.. واللي يفكر يراضي الكل بيتركب ويبقى مجرد قطعة شطرنج، الكيانات الكبيرة بتحركه زي ما هي عايزة.. ده غير إنه ماحطش أيّ تصوُّر لتحقيق الديموقراطية وتداول السلطة أو تغيير النخب.. واحتفظ بطواقم الوزراء ورؤساء مجالس التشريع والحكومة زي ما كانت.. وكمان مالوش دور في منع محاولة الدولة إنها تسيطر على القضاء وتضمه تحت عبايتها من عهد عبد الناصر. وده بطبيعة الحال هيأثر على استقلاليته.

نجحت كلمات النائب "حسام" أن تنسف كل جسور الصلة بين المستشار وهدوء الأعصاب والحكمة التي ميزت بداية حديثه، لينفجر غاضبًا:

– قضاء إيه اللي يستقل؟ لو بتشكّك في نزاهته قدّم استقالتك وروح اشتغل محامي واترافع ضدّنا واثبت كلامك.. الكرسي اللي انت قاعد عليه فيه مليون واحد في البلد يتمنى بس يقرّب منه.. مش يقعد عليه.

"حسام البسطاويسي":

– يظهر إن سيادتك ناسي إن والدي كان من ضمن الـ 200 قاضي اللي استبعدهم عبد الناصر في مذبحة القضاء سنة 69 عشان رفضوا ينضموا للاتحاد الاشتراكي وأصروا على مبدأ الفصل بين السلطات وعارضوا قراراته.. بعد ما كان عايز يخليهم يشتغلوا في السياسة وياخدوا أوامر من السلطة التنفيذية بشكل غير مباشر في القضايا اللي بيحكموا فيها.. ومن ساعتها الجو خِلي له، وقدر يسيِّس عدد من القضاة.. والدولة بقت تنتدبهم عشان هم اللي يحكموا في

قضايا بعينها ويصدروا أحكام تتناسب مع سياسة الحاكم.. وتقريبًا كمان سيادتك غاب عن ذهنك إن عبد الناصر طلب من المستشار عصام حسونة وزير العدل إنه يشكّل تنظيم سرّي من القضاة عشان يضمن إن القضاء يفضل تحت سيطرته وينفذ سياساته بدل ما يفاجئه بحكم ممكن يكون ضد اللي في دماغه.. ولما الوزير رفض عبد الناصر كلّف شعراوي جمعة وزير الداخلية بالمهمة دي.. ولحد النهارده فيه عدد من القضاة لهم مصالح مشتركة مع النظام وبياخدوا أوامر منه بدل ما يحكّموا ضمايرهم.

رأت "منى" الغضب والضيق على ملامح زوجها الرائد "مهران" الذي لم يعجبه أن يشاهد والده المستشار ذا القامة المرفوعة وقد تحول لعصفور مبلول أمام وكيل نيابة شاب في عمر ابنه، فتوسلت بعينيها لشقيقتها "هيام" أن تنقذ الموقف، وتوقف زوجها الذي ألقى كرسيًّا في الكلوب، إلا أن المستشار "سيف" رد سريعًا:

– ده كلام فارغ، انت حفظته من غير ما تعيشه بنفسك وتشوف المهازل اللي كانت بتحصل.. القضاة والمستشارين اللي انت بتقول إن عبد الناصر استبعدهم في مذبحة القضاة بسبب إنهم رفضوا العمل السياسي هما أكتر ناس اشتغلت سياسة.. وصدر منهم بيان 30 مارس اللي تدخل في سياسات البلد ونسيوا دورهم الأساسي إنهم مجرد قضاة مش سياسيين.. ويا ريت المرحوم والدك كان حكى لك بحياد وإنصاف إن عدد كبير منهم حاول يعمل زعامات في نادي القضاة اللي حوّلوه لجلسات سياسة ووصلات ردح ضد عبد الناصر وثورته اللي قام بيها.. ووصل بيهم الأمر إن منهم اللي شاف نفسه زعيم وطني من واجبه إنه يقود الأمة زي سعد زغلول بالظبط، باعتبار إن سعد زغلول كان قاضي.. ولو راجعت أسماء القضاة اللي استبعدهم عبد الناصر هتلاقي جزء منهم تم استبعاده بسبب

انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين بعد الجرايم اللي قامت بيها.. وجزء تاني كان متقدّم لمجالس تأديب.. وشوية فاضل لهم شهر ولا شهرين ويخرجوا كده كده من الخدمة!

عندها جاهدت "هيام" لاصطناع ضحكة مُفتعلة جعلتها جديرة بلقب أسوأ ممثلة، وهي تقول بلهجة حاولت أن تبدو مرحة لامتصاص جرعة التوتر، وتشتيت شحنة التحفز التي ملأت الأجواء:

– يادي الكلام في السياسة اللي مابقاش ورانا غيره من ساعة ما قتلوا السادات.. والله يا سيادة المستشار أنا نفسي تيجي لحسام إعارة في الخليج زي زمايله ونروح نقعد هناك كام سنة، لحد ما الأمور تستقر في مصر.. بدل الصراعات اللي مالهاش أول من آخر.. ولو إني مش مصدقة لغاية دلوقت إن الخليج اللي كان فقير وحالته تصعب على الكافر بقى هو اللي فاتح دراعاته للي عايز يشتغل ويحوّش قرشين.

وما إن فرغت من حروفها حتى التقطت شقيقتها طرف الكلام سريعًا لمواصلة تهدئة الموقف:

– سيبكم بقى من كل ده وكل واحد يقول عايز يتعشى إيه.. إحنا بقينا في سبتمبر.. يعني آخر الأجازة القضائية لسيادة المستشار.. ومش هنعرف نكرر نفس القعدة تاني غير السنة الجاية وعليكم خير.

غير أن "حسام" أطلق "فيتو" على هذه التهدئة الأنثوية، وقرر العودة للسِّجال الذي أفرغ كل طاقة الاعتراض الكامنة داخله، دون أن ينسى أن يغلف اعتراضه بابتسامةٍ جاهد أن تكون صافيةً هادئةً وهو يقول:

– أهو حتى الأجازة القضائية دي المفروض يتعاد فيها النظر.. يعني إيه القضاة والمستشارين ياخدوا أجازة الصيف من يوليو

لسبتمبر ويسيبوا مصالح الناس تضرب تقلب؟ طب واللي مستنّي الحكم في قضية ذنبه إيه يستنى؟ ومين يقف جنبه أو يحس بيه إذا كان المسئولين عن العدل واخدين أجازة عشان يبلبطوا في المصيف؟

في تلك الأثناء زاد هطول الأمطار في الخارج إلى حد مُفزع دفع غفير الفيلا للاختباء في غرفته الموجودة في الجنينة، قبل أن يقوم النوم بعملية سطو مُسلّح على جفونه الثقيلة ويسلُبه يقظته، في حين خرجت بصمة صوتية من أنفه تُشعرك أنه مُقبل على نومة أهل الكهف..

عندها.. كان هذا الموعد المثالي لاقتراب شبح تلك المرأة المتشحة بالسواد قبل أن تقف على باب الفيلا بتحفز وترقب، متأملةً تلك اللوحة المكتوب عليها بخط مميز **"فيلا المستشار سيف العزازي"**، قبل أن تعبر بوابة الفيلا دون أن تهتم سوى بهدف واحد جعلها تدخل بقلب ميِّت، وهي تربت على حقيبة يدها الجلدية الفاخرة بقوة أكدتها عروقها البارزة من تحت يديها..

وكلما تقدمت خطوة للداخل، كلما شعرت أنها تقترب من تحقيق ذلك الهدف الذي أتت لأجله...

ها هي تصل إلى باب الفيلا الداخلي المُطلّ على الجنينة، وفي ظل إضاءة خافتة للغاية تُظهر يدها الأنثوية الرقيقة -رغم عروقها النافرة- لتطرق باب المنزل وهي تنظر إلى الأرض، بينما نلمح من ظهرها ذلك المعطف الأسود الطويل الذي ترتديه وقد انسدل عليه جزء بسيط من شعرها الأسود الفاحم المبلول، فيما انسدلت باقي خصلاته المبتلة إلى الأمام لتغطي وجهها وتجعلها أشبه بمصاص دماء، لتفتح الباب خادمة تساءلت وهي تمسح ملامح المرأة المخيفة بتوجس ورهبة:

- مين حضرتك؟

فإذا بالمرأة ترفع وجهها ببطء، قبل أن تُخرج من حقيبتها مسدسًا تصوِّبه نحو الخادمة بكلتا يديها، لتُطلق الخادمة شهقة فزع.

مع صرخة الخادمة هب الجمع واقفًا، لنرى الخادمة ترجع بظهرها أمام ذلك المسدس المصوَّب إلى رأسها، في حين تتقدم تلك السيدة إلى الداخل، لنرى مع إضاءة الردهة ملامح وجهها الذابل، حاملًا بقايا قديمة من جمال كانت تبدو عليه حتى فترة قريبة، قبل أن يعتصره الحزن، ويُطلق هالاته السوداء تحت عينيها اللتين احمرتا وكأنهما كرتين من الدم من شدة البكاء، لينطلق من عينيها خطان من الدموع الساخنة وهي تتقدم أكثر، بينما تتراجع أمامها الخادمة بتوتر وخوف وهي ترفع كلتا يديها في استسلام، دون أن يحتاج الباقون إلى جرعة ذكاء إضافية ليفهموا أن المسدس يستهدفهم جميعًا وقادر على إصابة أول أحمق تبدو منه أي بادرة في التحرك أو التصدي للسيدة التي تحمله. في حين كشف الموقف قوة شكيمة الرائد "مهران" بوقفته الواثقة رغم دقة ما يحدث، ورباطة جأشه التي أطلّت من عينيه العسليتين اللتين يميل لونهما إلى الخضار، وملامح وجهه الخمرية وشعره الأسود الناعم القصير، قبل أن يسأل المرأة وهو يمسحها بعينيه:

- انتي مين، وعايزة إيه؟

لكنها لم تُعره أي اهتمام وهي تلتفت إلى والده ليُطل من عينيها الغضب والكراهية التي لا يستوعبها "الأطلسيّ"، لترجمه بعينيها اللتين اندلع منهما الدّمع أكثر وأكثر وهي تحدجه بالمزيد من الحمم الجهنمية التي تلمع في مُقلتيها، قبل أن تقول موجهةً كلامها للمستشار:

— أنا أرملة متهم اتحكم عليه ظلم بالإعدام.. والحكم اتنفذ فيه النهارده الصبح.

في تلك اللحظات العصيبة لم تدرك المرأة أن هناك طفلين في غرفة

جانبية ذات باب نصف مفتوح، وأن الطفل الوسيم "مجد الدين" هو وابن خالته البدين "أُبَيّ" يتابعان ذلك الموقف الحرج بأنفاس مكتومة، بينما تتابع السيدة المتشحة بالسواد حديثها:

— كل الدفوع اللي دفع بيها المحامي وسيادتك قلت عليها حجج فاضية طلعت في محلها.. والمتهم اللي انت حكمت عليه بالإعدام طلع بريء بعد ما مِسكت الشرطة المجرم الحقيقي.

ينظر المستشار لها بصدمة شديدة وقد اتسعت عيناه، بينما حارت عيون الجميع، غير أن سحنة السيدة المتشحة بالسواد انقلبت فجأة لتتحول من قمة الضعف إلى قمة العنفوان بشكل أعدم بقايا الجمال المتبقي في ملامحها، وقد ضغطت على أسنانها وشفتيها بغِلّ، بينما انكمش أنفها لتُحاكي ساحرات ديزني وهي تقول بصوت أجش أقسى من الصخر وهي تصوِّب مسدسها نحو المستشار وعينها ترمي بشرر:

— فين جوزي يا سيادة المستشار؟!

ومن مكانه عقد الطفل "مجد الدين" حاجبيه، وامتدت يده إلى فازة ورد رفيعة تزين مكتب حجرته، قبل أن ينقض عليه ابن خالته "أُبَيّ" الذي ارتسم الهول على ملامحه وهو يهمس بنبرات مرتعشة بكل ما أوتي من قدرة على التوسُّل:

- لا يا مجد.. بلاش والنبي.. الست دي ممكن تموِّتنا كلنا.

ليجيبه "مجد" بهمس مماثل لم ينجح في إخفاء قوة شخصيته وثباته:

— فاكر لما كنا بندخل على بعض ضرب ونقلد أميتاب باتشان؟ مش كنا بنقول لو جه أي حرامي هنموّته؟

"ما كناش بنخش على بعض بمسدس"... قالها "أُبَيّ" مذعورًا.

"أنا هضربها من وراها من غير ما تحس.. وبابا هيدخل معايا".

رد بها "مجد" وهو يغادر الحجرة بحسم يفوق سنوات عمره البريئة، دون أن يترك مجالًا للنقاش، ليسمع صراخ السيدة المتشحة بالسواد وهي تتابع:

- أنا عايزة جوزي دلوقتي حالًا.. زي ما ضيّعته منّي، انت مُلزم ترجعه لي.

ومع صرختها قفز الطفل من مكانه وبكل ما أوتي من قوة ألقى فازة الورد ذات السن المدبب نحو رأس السيدة وهو يصيح:

- باباااا!!!!!.

لتلتفت السيدة إليه في لمح البصر وتصوِّب مسدسها نحوه قبل أن ترتطم الفازة بجبهتها في عنف، فتصرخ بألم شديد وهي تسقط مع عنف الضربة، في حين قبضت يديها بحركة لا إرادية على زناد المسدس، ليغمض الطفل عينيه بألم، بينما تتسع عينا المستشار برعب، وتتنافس الخادمة والخالة على جائزة أقوى شهقة، وقد وضعت كل منهما يدها على فمها، في حين يصرخ الرائد "مهران" ملتاعًا على ابنه مع زوجته التي شاركته الصرخة في آن واحد، وكلاهما يردد اسم ابنه بصرخة ملتاعة:

- مجــد...

إلا أن المسدس أصدر تكّة معدنية بلا أي رصاص، ليدرك المستشار أن السيدة كانت تحرق أعصابه فقط، ولم تنو على الشر من البداية، فيتجمد مع هول الموقف، في حين يندفع "حسام البسطاويسي" نحو السيدة التي غطت الدماء وجهها، قائلًا بصدمة بالغة:

- لا حول ولا قوة إلا بالله... لا حول ولا قوة إلا بالله.

بينما تجري والدة "مجد" نحوه وتحتضنه وهي تبكي بشدة، قائلةً:

- مجد حبيبي... ابني.

في حين تابع "مجد" الموقف بوجوم يفوق إدراكه، وهو ينظر للسيدة بصدمة شديدة دون أن يشعر بعناق والدته وقبلاتها، قبل أن ينتفض كالممسوس حين ابتسمت له السيدة بوهن رغم الدماء التي تسيل من رأسها بتدفق يليق بنبع نهر، ليصطبغ في عينيه الكون كله باللون الأحمر، وهي تهمس بصعوبة أثناء احتضارها:

- ده البديل اللي كنت بدوّر عليه.. ما دام مش هتقدروا ترجّعوه لي... كفاية إني أروح له.

لتتسع ابتسامتها، قبل أن تخلو عيناها من بريق الحياة، ولا زال "مجد" ينظر إليها بوجوم شديد وقد فقد إحساسه بالعالم المحيط به!

* * *

أيام طويلة مضت على الطفل "مجد"، دون أن يعي عددها أو الفارق بينها، وقد تحول الزمن بالنسبة له إلى صحراء شاسعة لا حدود لها أو فواصل.

صحراء تطارده فيها كوابيس مرعبة تفوق طفولته التي لم تعد بريئة، بعد أن هتك عرضها الدم، وظهر فيها ملك الموت.

أصبح ضميره هو عدوه الذي يطارده كسبعٍ جائعٍ وجد غزالة عرجاء، أو خادمة تنفرد بسجادة لتنفيضها ليلة وقفةَ العيد!

ومع إدراكه لفداحة إزهاق روح لم تقترف ما يستحق القتل، ومعرفته - رغم صِغر سنّه - بعقوبة قتل نفس بريئة دون حق، كربيب في بيت العدالة الذي يسكنه مستشار ورائد طالما تحدثا عن حُرمة الدم، أصبح النوم لا يعني له سوى تجسيد المخاوف، والأوهام، والصور المفزعة التي لا وجود لها إلا في خياله، لتنهار نفسيته تمامًا مع تكرار الكوابيس التي تفصل بينها شهقة فزع، ويقظة مباغتة يلتف فيها أهل البيت حوله ليقرأوا عليه ما تيسر من القرآن الكريم، قبل أن تغفو عيناه ويصبح وحيدًا من جديد مع ضميره الشرس، في حين لم تكف ابتسامة السيدة المظلومة عن اغتصاب سكينته وسلامه النفسي مع كل شهيق وزفير، بعد أن أدرك - متأخرًا- الفارق بين البطولة والاندفاع.

توقفت أمطار سبتمبر الذي رحل، وحل أكتوبر الذي تحول لأهل هذا البيت من شهر العبور والانتصار إلى شهر النكسة!

وفي ذهن الفتى الصغير، راح ضميره يعزف موسيقى حزينة تتردد وتعزف أبشع مقطوعاتها التعيسة التي تمزق نياط القلب بصوت الكمان، وتطارد سكينة الروح بصوت بيانو في وصلة موسيقية من العذاب الذي لا ينتهي، وسيمفونية تذبح الأعصاب دون أن تُسكتها العقاقير والمسكنات...

لم يعرف مصدر ولا سر تلك الموسيقى التي تعزف في عقله.. هل سمع تلك المقطوعة المتكررة ذات مرة لتنطلق من عقال ذاكرته وتفرض نفسها تماشيًا مع الظرف الذي يمر به، أم هي من نسج خياله الذي صار يجسد آلامه وأحزانه في صورة موسيقى تصويرية بشعة يعزفها صوت الضمير الكامن داخله. كانت موسيقى شديدة الشبه بمقطوعة Secret Garden-Adagio ...

ورغم كل ذلك لم تكن آلام "مجد" هي السبب الوحيد الذي حوّل فيلا المستشار إلى جحيم، فقد خارت قوى الجد "سيف العزازي" الذي تقدم باستقالته، وأصبح قليل الكلام، كثير الاختلاء بنفسه في غرفته كمراهق يحبس نفسه بالساعات لمشاهدة فيلم جنسي في أولى مراحل اكتشاف الرجولة ولذة الجسد، بينما وقع الرائد "مهران" وزوجته "منى" في أشد أنواع الحيرة بين مداوة ابن

ومواساة أب، أما وكيل النيابة "حسام البسطاويسي" فلم يكف عن مدّ يد العون لشد أزر سيادة المستشار، خصمه السياسي الذي سقط من على صهوة جواده، ليقف معه في محنته النفسية كلاعبين ينتمي أحدهما للأهلي والآخر للزمالك، لكنهما على الأقل زملاء في المنتخب، في حين انقطعت زوجته "هيام" عن الحضور، لترعى طفلهما "أُبَيّ" الذي ظل واجمًا صامتًا منذ أن شاهد الحادث، غير أن هذا لم يؤثر على بدانته المفرطة؛ لكنه أثر كثيرًا على علاقته بابن خالته "مجد" الذي أصبح في نظره سفاحًا بلا رحمة، قد لا يجد مانعًا في قتله شخصيًا في أي وقت.

بينما لم تيأس "هيام" من شرح الأمر وتبسيطه لـ "أُبَيّ" ليدرك الفارق بين القتل الخطأ والقتل مع سبق الإصرار.. بين العمد والسهو.. بين القانون والعدالة، وفي تصادف غير مقصود كان هذا بالضبط ما يفعله "حسام البسطاويسي" مع الطفل "مجد" في لحظات تطوع منه لمداواة طفل قريب إلى قلبه وله نفس منزلة إبنه، ليساعد عديله الرائد "مهران" في انتشال ابنه من تلك الفجوة النفسية التي سقط فيها.

وفي إحدى الليالي، عندما سرق الطفل "مجد" حصة إضافية من النوم فوق سريره الوثير في قلب ظلام الليل، هب من نومه على صوت جدار الغرفة وهو يتشقق لتُبرز من خلف الشقوق طاقةَ نور أبيض متعدد الأشعة، ليفتح عينيه في رعب، ويضع يديه أمام وجهه ليحمي عينيه من الأضواء القوية، بينما عاد صوت الموسيقى يتردد في عقله.

وخلف تلك الإضاءة الباهرة المتسللة عبر شقوق الجدار، ظهرت خلفية عميقة أشبه بالصحراء مترامية الأطراف، قبل أن تظهر فجأةً السيدة التي كانت متشحة بالسواد، بعد أن نزل على عُمرها التخفيض وصارت فاتنةً في نهاية العشرينات من عُمرها، ترتدي فستانًا رقيقًا ناصع البياض عاري الكتفين، يجسِّد عودها الفرنسي الجميل، وتُظهر من تحت حمَّالته ذراعيها البيضاوين كالقشدة، بينما ينسدل شعرها الذي أصبح ذهبيًا على كتفيها، وتبرق عينها الخضراء ببريق ملائكي أخّاذ، وكأنها حورية هبطت من الجنة، بينما استطال ذيل الفستان ليكون طويلًا، بينما تتقدم السيدة في مظهرها الجميل وكأنها ملكة تسير بكبرياء في موكبها الملكي، غير أن خطواتها التي تقرِّبها من "مجد" كانت بلا حركة من قدميها، إذ تتحرك وكأنها عروس بحر فوق صفحة الماء، لتتسع عينا الطفل "مجد" رعبًا رغم ابتسامتها الودودة العزباء، ويحاول أن يصرخ، لكن صرخته تخرج بلا صوت، قبل أن تصبح هذه السيدة أمامه مباشرة، فيتراجع في خوف حتى يلتصق بظهر السرير ولا يجد قيد أنملة تكفي للمزيد من التراجع، بينما تواصل السيدة الاقتراب ليصبح وجهها ملاصقًا لوجهه، وتمتزج أنفاسهما وهي تتطلّع إلى عينيه، قائلةً بهدوء:

- ماتخافش... أنا جاية أشكرك مش أأذيك.

ثم تزحف يدها اليسرى كحيّة ناعمة، قبل أن تصل ليده اليُمنى فتُمسكها وهي تنظر لعينيه نظرة غامضة، فيغمض عينيه ويغوص برأسه بين كتفيه في رعب، إلا أنها تبتسم وتقبّل كفّه قائلةً بصوت حنون:

- إيدك اللي بعتتني لعالم السعادة... هتكون سيف الحق اللي هتحقق بيه مشيئة السما...

تباغته كلماتها التي حملت مشاعر حقيقية لا تتناقض مع نبرتها الدافئة، فيفتح عينيه ببطء، وقد بدأ حنانها وطيبتها في التهدئة من روعه قبل أن يسألها بتوجُّس وترقُّب:

- مش زعلانة إني قتلتك؟

فجأةً تنقلب سحنتها وتهرم ملامحها ويغطيها السواد وهي تقول بصوت مرعب:

- اللي قتلني هياخد جزاءه دلوقتي حالًا... الموت مالوش عقاب غير الموت.

فيصرخ بهول الدنيا وهو يسترد قدرته على النطق والحركة:

- ماما!!!!!!...

لتتردد الكلمة على شفتيه وهو يفتح عينيه من نومته، وقد اكتشف أنه كان يسبح في كابوس جديد لا قاع له، فيكرر نفس الصرخة وذات النداء المذعور على والدته قبل أن يرفع البطانية المتدثر بها، ويغادر حجرته مسرعًا، باحثًا عن أهله، فيجد والده يقف مع طبيب العائلة الذي يحمل حقيبته ويقول في أسى:

— للأسف يا مهران بيه.. إحساس سيادة المستشار بالذنب من اللي حصل.. خلى مخه يصدر أوامر للجسم بإيقاف الوظايف العضوية.. وطول ما هو مصمم على اللي هو فيه اعتبر المسألة مسألة وقت حتى لو حجزناه في أحسن مستشفى في العالم.

ورغم دقة الموقف والهول الذي يحيط بنفسيته، لم يصدق "مجد" تلك الدموع التي تلمع في عيني والده الذي لم يبك أو يدمع أمامه قط، بينما ترتسم الصدمة المروعة على وجه الأم، قبل أن تتداعى ذكريات "مجد" لتجسد أمام عينيه مواقف جده التي لا تـُـنسى.

حنانه الزائد عليه حين يضربه والده أو تزجره أمه، حكاياته التي فاقت في جمالها وحكمتها متعة اللعب بجهاز الأتاري الذي أحضره له من الخارج خصيصا في أول إجازة دراسية، احتفالًا بنجاحه، موافقته على طلبه حين تمنى أن يذهب معه إلى المحكمة ليشاهده

وهو يحكم على المتهمين، احتضانه له في بحر العجمي حين ابتعدت الأرض عن قدميه وكاد أن يغرق، وتدريبه على السباحة برشاقة ومهارة عالية رغم سنوات عمره التي شارفت على الستين، قراءته للفاتحة وهو يصلي بالعائلة صلاة العشاء بصوت جميل حبّب إليه القرآن الكريم، وترديد الجميع خلفه «آمين»، إصراره على شرح معاني آيات قصار السور له، وحرصه على حفظها بالشرح والتفسير مقابل ركوب مركب في النيل، ولا مانع من شراء دراجة أحيانًا، السبحة والطاقية والجلباب الذين أحضرهم له من الحجاز، ليصلي بهم صلاة العيد، لقد أحبه أكثر من والده ووالدته، وها هو الآن يشعر أنه يتم اختطافه دون أن يملك من الأمر شيئًا.

يهرول "مجد" نحو غرفة الجد ويفتح بابها، فيجد جده يرقد فوق سريره في حالة إعياء شديدة، وجسده مصاب برعشة قوية.

- «جدو».

بعيون دامعة يقترب "مجد" من جانب السرير ويلكز جده محاولًا إفاقته بلا جدوى، قبل أن تلمح عينه شبح السيدة من جديد بشكلها المقيت المتشح بالسواد لتظهر على الجانب المقابل لسرير جده بحيث تواجه "مجد" وتقول بلهجة زوجة أب السندريلا التي لم تسمعها بأذنيك، لكنك على الأقل تشعر بمرارتها وتتخيل قسوتها:

- مالوش لزوم إنك تهرب، القاتل الحقيقي اللي قتلني مش انت.

قبل أن تحدج الجد بنظرة قاسية يزداد معها بريق عينيها ويتضاعف انتفاض جسد الجد مع كل نفس عميق يحاول فيه أن يسحب أكبر قدر من الأوكسجين، في حين يفرد إصبع السبابة بحثًا عن العفو الإلهي، ثم تتسع عينه وهو ينظر لسقف الغرفة نظرة هلع وقد انكشف عنه الحجاب والتفّت الساق بالساق، ليرتفع صدره أثناء انسياب روحه من جسده كآخر قطرة تفيض من صنبور

قطعت عنه المياه، ليتهاوى بعدها صدره المرتفع وقد شحب وجهه وغزاه الزرقان.

«هي دي العدالة اللي ما حقـقهاش القانون يا مجد، لو مقدرناش نتساوى في الحياة، يبقى على الأقل نتساوى في الموت»

* * *

لم يدر "مجد" كم مرَّ على وفاة جده من وقت حتى يخرج من تلك الحالة النفسية المقيتة، لم يدر حتى أكان ذلك المشهد الذي شاهده فيه وهو يحتضر مجرد كابوس تحقق بالصدفة، أم واقعًا يستحق أن تسجله قائمة حوادث ما وراء الطبيعة، لكن ما يدركه حقًّا أنه لم يحكه لأحد، لا سيما "أُبَي" ابن خالته البدين الذي بدأ بالكاد يسلِّم عليه من جديد بعد أن ظل شهورًا طويلة يتعفف عن مصافحته، وهو ينظر بقرف ليده التي سفكت الدم ويتخيل أنها «مطرح الست الميتة».

كان الشيء الوحيد الذي هوّن عليه مرار تلك التجربة البغيضة، هو ذلك التقرب المفاجئ الذي بدر من والده تجاهه بعد رحيل جده، حيث اعتاد من قبل أن يعامله معاملة «ميري» رغم سنوات عمره الصغيرة، لكنه الآن صار ضابطًا بدرجة أب، بل أخ أكبر يتودد دومًا لشقيقه الصغير ذي الوسامة والخفة والرقة التي تسرق الفؤاد.

صارا يجلسان سويةً على السرير في نهاية كل ليلة، ليزيح الأب حكايات عقلة الإصبع وجنيّ علاء الدين، ويستبدلها بحكايات أخرى واقعية خشنة، من ملفات بطولاته في مكافحة الإرهاب، وعملياته الفذة التي تتحدث عنها الداخلية، حتى صار واحدًا من ألمع ضباطها رغم سنوات عمره الشابة، بعد أن يأخذ من صغيره في كل مرة وعدًا ألا يسرِّب منها حرفًا لوالدته ذات القلب الضعيف، ومع الوقت لم يعد في حاجة لأي وعد أو قسم من طفله الأمين،

وبعد أكثر من اختبار تيقن الأب أن "مجد" صار رجلًا في شكل طفل.

لقد تعلم كيف يتحمل المسئولية، وبات لديه إجابة لكل التساؤلات التي تشغل عقل والده حول كيفية استمرار الحياة من بعده إذا خرج ولم يعد يومًا في إحدى مهماته.

وبعد مرور عام على وفاة المستشار "سيف العزازي" أسقط الرائد "مهران" كل ذكرياته المؤلمة، ولم يبق إلا على تلك اللحظة الحاسمة التي قفز فيها "مجد" ليلقي بفازة الورد تجاه السيدة لإنقاذ أهله دون أن يهاب الموت.

ورغم قسم الأب بينه وبين نفسه أن يبعد ابنه عن البدلة الميري ووزارة الداخلية بأقصى ما يملك من قوة، بعد كل ما ذاقه وواجهه من أهوال طالما ابتسم فيها الموت، وهمَّت يد عزرائيل لتقبض روحه قبل أن ينجو بمعجزة في آخر لحظة، إلا أن شجاعة "مجد" وجرأته التي فاقت الخيال دغدغت قناعة نسر الداخلية الرابض على كتفه، لينتصر حسه الأمنى على عاطفة الأبوة، ويحلم بذلك اليوم الذي يراه فيه خليفته!

قرر الأب أن يدفع "مجد" للتفكير في الالتحاق بالشرطة عندما يكبر، وصار يعطيه سلاحه الميري ويدرِّبه على حمله وفكّه وتركيبه!

وفي صحراء الأهرامات عرفت سيارة الرائد المرسيدس طريقها كل أسبوع، ليهبط منها الطفل "مجد الدين" قبل أن تتوقف حتى، وفي يده حقيبة أثقل بكثير من أن يحملها من هُم في سنوات عمر الزهور، لكنه كان يفض محتوياتها وينصب العدة سريعًا ليتدرب على الرماية تحت رعاية وتوجيه والده، قبل أن يدربه الأب على فنون القتال التي كان ماهرًا فيها لأقصى حد، واضعًا آلاف الحواجز بينه وبين عاطفة الأبوة وهو يقسو على ولده ويطرحه أرضًا مرات

ومرات، حتى صار الطفل يتقن الحركات الصعبة بمهارة شديدة، ويتمتع بلياقة وانسيابية بهلوان محترف يقدم عروضًا عالمية.

ووقف الأب حائرًا بين مشاعر السعادة والغضب ذات يوم، حين رفض "مجد" الانصياع لكلامه حين أمره أن يصوب سلاحه على ذلك العصفور الأصفر الجميل الذي ظهر في الأفق، ودار حولهما دورة كاملة قبل أن يهبط على قرب أمتار قليلة منهما ليقبّل الأرض بمنقاره قُبلة البحث عن الرزق.

لم يدر الصغير "مجد" هل هو طائر زينة فرّ من أصحابه في غفلة منهم، أم أنه خُلق حرًا ولم تطله بعد يد السجان، لكن على كل الأحوال رفض أن يكون هذا المخلوق ذو الأجنحة الخفاقة هدفًا لسلاحه، وهو الذي طالما حلم أن يطير ذات يوم ويرى تلك الدنيا الكريهة من أعلى برؤية أشمل وأعم من ضيق أفق البشر.

كرر الأب أمره بصوت أغلظ، ونبرة أحد، «أضرب»، فلم تزد أوامره الصغير "مجد" إلا نفورًا، قبل أن يلقي سلاحه ويقترب من الطائر في حذر، ومع اقترابه الشديد لاحظ الطائر ذلك ليستدير ناظرًا إلى "مجد" دون أن يهرب!

لم يصدق الصغير "مجد" نفسه وهو يواصل الاقتراب وقد تلاقت عينه بعيني العصفور وكل منهما يتطلع للآخر بترقُّب، قبل أن يخفض العصفور جناحه وينكمش في موضعه بضعف واستسلام بعد أن عجز عن العثور على غذاء، وبات مستعدًا أن يدفع الثمن من حريته كأم تبيع شرفها لتطعم أطفالها اليتامى، قبل أن تمتد إليه يد "مجد" ويشعر بارتعاد فرائصه ورعشته التي تمزق نياط القلب، فما كان منه إلا أن أخذ يمسح جناحيه، ويملس أصابعه على ريشه الناعم الجميل، بينما أغمض العصفور عينيه ودفن رأسه بين جناحيه في استسلام، وبعد أن طبع الطفل الصغير قبلة حانية على رأسه، اتجه به نحو السيارة، ليضعه على الكنبة الخلفية، قبل أن يسحب حقيبة الساندوتشات ليخرج منها ساندوتش أخذ يقطّعه إلى قطع صغيرة للغاية ويلقيها عند قدمي العصفور الذي بدأ في نقر الفتات، بينما لا زال الأب يتابع الموقف من بعيد، سعيدًا بإنسانية ابنه المفرطة، متذمرًا من رفضه للأمر، غير أنه شعر برجفة تدب في أوصاله حين أمسك الصغير "مجد" العصفور وألقاه في الهواء ليطير العصفور من جديد محلقًا في السماء، في حين أطلق "مجد" أجمل ضحكاته الطفولية وهو يشب برأسه لأعلى متمنيًا أن ينطح السماء وقد فرد ذراعيه مثل الطيور وأخذ يلف حول نفسه.

وفي حمام سباحة نادي الشرطة، تفوق "مجد الدين" على أقرانه في العوم تحت المطر في مياه أشبه بالثلج، ليجوب الحمام ذهابًا وإيابًا كدولفين صغير، ويغوص في حمام الغطس لإحضار عملة معدنية من الأعماق كسمكة قرش تنقض على فريستها.

لكن كل هذا المجهود البدني، والعنف الجسدي، لم يُنس الطفل الصغير أن يلح على والده في طلب أمنية جديدة، ومتعة مختلفة لم يجدها في تدريبات القتال والسباحة والرماية.

- «نفسي في بيانو يا بابا».
- هتعمل بيه إيه؟
- «فيه أصوات موسيقى بسمعها جوايا، أوقات كتير ببقى نفسي أطلّعها لكل الناس بس ما بعرفش، ساعات بتبقى حزينة، وساعات بتبقى مضحكة، وساعات تانية ما بعرفش هي إيه بس بترعش من جوايَ وأنا بسمعها».

وفي صباح اليوم التالي استيقظ الصغير على قُبلة حانية من والدته، التي أيقظته وهي تشير لطرف الغرفة قائلة بابتسامة عذبة رقيقة:

— مجد حبيبي، شوفت بابا جاب لك إيه؟

ليفتح "مجد" عينيه بلهفة وفضول، قبل أن تتسع العينان وقد غمرتهما سعادة الكون وهو يرى ذلك البيانو الضخم وبجواره يقف والده فاردًا ذراعيه في انتظار حضن مكافأة من صغيره، لكنه لم يتوقع أن يقفز الطفل من على سريره ويعدو نحوه بهذه الحميمية قبل أن يغمره بقبلات فياضة، ويمسح وجهه في صدره كقط عاشق لصاحبه، قبل أن يمسك يديه ويقبلها لأول مرة، وسط دموع الأم التي تأثرت بالموقف، بينما فجرت مشاعر الطفل كل مشاعر الأبوة لدى والده الرائد الذي جاء دوره ليغمر صغيره بقبلات وأحضان أقوى وأكثر، وكأنه يعوض اشتياقه لوالده المستشار في طفله الصغير، قبل أن تنهمر من عينيه الدموع رغمًا عنه قائلًا لـ"مجد":

– من بكرة إن شاء الله ميس رضوى هتيجي تعلمك الموسيقى عشان تعرف تطلّع الموسيقى اللي جواك، وتسمّعنا أنا وماما موهبتك.

في حين منحه طفله الصغير نظرة امتنان وحب، اختصرت جمال الكون كله وبهاءه في نفس الأب الذي شعر أنه يكاد يملس النجوم، موقنًا أن طفله طفل غير عادي، جاء من السماء حاملًا توقيعًا كُتِبَ عليه "هدية من الله"!

وفي ذكرى رحيل الجد، لم ينس الصغير "مجد" أن يدخل غرفة مكتبه التي تحوى مكتبةً ثريةً بكل صنوف المراجع والكتب القانونية، إلى جانب روائع الأدب والفكر، سواء كتب مصطفى محمود، والمنفلوطي، والعقاد، وتوفيق الحكيم، ويوسف إدريس، وروائع الأدب العالمي، وأرشيف صحفي لقصاصات الصحف والمجلات التي كتبت عن المستشار الشهير، ليشعل "مجد" تلك الأخشاب الموجودة في مدفأة مدفونة في قلب جدار الغرفة، ثم ينظر إلى ضوء البرق الذي عاد ليسطع قبل أن تهطل الأمطار من جديد

في ذات الليلة، وكأن التاريخ يعيد نفسه، قبل أن يجلس "مجد" على كرسي المكتب الهزاز، ويرتدي نظارة جده الطبية التي لا زالت تنادي عليه خارج الجراب، بينما تمتد يده إلى جهاز الجرامافون، واضعًا أسطوانة موسيقية ضخمة الحجم، ثم يضع فوقها الذراع التي تقرأها لتدبّ الروح في الجهاز الذي غطاه التراب وينبعث صوت أم كلثوم القوي...

فات الميعاد، وبقينا بعاد، بعاد، بعاااد، والنار، النار، النار بقت، النااار، دخان، ورماد، رماد، فات الميعاد...

تفيد بإيه، إيه يا ندم، يا ندم، يا ندم، وتعمل إيه، إيه يا عذاب، طالت، ليالي، ليالي، ليالي الألم، واتفرقوا الأحباب

وكفاية بقى، تعذيب وشقا، ودموع في فراق، ودموع في لُقا.

تطلع الصغير إلى صورة جدّه الباسمة، غير مصدّق أن خلف تلك الابتسامة الحانية، والملامح السعيدة رجلًا رحل عن عالمنا ولم يتبق منه سوى لمحة ثابتة ثم حبسها خلف برواز، بعد أن تجمّد عندها الزمن ليوقف حركة وروح الجد الذي أصبح مجرد ذكرى وصورة معلقة على الجدار.

حاول الصغير أن يخدع نفسه بأن جده باق، فأوهم خياله أن المستشار الراحل يطل من صورته المعلقة، وأن تلك الابتسامة التي تشع من وجهه هي خير دليل على أنه سعيد بحفيده، وفخور بأفعاله، بينما راح صوت أم كلثوم بألحان بليغ حمدي يدغدغان كيان الطفل الذي يفهم – لسوء حظه – كلمات الأغنية ويتذوق فن الست بعد أن نشأ على سماعه وهو في المهد، لتلتقى عين "مجد" الحزينة بعين جده لفترة طويلة، حتى داعب الدمع مقلتيه، ونجح في الإفلات من بين رموشه كما يتسلل الماء من بين الأصابع، لينزل حارًا على بشرته البيضاء فيسلخها سلخًا ويغزوها اللون الأحمر، في

حين دار ذلك الحديث الصامت بين الطفل والجد وقد تخاطبت الروحان بعد أن ذابت المسافة بين الأرض والسماء، بين الواقع والخيال، بين الأحياء والأموات، دون أن يشعر كلاهما بكتف الأب الذي يقف عليه النسر في ملابسه الميري، وقد ظهر الرائد خارج الغرفة وهو يقترب بخفّة متأملًا طفله الذي بدا صورة مصغّرة من جده، قبل أن يلمح "مجد" انعكاس صورة والده في زجاج برواز صورة الجد، فيلتفت له ببطء قبل أن ينزل من على الكرسي الهزاز ويتقدم بخطوات ثقيلة نحو والده قائلًا بعينين دامعتين، حل فيهما اللون الأحمر مكان الأبيض:

- جدو وحشني أوي يا بابا.

فلا يسع الأب سوى أن يركع ليحتضن طفله سريعًا حتى لا يلحظ "مجد" عيني سيادة الرائد اللتين تسلل إليهما الدمع، قبل أن يتحسس بيده الحنونة شعر ابنه الذي دفن وجهه في صدره، لينظر الرائد "مهران" بدوره لصورة والده المستشار ثم يطوح بصره نحو الشُرفة ويعبرها إلى الأفق البعيد غير عابئ بصوت الرعد وهطول الأمطار، وهو يسترجع صوت والده المرح حين قال له ذات مرة:

- تفتكر لما مجد يكبر ويبقى قاضي زي جده، هكون لسه عايش ولا هكون بقيت شوية تراب؟

بينما لا زال صوت الموسيقى الحزينة يتردد على مسامع الطفل "مجد" بكل قسوة.

الفصل الثاني

24 يونيو 2012

على شاشات التلفاز بمختلف القنوات الفضائية والأرضية، يلقي الرئيس أول خطاب رسمي له بعد إعلان نتيجة الانتخابات الرئاسية قائلًا:

شعب مصر العظيم، أيها الفرحون اليوم، المحتفلون بعيد الديمقراطية في مصر، أيها الواقفون في الميادين، في ميدان التحرير وفي كل ميادين مصر، أحبائي، أهلي وعشيرتي، إخواني وأبنائي، يا من تنظرون إلى المستقبل، يا من تريدون لوطننا مصر الخير والنهضة، والتنمية والاستقرار، والأمن والأمان.

أحبائي جميعًا، أتوجه إليكم بحمد الله سبحانه وتعالى، نحمد الله جميعًا على بلوغنا هذه اللحظة التاريخية، هذه اللحظة التي تشكّل ملمحًا مُضيئًا، مسطرة بيد المصريين، بإرادتهم، بدمائهم، ودموعهم، وتضحياتهم، هذه اللحظة، التي نسطرها جميعًا بهذه التضحيات، وما كُنت لأقف بين أيديكم اليوم كأول رئيس مُنتخب بإرادة المصريين الحرة في أول انتخابات رئاسية بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير، ما كُنت لأقف هذا الموقف معكم الآن بهذه الفرحة العارمة التي تعم كل ربوع الوطن المصري الحبيب، ما كُنت لأقف هذه الوقفة لولا توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم هذه التضحيات وتلك الدماء الزكية لشهدائنا الأبرار، ولمصابينا العظام، الشكر والتحية للشهداء، لأمهات الشهداء، لأباء الشهداء، لمن فقدوا العزيز عليهم وضحّوا به من أجل مصر، مع خالص الدعاء لهؤلاء الشهداء والمصابين الذين رووا بدمائهم شجرة الحرية، والذين فتحوا لنا الطريق لنصل لهذه اللحظة.

قبل أن يتوقف الخطاب وينطفئ التلفاز بضغطة زر عصبية على

جهاز الريموت كنترول في منزل المستشار "أحمد العبد" الذي قال بعصبية شديدة في عدد من القضاة والمستشارين الذين يجلسون حوله في ردهة منزله:

— ما بقاش ناقص إلا ردّ السجون ده عشان يحكمنا على آخر الزمن، منه لله المشير، سلِّم البلد للإخوان تسليم أهالي عشان ينفد بجلده، أقطع دراعي لو ما كانش فيه صفقة تمت بينهم.

المستشار "عزيز شاكر" يتوقف عن رشف القهوة، ليضع الفنجان على غطائه الصيني الذي تمسكه يده اليسرى، قائلًا:

— أراهنك يا سيادة المستشار إن المشير واللي معاه أول ناس هتاخد الصابونة من الإخوان، واللي عاملين فيها ثوار وعصروا على نفسهم لمونة وانتخبوا مرسي بالعند في شفيق بكرة يندموا ويلعنوا اليوم اللي عملوا فيه كده. بس ده مش هيحصل غير لما حبّة حلوين منهم يتسجن ويُعتقل وينضرب من الحرس الثوري اللي الإخوان بيشكلوه دلوقت، وساعتها هتاف يسقط حكم العسكر هيتحول ليسقط حكم المرشد، ومش بعيد الناس ترجع تهتف من تاني الجيش والشعب إيد واحدة!

لترد عليه المستشارة "أماني التهامي" القاضية بالمحكمة الدستورية العُليا قائلةً:

— فاكرين لما طلِعت مع هالة سرحان وقلت إن فيه مؤامرة خارجية على الشعب المصري، ولازم المشير يصارح الناس باللي بيحصل وهيحصل في البلد قبل ما تقع الفاس في الراس؟ أمريكا عايزة تقضي على الإسلاميين بإيديهم منهم فيهم من غير ما تورط نفسها في صراع معاهم، وفي نفس الوقت تضرب بيهم إيران اللي بقت قوة ماحدش يقدر يدوس لها على طرف، فقالت لك هات الإسلاميين يمسكوا البلاد العربية عشان يخربوها أكتر ما هي خربانة، فالناس تكره الإسلام والغرب يضحك على الحكم الإسلامي، وممكن واحد مجنون من اللي بيحكموا يلطش مع إيران ونقف كلنا نتفرج!

هنا صاح المستشار "العبد" بعصبية:

— تتحرق أمريكا على إيران على الإخوان في يوم واحد، أنا اللي يهمني إن ماحدش من الرعاع دول يتدخل في شغلنا ويفرض سيطرته علينا، أديكوا شوفتوا تنظيم "قضاة من أجل مصر" اللي طلع خلية إخوانية نايمة وإحنا مش دريانين، وفجأة صحيت الخلية دي وساندت العياط في الانتخابات، ويا عالم كام قاضي ومستشار إخوان هيعلنوا عن انتماءاتهم الفترة الجاية، إحنا لو ما وقفناش وخدنا حذرنا هيأخونوا القضاء الفترة اللي جاية وهيخطفوا البلد.

وقبل أن يغادر آخر حرف لسانه ردّت المستشارة "أماني" بتحفُّز:

— ومين هيسمح بكده إن شاء الله؟ انت ناسي إن شعبيتهم في النازل، وبعد ما خدوا 10 مليون صوت في مجلس الشعب جابوا 5 مليون صوت بالعافية في الجولة الأولى من انتخابات الرئاسة؟ يمكن عرفوا يضحكوا على الشعب وشوية العبط بتوع النخبة الثورية اللي عصروا على نفسهم لمون واتضامنوا معاهم بالعند في شفيق، لكن صدقني زي ما اتكشفوا في مجلس الشعب هيتكشفوا أكتر اليومين اللي جايين والناس هتجيب آخرها منهم بدري بدري، ويوم ما ناخد ضدهم أي إجراء قانوني هتلاقي الشعب وراك واقف بيساندك، وأول اللي هيؤيد أحكامك وقراراتك القانونية هم كل القوى الثورية والمعارضة اللي بيكرهوا الإخوان من الأول وعندهم أحلام وتوقعات أكبر بكتير من قدرات شخشيخة المرشد ده.

ثم ترتسم ابتسامة شامتة على ملامحها قبل أن تتابع:

— هو مش وعد إنه هيحل في أول 100 يوم من حكمه مشاكل العيش والبنزين والأمن والنضافة؟ بكرة نغمض عنينا ونفتحها نلاقي

الـ 100 يوم عدوا، وهو واقف محلك سر وكل الشعب هيطبق في زمارة رقبته، النوعية اللي زي دي أحسن حاجة تسيب لها الحبل وهي اللي هتخنق نفسها بيه، وهفكرك قريب

فيما مطّ المستشار شفتيه بحنق، وفي عينيه غل وحقد يكفيان لحرق الكون بأكلمه.

* * *

الآن أصبح "مجد" قاضيا شابا في الثلاثينيات من عمره، يجلس في المقعد الخلفي لسيارته التي يقودها سائق خاص، بينما يذيع جهاز الكاسيت بها مقطوعة "انت عُمري" الموسيقية بعزف عُمر خيرت، قبل أن تصل السيارة أمام محكمة الجلاء، ليُغمض "مجد" عينيه ويزفر زفرة حارّة يحاول فيها وبها أن يطرد ذكرياته الأليمة التي لم تفارقه يومًا منذ طفولته البائسة، ولم ينقذه من استرجاعها سوى صوت السائق الذي قال باحترام:

- وصلنا يا فندم، لا مؤاخذة هتنزل هنا عشان الدنيا واقفة قدّام المحكمة.

ليلتفت له "مجد" بحزن، قبل أن يقول:

—.طيب خلاص مش مشكلة، بس الساعة 5 بالدقيقة تكون قدّامي.

— تحت أمرك يا فندم.

يغادر "مجد" السيارة، وهو يرتدي نظارة شمسية فاخرة، لينظر حوله متأمّلًا التفاصيل التي تحدث أمام المحكمة، شهود الزور الذين يتفق معهم البعض ويلقّنهم الكلام الذي سيقولونه بالداخل للقاضي، حيث يظهر رجل أنيق يرتدي نظارة شمسية ثمينة، يتفق مع مجموعة رجال ضخام الجثة:

— دول 500 جنيه، وبعد ما تقولوا اللي اتفقنا عليه قدام القاضي هتاخدوا زيهم.

فيرد أحدهم، يحتل شاربه الضخم نصف وجهه، بصوت غبي:

— بس إحنا مالناش دعوة باللي هيحكم بيه يا برنس، إحنا هندخل جوًا نطرش الكلمتين ونطلع نلاقيك واقف لنا بعرقنا، عشان اللي أوله شرط آخره نور.

العرضحالجي الذي ينادي في الناس بالدمغات اللازمة والأوراق المطلوبة، وقد جلس على مائدة صغيرة بالية عليها دمغات وأوراق، وفي يده دباسة، وأمامه مجموعة من الناس:

- أيوة آهه، دمغة البراءة...

رجل يمسك في يده أكثر من جهاز محمول، ويرتدي طاقية أشبه بطواقي الصيادين لتقيه حر الشمس دون أن تمنع تصبُّب العرق على جبينه وهو ينادي على الناس:

- أيوة محمول محمول محمول، بجنيه دقيقة المحمول...

يسير "مجد" على الرصيف ببذلته الأنيقة وجسده الممشوق، وقد بدا بوسامته وأناقته أقرب لنجم سينمائيّ منه لقاضٍ، وما إن يلمحه أحد أمناء الشرطة وهو يقترب من باب المحكمة، حتى يتكهرب الجو، ويبدأ في فض الزحام ليخلي الطريق للقاضي:

"وسّع يا عم انت وهو، حاسب يا بني آدم"

بينما يسير "مجد" بوقار وهيبة شديدة ضاعفها جسده القوي وعضلاته التي برزت من تحت بدلته، ونظارته الشمسية التي تلاءمت كثيرًا مع ملامح وجهه المستدير وتقسيمتها الصارمة، وفي اللحظة نفسها تأتي عربة ترحيلات وتستقر أمام المحكمة، ليقوم أحد أمناء الشرطة بفتح بابها الخلفي لإخراج المساجين بعنف

وقسوة، فتنهض إحدى السيدات، متشحةً بالسواد، من على رصيف المحكمة، وتهب واقفةً ثم تجري بلهفة شديدة لاحتضان ابنها الذي ينزل من عربة الترحيلات مكلبشًا في يد مسجون آخر، وتبكي بشدة، في حين يهبط الابن الشاب من العربة وينظر لها بانكسار وهي تحاول الاقتراب منه فيمنعها أحد العساكر:

- ممنوع يا ست.

الزحام يفرِّق بين الابن والأم، فتجري وراءه في نفس لحظة دخول "مجد" باب المحكمة، لتصطدم بـه دون قصد فيدفعها الأمين بقوة، وهو يصيح فيها بملامح قاسية:

- ما قلنا ممنوع يا مرة!

تسقط السيدة على سلالم المحكمة وتتدحرج، وهي تبكي بحُرقة ووجع مؤثر، قبل أن يلتفت "مجد" لها ويجرى نحوها مسرعًا ليساعدها على النهوض، وهو يصيح في الأمين بغضب هادر:

- إيه اللي انت عملته ده يا أعمى القلب؟

- لا مؤاخذة يا باشا، حبيت أوسع لك الطريق.

- باشا دي تقولها للظابط بتاعك يا حتة نمرة، انت في محكمة مش في قسم، حركة زي دي لو اتكررت تاني هحبسك، فاهم؟

الأمين يومئ برأسه خوفًا، بينما يلتفت "مجد" لمجموعة المساجين المكلبشة أيديهم في بعضها، ويتجهون لداخل المحكمة، وينادي على أمين الشرطة الذي يقودهم بنبرة صارمة قوية، في حين أمسكت يده بالمرأة العجوز لتساعدها على الوقوف:

— استنى يا ابني.

ليتوقف مع صيحته مسير صف المساجين، بينما يلتفت أمين الشرطة لـ "مجد" بقلق:

- أؤمر يا فندم.

دون أن يجيبه "مجد" بحرف، وهو يأخذ بيد المرأة العجوز، ويجعلها تقترب من ابنها، قائلًا:

- سلِّمي على ابنك يا أمي.

فتحتضن المرأة العجوز ابنها، مُنهارةً، ويُقبِّل كلٌّ منهما يد الآخر، لينكسر تماسُك الابن ويبكي بنحيب، بينما يشيح "مجد" بعينيه بعيدًا قبل أن يتسلل إليهما الدمع، ثم يتجه إلى داخل المحكمة.

بعد كل هذه السنوات في العمل القانوني، لا يزال داخله قلب طفل، ولسوء حظه فإن سجَّان الدمع الواقف على جفنيه لا يقوم بدوره على أكمل وجه، لتهرب منه كثيرًا دموع حبيسة تُلقي بنفسها على وجنتيه في أقرب موقف إنساني!

داخل المحكمة تقع عينه من جديد على نفس الجدران المتهالكة بفعل ذلك الحريق الذي طال المحكمة يوم جمعة الغضب في الثامن والعشرين من يناير، بعد أن شبَّ الحريق في قسم الأزبكية الكائن بجوارها ليمتد إليها دون أن يطفئها أحد، في ظل الانسحاب الأمني التام.

الفوضى المقززة، والزحام الخانق، الأرضية ذات البلاط القذر، ورائحة البول المتسللة من الحبسخانة الموجودة في الطابق الأرضي لوضع المساجين فيها، المحامين الأرزقية الذين جاءوا لتلقيط أكل عيشهم والبحث عن متهم أخذته الشرطة من الدار للنار دون أن يجد الوقت الكافي لانتداب محام يدخل معه إلى وكيل النيابة.

وفي ظل نظرات عينيه التي لم تعتد بعد على هذا المشهد المقزز رغم مرور تلك السنوات من عمله في هذا المكان، عاد "مجد" ليسأل نفسه مجددًا سؤالًا يعلم مسبقًا أنه سيظل بلا إجابة.

«كيف تقول العدالة كلمتها في هذه الأجواء؟»

وفي غمار حالة السرحان التي تنتابه كلما دخل المحكمة، عاد طابور المساجين ليتقدم مرة أخرى إلى داخل المحكمة، والمرأة العجوز تجري خلف ابنها، بينما يسير "مجد" نحو السلم قبل أن يعترض طريقه "أُبيّ"!

الآن أصبح ابن خالته وصديق عمره وكيلًا للنائب العام، بنفس الملامح، ونفس البدانة، غير أنه أصبح يرتدي نظارة طبية أضافت لهيئته الوقار الذي أكدته بدلته الفاخرة ذات المقاس الـ XXX LARGE، لكنها السِّمنة التي تُضفي في الوقت نفسه مهابة يؤكدها بريق عينيه خلف نظارته الطبية، حتى إن ابتسامته لـ"مجد" كانت ذات طلة مميزة تجمع بين البشاشة والشخصية القوية، وهو يقول بنبرة صوت هادئة لا تخلو من المرح:

- مش ناوي بقى تبطل تعقدني وتركب الأسانسير معايا؟ ده انت بقيت قاضي قد الدنيا!

ينظر له "مجد" بابتسامة طفل، ويُجيبه:

— لما أتخن وأتختخ زيك ساعتها ممكن أفكر، وبعدين عمري ما هاحِسّ بالعدل وإحنا بنركب أسانسير خاص بينا لوحدنا، وبقيت الناس بتطلع على السلم، يا إما بيتحشروا في أسانسير تاني مبهدل.

بابتسامة شابها الغرور والكبرياء ردَّ "أُبيّ":

— ما تنساش إن أي واحد من الناس العادية لما ييجي يتكلم بيقول أنا، لكن الواحد مننا لما يجي ينطق بيقول قررنا نحن...

يتأمل "مجد" عينيه ويسبر أغواره وهو يضغط على حروف كلماته قائلًا:

— وعشان "قررنا نحن" دي بتوجعني أوي وساعات كتير بتحاول

تلعب في دماغي، طول الوقت بحسس نفسي إني أقل واحد في الدنيا.

— أقل واحد؟ إيش حال انت عندك ملف الأكبر منك بعشر سنين ما عملهوش من أيام ما كنت ظابط، ده غير إن قضيتك الأخيرة خليتك بطل وكل وسائل الإعلام كتبت عنك أكتر ما بتكتب عن عمرو دياب ذات نفسه!

يتسلل التأثر لملامح "مجد" وهو يقول بخفوت وحزن:

- ما تنساش إن اللي شوفته برضه مش شوية.

- خليك مؤمن يا مجد وقول الحمد لله.

- ونعم بالله

في تلك اللحظة ينفتح باب "أسانسير" القضاة ليلمحه "أُبيّ" قبل أن يقول لـ "مجد":

— الأسانسير وصل، ما تيجي تركب معايا.

إلا أن "مجد" يقبض على يده ويجذبه ليصعد معه السلم قائلًا:

— بما إنك قلبت عليَّ المواجع، عقابك إنك هتطلع معايا السلم...

* * *

على سلالم المحكمة يصعد "أُبيّ" كالجبل المترنح لحظة قيام الساعة، ليقول لـ"مجد" بابتسامة مُنهكة:

— بقى من أولها كده؟ أول حكم تحكمه يكون على ابن خالتك؟ لأ وإيه حكم بالإعدام!

ليجيبه "مجد" بمرح ودعابة:

— يا ريت كان بإيدي، بس أنا لسه قاضي جنح.

مع صعودهما نلحظ احتراق الدورين الأول والثاني بالكامل

دون أن تمتد إليهما الإصلاحات والترميمات بعد، وفي الدور الثالث ينحرف "أبيّ" يمينًا وهو يتجه نحو أسانسير القضاة بعد أن بلغ به الإجهاد مبلغَه، لتظهر في الخلفية ملامح الفوضى والانفلات داخل أروقة العدالة، قبل أن يمرا على مجموعة من المتهمين على الأرض وفي أياديهم الكلبشات، يتبادلون جميعًا سيجارة واحدة، في حين يقول "مجد":

— بيني وبينك عايز أفضفض معاك شوية، انت عارف الرول النهارده فيه كام قضية؟ 218، ما بين سرقة بالإكراه، ونشل، وخناقات، ده غير جرائم إلكترونية وتعدّي على ممتلكات الدولة.

قبل أن يعلق "أبيّ"، يمر كلاهما أمام خناقة بين مجموعة أخرى من المتهمين يتبادلون الضرب مع بعضهم، ويتدخل أهلهم في الخناق ويتحول الأمر إلى فوضى تدفع العساكر وأمناء الشرطة للتدخل في محاولة يائسة لفض الأمر، في حين يطير أحد الأشخاص نحو "مجد" و"أبيّ" بعد أن تلقَّى ركلة قوية، ليتفرق "مجد" و"أبيّ" حتى يمر من بينهما، قبل أن يسأل "أبيّ" معترضًا:

- عاجبك كده؟

فيُجيبه "مجد" دون أن يفهم مغزى سؤاله:

— لأ طبعًا مش عاجبني، بقول لك 218 قضية، يعني هَمّ ما يتلَمّ، وكان قدامي فترة قصيرة جدًا عشان أقراهم وأجهز الحكم فيهم، هجيب منين وقت للقراءة وأقل قضية فيهم 300 ورقة؟ ده كله كوم وكتابة حيثيات ومسببات الحكم كوم تاني، وأنا بتناقش مع زمايلي لقيت إن قضاة منهم مش عارفين لو حكموا في كل القضايا اللي عليهم هيلحقوا يكتبوا الحيثيات إمتى وفي وقت قد إيه، لدرجة إن بعضهم بيضطر كل مرة يأجل القضية يمكن تتحل لوحدها!

الآن نرى أحد موظفي التصوير يقوم بتصوير قضية ضخمة على آلة التصوير، وأمامه أحد المحامين، ويقف خلف المحامي طابور طويل عريض، ويمد كل منهم يده بالقضية تجاه موظف التصوير.

ينهج "أبيّ" ويتصبب عرقًا، بينما يتابع "مجد":

— تفتكر الكام ساعة اللي بنشتغلهم هنا هيكفوا تقرأ فيهم إيه ولا إيه؟ وحتى لما باخد القضايا معايا البيت وأقعد في حضرة الكتب والمراجع القانونية عشان أعرف أفحص كل قضية على رواقة، ساعات كتير مش بلاقي وقت، ده غير إنك بشر وعايز تنفّس عن نفسك ومستحيل تبقى حياتك كلها شغل وبس.

يبدو الملل على ملامح "أبيّ" ليرد بلا مبالاة:

— مش دايمًا كل قضايا الرول بيحضر فيها كل المتهمين، وساعات كتير بيغيب 50 في المية منهم وينطسوا أحكام غيابية، والخمسين في المية التانيين من القضايا ساعات كتير بيكون معظمها شيكات بدون رصيد ووصولات أمانة، ودي مش محتاجة مجهود كبير في كتابة حيثياتها وبيبقى لها اسطمبة ثابتة في الحيثيات بتحطها زي ما هي، وفي الآخر يتبقى لك كام قضية جامدة هي اللي بتحتاج لتقرير طويل شوية في الحيثيات والمسببات، وبعدين القاضي مش المفروض يِقق عينه في كل قضية ويقرأ الـ 300 أو 400 ورقة، كفاية عليه يقرأ التوصيف النهائي اللي بيحطه وكيل النيابة في نهاية كل قضية، وده ما بيكملش سطرين تلاتة.

يرتسم التحفز على ملامح "مجد" وهو يقول بتحدٍّ:

— كلامك بيعبر عن الحلول السهلة اللي الأغلبية شغالة بيها عشان تريح نفسها، لكن أنا اللي شاغلني هو الوضع المثالي اللي المفروض نشتغل بيه عشان يتلغي المثل اللي بيقول "ياما في الحبس مظاليم"، أنا معاك إن ساعات كتير بيغيب متهمين وساعات كتير بتكون القضايا شيكات بدون رصيد، بس دي مش قاعدة ثابتة تقدر تبني

شغلك عليها، وبعدين لو هكتفي بتوصيف وكيل النيابة اللي بيكون مجرد سطرين تلاتة، يبقى إيه لزومه أسمع مرافعة المحامي ما دام كل حاجة متحددة من الأول؟

يتوقف "أبيّ" أمام باب أسانسير القضاة، ويُكمل كلامَه وهو ينهج دون أن يتحرك قيد أنملة:

– ما هي دي الفكرة، إحنا كوكلاء نيابة بنكتب توصيف الاتهام بناء على القانون، وندي في نفس الوقت الفرصة للمتهم إنه يثبت براءته بناء على مرافعة المحامي اللي فاهم في القانون، وانت تصدر حكمك بناء على مواد وأحكام القانون.

– وفين الوقت اللي هتسمع فيه مرافعة 218 محامي في 218 قضية لو ماحدش من المتهمين غاب؟

– ما انت مش لازم تسيبهم يرغوا، كل واحد يختصر في مرافعته.

– الاختصار أوقات كتير مش بيكون في مصلحة المتهم.

– عادي بقى، اللي هيتحكم عليه حكم مش عاجبه يقدر يستأنف.

مع آخر حروف "أبيّ"، ارتسمت الصدمة والضيق على ملامح "مجد"، في حين استعاد "أبيّ" صرامته ورباطة جأشه بعد أن جفّف عرقه، قبل أن يقول له "مجد" باستنكار:

– بتتكلم ببساطة كأن مصاير الناس اللي ربنا وضعها بين إيدينا مجرد لعبة!

– انت بتقول فيها؟ كلنا أصلا عايشين في لعبة، وبعدين اللي هينفد من سجن الحكومة عمره ما هيهرب من سجن الدنيا اللي كلنا مرمين فيه، سيبك من المثالية يا مجد انت مش ربنا، اللي مكتوب له حاجة هيشوفها.

تتسع عينا "مجد" في ذهول غير مصدقٍ ما يسمع، وقد كذّبت كلمات "أبيّ" كل القيم والمبادئ التي تربى عليها وحلم أن يكون أداةً لتحقيقها، في حين يؤكد الواقع أنها الحل المتاح، إن لم يكن المثالي!

كان "أبيّ" ينتمي لمدينة الواقع، الذي اعتاد فيه أن يجلس بمكتبه ملكًا يهابه الجميع، ليخر أمامه عتاة الإجرام في ذل وهوان، باحثين عن الحرية التي لا يدرك ثمنها إلا من أحاطت بيده الأساور الحديدية، وترتعد بين يديه فرائص رجال الداخلية مهما علت أكتافَهم النجوم والنسور، أو حتى السيوف، ليتحولوا أمامه إلى قطط أليفة متناسين زئير ملك الغاب الذي يطلقونه في أقسام الشرطة، في حين تنتشي نفسيته دومًا بنظرات الخوف والمهابة التي تُطل من أعين الجميع فور علمهم بمنصبه، دون أن يسحب يده عندما تنكب عليها الأفواه لتطبع عليها قُبلات التوسُّل والتسوُّل!

امتلأ مكتبه وشقته بعشرات الهدايا والعروض المغرية التي لم يرفضها يومًا، دون أن تؤثر على احترامه للقانون وتطبيقه على الجميع، حتى إنه لا يجد حرجًا في أن يبيع أصحابها عند أقرب محطة إذا ما خالفوا القواعد والقوانين، دون أن تشفع لهم أي هدية أو صِلة صداقة وقت الجد، مانحًا إياهم جميعًا إجابةً موحدةً بأكثر لهجات الكون نذالةً "أنا ما أعرفكش". ليقف دومًا في تلك المنطقة الرمادية التي تؤكد نزاهته ودهاءَه في آن واحد، وقد تعود أن يكسب كل المزايا والهدايا، قبل أن يجدد قائمة معارفه بالحذف والتعديل مرارًا وتكرارًا في كل فترة، حتى يمتص الخيرات إلى آخر رمق، ثم يلفظ من جف ضرعه ولم يعُد به ما يكفي للحلب!

أما "مجد" فجاء من مدينة السماء التي لم يزرها يومًا، لكنه عاش عمره كله مرتبطًا بها، متمنيًا أن يحقق عدالتها وقواعدها على الأرض، ليتمرد على منصبه الرفيع الذي طالما حاول كل من

حوله التقرب [illegible] ليحظى بنفحة من نفحاته، أو على الأقل ينال التقرب منه نفو[illegible] يُخب[illegible] [illegible]صومه، فكانت النتيجة أنه عاش وحيد بلا صديق قد يطلب منه واسطة ذات يوم، أو قريب قد [illegible] القانون على حسه!

وبعد لحظات من الصمت، عاد "مجد" ليسأل مغيرًا دفة الحديث:

— انت وقفت هنا ليه؟

ليجيبه "أبيّ" بمرح:

- أرجوك يا سيادة القاضي، اسمح لي أستأنف حكمك، ماليش مزاج أتعدم النهارده.

— خلاص براءة.

— مش كنت كملت معايا في سلك النيابة وفضلنا مع بعض بدل ما تحول لسلك القضاء؟

— ما انت عارف إني بحلم من يوم ما حولت من الشرطة للنيابة إني أشتغل مع والدك المستشار حسام البسطاويسي، عشان كده أول ما كملت التلاتين سنة حوّلت على طول من وكيل نيابة لقاضي، وكلها كام شهر وأتنقل معاه في محكمة جنوب القاهرة عشان ندخل بقى على الجنايات والشغل التقيل، هناك مفيش رول فيه 218 قضية.

"أبيّ" ساخرًا:

— إذا كان على سيادة المستشار فكفاية عليّ إني معاه في بيت واحد من يوم أمي الله يرحمها ما توفت، وإذا كان على رول القضايا القليل في الجنايات، فيا ريتك تلاحق عليه، هناك القضايا بحق وحقيقي مش تهريج زي هنا.

عند هذه اللحظة يصل أسانسير القضاة ووكلاء النيابة، ليُفتح الباب ويخرج منه رجل عجوز بسيط الملابس والملامح، فيركب "أبيّ" وهو ينظر لعامل الأسانسير بغضب ويسأله:

- مين الأخ ده؟ وإيه اللي ركبه في الأسانسير بتاعنا؟

فيجيبه عامل الأسانسير بتلعثم وارتباك:

— ده راجل عجوز يا فندم وقع في عرضي، وعنده أمراض كتير، كبد وسكر و....

"أبيّ" مقاطعًا بامتعاض ممتزج بالتأثر:

— خلاص خلاص، ربنا يشفي كل مريض.

ثم يدخل "أبيّ" الأسانسير ويلتفت لابن خالته بابتسامة هادئة، إلا أن "مجد" يصفعه بقوله:

— مهما كان الفرق بين الملك والعسكري في الشطرنج، الاتنين في النهاية بيجمعهم صندوق واحد.

فتتحول ابتسامة "أبيّ" إلى الوجوم، قبل أن يُغلَق باب الأسانسير، بينما يواصل "مجد" المسير بملامح خطها الحزن، قبل أن يرى في الطرقة قهوجيًا يحمل صينية بها أكواب الشاي ليعطي واحدة منها لعسكري يجلس على الكرسي، وقد جلس على الأرض بجواره رجل متهم مقيَّد بيده، يرتدي جلبابًا، تُقسم ملامحه بأغلظ الأيمان أنه صعيدي لم يتسخ بعد بوساخات المدينة والمدنية، في حين يقول القهوجي للمتهم الصعيدي مشيرًا للعسكري:

- الباشا شرب كوبايتين شاي وواحد قهوة، إيدك على 3 جنيه ونص.

الرجل العجوز يقول بلكنة صعيدية تملؤها الحيرة:

— وأنا أدفع حجّهم ليه؟ مش هو اللي شرب؟

القهوجي:

— مش تهمتك هي اللي خليته ييجي معاك هنا عشان يشرب؟

خلصني وادفع بدل ما أخليه يروقك على الصبح.

يُخرِج المتهم من جيبه عُملة معدنية يُعيطها للقهوجي بمضض، بينما يقوم العسكري بشفط الشاي بصوت مقرف دون اكتراث، قبل أن يُغمغم الصعيدي المتهم بحسرة ويأس:

- فتحنا كشك جفلوه، وجفنا على الرصيف خدوا منّا البضاعة، جينا يتحجج معانا دفّعتونا المشاريب، حرام عليكم بجى، ده إحنا طالع ديك أبونا.

في اللحظة نفسها التي يرن فيها محمول "مجد" ليُخرجه من بدلته، ويتأمل الشاشة التي تزيّنها جُملة «Private Number"...

* * *

في ذلك المبنى الذي شهد أشهر الصراعات السياسية بين رجال القضاء في مصر، سار "مجد" بخطوات سريعة بعد انتهائه من رول المحاكمات، متجهًا لمكتب المستشار "أحمد العبد"، وما إن وصل إلى السكرتارية حتى قال للموظف بضجر كمن يريد ابتلاع الثواني التي تفصله عن اللقاء:

— القاضي مجد الدين مهران، سيادة المستشار منتظرني.

- ثانية واحدة يا فندم.

قالها السكرتير وهو ينهض من مكانه ليدخل مكتب رئيسه، قبل أن يخرج ويُشير لـ "مجد" بالدخول قائلًا:

— اتفضل.

يدخل حُجرة المستشار "أحمد العبد"، الذي تبدو خلفه لوحة مكتوب عليها «العدل أساس الملك»، في حين ينهض رئيسه لتحيته بملامح مقتضبة:

— أهلًا يا مجد، اتفضل استريح.

يجلس "مجد" أمامَه في حين يلتقط المستشار عُلبة السيجار ويسحب منها واحدًا يُشعله، دون أن يعزم على "مجد" قائلًا:

- طبعًا انت ما بتدخّنش.

يهز رأسه نافيًا باقتضاب، وفي عينيه نظرة فضول وترقُّب، فيتابع المستشار بنظرة إعجاب تخرج من عيني ثعلب:

- شخصيتك المثالية دي عاجباني جدًا.

ثم يميل نحو "مجد"، ويقول بلهجة ذات مغزى:

- مع إنها ممكن تكون خطر في أوقات كتير، على نفسك قبل ما تكون على غيرك.

يُدرك "مجد" أنها مقدمة لمشادّة كلامية ستحدث بعد ثوان، فيبتسم بمكر مماثل قائلًا:

- الخطر كده كده موجود يا فندم، حتى لو ماشيين جنب الحيط...

يرفع المستشار سبابته بصرامة ويتوقف عن الكلام لجذب الانتباه للكلمات القادمة، ثم يتابع:

— كل حاجة في الدنيا لازم يكون لها حدود، حتى الحماس والإصرار، ده اللي عايزك تتعلمه في المرحلة الحرجة اللي البلد بتمر بيها دلوقتي، عقد البلد بينفرط، عشان كده محتاجين اللي يلم حبّاتها ويلزّقها جنب بعض، مش اللي يعمل نفسه بطل على حسابنا.

يلتقط "مجد" نفسًا طويلًا وهو يتطلّع لعيني المستشار قبل أن يتساءل بلهجة حاول أن تخرج باردةً:

— أقدر أعتبر التحذير ده مكافأتي على كشف قاضي مرتشي باع ضميره وخد رشوة من رجل الأعمال قابيل الهراس عشان يخرّجه من قضيته زي الشعرة من العجين؟

ينفث المستشار دخان سيجاره قائلًا ببرود مماثل:

— مكافأتك انت خلاص خدتها، وصورك في كل جرايد ومجلات

مصر، ده غير تكريم وزير العدل.

فيجيبه "مجد" بتحفُّز:

– أنا لما عملت اللي عملته كنت بأدّي واجب مش عايز من وراه أي مقابل، غير إني أحس إن مبادئ العدل اللي بنطبّقها على الناس بتنطبق علينا قبلهم، مش نفضل قدامهم على راسنا ريشة واللي يغلط ما يتحاسبش.

يُشير بيده إلى لوحة **"العدل أساس الملك"** المعلقة خلفه دون أن ينظر إليها متابعًا:

– من غير ما تقول، قضاء مصر طول عمره مضرب الأمثال، من قبل حتى ما جدّي وجدّك يتولدوا.

شبح ابتسامة ساخرة يُداعب شفتي "مجد"، قبل أن يختفي سريعًا حين يتحرك لسانه قائلًا:

– مع إن القاضي اللي حكم على الفلاحين الغلابة بالجلد والإعدام في مذبحة دنشواي مثلًا كان قاضي مصري، واللي حكم بالبراءة على مساعدي حبيب العادلي والظباط اللي قتلوا الشهداء كان قاضي مصري، واللي...

فيهبّ المستشار واقفًا ليقاطع "مجد" وهو يضرب سطح مكتبه بقوة صائحًا:

– مـجـد...

إلا أن "مجد" يتحول من الهدوء إلى الصرامة والحزم، وهو يقف بدوره متابعًا:

– القضاء يا فندم زيه زي أي مجال في الدنيا، محتاج للرقابة والإصلاح، وما تنساش حضرتك إننا في ثورة، يعني لازم كل حاجة في البلد يتعاد فيها النظر، ويبقى بيضحك على نفسه اللي فاكر إن الفساد دخل كل مؤسسات الدولة من غير يدخل المؤسسة القضائية، المجلس الأعلى للقضاء عنده ودائع بالمليارات في البنوك، وعن كل ورقة وكل قضية بننظر فيها بناخد نسبة فلوس من المطالبات القضائية في بلد مافيهاش أكتر من القضايا، شوف بنحصّل من الشعب قدّ إيه، ورغم كل ده لسه فيه محاكم محتاجة تتبني، ومحاكم مبنية محتاجة تتأهل، وموظفين في وزارة العدل بياخدوا مكافآت بالملاليم تخليهم يكرهوا شغلتهم وما يشتغلوش بضمير، في الوقت اللي فيه قضاة ومستشارين بياخدوا ألوف مؤلفة، ده غير شباب زي الورد خريجين حقوق يستحقوا إنهم يتعينوا بتقديراتهم العالية بس غيرهم هو اللي بيحل مكانهم عشان أبوه أو عمه أو خاله مستشارين، وغيره وغيره من العيوب والبلاوي اللي في قضائنا الشامخ النزيه، إحنا بنكدب على الناس ولا على نفسنا؟ النظام نفسه غلط ولازم يتصلح.

عندها تتسع عينا المستشار "العبد" غير مصدّق ما يسمع، قبل أن يلوّح بسبابته في وجه "مجد" قائلًا بلهجة بدت أضعف من سابقتها:

– أنا بحذرك يا مجد...

ثم يتابع بلهجة بدت هادئةً تمامًا كأب يتحدث مع ابنه:

– القضاء هو آخر مؤسسة ساندة البلد دلوقت، لو الناس فقدت ثقتها فينا، والقضاة والمستشارين تعبوا من الهجوم اللي نازل عليهم وقرروا يمتنعوا عن العمل، ماحدّش هيفصل بين الناس لما تختلف والبلد هتتطربق على دماغتنا كلنا وهنتحول لغابة، انت لسه ابن امبارح وخبرتك مخلياك باصص تحت رجليك ومش شايف اللي هيحصل كمان كام خطوة، عشان كده أنا طلبت أقابلك النهارده وأفهّمك بشكل ودّي...

ثم تنقلب سحنته وهو يشحن كل طاقات الغضب والصرامة في كلماته قائلًا:

– لو قلت كلام زي ده تاني للصحافة، التفتيش القضائي هايتخذ إجراءاته معاك.

إلا أن "مجد" لم يتراجع أمام الوعيد، ليقول بصرامة الكون:

– التفتيش القضائي نفسه محتاج يتعاد فيه النظر يا فندم، إزاي وزارة العدل التابعة للسلطة التنفيذية هي اللي بتشرف على التفتيش القضائي وممكن تعاقب أي قاضي؟ معنى كده إن الأدوار اتعكست، وبقت السلطة التنفيذية هي اللي ممكن تعاقب السلطة القضائية وتقدر تتحكم فينا وتحاكمنا بدل ما إحنا اللي بنحاكمها، طب تيجي إزاي دي؟

يرمقه المستشار بنظرة نارية دون أن ينبس ببنت شفة، قبل أن يتابع "مجد":

– يمكن يا فندم أنا سنّي صغير وخبرتي مش كافية، لكن الحاجة اللي شايفها منطقية هقولها ويا مرحب بالنقاش مع أي حد عنده اعتراض، ومستعد أتحمّل تبعيات ده للنهاية.

في هذه اللحظة يُفتح الباب ويدخل رجل فارع الطول عريض المنكبين في الثلاثينيات من عُمره، يرتدي بدلة ذات قميص مفتوح له طابع أسباني بلا رابطة عنق، ونظرة شمسية Ray ban عدساتها البُنية نصف الشفافة تُظهر خلفها عينيه العسليتين، وقد صفَّف شعره الناعم متوسط الطول على الجانب الأيمن، وما إن يراه "مجد" حتى يتبادلا النظرات بدهشة، قبل أن يقول الرجل وهو يمد يده مصافحًا بابتسامة ودودة:

– إزيك يا مجد؟

فيتساءل "مجد" بدهشة:

– الرائد أمل؟ انت كمان حوّلت من الداخلية للقضاء ولا إيه؟

عندها تتسع ابتسامة "أمل" قبل أن يقول:

– فيه أسباب تانية تخلّي ظابط زيي ييجي هنا يا مجد، منها إن سيادة المستشار يكون والدي.

ينظر "مجد" للمستشار بدهشة، بينما يقول "أمل" بابتسامة مرحة، وحروف بطيئة:

- أنا اسمي أمل أحمد العبد، ودلوقت بقيت مُقدَّم بالمناسبة.

يركز "مجد" على اسم "المستشار أحمد العبد" المكتوب على مكتبه، ثم يقول بنبرة خبيثة:

– تحياتي لابن سعادتك يا فندم اللي دوره هو كمان يراقب من أيام ما كان ظابط في أمن الدولة، قبل ما يلغوها...

فيُجيبه المقدَّم "أمل" بابتسامة ساخرة:

– ومين قال إن أمن الدولة اتلغت؟ إحنا بس غيّرنا اسمها وخليناها الأمن الوطني عشان تبقى شيك وتليق على الثورة.

يوزع "مجد" نظراته بين "أمل" ووالده قبل أن يتابع:

- مش مهم المسميات، المهم إن كل واحد يعمل الصح... عن إذنكم.

يفتح الباب وينصرف.

* * *

في كواليس المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية نرى "براء" الصحفي ذا الجسد الرفيع الذي يُذكِّرك بالمكرونة الاسباجتي، غير أنه متوسط الطول، قمحاوي اللون، ذو ملامح وجه متحفزة، وقد برزت عظمتا

الوجنتين بشكل أكسبه المزيد من الصرامة، بينما يُطل من عينيه البريق الذي يؤكد ذكاءه، وزاد شعره الخشن من جاذبيته على طريقة الرجل الشرقي، وقد صار كطاووس يظن أنه ملك الغابة، وهو يتقدَّم نحو زميلته "رحمة" بوجهها المستدير الخمري ذي الملامح الطفولية، وعينها التي يقف لونها بين الرمادي والزيتي في درجة تعجز كل عدسات الدنيا اللاصقة أن تبلُغها، وقد انسدل شعرها الكستنائي الفاتح شديد النعومة على ظهرها، ووصل طوله إلى مؤخرتها ليغطي جسدها الضئيل القصير، المتناسق كما يقول الكتاب، بشكل زاد من رقتها وجمالها، وجعلها أشبه بحورية من أهل الجنة لم ترها عيناك من قبل، لكنك على الأقل تتصورها هكذا في خيالك، بفارق أن الحوريات لسن بمكفوفات، وأكد ملائكيتها ذلك الفستان الأبيض الذي ترتديه وهي تسير وسط زملائها المكفوفين الذين يتجهون لصعود المسرح. عندها اعترض "براء" طريقها ليمسك يدها ويقول بابتسامة رقيقة، ناظرًا لها برومانسية وكأنها تراه:

- ماقدرتش أستنى لغاية ما تطلعي خشبة المسرح.

فور سماع نبرة صوته القوية، ترتسم السعادة على ملامحها رغم نظرة عينيها الجامدة، لتتساءل بفرحة:

- براء؟

فيتأملها في فستناها الأبيض الذي تشارك به في العرض المسرحي لفرقة "أحلى بكرة" التي أسستها، قبل أن يقول بحنان:

- فستانك الأبيض ده خلاكي اسم على مسمًى، رحمة وانتي رحمة فعلًا.

لتجيبه بابتسامة خجولة:

– ادعي لي يا براء عشان مرعوبة، انت عارف أنا والفرقة تعبنا قد إيه في البروفات.

- اللي خلاكي في سنين بسيطة تعملي اسم كبير في الصحافة، قادر يخلي فرقتك تفوز بالمركز الأول.

"رحمة" بسعادة:

– المركز الأول مرة واحدة؟ ده إحنا لسه في التصفيات الأولى.

تشبثت أصابعه بكفها الرقيق بحنان أحدث أزمة في المخزون العالمي من المشاعر والحب، وهو يهمّ بالسير بها حتى يوصلها إلى خشبة المسرح، خاصة وقد اختفى كل زملائها المكفوفين الذين سبقوها للمسرح، قائلًا بحزم:

– طب يالّا عشان ما تتأخريش.

إلا أن "رحمة" تـتـسمَّر في مكانها، قائلةً بحرج:

– انت عارف إني بحب أوصل لوحدي من غير مساعدة.

وما إنْ تهمّ باستكمال السير حتى تتعثر فيُمسكها "براء" فورًا، لترتسم على ملامحها ابتسامة حزينة غزاها الحرج الذي حاولت أن تطرده من نبرتها الجريحة وهي تقول:

– بس للأسف مابعرفش، كان نفسي أبقى زي المكفوفين اللي بيطلعوا في السينما، شايفين كل حاجة بقلبهم وعارفين سِكتهم، لكن الواقع مختلف.

ينظر لها بتعاطف، ثم يكمل السير معها وهو يمسك يدها باهتمام فارس بجواده، وقد تناسى تمامًا إحراجها له، حيث لا مكان في قلبه وكيانه تجاهها سوى الحب وحده، وليكن ما يكون.

* * *

على المسرح الكبير بالأوبرا نسمع موسيقى «روك آند رول» كمقدمة لأغنية «كله جاي» التي تغنيها فرقة «أحلى بكرة» بصحبة "رحمة" التي تعزف على الكمان، ونجدها مندمجة في العزف مع

إيقاع الأغنية التي تقول كلماتها:

كله جاي في السكة يمكن، لسه مش وقته الأكيد

بس كاميرة حلمي عاملة زوم على بكرة البعيد

شايفة صورة جميلة، عينكوا صعب دلوقتي تشوفها

حاسّة لمسة حلم طاير جاي يشرب من كفوفها

سامعة صوت ثاير وفاير، ماشي يهتف بين صفوفها

إحنا من ثورة يناير، حلمنا غيّر تاريخها

والتمن دم الشهيد، والتمن دم الشهيد

نلاحظ أن الفريق كله من المكفوفين المهرة في العزف والغناء، وبمجرد الانتهاء من الأغنية يصفق الجمهور بحرارة، ثم يدخل مذيع الحفل، من أحد جانبي المسرح ويوجه كلمته للحضور قائلًا:

— والآن، وبعد أن استمعنا واستمتعنا بعرض فرقة «أحلى بكرة» الغنائية في مسابقة أفضل نشاط شبابي عالمي للمعاقين، بين مختلف شباب العالم على مستوى 108 دولة تحت رعاية وإشراف منظمة الثقافة والتربية «اليونسكو»، نستمع إلى كلمة رحمة البدري قائدة الفرقة، وصاحبة العديد من الأنشطة الثقافية والفنية من خلال جمعيتها الخيرية التي تحمل اسم «أحلى بكرة» أيضًا.

تصفيق حاد من الحضور، بينما يقترب المذيع من "رحمة" ويعطيها المايك، فيبدو الحرج والخجل على ملامح وجهها، ثم توجه نظرها للجمهور وكأنها تراهم قائلةً:

— مساء الخير، في الحقيقة أنا شايفة نفسي النهارده محظوظة أكتر من اللازم، وحاسة إن الكلام تايه مني ومش عارفة أبدأ إزاي، كل ما في الأمر إن أنا وبقية الفرقة آمنّا إننا عندنا حلم يستحق نتعب ونجتهد عشان نحققه، جايز يكون ربنا حرمنا من نعمة البصر، لكن في نفس الوقت زرع فينا نعمة البصيرة، من هنا كان حلمنا إننا نثبت للناس إن كلمة أعمى مش عيب أو شتيمة، بل إن الأعمى ده في أوقات كتير بيكون شايف أكتر من المبصرين نفسهم، وعشان الحلم ده يتحقق كان مطلوب منا إننا نكون زي باقي الناس، نكوّن فرق موسيقية ونغني للحياة، ندور على رياضة نلعبها، نشارك في الحياة السياسية والاجتماعية، وطبعًا كنا محتاجين للتمويل المادي، عشان كده ما ترددش لحظة واحدة إني أساهم بجزء كبير من ميراثي في تركة والدي الله يرحمه.

تسرح "رحمة" لحظات بدت طويلة للحضور، دون أن يدركوا أن عينيها الجامدتين تتذكر ذكريات أليمة، قبل أن تهز رأسها بقوة وهي تأخذ نفسًا عميقًا ثم تعاود الكلام:

— وقبل ما أتشرف النهارده بالوقوف قدام حضراتكم مشيت مشوار طويل ناس كتير كان ليهم فيه الفضل عليا، سواء عمي الدكتور رءوف البدري، أو الأستاذ جلال العوامري رئيس تحرير جريدة المستقبل، اللي وافق على إننا نعمل في الجورنال صفحة بتتطبع بطريقة برايل للمكفوفين، ده غير إنه بينزّل مع العدد الأسبوعي للجورنال CD فيه مادة صوتية لأهم الأخبار والموضوعات عشان تساعدهم في المتابعة، وأحب أأكد لكل السادة الحضور إني جزء صغير جدًا من فريق كل أعضائه بيتمتعوا بحماس وإصرار مالوش حدود، وهنكمل حلمنا لحد الآخر إن شاء الله. شكرًا...

ليعود الحضور إلى التصفيق بحرارة شديدة.

* * *

في قرية سياحية خاصة ذات شاطئ VIP بالساحل الشمالي، وقف على بوابة القرية من الخارج رجل أمن يحاور صديقه قائلًا:

— مين يقول إن النجاسة اللي جوّا دي بتحصل في بلد رئيسها جاي

يحكم باسم الدين؟

لينظر زميله حوله حتى يتأكد أن أحدًا لا يتابع كلامهما، قبل أن يقول:

— وطّي صوتك يا بني آدم، لو مش خايف على نفسك خاف على عيالك، انت عارف كويس إنهم أقوى من الريس والحكومة، يعني لو فرموك مالكش دية.

— ومين قال إني فارق معايا أعيش في بلد زي دي؟ إذا كانت الثورة والشباب اللي مات ما غيروش حاجة، ولسه النجاسة والوساخة زي زمان وأكتر يبقى خلاص عليه العوض ومنه العوض، ده حتى القرشين اللي بنقبضهم مافيهمش بركة عشان ربنا مش مبارك.

— وهو فين ربنا أصلًا؟ لو كان موجود همًّا أجمد منه.

— أستغفر الله العظيم، انت هتكفر؟

— لأ انت اللي عبيط عشان لسه مصدق إنه موجود، الواحد كان كاتم في نفسه وساكت لكن طالما فتحتني يبقى لازم تسمعني للآخر، تسمح تقول لي هو ساكت ليه على حقوق الغلابة اللي بتضيع، وفـُجر الناس الكبار اللي عملوا ذنوب أكبر بكتير من قوم لوط من غير ما يخسف بيهم الأرض زي ما عمل زمان؟ كام واحد قتلوه وطلعوا زي الشعرة من العجين؟ وكم ست اتركبت غصب عنها من غير ما حقها يرجع لحد ما استحلت الحرام وبقت مومس بمزاجها بدل ما يبقى غصب عنها؟ ربنا ده حدوتة ألّفها شوية ناس غلابة ما عرفوش يطولوا أبسط حقوقهم في الحياة، عشان يوهموا نفسهم إن ليهم سند هيجيب لهم حقهم في يوم مالوش وجود ومش هييجي أصلًا، لحد ما صدقوا الكدبة وبقت تتورّث من جيل لجيل، وفي الآخر الغلبان بيفضل غلبان والقوي بيفضل قوي، ما تكلمنيش عن عذاب القبر وحساب يوم القيامة طول ما أنا شايف إن مافيش حساب وعدل في الدنيا، ولا ربنا كان بيدمر الكفار والظَّلَمَة بتوع زمان بس، وحبكت يدي فرصة لولاد الكلب بتوع الزمن ده على قفا الغلابة اللي زيي وزيك؟

يُبهت رجل الأمن الأول أمام منطق صديقه الذي ألحدته الظروف، لكنه لم يجد ردًّا مناسبًا وقد ذاق معه في هذه القرية الويلات دون أن يجد بالفعل أدنى رد فعل للإله على كل هذه الشرور الكافية لإقامة يوم القيامة من وجهة نظره!

كانت القرية مملوكة لزوج ابنة مسئول كبير في جهاز المخابرات العامة، وجرت العادة على تأجيرها لأولاد رموز النظام البائد، ليقيموا فيها حفلاتهم الغنائية الماجنة دون ترخيص لإقامة هذه الحفلات، وفي كل حفل حدِّث ولا حرج عن كل أنواع الخمور التي يتم بيعها وتناولها ملء السمع والأبصار دون وجود تصاريح من شرطة السياحة وباقي الجهات المختصة.

في عهد حسني مبارك كان رجاله وأعوانه يؤجرون القرية ويقيمون حفلاتهم الداعرة، ودون الحاجة لأي تراخيص أو تصاريح ليعيثوا في تلك القرى فسادًا ويرتكبوا على شواطئها الخاصة كل ما يخطر في بالك من الموبقات، بطريقة تجعل من شواطئ العُراة الأجنبية أشبه بـ "رأس البر" و"جمصة" في الأخلاق والاحتشام!

وعلى أبوابها كان يقف رجال شرطة السياحة مكتوفي الأيدي أمام مخالفات القانون الذي هُتك عرضه، وتبعثرت مواده وأحكامه على عتبات كبائن "الناس الكبار" و"أولاد الذوات"، دون أن يجرؤ شرطيّ شريف أن يقول لكل هؤلاء الأبالسة: "كفى"، أو على الأقل ينظر لهم نظرة ضيق واشمئزاز تعبِّر عن أضعف الإيمان الكامن داخله، بعد أن تحوَّلت سطوة ونفوذ هؤلاء القوم، وقدرتهم على محو مستقبل كل من تسوَّل له نفسه أن يقف أمامهم إلى أسطورة

رفعتهم إلى مصافّ آلهة الشر، مع الحرص على تدعيم ذلك بعدد من الضحايا "على الماشي" لإثبات قوتهم.

وبعد أن قامت ثورة يناير، ظلت هذه القرية بشاطئها الخاص دولة أخرى منفصلة عن الواقع المصري المشحون، واستمرت الممارسات والحفلات بنفس صورتها السابقة، على يد نفس الأسماء والشخصيات المعروفة بالاسم، سواء أولاد وزراء سابقين، أو لواءات ورُتب أخرى من حَمَلة النسور والنجوم الذين يفرضون سطوتهم، ويحيطون تلك القرية وقرى وشواطئ مُشابهة بسياج من السرية، وكأن ثورةً لم تقُم أو يردد شبابها الطاهر ذات يوم "عيش، حرية، عدالة اجتماعية"!

حتى في ليلة النصف من شعبان، ظلت تلك الحفلات الغنائية وما بها من شرب للخمور وممارسة للدعارة رغم حظر قانون السياحة لإقامة حفلات يتم فيها تناول الخمور في المناسبات الدينية.

ترك أهل هذه القرية لأصحاب اللحى مهمة قيادة مصر، وانفصلوا بدورهم ليديروا رعية جديدة من صاحبات "البكيني"، و"التكيني"، والـ "تان"، والـ "تاتوه"، دون أن يسبر مسئول مخلص أغوار هذا العالم ويكشف خباياه بشكل يمنع المفاسد ويعاقب المخالفين للقانون، لتصبح القرية جمهورية الأسرار الخاصة والشواطئ المميزة، التي ليس لقيادات البلد عليها أي سلطان!

ومن بعيد وقف رجلا الأمن يتابعان جلسة "آسر الهراس" على شاطئها الـVIP، مع صديقه الملياردير القطري "سالم الراشد" حيث يجلسان سويةً على كنبة نصف مستديرة تُطل على البحر، وحولهما ثلاث فتيات، سمراء من بورتريكو، وشقراء من بيلا روسيا، وخمرية ذات جسد ساحر وعينين خضراوين وشعر أسود طويل ناعم من البرازيل، في حين انطلقت موسيقى الهاوس الصاخبة في أرجاء المكان، ليقول رجل الأمن الناقم على الخلق والخليقة وهو يُشير بعينيه لـ"الهراس" الصغير:

— هنروح بعيد ليه، آدي واحد من الطواغيت آهو عايش قدامك في الجنة رغم إن اللي زيه مكانهم جهنم وبئس المصير، لو كان فيه جهنم أصلًا، أبوه اتمسك في قضية رأي عام ومع ذلك متنغنغ في السجن آشي أكل 5 نجوم، وتواليت مخصوص، وزنزانة مكيفة ولاب توب، وبلاوي تانية كتير، والتيس الصغير ابنه بقى قُرني بيتاجر في النسوان الأجانب، ده غير إنه مهرِّب دولي بيورد المبيدات من إسرائيل عن طريق الأنفاق من غير ما يدفع جمارك، والبلد كلها عارفة وماحدش عارف يعمل له حاجة، عارف ليه؟ لأن منظمات الإجرام العالمية أقوى من كل الأنظمة والحكومات، ومهما الشرطة والجيش عملوا هتفضل مهنة التهريب موجودة على إيد ناس حافظة الحدود والمعابر والأنفاق والطرق السرية، وهيفضل رجال الشر هما اللي ليهم الكلمة الأولى والأخيرة لأنهم بيتحكموا في اختيار الطراطير اللي بيحكمونا.

تدمع عين زميله رجل الأمن وهو يشعر بالعجز وقلة الحيلة، ليستغفر الله قبل أن يلحد وينكر وجوده هو الآخر من فرط ما يلاقيه من ابتلاءات واختبارات تفوق حدوده البشرية، وفي اللحظة نفسها شعرت الفتاة البرازيلية بالضجر، لتخلع حمّالة صدرها وتجلس Topless، وتمتد يد "الراشد" إلى صدرها قبل أن تمنعه يد "آسر الهراس" الذي قال بابتسامة سمجة ولهجة خليجية ساخرة:

— إيش عم بتسوّي يا هذا، هذي ملكية خاصة استيراد الخارج وخالصة الجمارك.

ليضحك "الراشد" ويقول باستهتار وهو ينظر للحسناوات الثلاث:

— وأنا شاري كل البضاعة بالمكسب اللي تبغاه.

ثم يُخرج من جيب الشورت الذي يرتديه ورقة من فئة المائة دولار ليكتب عليها رقم تليفونه ثم يسلمها للحسناء البرازيلية قائلًا:

- Sorry Baby, I don't have a business card, so this is my number with Mr Asser agreement. I'm waiting for your calling.

تنظر الحسناء البرازيلية لـ "آسر"، فيُجيبها بعينيه أن تفعل، فتمد أناملها الرقيقة لتأخذ الورقة، قبل أن يمسك الـ"راشد" بيدها ويلثم أناملها بقُبلة حملت أنفاسه الحارة قبل أن يسأل:

– وين حبات الإكس تي سي حبيبي، بدنا نبدأ الحفل؟

فيُخرج "آسر الهراس" حبة يُسلمها لصديقه، ثم يبلع بدوره حبة أخرى قبل أن يلتقط كل منهما منشفة عرق من الترابيزة الموجودة أمامهما، وينهضا متجهين نحو الـ Stage الذي يتراقص عليه عشرات الشباب والفتيات، فيما يمر النادل حاملًا صينية بها زجاجات البيرة والخمر والمياه المعدنية والعصائر ليلتقط كلٌّ منهم ما يشتهي.

الآن بدأ مفعول الحبة في الظهور على ملامح "الهراس" الصغير مع زيادة إيقاع الموسيقى الصاخب ودويها المزعج، ليزداد تدفق الدم داخل العروق بسرعة شديدة، وترتفع درجة حرارة الجسد ويبدأ عرقه في الانهمار، قبل أن يسيطر الشعور بالعظمة والسلام مع النفس والرضا عن الذات على مراكزه الحسية، بخلاف شعور آخر بالنشوة الجنسية وخفة الحركة والنشاط مبني على زيادة إفراز الخلايا لمادة السيروتونين المسئولة عن المزاج والشهية للأكل والجنس.

ومع زيادة إفراز العرق وخلو جسده من السوائل التي طفحت من مسامه، أخذ يمسح عرقه بالمنشفة حتى صارت تستوجب العصر، ثم أوقف النادل وأخذ منه زجاجة مياه مثلجة أفرغها في فمه مرة واحدة وهو يعتصرها بيده حتى أصدرت الزجاجة صوت قرقعة يقسم له أنها فرغت ولم يعد بها ولو حتى نقطة، قبل أن يقترب من السماعة الـSound الضخمة التي تصدر منها الموسيقى المدوية ويُلصق بها رأسه طلبًا للمزيد من الخبط والرزع!

وفي المقابل ارتسمت ملامح الذعر والاضطراب على ملامح صديقه القطري بعد أن جسدت الحبة كل مخاوفه أمام عينيه في صورة هلاوس حية شعر أنها تحدث بالفعل، ليظل يرفع يده في توسل ورعب، مُتحاشيًا أشياء غير حقيقية، قبل أن يزداد ارتفاع درجة حرارة جسده ليبلل العرق خصلات شعره الطويل وينزلها على وجهه وعينيه ثم يسقط فجأة.

عندها توجه "الهراس" نحوه بصعوبة وحمله مع مجموعة من الحضور ليلقوه كما هو في ماء البحر حتى يستعيد جسده حرارته وتعتدل دورته الدموية، فيفتح عينيه متأملًا الوجوه حوله بدهشة غير متذكّر كيف أصبح في هذا الوضع، ثم يقف على قدميه وقد سال من أنفه وفمه المخاط والرغاوي، في حين يقول له "آسر" ساخرًا:

– طالما مش قد الأكسسة بتأكسس ليه؟ كنت هتموت قبل ما تحلل اللي دفعته للموزة البرازيلية.

ينظر له "سالم" بدهشة وقد سيطر عليه النسيان:

– إيش الموزة البرازيلية؟

"آسر" وقد أدرك أن "سالم" قد فقد جزءًا من ذاكرته:

– لا ما تاخدش في بالك، مكتوب لها تاخد ورقة بمية من غير ما تقول آه واحدة بنت المحظوظة.

يلتقط زجاجة عصير من النادل ويُفرغها كلها في جوفه ثم يضيف:

- يلّا نقوم نكمل رقص قبل ما أفصل.

إلا أن رنينًا خاصًا انبعث من هاتفه المحمول، كان كفيلًا ليبتعد فجأة عن صديقه القطري، ويُجيب بصوت هامس وهو ينظر حوله حتى يتأكد أن لا أحد يتابع حديثه:

– أيوة يا بابا.

– أنا بلغت فريد التعلب إنه يخلص لك تصريح زيارة في أسرع وقت، فيه حاجات مهمة ما ينفعش تتقال في التليفون لازم أبلغك بيها، تابع معاه وزنّ عليه لحد ما أشوفك في أسرع وقت، مفهوم؟

– تحت أمرك.

وقبل أن يُضيف حرفًا آخر يسمع صوت انقطاع الخط، فيتأمل هاتفه في توتر، قبل أن ينظر للبحر ويتابع توالي موجاته الغاضبة...

* * *

لم ينجح السجن في إخفاء علامات العز والأُبّهة عن "قابيل الهراس" رغم ملابس الحبس الاحتياطي التي يرتديها، بينما أطلت رائحة عطر أنيق من ملابسه، وقد صفّف شعره الأبيض الناعم بعناية عريس في ليلة زفافه، وما إن يراه ابنه "آسر" الذي يزوره في محبسه وسط العديد من المساجين الذين يلتقون بذويهم في موعد الزيارة المحدد، حتى تنحدر من عينيه دمعة حزن، وهو يقول بصوت بذل قصارى جهده حتى يخرج متماسكًا دون جدوى:

- ازيك يا بابا؟

فيزفر "الهراس" زفرة حارة، وقد أطلت القسوة العتية من عينيه وهو يقول بنبرة ناقمة:

- زي الزفت.

يتأمله ابنه "آسر" بملابس الحبس البيضاء كمن يشاهد كابوسًا مُرعبًا لا يستطيع الاستيقاظ منه، قائلًا:

- ما تقولش كده، انت هتخرج قريب، فريد التعلب أكد لي إن موقفك القانوني قوي والمسألة مسألة وقت.

- ده كلام بيقوله أي محامي عشان ياخد منك أتعابه مقدمًا، ورغم إننا بنبقى مش مصدقين بس لازم ندفع، لكن أنا وانت عارفين كويس إن اللي بيقع في عالمنا مالوش قومة.

يضع "آسر" يده على ركبة أبيه ليطمئنه، قائلًا:

– صدقني يا بابا.

إلا أن "الهراس" يقاطعه بصرامة:

– اسمعني كويس عشان مافيش وقت، الحاجة الوحيدة اللي براهن عليها إني مش رجل أعمال عادي، أنا رئيس جمهورية رجال الأعمال في مصر، ولي مشاريع كتير ممكن تهز اقتصاد البلد لو وقفت مرة واحدة، عشان كده هياخدوا احتياطاتهم كويس قبل ما يقصقصوا ريشي، وده هيخلي قدامنا شوية وقت لازم نستغله لصالحنا.

"الهراس" يُخرج ورقة مطوية يدسها بسرعة في يد "آسر"، قبل أن يقول:

– الورقة اللي في إيدك فيها آخر أمل ممكن ينقذنا، نفذ المكتوب فيها بالحرف من غير ولا غلطة، وإلا قول علينا السلام.

عندها يومئ "آسر" برأسه وقد جفت دموعه، وحلت محلها الصرامة والإصرار.

* * *

في مدخل بنايته الرخامي الفاخر ذي التماثيل الأنيقة، وألواح الزجاج البلجيكي الملصوق على الحوائط، يتجه "مجد" نحو الأسانسير ليستقله إلى الدور الثالث حيث يُقيم مع والدته، وما إن

يصل حتى يطرق باب شقته فلا يجيبه أحد.

ينتظر قليلًا ثم يطرق الباب مرة أخرى، دون إجابة، فيعقد حاجبيه ليبدو على وجهه القلق وهو يُخرج من جيب بدلته مفاتيح الشقة ثم يدس المفتاح في الكالون، دون أن يلاحظ شطاطة كبريت في جانب خفيّ من الباب، وعود ثقاب مواجه لها بحيث يحتك بها بمجرد فتح الباب، ليشتعل عود الثقاب وتندلع النيران من كل مكان في الشقة وتتجه نحو "مجد" بسرعة، قبل أن يدوي انفجار شديد تدفع موجته التضاغطية "مجد" نحو بير السلم ليسقط منه سريعًا، في نفس لحظة مروق النيران من فوقه لتحميه سقطته من الحريق، قبل أن يصطدم جسده بقاع البئر في عنف، ويغرق في بحر من الظلام.

* * *

الفصل الثالث

ارتسمت كل أمارات التوتر والقلق على ملامح اللواء "ماجد بهجت" وهو يمر من بوابة القصر الجمهوري ببدلته السوداء المطل من أسفلها قميصه الأبيض ورابطة عنقه الحمراء التي كادت أن تنتفض من فرط ضربات قلبه الشديدة بعد أن تراقصت أمام عينيه كوابيس حية لمصير أسود سيناله على يد جماعة الإخوان المسلمين ورئيسها الذي استدعاه بعد أن وصل للحكم، وهو يتذكر الأفاعيل التي لاقوها على يديه من تعذيب، واغتصاب، وقتل بسجون أمن الدولة وقت أن كان المسئول الأول عن ملفهم في عهد مبارك.

راح يتخيل مذبحة القلعة التي ارتكبها «محمد علي» مع معارضيه وهم يتناولون العشاء في حضرتُه، قبل أن يتفاقم خياله ليصل إلى مصير سليمان الحلبي وهو يتم إعدامه بالخازوق، حتى شعر بنقاط بسيطة تبلل بنطاله وهو يدخل القصر، ليستقبله اللواء "ياسر حجازي" كبير الياوران بالقصر انتظارًا لحضور الرئيس.

«يا أهلًا وسهلًا يا ماجد بيه».

قالها كبير الياوران ثم نظر إلى ساعته قبل أن يستطرد بابتسامة ماكرة:

– جاي في ميعادك بالثانية.

تنحنح "ماجد" قبل أن يقول بابتسامة متوترة:

– ومين يقدر يتأخر يا ياسر بيه؟

قبل أن يخفض نبرة صوته ويميل نحو كبير الياوران متسائلًا بلهجة حاول أن يجعلها ودية:

– خير يا فندم، هو أنا مطلوب ليه؟

– في الحقيقة الإجابة مش عندي، لكن اللي أقدر أأكده لك إنه

خير، تشرب إيه؟

– ولا أي حاجة والله، أنا نازل فاطر وشارب ومش ناقصني حتى بُقّ مياه.

قبل أن تباغته من اللواء "ياسر" نظرة صارمة مغلفة بابتسامة تأمر أمرًا لا جدال فيه وهو يضغط على حروفه:

– معلش مش هتفرق من مشروب كمان على شرف سيادة الريس، انت عايزه يزعل ولا إيه؟

– لا يا فندم خالص، أنا فعلًا كنت محتاج قهوة مظبوطة.

– طيب اتفضل اقعد استريح وعقبال ما تخلص فنجانك هيكون الريس في انتظارك.

ليجلس اللواء "ماجد" على الهواء دون أن ترتاح مؤخرته على ذلك المقعد الأنيق، وقد شعر أنه فريسة في عرين أسد جائع منذ ثلاثين عامًا، وعندما أخذ فنجان القهوة من كبير الخدم، نسي مذاقها وهو يحاول بين كل رشفة ورشفة أن يطارد هواجسه التي تجسدت أمام عينيه 3D دون جدوى، قبل أن يأتيه كبير الياوران، قائلًا بلهجة رسمية:

– سيادة الريس في انتظارك.

ثم يعطيه ظهره ويتجه نحو مكتب الرئيس، وهو يعلم جيدًا أن ضيفه سيتبعه دون الحاجة إلى كلمة "اتفضل"، وما إن أصبح كلاهما أمام باب المكتب حتى ثنى كبير الياوران المقبض وتقدم خطوة للداخل قائلًا باحترام شديد:

– اللواء بهجت يا فندم.

ثم استدار ليُشير إلى ضيفه بالدخول دون أن ينبس ببنت شفة، فيدخل اللواء "ماجد بهجت" بقدمه اليُمنى وهو يردد بعض الآيات القرآنية التي لا يحفظ غيرها، قبل أن يُطالع وجه الرئيس الذي ينهض بشيء من الكبرياء قائلًا:

- تعالى يا بهجت.

فيهرول نحو مكتبه وينحني وهو يصافحه كطفل مفزوع من الأبلة العنيفة لحظة حسابه على عدم أداء الواجب المدرسي، قائلًا بسعادة مُصطنعة تُخفي هلعًا شديدًا:

- صباح الخير على فخامتك يا فندم، ألف ألف مبروك لمصر إن يرأسها واحد زي سيادتك.

إلا أن الرئيس يتجاهل نفاقه وتدجينه، مُشيرًا له بالجلوس، قبل أن يقول:

- باختصار عشان يكون الكلام واضح، أنا عارف ومقدر إن اللي عملته فينا في العهد اللي فات كان غصب عنك، وأكيد انت من جواك كنت متعاطف معانا وعارف رسالتنا كويس، مش كده ولا إيه؟

- ما شاء الله يا فندم، فعلا سيادتك ما وصلتش لمنصبك من فراغ، انت فعلًا قريت كل اللي في دماغي ووفرت عليا الكلام.

ليبتسم الرئيس قائلًا:

– ما أنا عارف يا ماجد اللي كان بيحصل، عشان كده استدعيتك النهارده.

ثم يميل نحوه ببطء، ويقول بلهجة ذات مغزى:

– إحنا عايزين نفتح صفحة جديدة.

تتهلل أسارير الرجل ويقول بفرحة طفل:

– يا ريت يا فندم، إحنا في مرحلها عايزة كل الأيادي متشبكة مع بعضيها عشان نبني البلد من أول وجديد، كفاية بقى فُرقة

وصراعات.

- **"أنا قررت إنك تبقى رئيس جهاز الأمن الوطني، والجهاز هينفصل عن وزارة الداخلية وهيبقى تابع للرئاسة، يعني مني ليك مباشرة".**

هكذا أطلق الرئيس القنبلة بشكل مباغت، لتفقد ملامح وجه اللواء بوصلتها في عالم المشاعر دون أن تعرف إلى أي انفعال تهتدي، ما بين السعادة والدهشة والتوجُّس.

لقد كان يخطط للهروب من مصر بعد فصله من الخدمة في أعقاب ثورة الخامس والعشرين من يناير، ونبذه من جميع من حوله بعد أن كانوا عبيد إحسانه، وحاملي المباخر في محراب سلطاته اللا محدودة، كإله يخشاه الجميع، ثم فجأة تحول إلى بشر ضعيف مهزوم، يركل خصومُه مؤخرتَه!

ومع اشتداد أزمته النفسية، وإحساسه بالهلع والخوف على نفسه وعائلته في ظل تصاعُد سلطة التيار الديني، وافق على ذلك العرض الذي تلقاه من دار نشر إنجليزية ليكتب مذكراته السياسية خلال فترة عمله بمباحث أمن الدولة، لا سيما سنواته الأخيرة التي تولى فيها ملف جماعة الإخوان المسلمين، مقابل رقم فلكي يكفل له مغادرة البلاد والعيش خارج حدودها في سلام خلال ما تبقى له من أيام.

ها هو يغادر القصر الجمهوري بخطوات بطيئة واثقة، مُرتديًا نظارته الشمسية، في حين يرفرف جاكيت بدلته ورابطة عنقه مع نسمة هواء هبَّت عليه بالسلطة والحظوة، ليتضح من خلف كتفيه القصر الجمهوري وهو يبتعد عنه، في حين أخذ القدر يعزف موسيقاه التصويرية المليئة بالترقُّب والتشويق لتاريخ جديد سيُكتب في مرحلة حرجة من حكم مصر، قبل أن يُخرج اللواء هاتفه المحمول

من بدلته ليغلقه تمامًا وهو يواصل المسير، ثم يُخرج منه شريحته ويكسرها إلى نصفين ليلقيها في أقرب سلة مهملات دون أن ينظر خلفه، كخبير مفرقعات محترف يلقي في القمامة قنبلة غير صالحة للاستخدام بعد أن أبطل مفعولها.

لقد قرر اللواء أن يقطع صلته بالأمس، ليفتح صفحة جديدة يسترد فيها عرش ألوهيته المفقود، كإله صغير يفعل بالبشر ما يشاء بقواعد كبير الآلهة الجديد، ولا ضير أن يهب مع كل ريح ويسعى مع كل قوم، ما دام في النهاية سيحقق مصلحته التي لا يعنيه سواها.

* * *

في صالة التحرير بجريدة «المستقبل» نرى عددًا من المكاتب الصغيرة المتلاصقة في صورة partitions، وعلى كل مكتب جهاز كمبيوتر وشاشة مسطحة تستعرض أهم ما في وكالات الأنباء العالمية، ليتابع الصحفيون الأخبار ويقوموا بالترجمة وإعادة الصياغة، في حين توجد في منتصف القاعة شاشة بلازما كبيرة تعرض قناة "الجزيرة مباشر مصر".

وسط هذا الكم من الصحفيين تجلس "رحمة" على مكتبها، في حين تسير بإصبعها السبابة على صفحتها المطبوعة بطريقة برايل للمكفوفين لتتحسس الحروف المطبوعة بشكل بارز، وفي يدها قلم تعلِّم به على الكلمات المكتوبة بشكل خاطئ، بينما تجلس جوارها فتاة محجبة في بداية العشرينات تقول لها "رحمة" فور أن تنتهي من مراجعة الصفحة:

– أنا علِّمت على 7 أخطاء في الصفحة محتاجين يتصححوا يا فاطمة، لما تصححيهم ترجعي لي تاني بالصفحة لو سمحتي عشان أقراها وأمضيها بنفسي، العدد اللي فات اعتمدت عليكي ونزلت

الصفحة بنفس الأخطاء من غير ما تتصلّح.

تلتقط "فاطمة" الصفحة وهي تقول بمزيج من التبرير والاعتذار:

– حاضر، بس والله المرة اللي فاتت سلمت الصفحة لأستاذ عاطف الجَمّيع وشاورت له على الأخطاء اللي المفروض يصححها، وكان ساعتها معاه صفحة الرياضة وقال إنه أول ما يخلصها هيشتغل في صفحتنا.

"رحمة" بعصبية:

– ده عذر أقبح من ذنب، كنتي تقعدي على دماغه لحد ما يخلص لك شغلك وتشوفيه بنفسك، المفروض الصفحة ما تمشيش غير وانتي شايفاها ومتأكدة من كل حرف، لأن في النهاية اسامينا هي اللي بتنزل على الموضوعات مش بتوع الجمع.

يرتسم التوسُّل على ملامح "فاطمة" وهي تقترب من "رحمة"، لتقول وكأنها تراها:

– أنا هطلع لمكتب التنفيذ حالًا ومش هامشي غير وأنا متأكدة إن كل حاجة تمام، لحد ما الصفحة تدخل الميكروفيلم وتتحول لأفلام قبل ما تتطبع، بس والنبي ما تنسيش تفكّري أستاذ جلال بيّ، هو كان واعدني إنه هياخدني ضمن الدفعة الجديدة اللي هتتعين.

تلين ملامح "رحمة" وهي تقول:

– من غير ما تقولي أنا فكرته امبارح وقلت له إنك طالع عينك معايا في الصفحة بقالك 3 سنين وهو وعدني إنه هيعيِّنك، عشان كده صعبان عليّا إني أساعدك وانتي قلبك مش على الشغل.

تكاد "فاطمة" أن تطير من السعادة وهي تطبع قُبلة خاطفة على وجه "رحمة" وهي تقول بكل مرح وسعادة الدنيا:

– والله العظيم ما كانش قصدي، اعتبريها أول وآخر مرة يا أحسن صحفية في مصر كلها.

ومن خلفهما نسمع صوت "براء" المميز وهو يقول بشقاوة:

– لأ لأ لأ، بوس وأحسن صحفية في مصر كتير عليكي، اختاري لك واحدة يا رحمة وسيـبي لي التانية.

تلتفت له "فاطمة" فترى ضحكة شريرة ترتدي بذلة كُحلية، فيرتسم الخجل على وجهها وهي تنظر للأرض قائلةً:

– إحم، طب عن إذنكم.

تنصرف مُسرعةً بينما تقول "رحمة" بملامح تُسيطر عليها البسمة:

– هو انت ما بتحرّمش؟ كل مرة بتصدّك وبرضه مفيش فايدة؟

فيتطلّع إلى عينيها قائلًا بنبرة تفيض بالإعجاب والوله الشديد:

– ومين قال إن هي المقصودة؟

تتسع ابتسامتها بعد أن داعبت كلماته أنوثتها، لكن مشاعرها نحوه وهي تعتبره مجرد أخ، أبت أن تسمح له بالتمادي، وأبت أن تسمح لتلك الابتسامة على شفتيها أن تستمر، لتسحبها بسرعة كمُصارع مهزوم، في حين تتابع بنبرة رقيقة حتى لا تجرح كبرياء صديق عمرها الذي يتوق عنقها بمجاملات لا حصر لها:

– خليك انت كده مقضّيها معاكسة وتسبيل من غير ما تكمّل الموضوع المطلوب منك، شكلي أنا اللي هكتب الصفحة لوحدي في الآخر.

يلتقط "براء" من بدلته مجموعة أوراق مطوية، يفردها ليتبين أنها أوراق كمبيوتر بحجم A4 قبل أن يقول:

– يا ترى فاضية أقرا لك اللي كتبته؟

"رحمة" منبهرةً:

- معقول خلصت؟

عيب عليكي، أومال كسلان زيك؟

ما انت لو مُشرِف على صفحة زي حالاتي ومعاك صحفيين بيسلموك المواضيع بالقطّارة كنت لقيت اللي يعطلك، يلّا بسرعة اديني نبذة عن اللي كتبته عشان عايزة ألحق أكتب أنا كمان.

ينظر "براء" إلى الورق ليلخِّص ما كتبه بعينيه قبل أن يقول وهو يمشي فوق السطور:

— بصّي يا ستي، في الفترة اللي فاتت قام تيار القضاء المستقل بتشكيل لجنة برئاسة المستشار حسين مكي، عشان يحطوا مشروع تعديل قانون للسلطة القضائية اللي هيضمن استقلال القضاء، وفي نفس الوقت يمنع دخول النيابة بالكوسة زي ما بيحصل كل سنة مع ولاد وقرايب المستشارين، فقررت اللجنة إنها تعمل اختبار تحريري لكل المتقدمين لاختبارات معاونين النيابة، بحيث إن كل واحد يدخل بمجهوده.

— حلو أوي.

— لأ مش حلو، لأن رئيس نادي قضاة القاهرة ورئيس نادي قضاة إسكندرية اعترضوا على الفكرة وقالوا إنهم مش موافقين عليها، قال إيه مش لازم نعمل اختبارات تحريرية وكفاية إننا ناخد أعلى تقديرات من خريجي الحقوق المتقدمين للاختبارات، مع إن فيه تفاوت بين صعوبة وسهولة كليات الحقوق في مصر، لدرجة إن معظم قضاة إسكندرية على سبيل المثال بيدخّـلوا ولادهم حقوق طنطا إكمنها سهلة، عكس حقوق إسكندرية اللي ماحدّش بينجح فيها صافي وبتقدير عالي غير كل فين وفين، وفي الآخر يحطوا رِجل على رِجل وبقولوا خدوا ولادنا اللي جايبين تقديرات عالية لأنهم

متفوقين!

— وبعدين؟

— ولا قبلين، رئيس نادي إسكندرية حب يضرب كرسي في الكلوب لما لقى اللجنة مصممة على شرط الاختبار التحريري، واتهم اللجنة وتيار القضاء المستقل إنهم مش عارفين شغلهم وإن دخولهم للقضاء نفسه كان غلط، بدليل إن 70% من قضاة تيار الاستقلال كانوا ظباط شرطة على حسب كلامه.

— أوبااااا...

— طبعًا أعضاء اللجنة ما سكتوش وفيه منهم مستشار اسمه عامر البلشي قال إن 3 قضاة بس من تيار الاستقلال هم اللي كانوا ظباط، وإن التلاتة دول من أشرف قضاة مصر وأكترهم دفاعًا عن استقلال القضاء، في الوقت اللي فيه قضاة تانيين كانوا شغالين مخبرين لجهاز أمن الدولة.

يرتسم الحماس والإعجاب على ملامح "رحمة" التي تقول بابتسامة يملؤها التفاؤل:

— ينصر دينك يا براء، والله فتحت نفسي أكتب موضوعي، نص ساعة بالظبط وهاكون مخلّصة إن شاء الله تحقيقي عن ولاد المستشارين والقضاة اللي دخلوا النيابة والقضاء مع إن فيهم اللي كان جايب مقبول، ومنهم اللي كان متهم في قضايا تعاطي مخدرات، أظن موضوعي على موضوعك هيقفّلوا صفحة ومش هنحتاج للموضوع التالت اللي كان مكلّفنا بيه أستاذ جلال.

— على حسب مساحة موضوعك، لو عمليته في حدود 700 كلمة أعتقد هيكفي.

— طب خلاص، خليك قاعد عقبال ما أخلص عشان تطلع ترسم

الصفحة، وبالمرة تشوفه هيكفي ولا لأ على البروفة.

ينهض "براء" في مكانه قائلًا بحزم:

– لأ أنا لازم أمشي دلوقت، خلّصي موضوعك وتابعي الصفحة بدالي، عندي ليكي مفاجأة لما أرجع، سلام.

يهُمّ أن يمشي، لكنها تنهض وتتشبّث في ذراعه كطفلة:

– ما دام مفاجأة يبقى لازم أعرف، ما تسيبنيش كده على نار.

ينظر لساعته قائلًا باستعجال:

– والله متأخر يا رحمة ولازم ألحق.

قررت استغلال عاطفته نحوها التي تعلمها جيدًا ويلحظها كل من حولهم، لتقول بدلال وملامح أنثوية لم تنكرها عينها الكفيفة، وأكدتها نبرتها التي صارت أكثر رقةً:

– وحياتي وحياتي...

نجحت محاولتها عندما تجمّد في مكانه وصعقه تيار الحب وهو يتأمل ملامحها بحنين دافئ، قبل أن يُخرج كل ما لديه من معلومات قائلًا:

– فيه عندي معلومات إن الريس هيعين المستشار حسين مكي نائب ليه في اليومين اللي جايين.

وما إن غادر آخر حرف شفتيه، حتى اتسعت عينها بسعادة غامرة وهي تردد كالمسحورة:

– وااو، كده يبقى فيه أمل في البلد، الراجل ده من أنضف المستشارين في مصر، وتاريخه في تطهير القضاء معروف من أيام مواقفه ضد نظام مبارك.

لكن "براء" يقول بحسرة تصل إليها مع نبرات صوته الحزينة:

– الهدف الظاهر من تعيين المستشار مكي إن الرئيس يبان ثوري ومتعاون مع كل الرموز والتيارات المحترمة في البلد، عشان ماحدش يتهمه إنه بيعين ناس من جماعته وبس، وساعتها هيحظى بالحب والتأييد من الشارع، لكن الهدف الحقيقي إن الريس ناوي الفترة الجاية يعمل تغيير جذري في المؤسسة القضائية لحساب جماعته اللي هيعيّن عدد كبير من المنتمين لها قضاة ووكلاء نيابة، وفيه مشروع قانون في مكتب المرشد لتعديل السلطة القضائية هيطلع وقت اللزوم.

تهز رأسها ببطء غير مستوعبة ما تسمع قبل أن تسأل في حيرة:

– طب وإيه الفرق بين تعديل قانون السلطة القضائية اللي طالب بيه مكي وتعديل السلطة القضائية اللي في مكتب المرشد؟

– ببساطة واحد فيهم لصالح الجماعة، والتاني لصالح الشعب والعدالة الحقيقية.

فتهمس بصوت خفيض مصدوم وكأنها تحدّث نفسها:

– لو سيطروا على القضاء يبقى هم اللي هيراقبوا انتخابات مجلس الشعب، والشورى، والرئاسة، ويقدروا يلعبوا في النتيجة زي ما هم عايزين، ده غير إنهم هيوجّهوا القضاء لأهداف سياسية ويحبسوا المعارضين ويفرجوا عن اللي تبعهم في أي قضية.

فيُجيبها بابتسامة مريرة:

– الله ينور عليكي.

تغمغم في شرود وكأنها تحدث نفسها:

– هي البلد دي كده، طول عمرها أزمتها الحقيقية والأولى في العدل.

– طبعًا، وهو لو كان فيه عدل بجد كانت الانتخابات اتزورت، والفاسدين حكموا، والفقرا والغلابة ماتوا من غير تمن، والحرامية

والحيتان نهبوا خير الشعب في عبهم طول السنين اللي فاتت؟

تحاول أن تبحث عن أمل تفر به من هواجسها المخيفة التي فجَّرها فتسأله من جديد:

– تفتكر المستشار حسين مكي ممكن يركب الموجة ويتخلى عن مشروع قانونه لصالح قوانينهم المتفصلة على مقاس مصلحتهم؟

فيلتقط نفسًا عميقًا قبل أن يقول:

– فيه ناس كتير اتسممت وهي فاكرة نفسها بتاكل العسل، لأن حلاوته غطت على طعم السم وهم مش حاسين، عمومًا بلاش نسبق الأحداث، مسير الأيام تجاوب على كل أسئلتك.

– عُمر ما الأيام جاوبتني إجابة نفسي فيها، من وإحنا صغيرين يا براء وإجابة الأيام مافيهاش غير الدم، والجرح، والصدمة في أقرب وأعز الناس لينا.

يتطلع "براء" إلى عينيها بكل حب وحنان الكون قبل أن يختلط الحب بالسياسة في نبرته الحانية وهو يقول:

– بس على قد ما صدمتنا على قد ما قرّبتنا من بعض، والنتيجة إننا النهارده تفكيرنا واحد واختياراتنا واحدة، إلا اختيار وحيد لسه لسانك مش مطاوعك تنطقيه مع إن عقلك وقلبك عمرهم ما هيلاقوا أحسن منه.

يرتسم الخجل على ملامحها، فتُداعب شعرها وهي تحاول تغيير الموضوع قائلةً:

– مش كل اختياراتنا واحدة ولا حاجة، انت عضو في 6 أبريل وأنا ماليش أي انتماء سياسي لأي حزب أو حركة عشان يفضل ولائي لدماغي وبس.

يقترب منها أكثر قائلًا بلهجة تفيض بالغرام:

– طب وقلبك؟

تضطر أن تصدمه حتى لا يتمادى أكثر:

– مابقاش عندي قلب بعد اللي شوفته، وانت كمان المفروض تكون زيي، لحد ما نحقق اللي عشنا طول عمرنا عشان نحققه، يلّا عشان تلحق ميعادك.

تنطفئ السعادة في ملامحه ويسيطر الحزن على سحنته السمراء التي صارت أكثر سوادًا مع هذا الإحراج العاطفي، وقبل أن ينبس ببنت شفة تلتقط "رحمة" حقيبتها من على مكتبها، ثم تفرد عصا المكفوفين التي تستخدمها لتدلها على الطريق وتهم بالانصراف، قائلةً:

– أنا طالعة عشان أتابع الصفحة مع فاطمة، عن إذنك.

إلا أن مشاعره المهزومة لم تعطل يده عن الامتداد لتمسك كفها مجددًا، حتى يعينها على المسير، وقد أبى قلبه أن يعاقب أحاسيسها القاسية بالمثل، لتتجمد في مكانها بإحراج فور ملامسة يده ليدها وهي تعرف أنها في حاجة إليه لكنها لا تملك دفع الثمن، إلا أنها على الأقل لا تملك حتى الآن خيارًا آخر.

* * *

يغادر "براء" مبنى الجورنال متجهًا إلى سيارته الـ "فيات 128"، قبل أن يرتطم بصره بزميله "الحسيني" ذي الكرش الكبير الذي يتدلى من جسده الضخم، حتى تشعر فور رؤيته أن الإنسان كان أصله بطيخة، بخلاف النظارة الطبية الكبيرة التي تحتل نصف وجهه، والكاميرا التي لا تغادر يده الضخمة المكتظة، ولم يربطه بالوسامة سوى شعره الأسود الناعم المُصفَّف للخلف، وله لمعان مميز، بينما تصببت جبهته بالعرق الذي رسم على قميصه خريطة من الأملاح.

ورغمًا عنه، انطلقت ضحكات "براء" الشديدة التي صارت رد فعل معتاد كلما رأى زميله البدين ذا الشكل الكوميدي بالفطرة، قبل أن يبتسم "حسيني" صائحًا بنبرته الغليظة الرنانة، الشبيهة بنبرة كلب كارتون "توم وجيري":

- يا ابني انت حد زغزغك مرة ونسي صباعه؟ واللا وشي هو اللي مرسوم عليه موجة كوميدي وأنا مش واخد بالي؟ مافيش مرة تشوفني وما تضحكش؟ حتى في عزا أبويا ما عرفتش تمسك نفسك وأخويا الكبير كان هيطحنك.

يصافحه "براء" ويعانقه قبل أن يقول بابتسامة ساخرة:

- طب إيه رأيك بقى إن في عزا أبوك بالذات ماكنتش بضحك عليك، بس بصراحة جوز خالتك وهو بيسلم على أخوك الأتخن منك، حب يواسيه فطبطب على صدره قام كرشه فضل يلعب وصدره اتهز يمين وشمال ماقدرتش أمسك نفسي، انتوا أصلًا عيلة كوميدية بالفطرة لدرجة إني شاكك إن أبوك مات من الضحك.

يُجيبه "حسيني" بسخرية مماثلة:

- ماشي يا عم الوقور.

- لا عيب عليك، وقور مين، ده أنا إله المسخرة بس مش قدام الناس.

فيرفع "حسيني" كاميرته أمام وجه "براء" ويلوّح بها قائلًا:

— طب ورحمة أبويا الغالي، اللي انت ضحكت في جنازته، لو عكشتك وانت بتعُط أو بتلعب بديلك لأكون أول واحد يصورك ويرفع الفيديو على فيس بوك ويوتيوب لحد ما الموزّة بتاعتك تنفض لك أكتر ما هي منفضة لك.

يحتل الحزن ملامح "براء" متسائلًا:

— هو للدرجة دي باين لكل الناس إن أنا متنفض لي؟

— ييييه، ده من كتر التنفيض قرّبت تبقى سجادة، هاهاها...

ورغم حزنه، عاد "براء" ليضحك رغمًا عنه على ضحكة "حسيني" الرنانة التي تشبه ضحكة الحشاشين، قبل أن يحاول تغيير دفة الحديث هربًا من الإحراج، فينظر لكاميرا "الحسيني" الجديدة باهظة الثمن متسائلًا بدهشة:

— يخرب عقلك، هو انت جبت كاميرا جديدة؟!

ينظر "الحسيني" للكاميرا بسعادة بالغة ويقلبها بين يديه بإعجاب وقد "فشخ" فمه بزهو لتظهر كل أسنانه بشكل كوميدي، ليقول "براء" ساخرًا:

— إيه يا عم مالك، أنا بسألك عن كاميرتك الجديدة مش موزّتك الجديدة؟

— ما دي أهم من الموزة يا قفل، بقي بذمتك الموزة بتاعتي كانت هتخليني أصور الشيخ اللي واقف على باب اللجنة الانتخابية يقول للناس إن اللي هيصوّت بنعم هيدخل الجنة واللي هيصوّت بلا هيدخل النار؟ ولّا كانت هتخليني أصور الراجل الكومبارس اللي قناة الجزيرة مباشر بتستضيفه في كل تقرير عشان يطلع يقول الكلام اللي عايزة تضحك بيه على الشعب المصري؟ ده غير الحوارات اللي عملتها مع أهالي شهداء الظل اللي ماحدش سلط الضوء على ولادهم زي الشهدا التانين، والحوارات التانية المسخرة اللي عملتها مع مؤيدي توفيق عكاشة في مظاهراتهم الكوميدية عند العباسية، ده باسم يوسف يا راجل خد الفيديوهات دي في أكتر من حلقة والـ CNN اتكلمت عنها.

— والله يا حسيني ما عارف أقول لك إيه، من ناحية إنك شاطر وبتصور فيديوهات وانفرادات فانت بصراحة مجتهد وبتنزل تتنطط

في كل حتة رغم إنك ما شاء الله زي البغل وكرشك قدامك مترين، في حين إن فيه صحفيين كتير قاعدين على مكاتبهم زي الطواليش وعايزين الأخبار تيجي لحد عندهم، بس صعبان عليا إنك كل ما تحوش لك قرشين تشتري بيهم كاميرا جديدة عشان تنجز بيها فيديوهاتك، وحتى شقتك اللي هتتجوز فيها يا دوب مساحتها 60 متر، يعني زي شقة محمد صبحي في مسرحية الهمجي، لو اتمطعت فيها دراعك هيخبط في وش الجيران، أومال لو اتجوزت وجبت عيل هتحطه فين؟

— هحطه في الشاحن، هاهاها...

يضحك "براء" رغمًا عنه من جديد، قائلًا بمرح:

- يا وسخ، حظك إني وراي مشوار مهم، غير كده كنت وريتك الشاحن ده بيتحط فين.

- في مكان التطعيم، هاهاها، سلام يا معلم.

قالها "الحسيني" وهو يدلف للجورنال مترنحًا بجسده المكتظ، قبل أن يركب "براء" سيارته ويرتدي نظارته الشمسية، ويتأمل "الحسيني" من خلفه بابتسامة مرحة، قبل أن يرن هاتفه المحمول ليضعه على أذنه اليمنى مجيبًا:

- أيوة يا عمر، **يقطّب حاجبيه ويتابع بتوتر:** إمتى الكلام ده؟ طب أنا هجيب مصور معايا وآجي لك حالًا، سلام.

ثم يضغط على بعض أزرار هاتفه المحمول ليضعه على أذنه من جديد قائلًا:

- أيوة يا رحمة، سيبي اللي في إيدك وانزلي دلوقتي حالًا، فيه مشوار مهم لازم نعمله، وإحنا في السكة هفهّمك كل حاجة.

* * *

في أحد المستشفيات الاستثمارية ذات الخدمة الفندقية، يرقد "مجد" مُغمَض العينين داخل قميص جبس، بينما قدمه اليسرى المجبسة معلقة في حامل يتدلى من السقف، وبجوار السرير يقف المستشار "حسام البسطاويسي" وابنه "أُبَيّ" وزوجته الدكتورة "نيجار" التي ترتدي البالطو الأبيض، وتستمع لكلام زميلها الطبيب المعالج لـ "مجد"، يقول:

— رغم الانفجار اللي دمر شقته وقتل أمه عايز أقول إنه محظوظ، خصوصًا إن الموجة التضاغُطية اللي نشأت عن الانفجار رمته من بير السلم قبل ما يتفرتك، ده غير إنه ساكن في دور قريب، وبالتالي خف أثر الوقعة وحصل له كسر في رجله الشمال وأربع ضلوع في قفصه الصدري، وارتجاج في المخ وشوية كدمات بسيطة بس.

يتساءل "أُبَيّ" بسخرية حزينة:

- هو ده الحظ من وجهة نظرك؟

الطبيب يعدل من منظاره الطبي وهو يجيب بحرج:

— ده الحظ من وجهة نظر الطب، أي مخلوق مكانه لو كان اتحط في الموقف ده كان صعب جدًا ينجو منه.

المستشار "حسام" بتنهيدة حارة:

- الحمد لله.

بينما قالت دكتورة "نيجار":

— ما تقلقوش يا جماعة، أنا ودكتور سيف هنشيله جوًا عنينا لحد ما يفوق من الغيبوبة إن شاء الله ويبقى كويس.

وفجأة، يقتحم باب الحجرة "رحمة" وزميلها "براء"، والمصور الصحفي المصاحب لهما، الذي ما إن يدخل حتى يبدأ في التقاط الصور دون أي استئذان، بشكل جعل "أُبَيّ" ينقضّ على معصمه ليلويه بقسوة وهو يجذب من يده الكاميرا بعنف قائلًا:

- مين سمح لك تصور؟

ثم يرفع الكاميرا ويُلقيها بعنف شديد، إلا أن "براء" يقفز ويلتقطها بمهارة، في حين تقول "رحمة" وهي تقدم نفسها بثقة وثبات:

– رحمة البدري وبراء فاروق، أول صحفيين كتبوا عن بطولة مجد في كشف قضية الرشوة، وجايين النهارده نثير الرأي العام ضد اللي حصل له، أكيد قابيل الهراس ورا كل ده.

مع نطق اسميهما، انطلق جرس إنذار في ذهن المستشار "البسطاويسي" وابنه، قبل أن يسأل المستشار وهو يعود بذاكرته إلى الوراء:

– مش انتوا بتوع جريدة المستقبل؟

"في جلسة عمومية غير عادية بنادي قضاة القاهرة: المستشار حسام البسطاويسي يهدد بانسحاب القضاة من الإشراف على انتخابات رئاسة الجمهورية إذا لم يستجب النظام لمطالبهم ويمنع التلاعُب في نتيجة الانتخابات" جريدة المستقبل - يونيو/2005

" رئيس المجلس الأعلى للقضاء ينحاز للنظام ويعلن الحرب على تيار القضاء المستقل" جريدة المستقبل - يوليو/2005

"المفاوضات الحكومية تتوصل مع نادي القضاة إلى اتفاق بموجبه يشارك القضاة في الإشراف على الانتخابات الرئاسية مع الوعد بإصلاح القضاء بعد الانتخابات" جريدة المستقبل - أغسطس/2005

"بعد منافسة هزلية بين مرشحين غير معروفين، مبارك في المركز الأول بمسرحية انتخابات الرئاسة" جريدة المستقبل - سبتمبر/2005

"رغم وعود مبارك بالإصلاح القضائي بعد الانتخابات الرئاسية، الحكومة تتراجع عن وعودها وترفض إطلاع القضاة على

مشروع القانون الجديد للسلطة القضائية" جريدة المستقبل - ديسمبر/2005

"المستشار حسام البسطاويسي يروي وقائع تزوير انتخابات مجلس الشعب ويعلن القائمة السوداء للقضاة المشاركين في التزوير بالتعاون مع أمن الدولة" جريدة المستقبل - ديسمبر/2005

"رفع الحصانة عن المستشارين حسام البسطاويسي وحسين مكي ليمثلا أمام نيابة أمن الدولة للتحقيق معهما بتهمة إهانة هيئة قضائية واتهام قضاة محددين بتزوير انتخابات مجلس الشعب" جريدة المستقبل - فبراير/2006

"نقيب الصحفيين ومجلس إدارة النقابة يتضامنون مع رحمة البدري وبراء فاروق ويطالبون بمنع حبس الصحفيين في الاتهام الموجه لهما بقضية نشر القائمة السوداء للقضاة المزورين" جريدة المستقبل - فبراير/2006

"المعارضة تزحف إلى وسط البلد، نقابتا الصحفيين والمحامين وحركة كفاية والإخوان المسلمون ينضمون لاعتصام القضاة في شارع عبد الخالق ثروت" جريدة المستقبل - أبريل/2006

"قبل محاكمته بيوم واحد: توقُّف قلب المستشار حسام البسطاويسي و7 صدمات كهربائية وعملية قسطرة تُعيده للحياة" جريدة المستقبل - مايو/2006

"سليم العوا وعدد من المحامين المشهورين يترافعون عن المستشارين حسام البسطاويسي وحسين مكي وسط تضامُن عدد كبير من جماعة الإخوان أثناء المحاكمة في دار القضاء العالي" جريدة المستقبل - مايو/2006

" براءة مكي وتوجيه اللوم للبسطويسي بتهمة الخروج على التقاليد القضائية والإضرار بسمعة القضاء المصري بسبب تصريحاته

لفضائيات وصحف عن تجاوزات في الانتخابات التشريعية التي أجريت العام الماضي" جريدة المستقبل - مايو/2006

" حسام البسطاويسي: وافقت على الإعارة للعمل في الكويت لأن بقائي في مصر أصبح يُشكِّل خطرًا والنظام الذي يحاربني سيسقط قريبًا" جريدة المستقبل - أغسطس/2007

" في أول حوار له بعد عودته من الإعارة، المستشار حسام البسطاويسي: إلغاء الإشراف القضائي على انتخابات مجلس الشعب 2010 يثبت نية الحزب الوطني في استمرار التزوير لتمرير مشروع التوريث" جريدة المستقبل - أغسطس/2007

"في أول حوار يخرج فيه عن صمته بعد ثورة 25 يناير، محمود أبو الليل وزير العدل الأسبق: توقيعي على قرار إحالة البسطويسي ومكي للتأديب أسوأ لحظات حياتي، وزكريا عزمي قال بالحرف الواحد، الرئيس يخبرك بضرورة إحالتهما للتأديب ودي تعليمات ولازم تتنفذ" جريدة المستقبل - مارس/2011

يعود المستشار "البسطاويسي" من ذكرياته على صوت "رحمة" وهي تقول للمصور:

- حاول تاخد كذا صورة لوشه.

لكن "أُبيّ" يرفع يده أمام عدسة الكاميرا ليمسكها بغلظة قبل أن يصيح في "رحمة":

— ما أنكرش إنكم وقفتوا مع مستشارين كتير في أزماتهم.

يترك كاميرا المصور ثم يتقدم نحوها متابعًا:

- بس لو عايزة تخدميه فعلًا زي ما خدمتي غيره، اختاري الطريقة المناسبة.. اللي ما يشوفش من الغربال يبقى أعمى.

تهوى كلماته كالإعصار على "رحمة" فتبتسم بدموعها وهي تفرد

عصا المكفوفين قائلةً:

- أهنيك على فراستك، أنا فعلًا ما بشوفش.

"أُبيّ" ينظر لعينيها بصدمة قبل أن يتابع بغضب وهو يشير لجسد "مجد":

— والمفروض إني أتعاطف معاكي وأسيبكم تصوروه وهو بالشكل المزري ده، عشان تكتبوا فوق صورته انفراد وتحتها أساميكم بالبنط العريض، مش كده؟

هنا حان دور "براء" في الإجابة ليقول بصرامة وهو يقف خلف "أُبيّ":

— تقرير المعمل الجنائي أكد إن اللي حصل لمجد مجرد انفجار في أنبوبة الغاز، ونفى إنه يكون حادث بفعل فاعل، مع إن كلنا عارفين إنه مُدبّر.

الصدمة ترتسم على وجه المستشار "أُبيّ" ووالده وهما يلتفتان لـ "براء" غير مصدقين ما قال، بينما تتقدم "رحمة" نحو "أُبيّ" بخطوات بطيئة وهي تمسك بعصاها وتتابع:

— للعدالة ضحايا كتير أولهم مش ابن خالتك، ولا هيكون آخرهم، منهم اللي دفع التمن بموت أهله قدام عينه، ومنهم اللي دفع عينه ذات نفسها، ومنهم اللي دفع الاتنين مع بعض.

"أُبيّ" يسرح في كلماتها وقد عجز عن الكلام، بينما يقترب "براء" من "رحمة" ويمسك بيديها قائلًا وهو يوجِّه حديثه للمستشار "حسام":

— قول لابنك يا فندم إننا أكتر صحفيين مش بيدوروا على انفرادات وخبطات قد ما عندنا هدف إن قضاءنا يبقى نزيه وشامخ بجد، واللي حصل لأستاذ مجد هيبقى نقطة سودا في توب العدالة إلا لو

حقه رجع واتعرف مين المسئول عن محاولة قتل قاضي شريف قدر إنه يوقع أكبر رجل أعمال في البلد، سلامه عليكم.

لينصرفا، ومعهما المصور، بينما ينظر "أبيّ" لجسد "مجد" الفاقد الوعي ولا ينبس ببنت شفة.

* * *

في جهاز الأمن الوطني يدلف المقدم "أمل" إلى مكتب اللواء "ماجد بهجت" الفخم الواسع الذي يشير إلى علوّ منصبه وأهمية وضعه.

اللواء يجلس على مكتبه الضخم الموضوع عن يساره علم مصر، وخلفه صورة كبيرة للفظ الجلالة، وقد حنى ظهره للأمام يطالع بعض الأوراق باهتمام، وقد أكسبته نظارته الطبية وشعره الأبيض الناعم وسامة ووقارًا بعد أن أخذ الأمان من الرئيس ورحلت عنه هواجسه ليسترد هيبته المفقودة، بينما أعطى مظهر قميصه مشمر الساعدين انطباعًا بالنشاط والهِمّة والحيوية، بينما نجد جاكت بدلته مُعلقًا على شماعة خشبية أنيقة إلى جواره.

كل هذا يلمحه "أمل" من أول وهلة عند دخول المكتب، وهو يؤدي التحية العسكرية قائلًا باحترام شديد:

- تمام يا فندم.

رئيسه يشير له بالجلوس بإشارة صامتة دون أن يرفع عينيه إليه، ودون أن يهتم بالرد على التحية العسكرية وقد انشغل بقراءة أوراق أحد الملفات.

"أمل" يفك أزرار جاكت بدلته، ويجلس على المقعد المقابل لمكتب رئيسه دون أن يسند ظهره، إذ جلس في وضع التأهب وقد شبك أصابع كفيه وأخذ يراقب ملامح رئيسه باهتمام، بينما يقلب رئيسه بعض الأوراق في الملف الذي يقرؤه باهتمام مماثل، قبل أن تدوي طرقات خافتة على باب المكتب ليدلف الساعي إلى المكتب سائرًا بهمة ونشاط وهو يحمل صينية بها فنجان فارغ، وكوب مملوء بالماء، وكنكة بها قهوة، وما إن يصل للمكتب حتى يقوم بصب القهوة في الفنجان بحرص محافظًا على الـ"وش"، ثم يضع إلى جواره كوب الماء ويأخذ الصينية وينصرف في نفس اللحظة التي يغلق فيها اللواء "ماجد" الملف ويخلع نظارته الطبية ليقول لـ "أمل":

– في هوجة الثورة والهجوم اللي حصل على مقار أمن الدولة، انعطل شغلنا لفترة سابت الفرصة لعدد كبير من العناصر الإجرامية إنها تدخل البلد من غير ما نرصدها ونخليها تحت عنينا، وبعد ما اتشكل جهاز الأمن الوطني وبدأنا نلملم أوراقنا من جديد، عملنا مسح لكاميرات المطار في الفترة اللي كان شغلنا فيها واقف عشان نعوض اللي فاتنا ونعرف مين اللي دخل البلد ويستحق إننا نرصده، ساعتها اكتشفنا دخول مجموعة من العناصر المخربة، وبالبحث والمتابعة عرف جهاز الأمن الوطني إنهم على علاقة برجل الأعمال قابيل الهراس المحبوس دلوقتي على ذمة أكتر من قضية بعد ما وقّعه القاضى مجد الدين مهران، ويمكن يكونوا هم المسئولين عن الانفجار اللي قتل والدة مجد رغم إن تقرير المعمل الجنائي بيقول غير كده، لو الهراس فعلًا هو المسئول عن اللي حصل فمعنى كده إن فيه تصفية هتحصل الفترة الجاية لخصوم تانيين ليه بشكل هيعمل زعزعة في استقرار البلد.

قبل أن يلتقط رئيس "أمل" ملفًا من سطح مكتبه ويسلمه لـ "أمل" قائلًا:

– عايزك تعرف السر ورا الموضوع ده وتخلّي آسر ابن قابيل الهراس تحت عينك، واضح إن فيه كارثة بتتدبر في الخفا.

"أمل" يستلم الملف، ثم يلمح على مكتب رئيسه جريدة "المستقبل" التي يتصدر صفحتها الأولى الحادث الواقع على "مجد"، فينظر بتأثر لصورته وهو فاقد الوعي من جراء الانفجار، وقد ارتدى قميصًا من الجبس، ثم يقول لرئيسه:

– تحت أمرك يا فندم، اعتبر الموضوع منتهي.

* * *

الفصل الرابع

تطلّع المستشار "حسام البسطاويسي" إلى الأطباق التي مسحها ابنه "أُبيّ" على مائدة العشاء، قبل أن يتساءل بدهشة:

– انت أكلت كل العشا اللي فضلت أحضره لمدة ساعتين؟ الله يخرب بيتك، أومال مراتك لما ترجع من المستشفى هتاكل إيه؟

ليُجيبه "أُبيّ" وهو يتناول آخر دبوس دجاج:

– نيجار بترجع من المستشفى عايزة ترمي على السرير وبس، مافيش وقت تاكل، مفيش وقت تغير هدومها، وطبعًا مافيش وقت لقلة الأدب!

يعدم المستشار بوادر ابتسامة حاولت أن ترتسم على شفتيه قائلًا بجدية مُصطنعة:

– اختشي يا ولد، وبعدين مش انت اللي قلت لها لازم تستمري في شغلك عشان ما بحبش الست اللي ما عندهاش مستقبل وطموح؟

– أومال كنت عايزني أشيل لوحدي مسئولية البيت ويطلع عيني في المصاريف وهي قاعدة زي الطروبش بتاكل وتشرب من شقاي؟ وخد عندك بقى عيال، وخلفة، والواد عمل، والواد سوّى، وسيب لي مصروف البيت قبل ما تنزل، خليها تتمرمط وتحوش معايا قرشين نعرف نجيب بيهم شقة في كومباوند محترم زي الناس النضيفة بدل ما احنا عايشين معاك كده زي قرد قطع.

تتسع عيني المستشار وقد عجز لسانه عن العثور على كلمات مناسبة قبل أن يباغته صوت جرس الشقة، فيقول "أُبيّ" وهو يمضغ الطعام:

– اقعد كمِّل أكلك، نيجار معاها المفتاح.

فينظر المستشار للأطباق الممسوحة ويقول ساخرًا:

— لا أنا هتبرّع باللي فايض لبنك الطعام.

قبل أن يدوي جرس الشقة من جديد فينهض من مكانه متجهًا نحو الباب مستطردًا:

— واضح إنها مش مراتك.

وما إن ينظر من العدسة السحرية حتى تتسع عينه بدهشة وهو يفتح مقبض الباب، متطلعًا للضيف المفاجئ قبل أن يقول بلهجة من لا يصدق نفسه:

— حسين؟

قبل أن يجيبه نائب رئيس الجمهورية الجديد وصديق عمره القديم في السلك القضائي:

— عارف إنها قلة ذوق مني إني طبيت عليكم من غير إحم ولا دستور، بس طول عمرنا بنحب نفاجئ بعض، بالذات لما يكون وقت عشا.

فينظر المستشار "حسام البسطاويسي" للداخل حيث المائدة الخاوية على عروشها ويُشير لصديقه بالدخول قائلًا:

— الكلام ده لما كان أُبيّ لسه صغير، دلوقتي العشا ما بقاش مكفّي، وبيفكر ياكل الأطباق الصيني والكوبايات ولو ما شبعش هيندار عليّ.

يقهقه المستشار "مكي" وهو يمر إلى جوار مائدة الطعام التي تُشعرك أن أصحابها قد خرجوا للتو من مجاعة، وما إن يراه "أُبيّ" حتى يقف له احترامًا وتقديرًا، قائلًا وهو لا يزال يمضغ:

— يا أهلًا وسهلًا بحضرتك يا فندم، اتفضل معايا.

فيقول له المستشار "مكي" مبتسمًا:

— شكرًا يا ابني، اقعد كمل أكلك عشان بابا لسه بيشتكي إنك خاسس وأكلتك مش ولا بد.

— فعلًا، عشان كده بعت أجيب كباب من فرحات، أجيب لك معايا؟

— كان نفسي بس فيه موضوع أهم من الأكل عايز بابا فيه، يا ريت تعمل لنا شاي على ما الكباب ييجي.

— تحت أمرك.

قالها "أُبيّ" وهو ينصرف إلى المطبخ وقد أخذ يمصمص صوابعه، بينما جلس المستشاران في غرفة الاستقبال بمفردهما، قبل أن يدخل "مكي" في الموضوع مباشرةً، قائلًا:

— بقى مصر كلها تبارك لي وانت ما يهونش عليك تهنيني حتى في رسالة؟

يتأمله المستشار "البسطاويسي" قليلًا، قبل أن يقول بلهجة ذات مغزى:

- أنا شايف إني المفروض أزعل عليك.

- تزعل عليّ؟

- طبعًا أزعل عليك، انت راجل ليك تاريخ مشرّف ومواقف كتير دفعت تمنها غالي، إزاي بعد العمر ده كله ترمي التراب على الإنجازات دي كلها وتحط إيدك في إيد الإخوان؟

- عشان لو أنا ما حطتش إيدي واستغليت وظيفتي الجديدة في خدمة البلد والشعب، غيري ممكن يقعد على نفس الكرسي ويحقق مصالحه الشخصية ومصالح جماعته، ده أمر واقع لازم نقبله ونتعايش معاه.

- كلامك بيفكرني بالمثل اللي بيقول لو جالك الاغتصاب وماعرفتش تقاومه حاول إنك تستمتع.

- حاسب على كلامك يا حسام.

- حاسب انت على تاريخك وسُمعتك، معقول فاكر إنهم هيسيبوك تشتغل زي ما انت عايز؟

- ده كان شَرطي قبل ما أقبل المنصب، ويوم ما الكلام يتغير ثق تمام الثقة إني هقدم استقالتي وهبقى برًّا القصر.

- مش بالسهولة اللي انت متخيِّلها، دخول الحمام مش زي خروجه، واللي بيخرج من القصر مستحيل يرجع في نظر الناس زي ما كان قبل ما يدخله.

- صدّقني يا حسام الناس دي مش بالسوء اللي الكل شايفهم بيه، بلاش تعمل زي الفلول وأعوان حسني مبارك اللي ما عندهمش مانع البلد تخرب على دماغنا في سبيل إنهم يثبتوا وجهة نظرهم في الإخوان، ليه ما نجربش نحط إيدنا في إيد بعض ونخلي البلد تقف على رجلها؟ خلاص نسيت اللي الإخوان عملوه معانا يوم ما كنت أنا وانت وغيرنا بيتحاربوا من النظام عشان بنقول كلمة حق؟ نسيت وقفتهم جنبنا في نادي القضاة والضرب والاعتقالات اللي اتعرضوا لها عشان خاطرنا؟

- يظهر إن انت اللي نسيت إنهم كانوا بيعملوا كل ده عشان مصلحتهم، لكن وقت الجد كانوا بيتحالفوا مع رموز الوطني، ومرشدهم كان موافق على التوريث، بكرة الأيام هتثبت لك إنهم مالهمش كلمة، وإن الكلام المعسول والوعود اللي قالوها قبل الإعادة مع شفيق كانت مجرد Show وهيروح لحاله، الناس دي ما عندهاش أي رؤية تدير بيها حي على بعضه مش بلد، ومع ذلك هيكابروا ويعاندوا في كل موقف هيفشلوا فيه، وهيضحّوا بكل

رجالتهم في سبيل إنهم ما ينزلوش من على الكرسي بعد ما ركبوه حتى لو الدم وصل للرُّكب.

عندها ينهض المستشار "مكي" وعلى وجهه ملامح الضيق والأسى قبل أن يقول:

— كان نفسي أخوي وصديق عمري يقف جنبي ويفهمني، أول مرة من سنين طويلة يا حسام كل واحد فينا يقف في خندق مختلف بعد ما عشنا عمرنا كله كتف في كتف.

فيُجيبه المستشار "حسام" بابتسامة ثعلبية وهو يقول بلهجة ذات معنى مزدوج:

— معلش، الظاهر إن فيه ناس لما يعدي عليها الزمن تفكيرها بيتغير.

تضيق عينا نائب الرئيس وهو يرد:

— أو يمكن كل ما كبرنا في السن، كل ما فيه حاجات لازم نرميها ورا ضهرنا.

قبل أن يقطع حديثهما "أبيّ" حاملًا صينية بها فنجاجين قائلًا:

— معلش يا فندم سامحني، مالقتش شاي فعملت قهوة، هي قهوتك مش سادة برضه؟

فينظر المستشار "حسام" للمستشار "مكي" مع الجملة وتتلاقى عيناهما طويلًا، بعد أن سكت الكلام، ونطقت رمزية المشهد برسالة فهمها كل منهما على طريقته!

* * *

في الممر المؤدي لغرفة "مجد" بالمستشفى الذي يرقد فيه، تتقدم قدمان أنثويتان بخطوات بطيئة ذات إيقاع، قبل أن نكتشف أنها لممرضة تتلفَّت خلال سيرها لتتأكد أن أحدًا لا يراها، حتى إنها مع

كل خطوة للأمام تسترق النظر للخلف بعينين زائغتين، وما إن تصل لغرفة "مجد" حتى تفتح بابها ببطء حذر، ثم تدخل وتغلق الباب خلفها.

وداخل الغرفة تقترب الممرضة من سرير "مجد" الغارق في غيبوبة عميقة، قبل أن تُخرج حقنة ترفعها في نفس لحظة وصولها إلى جسده، قبل أن تزيح الغطاء من عليه وتقرّب الحقنة منه لتغرسها في وريده وتُفرغ العقار، بينما تندى من جبينها حبّات عرق من فرط التوتر والقلق، لتزفر زفرة حارة بعد انتهاء مهمتها وهي تمسح جبهتها بذراعها، متأملةً ملامح "مجد" بترقُّب، قبل أن تهمّ بمغادرة الغرفة.

* * *

في خلوته مع الرب التي يفضل دومًا أن يُقيمها بجوار عين المياه المقابلة لحديقة الدير المقيم به، جلس على النجيلة الأنبا "كاراس" ذو الجسد الهزيل جدًا، واللحية الطويلة ناصعة البياض إلا من شُعيرات قليلة سوداء، ليردد في خلوته لحن "مباركٌ أنت بالحقيقة" قائلًا بصوت خفيض:

إك إزماروؤت آليثوس نيم
بيك يوت إن آغاثوس نيم بي
إبنيفما إثؤواب جي آك أي آك
سوتى إممون

"مباركٌ أنت بالحقيقة
مع أبيك الصّالح
وروح القُدُس
لأنك أتيتَ وخلّصتنا"

قبل أن ينظر للسّماء ويُطيل النظر، ثم يترقرق في عينيه الدمع، قائلًا بصوت حزين:

– آباءنا الذين غابوا عن الأرض ليكونوا لنا شفعاء في السّماء، الرب ينيّح رُوحَكم بفردوس النعيم، في أحضان الملائكة والقدّيسين، واذكرونا في صلواتكم أمام عرش النعمة ورب المجد يسوع، لتكون بركة صلواتكم معنا، آمين...

قبل أن ينظر حوله فيجد مجموعة من القطط التي تنظر له بترقُّب وكأنها تماثيل من الشمع، فيخرج من جيبه قطعة كبيرة من الخبز يُفتتها بيديه ويُلقيها إليهم، فتأخذ كل قطة قطعتها في صمت دون أي مناوشات أو أصوات، بعد أن اعتادت تلك المخلوقات المشاكسة أن تأنس به وتجلس بين يديه بهدوء.

وما إن التقط الأنبا عصاه الخشبية ليتكئ عليها ناهضًا من مكانه بضعف، حتى وجد ذلك الناشط السياسي الشهير "مدحت أبو عابد" يتطلع إليه بمهابة.

إنه هو، بقامته الفارعة، وجسده الممتلئ بعض الشيء، وشعره القصير الخشن، ونظارته الطبية التي تزوجت وجهه زواجًا كاثوليكيًا لا انفصال فيه.

لقد اعتاد هذا الناشط الثلاثيني مشاغبة الإسلاميين ومعارضتهم تحت قبة البرلمان، وعلى شاشات الفضائيات عبر لقاءات الـ"توك شو"، ليصبح وجهًا ثوريًا بارزًا لفترة من الزمن، دون أن يجد في الحزب الذي انضم إليه بعد الثورة غايته، فإذا به ينفصل عنه ويدعو لتأسيس حزب جديد يكون هو قائده، لتتفاقم أحلامه وطموحاته حتى وصلت إلى كرسي الرئاسة، إلا أن عمره الذي يصغر عن الأربعين بأعوام منعه من هذه الخطوة التي شجعه عليها الكثير من محبيه ودراويشه، لكن بعد فوات فرصة الترشح لم يستطع الرجل العودة

بخياله إلى حيث كان، بعد أن تجاوزت أطماعه حاجز الواقع بكثير، وصارت القوى الثورية أصغر من أهدافه وأحلامه، فهداه تفكيره وشطحاته إلى قلب "الترابيزة" على كل من حوله، قبل أن يتحالف مع رجال المجلس العسكري، ورموز نظام مبارك، ورجالات حزبه الوطني المنحل الذين طالما حاربهم، بعد أن وجد معهم وفيهم القوة الاقتصادية المهولة، والبراعة والتخطيط الجهنمي، الذي افتقرت إليه القوى الثورية والإسلامية في آن واحد، ليصبح أعداء الأمس هم أقرب المقربين إليه في لعبة السياسة القذرة، والمصالح القادرة على تحويل ساحات الحرب إلى ولائم أفراح وليالٍ ملاح.

وعندما سقط القناع أصبح "أبو عابد" وجهًا كريهًا منبوذًا، يتحاشاه رفقاء الميدان وينفرون ويفرون منه كما يفر الناس من الكوليرا.

ورغم حفظه للقرآن الكريم طعنه الإسلاميون في دينه، وأخذوا يفصِّلون الآيات والأحاديث على آرائه ومواقفه.

{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}

{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

وفي تلك الأوقات، توطدت علاقة "أبو عابد" بالكثير من القساوسة وشباب الأقباط حين انتفض للظلم الواقع عليهم، ودعا لنصرتهم ومؤازرتهم باعتبارهم هم أهل مصر الأوائل، وأصحاب الأرض الحقيقيين، حتى جاءت أحداث ماسبيرو لتوطد دعائم هيمنته على شعب الكنيسة، لتلتف حوله الجموع، ويصبح واحدًا من أهمّ المدعوين لمختلف المحافل والمناسبات القبطية.

ومع الوقت ألفت أذناه الترانيم المسيحية، وأصوات الكورال، وأوتار المعازف الكنسية، ليهيم في سحر هذا العالم وأنغامه.

رأى فيمن حوله المحبة، والابتسامة، والحنان الذي افتقر إليه في أصحاب اللحى والزبائب، لينجذب أكثر نحو أصحاب الكهنوت وملابسهم السوداء، لكن قلوبهم كانت إليه أنصع من البياض.

وها هو يحسم قراره ويذهب إلى ذلك الأنبا العزيز على قلبه، رغم أنه أقل مَن عرفهم في الكلام والحديث، وأكثرهم صمتًا وهدوءًا، لكن كل كلمة كان ينطق بها كانت بميزان، إذ تُغني عن عشرات الكلمات، وتنهل من بحر الحكمة التي يتلقاها من السماء.

"خير يا ابني؟"

قالها الأنبا "كاراس" بنبرة رفيعة كأنها تخرج من أنفه، وهو يتطلع إلى وجه ضيفه بنظرة مَن يعرف لماذا أتى، قبل أن يُجيبه "أبو عابد":

- أنا فكرت كتير قبل ما آجي لقداستك يا أبونا، بس خلاص، خدت القرار.

- لو كنت فعلًا أخدته فانت مش محتاج لي، الباب اللي محتاج تعدي منه مالوش حارس غير نفسك، يا تسمح لك تعبر، يا تمنعك وتفضل في مكانك.

- محتاج حد ياخد بإيدي بعد العبور.

- العبور هيخليك حر، والأحرار مش محتاجين حد ياخد بإديهم بعد ما يتخلصوا من عبوديتهم.

- بس يا أبونا....

- اسمع يا ابني، إحنا ما بنجريش ورا حد ونقول له تعال معانا، إحنا بابنا مفتوح واللي عايز يدخل أهلًا وسهلًا، المهم يكون قادر إنه يدفع التمن ويضحي عشان النور يملا قلبه زي ما غيره كتير ضحوا قبل منه، وفي الظروف اللي إحنا فيها والاتهامات الباطلة اللي

بتتوجه لنا كل لحظه [illegible] في صراع مع حد، أو نكون وسيلة لتصفية الحسابات [illegible] الجأ للرب واطلب منه يساعدك واوصل له من بوابة السما، صدفني هتلاقيها أقرب بكتير من بوابة الدير.

- أنا مش بعمل كده عشان نفسي وبس يا أبونا، أنا بعمل كده عشان كل قبطي مظلوم بيتعرض للظلم والاضطهاد في بلده، شباب الكنيسة محتاجين لقيادة شابة تقودهم للـ...

- إحنا ما عندناش غير قائد واحد كلنا ماشيين وراه، ولو على الظلم والاضطهاد فإحنا واخدين عليهم وما بيفرقوش معانا، ياما استشهد منا ناس، وبنسمع شتيمتنا بودانا في الميكروفونات لكننا عارفين كويس إحنا مين وما بتفرقش معانا الحاجات دي، والدم عندنا معناه الانتصار مش الهزيمة من يوم ما يسوع سال دمه على الصليب، لو قلبك علينا فإحنا لسه بخير، ولو قلبك على نفسك يبقى القرار عندك مش عند حد تاني، ربنا ينور قلبك.

ثم استدار الأنبا العجوز ببطء متوكئًا على عصاه نحو حجرته الصغيرة التي يقيم بها في الدير، ومن خلفه "أبو عابد" يتطلع إليه بنظرة طويلة حتى غاب الأنبا عن الأنظار، ليستدير "أبو عابد" وهو يعدل من وضع نظارته قبل أن يعود من حيث أتى.

* * *

في مكتب الإرشاد بالمقطم، جلس المرشد في مكتبه ممسكًا بعصا خشبية، مع مساعده الأول "حودت الناظر" و"شوقي الجزار" عضو مكتب الإرشاد، ليجلس [illegible]ثلاثتهم على أنتريه فخم من محلات "استرسال" التي يملكها "[illegible]" [illegible]تتوسطه مائدة صغيرة في غاية الأناقة، وخلفهم مكتب [illegible] موجود بجواره العلم الأخضر لجماعة الإخوان المسلمين [illegible] شعارهم المكوَّن من سيفين متقاطعين وتحته جملة [illegible] يقول المرشد:

- حسب آخر إحصائياتنا، وصل عدد أعضاء الجماعة لحوالي 800 ألف عضو عامل بالإخوان، ووصل دعمهم الشهري للجماعة لحوالي تلات تربع مليار جنيه في الشهر، وهي دي قوتنا الحقيقية، بعيدًا عن محبي الجماعة والمؤيدين لقراراتها، يمكن فايدة المحبين إنهم بيوحوا للإعلام إن عددنا أكبر وبيعملوا حالة فزع في قلوب خصومنا، لكن مش عايزين ننسى إنهم لا بيدفعوا دعم شهري من مرتباتهم ولا هينزلوا يدافعوا عن قراراتنا وقت الجد، ده غير إن منهم اللي عامل نفسه مُحِب للجماعة عشان بيدور على مصالح شخصية أو بيتجسس علينا لصالح أحزاب وجهات تانية.

ليلتقط "جودت الناظر" ملفًّا من على المائدة الصغيرة ويلوِّح به قائلًا بحماس:

- تمام فضيلتك، أنا والإخوة عملنا مشروع لو اتنفذ صح، هيحوِّل مُحبِّي الجماعة لمؤيدين وساعتها هيرفع عدد الجماعة لحوالي 100 مليون عضو حوالين العالم قبل ما تخلص المرحلة الأولى من الرئاسة في 2016.

يمد المرشد يده ويأخذ الملف متسائلًا بترقُّب:

- اشرح لي، إزاي؟

يأخذ "الناظر" نفسًا عميقًا قبل أن يقول:

- إحنا هنعمل مشروع بتمويل إخواني لتيسير جواز شباب الجماعة من الأخوات، وهنوفَّر لهم المسكن داخل مجمعات سكنية هتتبني مخصوص لشباب الجماعة بالمدن الجديدة وبتسهيلات كبيرة، ده غير إننا هنوفر الوظيفة للزوج في مؤسسات الإخوان بالداخل والخارج، وده على المدى البعيد هيلغي المعارضة في الأجيال اللي هتتولد من أب وأم إخوان، ومع زيادة التسهيلات لشباب الجماعة هيسعى عدد كبير من المحبين إنهم يدخلوا الجماعة بشكل رسمي

وفيه منهم اللي هيتجوز بنات من عندنا بعد ما يعرف إنه هياخد مميزات وتيسيرات إذا بقى واحد مننا، ومع الوقت أولاده هيبقوا ولادنا.

يهز المرشد رأسه بتفُّهم، قائلًا بهدوء وطمأنينة:

– فكرة حلوة لو اتنفذت صح، بارك الله فيك.

ثم يلتقط الفنجان الموضوع أمامه على المائدة ليرشف منه مشروب الزنجبيل المفضَّل لديه، مُستطردًا:

– وإيه أخبار باقي اللجان بتاعتنا؟

فيُجيبه "الناظر" مُسرعًا:

– والله فضيلتك إحنا عندنا دلوقتي لجنتين، كل واحدة فيهم قايمة بدورها على أكمل وجه، سواء الوحدة "أ" مخابرات اللي فيها شباب الجماعة اللي مش ملتحين، ودورهم التنسيق مع مختلف العمّال والقيادات الوظيفية في كل شركات الدولة الحكومية والخاصة، وقدروا الفترة اللي فاتت يجمعوا معلومات عن مطالب وشكاوى العمّال والموظفين، عشان نعرف إزاي نغريهم ينضموا لنا الفترة الجاية وما يعارضوش فكرة تعيين قيادة إخوانية على راس كل هيئة في الدولة، ده غير دور اللجنة في تجنيد عيون لينا جوّا الأحزاب والحركات السياسية.

يصمت المرشد لبرهة يومئ فيها برأسه متفهمًا، قبل أن ينصت باهتمام لتقول عينه لـ "الناظر" أن يُكمل، فيستطرد:

– الوحدة التانية فضيلتك هي وحدات الرصد والاستطلاع اللي بتتواجد في كل مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت، ده غير طبعًا تواجدها في باقي المواقع والمنتديات، ودورها إنها ترصد آراء الشباب، والنشطاء السياسيين، وصفحات الفلول، والمعارضة، عشان نعرف بيفكروا إزاي وناويين على إيه، ووقت اللزوم بيقوم شبابنا بكتابة حملة من التعليقات المختلفة عشان ينشروا الخلاف والتشتيت بين أعضاء الصفحات دي، ده غير حالة الحشد اللي بيقوموا بيها في صفحاتنا لكل حدث خاص بينا، والسلبيات والأخطاء اللي بينشروها عن خصومنا من فترة للتانية عشان يكشفوهم للرأي العام بالصور والفيديوهات والمقالات.

يصمت "الناظر" قليلًا مُتطلعًا لعين المرشد، قبل أن ينظر لـ "شوقي الجزار" نظرة ذات مغزى، فيقول الأخير:

– بس في الحقيقة فضيلتك إحنا لسه محتاجين لوحدة جديدة هيكون لها دور مهم الفترة الجاية.

فيسأله المرشد:

– وحدة إيه؟

– وحدة التأمين والاشتباك.

تتوتر ملامح المرشد إلا أن "الجزار" يتابع سريعًا قبل أن يمهله وقتًا للرد:

– فضيلتك عارف إن وصولنا للحكم بداية المشوار مش نهايته، في بلد أكتر من 45 في المية منه ما انتخبتناش، ولسه الجيش والداخلية فيهم قيادات كتير مش مرحّبة بالانتصار اللي حققناه، وما عندهمش أي مانع يتحالفوا مع الشيطان عشان يرجعوا يضطهدونا ويحبسونا، ده غير إن الفلول معاهم اقتصاد البلد الحقيقي والمعارضة اللي اضطرت تنتخبنا بدأت من دلوقتي تقلب علينا، يعني من غير قوة هنتفرم ومش هنحقق أي هدف من أهدافنا.

يمط المرشد شفتيه ثم يسأل:

– اشرح لي دور وحدة التأمين والاشتباك بالتفصيل، تقصد بيها

حرس ثوري زي إيران؟

– لا فضيلتك مش بالظبط، إحنا هنشكّل مجموعة كبيرة من الوحدات، جوّا كل وحدة 20 شاب ليهم صفات معينة وقوة جسمانية عالية، وهيكونوا من أصحاب الخبرات في فض المظاهرات والاعتصامات، وهنخلي لكل وحدة قائد فرعي، بحيث يخضع كل القادة الفرعيين في النهاية لقائد بنثق في ولائه بشكل مطلق، وهتنشر الوحدات دي في القاهرة والإسكندرية والسويس بشكل مبدئي عن طريق توظيف أعضاء الوحدات دي في شركات أمن وحراسة بتتعامل معاها الجماعة، ومنه نبقى وفرنا لهم فرص عمل مناسبة لمهمتهم، ومنه يبقوا جاهزين لتنفيذ أوامرنا جنب موقع الحدث لو حصلت في الأمور أمور.

يسرح المرشد قليلًا مع كلمات "الجزار" قبل أن يقول بصوت هادئ ونبرة اعتاد دومًا أن يُخرجها رزينة:

– على بركة الله، والله المستعان، بس الأول يهمني أعرف مين اللي هيتولى قيادة وحدة التأمين والاشتباك؟

فيجيبه "الناظر" بلا تردد:

– صهيب البنجاوي.

– ابن حسن البنجاوي؟

– تمام فضيلتك، الولد ده رغم إنه لسه صغير في السن بس شعلة نشاط وحماس، وولاؤه للجماعة زي ولائنا للإسلام، ده غير إنه تربية واحد من أذكي قيادات الجماعة وابن الوز عوام فضيلتك، هو موجود برًا لو ما تمانعش إنه ينول البركة.

فيبتسم المرشد قائلًا:

– ده انتم كمان جايبينه ومحضّرين كل حاجة!

فينهض "الناظر" من مكانه ليتجه نحو باب المكتب قائلًا:

– لولا ثقتنا في موافقة فضيلتك ما كناش عملنا كده من نفسنا.

ثم يثني مقبض الباب ليفتحه مناديًا:

- تعال يا صهيب سلّم على فضيلة المرشد.

ليدخل على الفور شاب عشريني ذو قامة فارعة وجسد ضخم ممتلئ أقرب لديناصور منقرض، وشعر طويل انسدلت خصلاته الناعمة على وجه ملتحٍ محاصر بين خدين أشبه كل منهما ببالون منتفخ، وما إن يلمح الشاب المرشد حتى يتجه نحوه بخطوات مسرعة أقرب إلى الهرولة، لتتصافح الأيدي ثم ينحني الشاب بسرعة لتقبيل يد مرشده، قبل أن يربت المرشد على كتفه قائلًا:

- بارك الله فيك، أنا سامع عنك سمع خير ووالدك طول عمره سيرته سابقاه، عايزك تبقى أحسن منه.

فينظر الشاب إلى الأرض خجلًا، رغم ضخامته، ليقول بصوت متحشرج غليظ بعيد كل البعد عن نبرة الاحترام والوقار الصادرة عن حنجرته:

– إن شاء الله فضيلتك، أنا فدا الإسلام والجماعة اللي ماشية على تعاليمه ومبادئه لحد ما نحقق حلم الخلافة أو نستشهد دونه.

لتقبض يد المرشد على عصاه وهو يغرسها في الأرض، قبل أن يقول بنبرة أغلظ مليئة بالثقة:

- {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

* * *

الفصل الخامس

كميِّتٍ يجذبه الملكان في قبره فور انتهاء الدفن، يستيقظ "مجد" ليجد نفسه على سرير بسيط في غرفة واسعة ذات إضاءة بيضاء خافتة تضيء جزءًا صغيرًا فيها، ولا يوجد بها سوى السرير الذي يرقد فوقه، بينما يتقدم نحوه من الناحية المظلمة في الغرفة شخص غرقت ملامحه في الظلام، وتتشح ملابسه بالسواد بطريقة أضفت عليه مزيدًا من الغموض، وجعلته أشبه بالرهبان السريين، ليتوقف على مسافة مناسبة من سرير "مجد" دون أن تتضح ملامحه، بينما ينظر إليه "مجد" بضعف قبل أن يقول الرجل الغامض:

- حمد الله على سلامتك يا مجد.

فيُجيبه "مجد" بدهشة خالطها الإعياء والضعف:

— أنا فين؟ "**يسعل بشدة ثم يكمل**" وانت مين؟

— أنا حكيم المنصة، ودي منظمة نبض العدالة السرية اللي ماحدش يعرف وجودها غير نخبة من رجال الشرطة والنيابة والقضاء.

أثارت كلمات الرجل حيرة "مجد" أكثر، وجعلته أكثر ظمأ للمزيد، وهو يجاهد في إرسال نظره إلى الأمام لاختراق حاجز الظلام وفحص ملامح المتحدث، بلا جدوى، قبل أن يتابع الرجل:

— أعضاء المنظمة اتجمعوا هنا لهدف واحد، تحقيق العدالة اللي ماقدرش يحقـقها القانون، وباعتبارك قاضي مش محتاج أفهمك إن القانون بسبب ثغراته ليه ضحايا كتير، انت واحد منهم، عشان كده إحنا اخترناك عشان تنضم لنا.

يقترب الرجل الغامض فتتضح ملامحه أكثر. إنه رجل في الخمسينات من عمره،حليق شعر الرأس تمامًا، متوسط الطول، له عينان يُطل

منهما ذكاء حاد وبريق مميز، وسكسوكة مهذبة، أكسبته مزيدًا من الوقار والمهابة.

يواصل الرجل اقترابه من السرير، حتى يقترب من وجه "مجد" لتتلامس أنفاسهما.

"مجد" يتأمل وجه الرجل بنظرات حائرة وقد خذله ضعفه وتهالُكه على اتخاذ أي رد فعل أو الخوض في أي نقاش، مكتفيًا بما تبوح به عيناه لتعبر عنه، بينما يتابع حكيم المنصة كلامه وهو يمسك السرير الراقد فوقه "مجد" قائلًا:

— كل عضو انضم لنا رقد على نفس السرير، وقام من عليه مخلوق تاني، بعد ما اتولد على إيدنا من جديد.

يستجمع "مجد" قواه الخائرة فيسعل رغمًا عنه، قبل أن يقول بتهالُك خالطه القليل من الصرامة:

- أنا ما بنضمّش لجماعات سرية.

لكن "حكيم المنصة" أجابه بتحدٍّ واثق:

- مافيش قدّامك خيار تاني.

نجحت جُملته الأخيرة في تجميع طاقة "مجد" المبعثرة، ليقول بتحدٍّ مماثل:

— حتى لو هتـقـتلوني...

— ومين قال إننا بنقتل اللي بيرفضوا؟ المشكلة كلها إن خيار الرفض في حد ذاته مش موجود في حياة اللي بنختارهم، خصوصًا لما تعرف إن دم أمك ضاع هدر، وإنك المفروض دلوقت ميت بعد حقنة مسممة حقنوك بيها عشان تبان وفاتك طبيعية، لكن إحنا أنقذناك بمعجزة، وحطينا الأمور في نصابها الصحيح.

ترتسم الدهشة في عيني "مجد"، بينما يتابع "حكيم المنصة" بنبرة أعمق:

– قبل ما أكلمك عن اللي عملناه معاك خليني الأول أفهِّمك يعني إيه جماعة سرية.

مع آخر حرف في كلامه، ينطفئ نور الغرفة ليسود الظلام، بينما يتردد صوت "حكيم المنصة" بعمق أكثر وأكثر:

– كل ما زاد انفتاح العالم على بعضه، كل ما زاد انتشار الجماعات السرية اللي بتتصارع بشكل خفي على نشر مبادئها وزيادة أتباعها، لكن كلمة جماعة سرية مش دايمًا دليل إدانة، خصوصًا لو كان لها هدف مقدس بتحاوطه بالكتمان والألغاز عشان تحافظ عليه.

الآن يعمل بروجكتور في الغرفة المظلمة ليعرض صورًا متتابعة لهيكل سليمان، ثم صور للسيد المسيح وأتباعه، وصور أخرى للكعبة الشريفة والمسجد النبوي وجبل عرفات، بينما يتابع "حكيم المنصة":

– الرسل وأتباعهم ذات نفسهم بدأوا الدعوة لأديانهم في السر، يعني في بدايتهم كانوا جماعات سرية.

يعرض البروجكتور صورًا لأشهر شعارات الشركات العالمية متعددة الجنسيات، في حين يردف "حكيم المنصة":

– شركات التجارة العالمية اللي بتتحكم في اقتصاديات العالم، لها خططها وسياساتها اللي ما يعرفهاش غير عدد محدود من أعضاء مجالس إدارتها، يعني جماعات سرية.

عرض صور لباراك أوباما وأنجيلا ميركل وبان كي مون:

– الحكومات ونظم الحكم اللي بتتحكم في كوكبنا، لها أسرارها اللي الشعوب ما تعرفهاش، يعني جماعات سرية.

* * *

الآن أصبح "مجد" و"حكيم المنصة" فوق قمة الجبل الذي تستقر فيه منظمة "نبض العدالة" السرية، وفي الخلفية صحراء واسعة بينما يتابع "حكيم المنصة" كلامه وهو يسير مع "مجد"، وقد شارفت الشمس على المغيب:

– انت نفسك، جواك أسرارك الخاصة اللي عمرك ما بُحت بيها لمخلوق، يعني جواك جماعة سرية، انت زعيمها وعضوها الوحيد.

يُكملان السير فوق قمة الجبل، حتى ينظرا من زاوية أخرى تُظهِر تجمُّعًا كبيرًا من المقاتلين، يُشير "حكيم المنصة" إليهم، ويتابع:

– العدالة الحقيقية هي أكبر عدو لمجتمع بيقدس القوانين، لأن القوانين فيها ثغرات تقدر تستثني الكبار من العقاب في حالة إثبات التهم عليهم، لكن عدالتنا بتسود في السر، وبتنتقم للصغير من الكبير اللي القانون ما عرفش يطوله.

ومع كلماته الأخيرة، يلتفت "حكيم المنصة" إلى "مجد" ببطء ويتابع ملامحه بتأمُّل مرسلًا عبر عينيه كل النظرات التي تقول له: اقتنع. بينما تُطل من عيني "مجد" كل حيرة الكون وقد عجز عن إيجاد الرد المناسب، وبدت الكلمات أثقل على لسانه من جبال الهيمالايا، فيظل على هذا الوضع والنظرات الزائغة لا يحرك جوابًا، في حين بدا عقله يميل للاقتناع.

* * *

في إحدى قاعات منظمة «نبض العدالة» يرقد "مجد" عاريًا في تابوت مكشوف موضوع على مائدة مستديرة ضخمة يحيط بها عدد كبير من أعضاء المنظمة الذين يرتدون جميعًا بدل سوداء، حتى القمصان وأربطة العنق، غير أنهم ارتدوا جميعًا أوشحة تشبه تلك التي يلبسها القضاة والمستشارون، وقد عُلِّقت على الجدران المشاعل التي انعكس لهيبها على الوجوه لتكسبها اللون الذهبي، بينما تراقص ضيها في الأعين لتحيط المهابة بالموقف، ويضفي

الغموض سحره وتأثيره، قبل أن يتقدم "حكيم المنصة" وتتضح ملامح وجهه بوضوح، ليقرأ من كتاب في يده قائلًا بخشوع:

– الحق الحق أقول لكم، إن حبات الفاكهة إن بقيت معلقةً في الأشجار فستظل تنمو وحدها، ولكن إن ماتت فستعود إلى الأرض وتأتي بثمرٍ كثيرٍ، لذا كان حقًّا علينا أن نموت حتى تستمر بموتنا الحياة، ويستزيد برحيلنا النقصان، والآن بعد الموت، يُبعث فينا رجل آخر يوقن معنا أن العدل أساس الملك، وأن الله الذي بيده ملك كل شيء، قد سخَّر لملكه حُراسًا حتى يكونوا أعمدة هذا المُلك.

وبعد أن يقرأ "حكيم المنصة" هذه الكلمات، يقترب رجلان، يبقى أحدهما عن يمين "مجد" والثاني عن يساره، ثم يعاونانه على الجلوس نصف جلسة، ثم يقترب منه "حكيم المنصة" قائلًا:

– مجد الدين مهران، رجل العدالة وضحيتها، سعينا إننا نضمك لينا بعد ما حققنا لحياتك العدل المفقود اللي ما قدرش يكفله لها القانون.

"حكيم المنصة" يشير لأعلى حيث سقف القاعة المرتفع الذي نجد فيه شاشة ضخمة مطفأة، قبل أن تعمل فجأة لتعرض العديد من مقاطع الفيديو.

– في المستشفى...

الممرضة التي حقنت "مجد" بحقنة السم، تستدير لمغادرة الغرفة فتجد ثلاثة من الملثمين يرتدون زي المنظمة أمامها، فتطلق شهقة ذعر قبل أن ينقض عليها أوسطهم ويقبض على عنقها.

– في غرفة مظلمة ليلًا...

نجد الممرضة مُكبلة على كرسي، وقد نام رأسها على صدرها، في حين تتسلط إضاءة بيضاء خافتة على وجهها، وإلى جانبها رجلان ملثمان من مقاتلي المنظمة، قبل أن يقبض أحدهما على شعرها ليرفع رأسها، فيظهر وجهها الممتلئ بالكدمات الزرقاء والحمراء، ثم تنظر لكاميرا الفيديو التي تصورها وتصرخ بانهيار:

– قابيل الهراس هو اللي دفع لي 20 ألف جنيه عشان أقتل القاضي مجد الدين، كان عايز ينتقم منه بعد ما سجنه في قضية الرشوة.

– في زنزانة فردية...

رجل الأعمال "قابيل الهراس" مبلل الملابس، منكوش الشعر، في هيئة رثة وملابس مُزرية، وقد تم تقييد يديه في قيود تتصل بالسقف لتظل يداه مرفوعتين، وقد أحاط به مقاتلو المنظمة الذين يحملون المشاعل، في حين ينظر ينظر للكاميرا التي تصوره ويقول بهلع:

– بعد ما حاولت أقتله، رشيت بتوع المعمل الجنائي عشان قتل مجد وأمه ما ينكشفش.

أحد المقاتلين يرمقه بنظرة نارية، قبل أن يقول له بصوت أجش:

– زي ماجبناك من زنزانتك وخدنا منك الاعتراف، نقدر نقتلك ونهرّب جثتك برًا السجن والكل هيفتكرك هربان لو رجعت في كلامك قدام النيابة، إحنا القانون بتاعنا مالوش ثغرات يتلعب عليها غير إنك تعترف باللي عملته.

- في مكتب التحقيقات...

وكيل النيابة "طايع البلك" ينظر لرجل الأعمال "قابيل الهراس" والممرضة ويسألهما بصرامة:

- الاعترافات المتصورة لكم دي حقيقية؟

ينظر "الهراس" والممرضة لبعضهما ويتذكران ما حدث لهما،

فيصمتا قليلًا، قبل أن يصرخ فيهما وكيل النيابة:

- انطقوااا!...

يهزان رأسيهما في اعتراف ضمنيّ بما فعلاه، وقد صوَّب كلٌّ منهما عينيه للأرض في حين يردد "قابيل الهراس" بضعف وتهالُك:

- إحنا هنعترف بكل حاجة.

مانشيت الصفحة الأولى في جريدة المستقبل: "**اعترافات مثيرة في قضية قابيل الهراس وممرضة القاضي مجد الدين**» وتحت الخبر نجد اسمي الصحفيين **"رحمة البدري" و"براء فاروق"**.

ومع انتهاء عرض الفيديو الذي شاهده "مجد" في الشاشة العُلوية بالسقف، يسأله "حكيم المنصة":

— وبعد اللي شوفته، إيه اللي يخلينا نضمن إنك هتفضل على انتمائك لينا بعد ما حققت عدالتك المفقودة ومبقتش محتاج لنا؟

"مجد" ينظر له حائرًا دون أن يجيب، فيتابع "حكيم المنصة":

— الحياة في أوقات كتير بتحول الملايكة لشياطين والشياطين لملايكة، والفيصل بين التحول من النقيض للنقيض هو القدرة على احتمال الألم.

"حكيم المنصة" يلتقط الشعلة من أحدهم ويلوِّح بها أمام "مجد" ويسأله بتحدٍّ:

- هتقدر تتحمّل الألم؟

"حكيم المنصة" يقرِّب الشعلة من جسد "مجد" وفي عينيه التحدي والصرامة والحزم...

* * *

في صحراء تحيطها الجبال والكهوف، حيث يتوسط قرص الشمس كبد السماء، نرى "مجد" يتلقى تدريبات شاقة مع عدد من المقاتلين الذين يدربونه ويتدربون معه في الوقت نفسه، وتتباين هذه التدريبات ما بين حركات بهلوانية صعبة، وقفزات خطيرة، بخلاف القتال بالسيوف والخناجر الذي ينتصر فيه "مجد" دائمًا وسط إعجاب الجميع وانبهارهم بأدائه.

وفي فترة الراحة، جلس "مجد" وحيدًا في الصحراء وقت الغروب، لتعود نفس الموسيقى الشبيهة بمقطع Secret Garden - ADAGIO تتردد في عقله من جديد.

ومع عودة أنغامها، عادت أحداث الماضي لتنساب عبر ذاكرته وتتجسد أمام عينيه على الرمال، وكأن الصحراء باتت شاشة سينما لا يشاهد الفيلم المعروض بها سواه، قبل أن يتوقف الزمن عند ذلك المشهد الذي رأى فيه ذلك العصفور الصغير، ورفض أن يجعله هدفًا لسلاحه وقت أن كان والده يدربه على الرماية، ليرى أمام عينيه نفس العصفور الجميل يسير ببراءة وسط الصحراء ليُقبِّل حبات رملها بمنقاره، بحثًا عن أي أمل في ملء أمعائه الخاوية.

رأى "مجد" نفسه بعين الذكريات وهو طفل صغير يُلاعب العصفور ويُعطيه فُتات ساندوتشاته، ويمسح على ريشه الناعم الجميل، دون أن يخشاه الطائر البريء أو يحاول الهرب، بينما لا زالت الموسيقى الناعمة تتردد في عقله وتجعله كالمسحور.

ثم عقد حاجبيه بدهشة وقد طرد الواقع ذكرياته، وأفاقه على مصادفة قدرية غريبة حين رأى أمام عينيه نفس العصفور من جديد في زمن غير الزمن، ومكان غير المكان، غير أن الظروف تكاد تكون واحدة، بصحرائها، والأحداث الحزينة، وفقدانه لأشخاص آخرين جدد رحلوا ومعهم جزء جديد من قلبه الذي انفطر عليهم حزنًا وكمدًا، ليتذكر في آن واحد رحيل جده ووالدته، بينما يتصاعد دويّ الموسيقى الحزينة في عقله ويهز كيانه ووجدانه.

نهض ببطء وهو يتأمل العصفور ليقترب منه بنفس الخطوات الحذرة وذات الطريقة القديمة، بينما لا زال العصفور يعانق الأرض ويقبل حباتها دون أن يجد رزقه الذي لم يأذن به الله بعد، وما أن أصبح "مجد" على بعد سنتيمترات منه حتى انقض صقرا من السماء غارسا مخالبه في جسد العصفور الضعيف قبل أن يحلق به بعيدا في غمضة عين، ليصبح الطائر البريء الذي كان يبحث عن الرزق مصدرا لرزق مخلوق أخر، بينما يشخص نظر "مجد" نحو السماء وقد أوجعه قلبه وهزمته مشاعره المرهفة على ذلك المخلوق الجميل الذي أصبح فريسة في زمن لا يعترف إلا بالفتك والأنياب المسنونة.

ورغما عنه، وجد "مجد" نفسه في ذلك العصفور البائس، ليشعر أنه الضحية التي اختطفتها أنياب القدر لتفترس براءته، وتمزق طيبة قلبه، قبل أن تنشر الدم على نواصي الذكريات!

وفي غرفته الخاصة بالمنظمة، ارتدى "مجد" قميصا أسود اللون، مرفوع الياقة، مجسم الهيئة، يظهر عضلاته المفتولة، وحذاءا ضخما قويا، وقفازا تظهر منه نصف أصابعه، مثل الذي يرتديه رواد صالات الجيم، وعلى عينيه يضع نظارة رؤية ليلية تصبغ الكون حوله باللون الأخضر، قبل أن يلف قماشة سوداء شفافة أكثر من مرة على نصف وجهه الأسفل حتى تتحول من اللون الشفاف إلى الأسود القاتم الذي يخفي ما تحته، ثم يلف الجزء الشفاف المتبقي منها على نصف وجهه الأعلى بعناية حتى لا تخفي الرؤية عن عينيه، وفي الوقت نفسه تداري معظم ملامحه وتحيطه بالغموض.

بعدها يخرج "مجد" في هواء الصحراء الطلق بهيئته المثيرة التي تبعث على الرهبة في قلب من يراها، حاملا «خفاش طائر»، وهو عبارة عن طائرة شراعية بلا محركات يتم فردها في الهواء والإمساك بها جيدًا، ثم الجرى بها فوق مكان مرتفع قبل أن يقفز حاملها في الهواء ليطير بها، ويمكن للشخص الذي يمسك بها أن يوجهها إلى حيث يريد، ليتوجه "مجد" بخفاشه الطائر إلى الجبل ويشرع في الصعود.

الآن يمسك "مجد" بالخفاش الطائر فوق الجبل، قبل أن يجرى ويقفز متعلقًا به جيدًا ليحمله الخفاش الطائر في الهواء ببراعة منقطعة النظير، ليحوم به حول المنظمة، قبل أن يهبط به في قلب الصحراء أمام "حكيم المنصة" الذي يصفق له ببطأ، وعلى وجهه نظرة إعجاب تسللت من بين بريق عينيه الصارم وهو يقول:

– أداءك في التدريبات أسرع من المتوقع بمراحل، اللي علّمناه لأعضائنا في شهور أنت عملته ف أيام، **"ينظر إلى خفاش مجد الطائر ويتابع"** وبالخفاش اللي ف إيدك ده هتبقى واحد من الأبابيل

– **أبابيل؟**

– لما أبرهة الأشرم حشد جيوشه لمكة عشان يهدموا الكعبة، ماكانش فيه توازن بين قوى الخير والشر، مش لأن الخير كان ضعيف والشر قوى، لكن تقدر تقول إنه ماكانش فيه خير أصلا، وكان اللي موجود وقتها شر، وشر أقوى منه، عشان كده جه التدخل المناسب من السما لما ربنا بعت طيوره الأبابيل، اللي شايلة ف رجليها أحجار جهنم للقصاص من الشر المطلق وتحقيق التوازن المطلوب في الكون بين قوى الشر، ومع موت الأنبياء والرسل ونهاية عصر المعجزات، فضلت طيور الأبابيل في السما عشان تراقب الأرض من بعيد وتحقق التوازن في أي لحظة يحصل فيها إخلال بميزان القوة، لحد ما جه الوقت المناسب عشان ترجع للأرض وتعمل التوازن المطلوب، بعد ما بقينا عايشين بين شر، وشر أقوى منه من جديد

يصمت "مجد" ممررا الكلام في ثنايا عقله وفلتر ضميره وهو يفرز كل حرف فيه، بينما يستطرد "حكيم المنصة":

– ودلوقت قول لي، إيه المكافأة اللي تطلبها قصاد التألق اللي بتثبته كل يوم؟

يقترب "مجد" منه بظفر، وفي عينيه نظرة من يعرف ماذا يريد قبل أن يصبح أمامه مباشرة ويسأله:

– إنت مين؟

فيتجمد "حكيم المنصة" في مكانه للحظات كتمثال شمع، قبل أن يعود بالذاكرة إلى الوراء بينما تنساب الكلمات على شفتيه كمعلق صوتي ينطق بصوت أبو الهول في عروض الصوت والضوء على أحداث تتراص أمام عينيه من الماضي الحزين.

"المستشار مظلوم غلاب، واحد من اللي حاولوا يحافظوا على شرف المهنة، فدفعوا التمن غالي"

في ذكريات المستشار "مظلوم"، يقف في لجنة انتخابية أمام صندوق انتخابات خشبي موضوع على مائدة في غرفة واسعة بها عدد من الموظفين، بينما نرى عدد من المواطنين يدخل ليدلي بصوته في انتخابات مجلس الشعب، و فجأة يقتحم اللجنة عدد من البلطجية الذين يحملون الأسلحة البيضاء ليجري الموظفين خارج اللجنة، بينما يقف "مظلوم غلاب" حائلا بين البلطجية وصندوق الإنتخاب ليتبادل معهم نظرات التحدي الصارمة

"في يوم من الأيام، انتدبوني بصفتي قاضي عشان أشرف على لجنة فرز الأصوات، في واحدة من الدواير الإنتخابية بانتخابات مجلس الشعب، ولما كانت أصوات الناخبين ضد مصلحة مرشح كبير من الحزب الوطني، كان نازل بكل تقله وواخد فوزه في الانتخابات مسألة حياة أو موت، أجر بلطجية عشان يخطفوا صندوق الإقتراع ويغيروا الأصوات لصالحه"

البلطجية يتقدمون نحو "مظلوم غلاب" ويصفعوه على وجهه عدة مرات، ثم ينهالوا عليه ضربًا حتى يسقط على الأرض غارقا في دمائه، وبرغم ذلك لم يرحموه وظلوا يدهسوه بأحذيتهم وسط صمت رجال الشرطة الذين أتوا ووقفوا سلبيين، وكأن على رؤوسهم الطير!

"ما خوفتش من أشكالهم الضالة ورفضت أسلمهم الصندوق، كنت متخيل إن كلمة قاضي هتخوفهم لكن مع أول ضربة خدتها، عرفت إن المناصب ما بتحميش أصحابها خصوصًا من الظلم، وأتعرضت لضرب مبرح لو كان غيري اتعرض ليه، كنت حكمت على اللي ضربه بالإعدام"

"مظلوم غلاب" داخل سيارة إسعاف وهو مصاب إصابات بالغة، والدماء والكدمات تغرق جسده ووجهه، بينما تمزقت بذلته، وفي المستشفى يحاول فريق طبي إسعافه، ثم نجد طبيب يتحدث مع فتاة جميلة في حالة إنهيار، وما أن تسمع كلمات الطبيب حتى تطب ساكتة وتظل تنتفض، ثم تفقد عينيها بريق الحياة دون أن تفلح محاولة الطبيب في إنقاذها

" فين وفين عقبال ما جت الإسعاف، ولما وصلت المستشفى في حالة إعياء شديد، جت بنتي الوحيدة على ملى وشها بعد ما وصلها الخبر، وهناك عـرفت إني مصاب بجروح قطعية وكسور مضاعفة في العضم وحالتي خطر، قلبها الضعيف ما استحملش، وطبت ساكتة ف ساعتها"

الآن يعود "مظلوم غلاب" من ذكرياته الحزينة، ليقول بعينين دامعتين:

– هو ده المعنى الحرفي لكلمة «علامة فارقة» في حياتي، وأول

خطوة لتأسيس منظمة نبض العدالة

بالمثل تتلألأ الدموع في عينى "مجد" وهو يزفر زفرة حارة يقول بعدها:

- أنا كمان ف حياتى علامات فارقة كتير، موت أمى ما كانش أولهم

قبل أن يغرق "مجد" في ذكرياته هو الآخر

* * *

نوفمبر 2004

فى غرفته المجهزة بالعديد من الأجهزة وأدوات التدريب لتبدو بمثابة جيم مصغر، نرى "مجد" وهو يمارس تدريباته البدنية الشاقة وتظهر عضلاته المفتولة، وجسده القوى،

الآن نسمع صوت طرقات خارجية على الباب، فيرد "مجد" بصوت منهك من جراء التدريبات العنيفة:

— أدخل

والدته تدخل وعلى وجهها دهشة ممتزجة بالضيق وتغمغم:

— مفيش فايدة

"مجد" يواصل التمارين دون أن يلتفت إليها قائلًا بلامبالاة وكأنه لم يسمع جملتها:

- فيه حاجة يا ماما؟

والدته تعقد حاجبيها ثم تقول بغيظ:

— طبعا أنت فاكر كل الخناقات اللي اتخانقتها معاك بسبب إنك بتصحى تهد نفسك من أول اليوم قبل حتى ما تفطر وتصلى

"مجد" يتوقف عن التمرين للحظات يلتفت فيها لوالدته ويرد عليها:

— وطبعًا انتي فاكرة كل الردود اللي رديتها عليكي، وقولت فيها إنى كبرت وعارف أنا بعمل إيه، وإذا كان ع الفطار والصلاة فدول أنا كده كده بعملهم من نفسى

ثم يواصل تدريباته بينما تتأمله الأم وهو ينهج، وقد تصبب وجهه وجسده عرقًا، قبل أن تأخذ نفسًا عميقًا وتقول بتنهيدة حارة:

— نفسى بس لو تفكر في اللي قولتهولك وتسمع كلامى

"مجد" يتوقف عن تدريباته ليحدجها بنظرة صارمة ويقول ببطأ وقد ضغط على مخارج كلماته:

— ماما، إحنا اتكلمنا في الموضوع ده بما فيه الكفاية، وللمرة المليون بقولك أنا عمرى ما هسيب الشرطة

لترد عليه والدته بحدة:

— هو أنا بقول لك سيبها وروح أقف ف كشك؟ ما إنت لو دخلت إختبارات النيابة ونجحت هتبقى وكيل نيابة قد الدنيا، يعنى رجل قانون برضه وهتشتغل مع أبيّ أبن خالتك اللي أنت بتعتبره أكتر من أخوك

"مجد" يتأملها وقد شعر بما يجيش به صدرها من خوف عليه، فيقول بنبرة هادئة تحاول أن تمتص غضبها وقلقها:

— يا أمى إحنا ناس مؤمنين، واللي ليه نصيب ف حاجة هيشوفها لو على سريره، وربنا سبحانه وتعالى بيقول "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"، وبعدين الخطر كده كده موجود، من أول ما بنخرج من بيوتنا وإحنا بنعدّي الطريق، لغاية ما بنحط راسنا ع المخدة عشان ننام

تتأمل والدته عينيه، ثم تتابع باستعطاف وقد لمعت عينيها بالدموع:

— أنا عشت طول عمرى مع أبوك ف رعب، مع كل مرة كان بيخرج فيها من البيت كنت بموت وبحيا ألف مرة لغاية ما يرجع بالسلامة

"مجد" مبتسما:

— وآهو بقى لوا ورئيس إدارة قد الدنيا من غير خربوش صغير في جسمه، وصحته زي البمب، **"يغمز بعينيه ويتابع ساخرا:"** وبيفكر يتجوز عليكى

الأم تلكزه مبتسمة، فيتابع ضاحكًا:

— وأنا كبرت أهو وبقيت زي الشحط، وناوى أبقى وزير مش بس لواء، وكلمتى هتمشى عليكى وع البلد بحالها

الأم تمسك شعره وتتأمل وجهه وهي تقول بخفة ظل:

— بقول لك إيه يا واد، إنت مهما كبرت هتفضل ف عينى البيبى بتاعى، حضرة الظابط دي عند العساكر بتوعك مش عندى

ثم تحاول الأم أن تحتضنه؛ لكن "مجد" يبدو عليه الإحراج ويحاول التملص منها قائلًا:

- ماما

الأم تحتضنه بالعافية وهى تقول بمرح:

— يا واد إنت إبنى، مكسوف منى واللا إيه؟!

وبمجرد أن تحتضنه، نرى على ملامحها القرف والاشمئزاز من رائحة العرق التي تفوح منه، قبل أن تبعده عنها بصدمة ولا زالت ملامحها يبدو عليها التقزز، فيضحك قائلًا:

- شوفتى إزاي بقى أنا كنت خايف عليكى؟ ريحتى بعد التمرين بتعور بعيد عنك

فتنقض عليه ويجرى منها وهى تقول في مرح:

— أجرى بسرعة ع الحمام خد دش قبل ما تتحلل من العفانة

"مجد" يغادر الغرفة ضاحكًا متجها إلى الحمام، بينما تغمغم الأم وعلى وجهها ملامح القرف ممتزجة بابتسامة خفيفة:

— معفن

* * *

في غرفة السفرة نرى اللواء "مهران" والد "مجد"، مرتديا بذلة كحلى أنيقة، ويجلس مع زوجته على مائدة الإفطار، وأمامهما فناجين الشأي وأطباق الجبن والمربى والحلاوة والكرواسون، قبل أن يخرج "مجد" من الحمام مرتديًا شورت فقط، ولا زالت المياه تسيل على جسمه وكأنه خرج من الحمام دون أن ينشف نفسه، فتنظر له الأم بغيظ بينما يواصل الأب الأكل دون اكتراث.

"مجد" يصيح بمرح عندما يلمح نظرة أمه النارية:

- شوفتينى Before & after ؟

ثم ينحنى ليطبع قبلة على وجنتها قائلًا بحب وحنان:

- دلوقت بقى أقدر أبوسك زي ما أنا عايز، وعلى الله ما تتكسفيش منى، ده أنا أبنك

الأم تنظر له بطيبة وقد راقت لها دعابته لترد عليه:

— يعنى يا إما غرقان عرق وريحتك تقرف، يا خارج من الحمام مبلول زي العيال الصغيرة

يسرق "مجد" نظرة خاطفة لوالده قبل أن يقول:

— متبقيش ميرى على طول كده، ده سيادة اللواء ما بيعملش معايا كده يا شيخة، "يدير نظره لوالده مكملا:" ما تقول لها حاجة يا فندم

إلا أن الأب يواصل تناول إفطاره، دون أن يلتفت له قائلًا باقتضاب:

- ألحق خلص فطارك يا مجد، معاد الاجتماع قرب

مجد يجلس على المائدة ويبدأ في خطف الأكل بشكل سريع، وهو يقول لوالده بمرح:

— ما تقلقش يا سيادة اللواء، إبنك هيرفع راسك وهيثبت في العملية الجاية للداخلية بحالها إنه أحسن قائد عمليات في المنطقة

الأم تشهق بخوف وتتساءل:

- عملية؟ عملية إيه؟

الأب يتوقف عن الأكل وينظر لـ"مجد" شظرًا، فيخفض "مجد" عينيه خجلًا وإرتباكًا، بينما يتحدث الأب للأم دون أن يخفض عينيه من على "مجد":

— يعنى بقالنا 25 سنة مع بعض يا مُنى ولسه ما فهمتيش إن كلمة عملية دي بتتقال على أي مأمورية حتى لو كنا رايحين نعدم أحراز لا بتهش ولا بتنش؟

الأم تنظر لـ"مجد" بخوف وقلق، ثم تنظر للأب الذي لا زال ينظر لـ"مجد" بكل صرامة الدنيا وتقول في توتر:

— أنا سامعة إن الداخلية كلها مقلوبة من بعد تفجيرات طابا، أوعى تكون هتبعت إبنك هناك عشان يقبض على الإرهابيين

الأب يتوقف عن الأكل، ثم ينهض قائلًا:

— متقلقيش يا مُنى

ثم يدير نظره إلى إبنه ليحرقه بعينيه قائلًا:

— أبقى طمّن أمك وحصّلنى على الإدارة يا سيادة النقيب

بينما لا زال الخجل والارتباك يفرضان نفسيهما على وجه "مجد"

* * *

في إدارة مكافحة الإرهاب بوزارة الداخلية، يجلس اللواء "مهران" في قاعة الاجتماعات التابعة للإدارة، وحوله عدد من القيادات، والضباط، ومن بينهم النقيب "مجد الدين مهران" بزيه الميرى،

اللواء يستعرض صورا لمجموعة من الوجوه التي تطل من أعينها الشر، وتنطق ملامحها بالإجرام قائلا:

- سالم حسان أمطير، وسلمان أمطير، وسعيد عكام الوسيمى، المسئولين الفعليين عن تفجيرات طابا

يتم إظلام القاعة بينما نشاهد على أحد الشاشات صور سريعة ومتلاحقة للبدو وهم يسيرون في الجبل ليلًا مع مجموعة من الشباب، ومعهم مجموعة من الجِمَال تحمل صناديق أسلحة، بينما يتقدمهم بدوى يحمل شعلة صغيرة يسير الجميع على بصيصها، وعلى خلفية ذلك يتابع اللواء كلامه:

— المعلومات اللي وصلت لنا أكدت إنهم خدوا تمويل من تنظيم القاعدة، عشان يساعدوا مجموعة من الشباب المتطرف إنهم يدخلوا طابا بالسلاح والقنابل بحكم درايتهم بالجبل، وده بطبيعته شكل تحالف بين مجموعة من البدو المرتزقة اللي بيدمروا ويخربوا مقابل الفلوس من جهة، ومجموعة من المتطرفين اللي عندهم اعتقادات تكفيرية وبيعتبروا إن أعمالهم نوع من الجهاد من جهة تانية

اللواء "مهران" يدير عينيه في الجميع باهتمام قبل أن يردف:

— وبمساعدة عناصر استخباراتية صديقة، عرفنا إن تنظيم القاعدة أخد تمويل من عناصر مخابراتية معادية، عشان ينفذ مخططاته ويزعزع أمن البلد، التمويل ده طبعًا وصل للتنظيم بطريقة غير مباشرة من غير ما تظهر المخابرات المعادية في الصورة، وبعد ما كل

واحد أخد نصيبه، انتشرت عناصر القاعدة بسرعة وزرعت الألغام والقنابل في أماكن مختلفة ومتنوعة، عشان تنفجر بشكل متتابع وسريع

خلف اللواء "مهران" تظهر صورا مختلفة ومتنوعة لتفجيرات طابا التي وقعت في السادس من أكتوبر عام 2004، ما بين مشاهد بشعة ومتفرقة للضحايا والدماء والإنفجارات في حين يواصل اللواء كلامه:

– آخر معلومة عرفناها، إن البدو والعناصر الإرهابية اللي اشتركت في العملية، موجودين دلوقت ف مكان سرى في شمال سينا، في انتظار الأمور تهدى عشان يخرجوا من جحورهم ويرجعوا تاني لممارسة نشاطهم، من هنا جت تكليفات سيادة الوزير بسرعة ضبطهم وإحضارهم عن طريق عملية سريعة هتتم بشكل مدروس

اللواء "مهران" ينظر لإبنه النقيب "مجد الدين"، فيجد على شفتيه ابتسامة سعيدة، فيتابع بصرامة:

- وقائد العملية هيكون،

اللواء "مهران" يصمت برهة فترى السعادة تتطاير على وجه النقيب "مجد"، قبل أن يكمل اللواء بصرامة وحزم:

- المقدم بدر حسين

الحزن والوجوم يملأ ملامح "مجد"، بينما تتهلل أسارير المقدم "بدر" الذي يقول بسعادة غامرة:

- ده شرف كبير جدًا يا فندم وثقة غالية أوعدك إنى هكون قدها

اللواء "مهران" يتابع دون إكتراث بجملة المقدم "بدر":

– وهيكون مع المقدم بدر حسين، الرائد علاء زينهم، والنقيب مجد الدين مهران، والنقيب طارق حسيب، وباقى التشكيل اللازم من العساكر والتجهيزات، ده غير النقيب مهندس نديم الهوارى اللي هيشرف على تأمين الإتصال بين الإدارة وعربية العمليات

اللواء "مهران" ينهض من مكانه في وقار فينهض الجميع في مهابة واحترام، بينما يقوم اللواء بتزرير بذلته الأنيقة، وهو ينظر لملامح النقيب "مجد" المتجهمة ويتابع بحزم:

– أنا دلوقت عندي اجتماع مع سيادة الوزير، عايز كل السادة الظباط المكلفين بالعملية يستلموا الملف بتاعها حالًا ويقروا كل حرف فيها بعناية وحرص، ولما أرجع هبلغهم بساعة الصفر

اللواء "مهران" يهم بالإنصراف فيناديه النقيب "مجد" بحزن:

– سيادة اللواء

اللواء "مهران" يقاطعه بصرامة، وبإشارة من يده وهو ينصرف دون أن يلتفت إليه:

– بعدين

أحد الموجودين يفتح الباب للواء "مهران" فيخرج منه بخفة وسرعة، بينما يتابعه من خلفه إبنه النقيب "مجد" بنظرة تفيض بالحزن والغيظ

* * *

فى صالة تدريبات الرماية في الإدارة يصوب "مجد" مسدسه على الأهداف الساكنة فيصيبها جميعها ببراعة، ثم يضغط على أحد الأزرار فتبدأ الأهداف في التحرك بسرعة بطيئة نسبيًا ليصيب "مجد" الأهداف بمنتهى الدقة، ومع كل إصابة تزداد سرعة الهدف، فيزيد إنعقاد حاجبيه وتركيزه وترتسم على ملامحه التحدي والعناد فيصيب الأهداف مهما زادت سرعتها،

الآن تتحرك الأهداف بشكل عشوائى وكأنها خصوم تهم بحصار "مجد"، فيقفز يمينًا ويسارًا دون أن يلمسه أي هدف، بينما يصوب هو على الأهداف ولا يخطئها رغم قفزاته

الآن نرى الباب اليسار للصالة ينفتح ببطأ، ويدخل منه 5 ضباط ملثمين يرتدون ملابس قوات مكافحة الإرهاب الخاصة كاملة التجهيز، فينظر لهم "مجد" نظرة تحدٍّ وتأهُّب، ثم يرتدي نظارة الرؤية الليلة باستخدام الأشعة تحت الحمراء، ويستبدل مسدسه ببندقية آلية،

الآن تنطفئ الإضاءة، فنرى المشهد تحول أمام عيني "مجد" إلى الأخضر الفسفورى، ثم نسمع صوت صوت يصيح بقوة وحماس في القاعة:

- أجهز

ومع صيحة الصوت يتأهب الجميع ويرفع أسلحته في تحفز واستعداد، حيث يصوب الجميع أسلحته تجاه "مجد"،

الصوت يصيح بقوة أكبر:

- اشتبك

مع آخر حرف في الكلمة يفتح الجميع النار بينما يقفز "مجد" جانبا في الإتجاه اليمين ليرى في قفزته خيوط الدخان ترتسم في الهواء في إتجاه الطلقات التي تسير نحوه، لكنها تطيش بعد أن صار "مجد" في مكان غير الذي كان فيه وقت إنطلاقها، ومن جانبه نرى طلقات "مجد" تسير بخيوط الدخان في إتجاه القوات لتصيب 3 أشخاص إصابات مختلفة ما بين الرأس والصدر والكتف،

بمجرد سقوط "مجد" على الأرض يصوب عليه الضابطين الأخرين طلقاتهم بسخاء لكنه ما أن يلامس الأرض حتى يواصل الدحرجة بشكل سريع في إتجاه الحائط، لتطيش الرصاصات الموجهة نحوه بينما يقترب من الحائط بشدة، وما أن يصبح على قيد خطوتين منه حتى يضرب الأرض بقوة وعنف بيده اليسرى مرتكزًا عليها لتندفع قدميه ونصفه السفلى لأعلى في إتجاه الحائط، ليركل الحائط بقدميه وينطلق كالصاروخ في وضع أفقى في الهواء نحو القوات

مطلقًا طلقات بندقيته الألية بسخاء مصيبًا الجميع دون أن تلمسه طلقة واحدة،

الآن تعود الأضواء مرة أخرى للقاعة، بينما نرى اللواء "مهران" بجوار بابها الذي دخل منه في خفة، لتظهر على ملامحه سعادة خفية بذل جهدا كبيرا ليدفنها في أعماقه، محاولًا أن يرسم الصرامة على ملامحه،

"مجد" ينظر لوالده اللواء "مهران" بتحد وقوة وهو يؤدى إليه التحية العسكرية، وبالمثل يؤدى الخمسة ضباط التحية بدورهم، قبل أن يقول أحدهم بإعجاب وهو يخلع قناعه:

— هايل يا مجد بس خد بالك أنا كنت هجيبك، لولا بس الحظ في اللحظة الأخيرة هو اللي خلى الرصاصة تعدى جمبك بملى، يا ريت تفضل كده لما تكون الطلقات حقيقية مش فشنك

اللواء "مهران" ينظر لـ"مجد" وهو يغالب شعوره بالفرحة والسعادة، ولا يبدو حتى أنه هو أو "مجد" قد سمعا كلمات الباقين،

الجميع ينصرفون ويظل "مجد" ووالده في نفس الوقفة بعد إنصرافهم حوالى 5 ثوانى في هذا الوضع المجمد وكأنهما تمثالين من الرخام، قبل أن ينجح اللواء "مهران" في السيطرة على انفعالاته ليقول بصرامته المعهودة:

- ما قرتش ملف العملية ليه زي باقى زمايلك؟

- سيادتك أكتر واحد عارف إنى حافظها صَم من يوم ما كلمتنى عنها وشرحت لي كل تفاصيلها ف مكتبك، ووعدتنى وقتها إنى أنا اللي هكون القائد بتاعها

يقترب منه والده ويتطلع إلى عينيه بغضب قائلا:

- قصدك لما تصورت إنك تنفع تكون قائد العملية قبل ما تخيب ظنى فيك

فينظر له "مجد" بدهشة واستنكار قائلا:

– أنا! ليه؟

اللواء "مهران" يسير بحيث يتخطى "مجد" ويعطى له ظهره، ويتأمل الأهداف التي أصابها "مجد" بمهارة شديدة لا ينافسه فيها أحد في الإدارة، فترتسم على شفتيه ابتسامة إعجاب وهو يقول بمزيج من الفخر والعتاب:

– اللي أنا شايفه قدامي ده بيقول إنك فئة نادرة في الإدارة، مش هتتكرر بسهولة، أو يمكن ما تتكررش تانى، وده اللي خلانى اتحمس إنك تقود العملية رغم رتبتك وسنك الصغيرين بعيدا عن إنك إبنى، لكن معيار القيادة مش بس سرعة في الأداء وشطارة ف ضرب النار

"مجد" يهم بالكلام، فيلتفت له والده ويرفع يده اليمنى مقاطعًا فتتجمد الحروف على شفتى "مجد"، بينما يتابع اللواء "مهران":

– وأنا ف سنك، أتحايلت محايلة الدنيا والآخرة على رؤسائى أنى آخد فرصتى وأمسك عملية أكون المسئول الأول عنها، لكن دايمًا كان الرد جاهز، إنت لسه صغير على الكلام ده، لغاية ما أتجوزت أمك وبقت حامل فيك في التاسع، ساعتها بس اقتنعوا إنى أنفع أقود العملية، وساعتها بس كان نفسى أقول لهم مش هقدر، و ف يوم العملية سلمت على أمك وبوست بطنها وف عينى دمعة كبيرة بتحارب عشان تنزل لكن أنا كنت حابسها كويس، أمك سألتنى مالك، قولت لها أصلى عندى اجتماع مهم في الإدارة وخايف تولدى وما أكونش معاكى، ساعتها ضِحكت وقالت لي متخافش، إبنك شكله مستحلى القعدة جوه، لكن وأنا على باب الشقة جالها الطلق، وماكانش ينفع أتأخر لحظة واحدة عن معادى، سبت أهلها يوصلوها المستشفى ووعدتهم أنى هرجع بسرعة مع إنى عارف إن فيه إحتمال كبير استشهد قبل حتى ما أشوفك وأملى عينى منك ولو مرة واحدة ف حياتى

"مجد" بغيظ:

– حضرتك حكيت لنا الموقف ده وإنت بتدينا أول دورة تدريبية أخدناها في الإدارة

– وإنت ما أتعلمتش منها اللي كنت عايز أوصلهولكم، اللي يتكلم عن عملية خطيرة أو حتى يجيب سيرتها من بعيد وهو قاعد يفطر مع أمه، مش بعيد يغرّق بلده بحالها قبل ما ييجى وقت الغدا، وإحنا غرقانين بما فيه الكفاية

"مجد" ينظر لوالده بخجل، ثم يقول:

– أنا كل اللي قصدته..

والده يقاطعه:

– لو سألت قبطان أي سفينة غرقت، هيحلف لك إنه ماكانش قصده، بس في النهاية بيتساوى في بطن السمك مع اللي كان يقصد

اللواء "مهران" يضع يده على كتف "مجد"، وينظر نظرة فاحصة لصالة التدريب ليستعرض كافة جوانبها قائلا:

– عشان تبقى قائد بحق وحقيقى، لازم تتعلم قبل ضرب النار والمهارات العظيمة اللي أنا شايفها قدامي دى، إزاي تعرف تفرق بين اللي يتقال واللي ما يتقالش مهما كان اللي قدامك قريب ليك، ماتعملش زي البواب الرغاي اللي بيطلع أسرار سكانه كلها برة، والنتيجة إنه بيكون أول ضحية لو العمارة اللي بيحرسها اتعرضت للخطر.

فى حين ينصت "مجد" لكلمات أبيه باهتمام بالغ، بعد أن داعب خياله هاجس مرعب عن أنها الكلمات الأخيرة!

* * *

فى صحراء شمال سيناء تنهش 5 سيارات جيب و3 مدرعات الرمال نهشا أثناء ظلام الليل في ليلة غير قمرية، وداخل إحدى السيارات نرى بعض الأشباح الذين يحملون السلاح في تحفز وتأهب، إنهم النقيب "مجد الدين مهران"، والنقيب مهندس "نديم الهوارى"، وعدد من الجنود حيث يرتدون ملابس قوات مكافحة الإرهاب، بينما نرى الغيظ والغضب على ملامح النقيب "مجد"، في حين ينظر له النقيب "نديم" بتعاطف ويهمس في أذنه قائلًا:

— خلاص بقى يا مجد ما تزعّلش نفسك، دور المتابعة مع الإدارة ما يقلش عن دور الهجوم، وبعدين مش طول عمرك بتحلم إننا نشتغل مع بعض؟ مين كان يصدق أنى من بعد ما دخلت هندسة وانت دخلت شرطة نرجع مع بعض تانى ونعيش لحظة الأكشن اللي حلمنا بيها وإحنا صغيرين!!

ليرد عليه "مجد" بغضب مكتوم:

— أنا اللي مضايقنى يا نديم إنه استبعدنى من الهجوم لأسباب شخصية وإنت عارف كده كويس، المقدم بدر ما اهتمش بمصلحة نجاح العملية قد ما اهتم إنه يستبعد أي حد ممكن ينافسه، بقى بعد كل اللي الاختبارات اللي حققت فيها المركز الأول أقف في عربية العمليات أبلغ الإدارة بالتطورات؟

النقيب "نديم" محاولًا إمتصاص غضبه:

- حاسس بيك يا مجد، بس مش وقته

"مجد" بعصبية:

— مش إنت اللي فتحت الكلام؟

— أنا غلطان يا سيدى، حقك عليا

فى تلك اللحظات كان المقدم "بدر" يجلس في مدرعته متأملا خريطة يمسكها بيديه ويفحص بعض النقاط فيها في ضوء خافت، قبل أن يمسك جهاز اللاسلكى ويقربه من فمه قائلًا بصرامة:

- على جميع القوات إتخاذ أماكنها والتوزيع بالشكل المتفق عليه بعد نقطة الوصول بـ 300 متر

ليستقبل "مجد" الأمر في سيارته عبر جهاز اللاسلكى بمزيج من الانفعال والدهشة، حتى أنه فقد صبره ولم يعد قادرًا على مقاومة انفعال شديد يدور داخله ليقول بحدة عبر جهاز اللا سلكي:

— إزاي الكلام ده يا فندم، أنت جاي دلوقت تعدّل المكان اللي هننزل فيه؟! أومال خطة الإدارة اللي اتفقنا عليها كان لازمتها إيه؟

ليأتيه صوت المقدم "بدر" الذي قال بتحدى:

— أظنه وارد يا سيادة النقيب إن قائد العملية يعمل تغيير في الخطة في اللحظات الأخيرة بناء على وجهة نظر معينة

— وإيه هي وجهة النظر دى؟

— أنا لاحظت إن مكان النزول منخفض على الطبيعة بشكل ممكن يمثل خطورة على القوات، عشان كده اخترت مكان عالى هننزل فيه ونتوزع بناء على خطة الإدارة وبعدين نبدأ الهجوم

"مجد" يمسك اللاسلكى بعصبية حتى أنه يكاد يعتصره في يده، ويقول بعنف:

— الإدارة شافت إن النقطة اللي مش عاجباك مؤمّنة ومش مكشوفة، أما النقطة اللي أنت بتتكلم عنها الخريطة اللي معانا مش مفسرة كل نقطة فيها، ليه تحط نفسك وتحطنا في مخاطرة مش محسوبة؟

— لما تبقى إنت قائد العملية أبقى أتصرف براحتك وأتفلسف زي

ما أنت عايز، لكن في عمليتى مش هسمح لمخلوق ينفذ غير أوامرى وده آخر كلام بينى وبينك لغاية ما تخلص العملية دي على خير

"مجد" ينظر للاسلكى بغضب شديد عاقدًا حاجبيه، ويبدو للجميع كما لو أنه سينفجر من الغضب، بينما يتابع "نديم" الموقف بتوتر؛ لكن "مجد" يأخذ نفسًا عميقًا ويقول بهدوء امتص فيه انفعالاته ثم يقول:

- تحت أمرك يا فندم، أي أوامر تانية؟

لكنه لا يتلقى أي إجابة، قبل أن تقف القوات عند النقطة الجديدة، فتهتز سيارة "مجد" وهى تتوقف قبل أن يغادرها كل من فيها، عدا "مجد" و"نديم" وجنديين، بينما يطل عليهم من الخارج المقدم "بدر" بنظرة شامتة، ويسحب أجزاء سلاحه باستفزاز، قبل أن يوليهم ظهره، فيربت النقيب "نديم" على كتف "مجد"، فيلتفت له "مجد" ويقول ساخرًا على عكس ما هو متوقع منه:

- تعرف إيه قمة الغرابة؟

النقيب "نديم" بحيرة:

— إيه؟

"مجد" بابتسامة ساخرة:

— لما القائد يكون اسمه بدر، في عملية لازم تتم في ليلة مش قمرية!

ليسرح "نديم" في الدعابة، وقد شعر في الجملة أنها رسالة ربانية تنذر بالخطر

* * *

فى صحراء شمال سيناء نشاهد المقدم "بدر" على رأس مجموعة من العساكر، وكذلك الرائد "علاء" على رأس مجموعة ثانية من العساكر، وأيضًا النقيب "طارق" على رأس مجموعة ثالثة

المقدم "بدر" يقرب اللاسلكى من فمه، ويقول بحزم:

- أبدأ الإنتشار في النقاط المتفق عليها

لتتجه كل مجموعة من الجنود في إتجاه معين، وعندما يمر الرائد "علاء" هو وقواته من أمام كهف مظلم يتوقف أمامه، وينظر له بترقب ثم يكمل السير، وبعد برهة نرى مشهد بانورامى للقوات وهى تحكم السيطرة على موقع ما في صحراء شمال سيناء، نلاحظ أنه أشبه بمنحدر،

المقدم "بدر" يقرب اللاسلكى من فمه ويقول بصرامة:

- أبدأ الهجوم

القوات تتحرك لأسفل لتطويق الموقع وهى تطلق النيران بسخاء في إتجاه الموقع المحاصر، فيخرج من خلف الصخور مجموعة من الأشخاص الملثمين المتشحين بالسواد لكنهم يسقطون صرعى في دقائق معدودة، لتهدأ الحركة تمامًا والقوات تحاصر الموقع دون أن يخرج منه أي شخص آخر فيمسك المقدم "بدر" الميكروفون ويصيح بصرامة:

— المكان كله محاصر، إحنا قادرين ننسف الجبل باللي فيه، لكن مفيش داعى تخسروا حياتكم ع الفاضى، كله يخرج من مكانه رافع إيده لفوق من غير أي مقاومة

الآن نرى عددًا من الأشخاص، بعضهم ملثم بالسواد، والبعض الأخر يرتدى الملابس البدوية، يخرجون من خلف الصخور رافعين أيديهم فوق رؤوسهم في ذل وهوان،

المقدم "بدر" يرفع اللاسلكى ويقربه من فمه قائلًا في فرحة

ممتزجة بالشماتة والثقة:

- من قائد العملية إلى النقيب مجد الدين، تم القبض على الإرهابيين بنجاح من غير نقطة دم واحدة

داخل سيارة المتابعة يتلقى النقيب "مجد" الإشارة، بينما يواصل النقيب "نديم" عمله في الضغط على بعض الأزرار الموجودة لتأمين الإتصال بالقيادة، ويقف خارج السيارة مجموعة من الجنود يصيحون مع سماع خبر نجاح العملية:

- الله أكبر

بينما يبدو القلق على وجه "مجد"، ولا تبدو عليه السعادة مثلهم

ومن موقعه، يتابع المقدم "بدر" حديثه عبر اللاسلكى وهو يشاهد العساكر وهى تتحرك من مكانها لتطويق الإرهابيين قائلًا:

– جارى حاليًا تطويق الإرهابيين وحصر أعدادهم، بلغ الإدارة فورًا

لنرى "مجد" بعدها في سيارته وهو يتلقى الرسالة، فيمسك اللاسلكى بدوره ويتابع:

- علم وسينفذ

"مجد" ينظر إلى "نديم" بصرامة ويقول:

- حوّلنى على موجة الإدارة بسرعة يا نديم

"نديم" يضغط على بعض الأزرار في ارتباك وهو يقول بتوتر:

- ثوانى يا مجد، فيه مشكلة في الإتصال

فينظر له "مجد" ويقول غاضبا:

- مش وقت أي مشاكل خالص، أتصرف

"نديم" يضرب الأزرار بسرعة قائلًا في عصبية:

- أنا خلاص أهو قربت أحلها، بس ناقصنى،

فجأة يقاطعه صوت غريب مجهول جاء من موجة مختلفة مر عليها نديم دون قصد، لنسمع ذلك الصوت المجهول يقول:

- سامعنى؟

نديم يعقد حاجبيه ويهم بالكلام، غير أن "مجد" يستوقفه بإشارة صارمة من يده وهو يصغى لذلك المجهول، ويسمع الرد الذي جائه على نفس الموجة من شخص مجهول ثانى يقول بصرامة:

– أيوة سامعك، الموقع اللي إختارته الشرطة بتحاوطه الكهوف السرية اللي قواتنا مستخبية فيها، حاصروهم بسرعة وأقضوا عليهم

الجو يتوتر سريعًا في سيارة العمليات، ويرتسم القلق والتوتر على ملامح الجميع عدا النقيب "مجد" الذي يمسك اللاسلكى ويقربه من فمه صائحًا:

- بدر، أسمعنى كويس،

من موقعه في صحراء شمال سيناء يتلقى المقدم "بدر" تحذيرا بصوت "مجد" المنزعج وهو يقول بسرعة:

- فيه كمين أتدبر لك أنت والقوة اللي معاك، هيخرجولكم من كهوف سرية ويحاولوا،

وقبل أن يكمل كلامه، تطير رأس المقدم "بدر" في مشهد بشع بعد أن أصابتها قذيفة بازوكا، لتنفجر في القوات التي تتقدم لتطويق الإرهابيين المستسلمين،

قوات الإرهابيين المستسلمين ينتهزوا فرصة التوتر الذي حدث ويخرجوا من ظهوروهم مدافع رشاشة ويشتبكوا مع قوات العساكر التي تقدمت نحوهم، بينما ظهرت قوات إرهابية أخرى خرجت من كهوف لم تكن واضحة في الخريطة، ليقوموا بتطويق قوات الشرطة، ويصبح الضباط والجنود بين المطرقة والسندان

الآن نرى قوات الشرطة تتساقط بسهولة !!

الرائد "علاء" بعد أن نفذت ذخيرة مدفعه الرشاش يخرج طبنجته الميرى ويطلق رصاصاته بسخاء ليقتل 3 إرهابيين، قبل أن يتلقى طلقة في كتفه؛ لكنه يستبسل ويواصل إطلاق النار دون أن يصيب أحد، بينما يتلقى طلقة أخرى في صدره، فيسقط أرضًا غارقًا في دمائه،

ومن موقعه نرى النقيب "طارق" يدور هو وبعض جنوده حول الإرهابيين من موقع مباغت، ويلقى قنبلة يدوية تربك صفوفهم، قبل أن يلقى بأخرى تقتل إثنين منهم لتطاير أشلائهم وتمتزج بجثث جنود الشرطة، وتنسف ذراع إرهابى ثالث وتصيب الرابع إصابة طفيفة في وجهه، فيزداد الحماس والإصرار ليحتلا وجه النقيب "طارق" الذي يصيح في قواته بأقصى ما تملك حنجرته من صوت:

- هجووووووم

قوات النقيب "طارق" تتقدم وقد أطلقت ذخائر مدافعها الألية في سخاء شديد، ليبدأ الإرهابيين في التراجع، قبل أن يحتمى طرفي الشرطة والإرهابيين بالسواتر الموجودة في الموقع ويستمر تبادل إطلاق النار، في حين يغادر النقيب "طارق" الساتر الترابى المحتمى خلفه، ويقتحم الموقع الموجود فيه الإرهابيين في بسالة وجرأة غير مشهودة وسط رصاصات الإرهابيين التي تمرق بجوار رأسه وكتفيه وساقيه دون أن يبالى وكأن أعصابه تحولت إلى حديد مصفح، لتنسف رصاصات مدفعه الألى رأس أحدهم وصدر الثانى في ساترهم المحتمين به خلف تبة ترابية، ويلقى بقنبلة يدوية على ساتر أخر تنبعث منه رصاصات الإرهابيين، ثم يلتقط بازوكا أحد الإرهابيين القتلى ويطلق قذيفتها على موقع ثالث، فتتقدم قوات الشرطة وقد ألهب حماس قائدهم عزيمتهم وفجأة،

تظهر قوات إرهابية جديدة من الكهوف الذين كانوا مختبئين بها، وقد بلغ عددهم 12 رجلا يلثمون وجوههم بالغترة القماشية ذات الألوان المميزة للطابع البدوى، وقد أطلق كل منهم قذائف البازوكا بأعداد كبيرة على الموقع بالأسفل، غير مبالين بزملائهم الموجودين في الموقع نفسه وقد وضعوا في ذهنهم هدف واحد، تصفية الجميع تصفية جماعية دون أي مبالاة بأي شخص!!

الإنفجارات الرهيبة تحصد الجميع، لتتلاقى أشلاء رجال الشرطة والإرهابيين في لحظة نهاية واحدة وإن اختلفت النوايا والأعمال، الدماء تمتزج، ببعضها قبل أن تتحول الرمال إلى طين دموى بشع بينما لا زال الفريق الإرهابى الذي انضم للقتال مؤخرًا ويكشف الموقع من أعلى، على إصراره الشديد بنسف الكل، حتى أنهم ظلوا يطلقون قذائفهم بعد تأكدهم من موت الجميع وتدمير الموقع عن آخره،

الآن هدأ القتال، وخمدت النيران، فيتقدم الفريق الإرهابى نازلًا لأسفل حتى يفحص الموقع الذي دمرته قذائفهم بأم أعينهم، بينما تعبىء رائحة الدخان المكان، وقد تراقصت ألسنة اللهب على رائحة الشواء البشرى المقيتة،

فريق الإرهابيين يتقدم بتحفز رغم تأكده من موت الجميع، وقد حمل كل منهم مدفعه الرشاش في تأهب بينما تنطق أعينهم بالشر المطلق، وإنعدام الرحمة في صورة حية ومجسدة للإجرام،

فجأة ينفجر في إتجاه بعيد قنبلة يدوية فيلتفتون إليها في تحفز وإحتراف، قبل أن تنفجر قنبلة أخرى في إتجاه أخر فيلتفتون حولهم في إرتباك وقد حمل بعضهم مدافعه الرشاشة، بينما حمل البعض الأخر البازوكا،

قائدهم يشير بإشارة صامتة لفريق منهم أن يذهب في إتجاه القنبلة الأولى، بينما يشير لفريق أخر أن يذهب لفحص مكان

القنبلة الثانية، وما أن ينفصل نحو 6 رجال ليشكل كل 3 منهم فريقًا منفصلًا يذهب للمكان الذي أنفجرت فيه القنبلتين، حتى تنفجر قنبلة ثالثة في نفس المكان الذي تبقى فيه القائد وخمس إرهابيين ملتفين حوله، فيلقى إثنين منهم مصرعهم في الحال، وتسيل الدماء من جبهة القائد، الذي تبقى هو وثلاثة آخرون على قيد الحياة، قبل أن يظهر "مجد" من أعلى حاملًا مدفعه الرشاش ليحصد إثنين منهم بطلقاته التي لا تخيب، في حين يلتقط القائد والإرهابي الذي تبقى معه سلاحهما ليزحفان خلف السواتر الترابية ويحتميان بها، في لحظة عودة الفريقين الأخرين المكونين من الستة إرهابيين بعد أن صك مسامعهم صوت الإنفجار.

"مجد"، يلتقط بازوكا أحد القتلى ويوجهها نحو أحد الفريقين لينسف الثلاثة رجال، قبل أن يخفض رأسه ويمسك بازوكا أخرى ويتدحرج بها ثم ينتصب ويطلقها نحو الفريق الأخر ليحصد رجلين، ثم يتدحرج أرضًا نحو أحد السواتر الترابية ليختفى خلفها.

ومن مكانه نرى القائد والإرهابى الذي معه يطلقان قنبلتين يدويتين نحو الساتر المختبىء خلفه "مجد" بينما يفتح الإرهابي الثالث النار ليضمن عدم خروج "مجد" من مكانه حتى تنفجر فيه القنبلتين، ومع إنفجارهما يعم السكون، ولا يخرج "مجد" من مكانه، فيشير القائد لكلا الإرهابيين ليتقدما نحو موقع "مجد" في شكل حلقي حتى يضمنا أن يحصداه بنيرانهما إذا ما كان على قيد الحياة دون أن يتمكن منهم،

وما أن يصل الإرهابيين للساتر المختبىء خلفه "مجد"، حتى يكون قد اختفى وكأنه تبخر، فيشددا الفحص وفجأة يظهر لهما من خلف ساتر أبعد كان قد ذهب إليه ليحصدهما بنيرانه قبل أن يسمع صوت قذيفة تنطلق نحوه من مكان قائدهما المتبقى فيقفز مبتعدا عنها بأقصى ما لديه من عزم قبل أن تدفعه موجتها التضاغطية في عنف ليحتضن الأرض بقسوة ويتدحرج فوق الحصى والرمال بشدة، وقد تمزقت ثيابه وامتلأ وجهه وجسده بالسحجات والكدمات، في حين تطرق رأسه غيبوبة تود لو فتكت بوعيه واستحوذت عليه، قبل أن يظهر القائد حاملًا بازوكا يصوبها نحو "مجد" الذي يرفع نحوه رشاشه الألى ويطلق طلقاته، غير أنه لا يسمع سوى تكة معدنية تعلن عن نفاذ ذخيرته، وقرب نهايته المحتومة، ولم يكن هناك مفر هذه المرة إلا بمعجزة،

معجزها أرسلها الخالق جل وعلا حين ظهر "نديم" فجأة خلف الإرهابى المتبقى ليطلق نيرانه على ساقيه فيسقط القائد متألمًا، وتسقط البازوكا من يده، فيعدو "نديم" نحو "مجد" قائلًا في لهفة:

- مجد، إنت بخير؟

فينهض "مجد" بصعوبة وينظر إليه بحزن بالغ، ووجه منهك من الألم وهول الصراع ليقول بصوت متهدج وبأنفاس متلاحقة:

- لوحدى للأسف

"نديم" يتطلع إلى الموقع الذي غزت ألسنة اللهب كل شبر فيه، وتلمع عينيه بدموع حزينة على تلك المذبحة البشعة، بينما ينكمش أنفه من رائحة الشواء التي خرجت من أجساد الجثث التي تملأ المكان، ويضع مرفقه على أنفه ليمنعها من شم هذه الرائحة في حين احتل التقزز والإمتعاض ملامح وجهه ليقول بألم:

— مش ممكن،كلهم أتنسفوا

— ولو ماكنتش إنت خالفت الأوامر وسيبت عربية المتابعة، كان زماني بتشوى معاهم

"نديم" يخرج ما في جوفه وهو ينثنى ماسكًا بطنه في ألم شديد،

فينحنى "مجد" ليشد من أزره قائلًا بإنهاك وتوتر:

- أجمد يا نديم

إلا أن "نديم" يدير وجهه بعيدًا عن "مجد" حتى لا يؤذيه برائحة فمه الذي أمتلأ بما خرج من معدته وعصارته الهضمية، فيلمح من بين ألامه وعينيه التي تدور في محجريهما قائد الفريق الإرهابي المصاب في ساقيه، وقد زحف نحو البازوكا ووجهها نحوه هو و"مجد" فيتناسى "نديم" ألامه ويهب واقفًا فجأة عاطيًا ظهره نحو الإرهابي ليزيح "مجد" بكل ما أوتي من قوة بدفعة اسقطته أرضا على منحدر أخذ يتدحرج فوقه بسرعة، في اللحظة نفسها التي انطلقت فيها القذيفة بينما يحاول "نديم" بدوره أن يقفز مبتعدًا هو الأخر؛ لكن قفزته جاءت متأخرة لتنفجر القذيفة على قرب منه، وتدفعه الموجة التضاغطية في عنف وقد اشتعلت النيران في أحد ساقيه بينما لا نرى ساقه الأخرى،

"مجد" ينهض من سقطته والدماء تسيل من جبهته بغزارة، بعد أن اندفع الأدرينالين في عروقه بفعل غريزة البقاء والخوف من الخطر تتحفز خلاياه بشيء من النشاط والتحفز وهو يتجه نحو مدفع رشاش في يد أحد الإرهابيين القتلى، ليلتقطه بحماس ويصوبه نحو القائد المتبقى الذي يحاول أن يزحف هاربًا وقد ظن أنه قتل "مجد" و"نديم"، لكن "مجد" يلحق به فيخرج الزعيم مصحفًا من جيبه ويرفعه أمام وجهه ليحتمى به ويستدر عطف "مجد" الذي ينظر إليه بعينين مليئتين بالغضب والصرامة، وقد عجز عن اتخاذ القرار.

* * *

فى قاعة تكريم ضخمة نرى عدد كبير من قيادات الداخلية، وعدد أخر من الضباط يجلسون لحضور حفل تكريم وزير الداخلية لعدد من أبطال الوزارة، بينما يجلس وزير الداخلية على المنصة هو وعدد من معاونيه، في حين نسمع مذيع الحفل الذي يقول بصوته الرخيم:

– وتقديرًا من وزارة الداخلية لأبطالها الذين قاموا بواجبهم المقدس في حماية أمن الوطن وسلامة أراضيه، قرر السيد اللواء وزير الداخلية تكريم الشهيد اللواء مهران العزاز ومنحه وسام الشرف، وتتسلمه عنه السيدة زوجته

"أُبَيّ" يدفع خالته والدة "مجد" الجالسة على كرسى عجل ويسير بها نحو المنصة لتصافح السيد وزير الداخلية الذي انحنى من فوق المنصة ليمد إليها يده، قبل أن يلتقط الوزير الوسام من على المنصة ويسلمه لها، فتبكى وهى تمسك به رغما عنها، ثم تصافح باقى قيادات المنصة قبل أن يعود بها "أُبَيّ" حيث يجلس والده المستشار "حسام البسطاويسي"، وإبنها النقيب "مجد" الذي يرتدى الملابس الميرى ولا زالت بعض الكدمات على وجهه، في حين يواصل مذيع الحفل استكمال كلامه:

- كما تقرر تكريم النقيب مجد الدين مهران ومنحه رتبة رائد بصفة استثنائية ووسام الشرف

الحضور يصفق في حين تتسلل الدموع من عينى والدة "مجد" في مكانها وهى تنظر لإبنها وهو ينهض بحماس وهمة رغم تلك الغصة في حلقه، والدموع التي تزين عينيه، ليتقدم بدوره نحو المنصة ويؤدي التحية العسكرية أمام السيد الوزير، قبل أن يصافحه ويتسلم الوسام، ثم يسلم على باقى قيادات المنصة ونراه يبذل جهدًا خرافيًا ليسيطر على أعصابه بينما تتصارع الدموع لتـفـر من عينيه وهو يحاول أن يحكم زمامها جيدًا، ثم يعود إلى مكانه، في حين يواصل مذيع الحفل كلامه:

– كما تـقـرر تكريم النقيب متـقاعد نديم الهوارى ومنحه وسام

الشرف وإسناده لأحد المهام الإدارية بالوزارة

الحضور يصفق، بينما يتقدم النقيب "نديم" المبتورة قدميه نحو المنصة على كرسى عجل يدفعه والده، الذي يصافح السيد الوزير، ثم ينحنى الوزير من فوق منصته لتصل يديه إلى النقيب "نديم" وتسلم عليه، ثم يعطيه الوسام، قبل أن يصافح "نديم" باقى قيادات المنصة ويستدير بكرسيه للعودة إلى مكانه، لتتلاقى عيناه بعينى "مجد" وقد تلألأ الدمع وصار يلمع على الجفون، بعد أن عجز كل منهما عن كتم مشاعره أكثر من ذلك

* * *

خارج قاعة التكريم، حيث المساحة الخضراء الشاسعة، يسير "مجد" مرتديًا نظارته الشمسية وقد أكسبته أشعة الشمسة الواقعة عليه بهيئته القوية الصارمة وسامة واضحة، غير أن من يراه لن يدرك أنه يرتديها لإخفاء دموعه الحزينة التي تباغته بين الحين والآخر، كنوبة صرع لا تطرق الباب حين تنقض على جسد صاحبها، بينما يدفع والدته على مقعدها المتحرك الذي تجلس عليه، وإلى جوارهما يسير إبن خالته "أُبيّ" مرتديًا نظارة شمسية أنيقة هو الآخر، وكذا المستشار "حسام البسطاويسي"، في حين يقول لهما "مجد" بحزن:

- متشكرين على وقفتكم جنبنا يا جماعة

"أُبيّ" يلتفت له ببطأ ويتأمله للحظات قبل أن يقول بكلمات بطيئة لتترك صداها في عقل "مجد":

- الكلام ده تقوله لواحد معرفة، لكن ماينفعش تقوله لإبن خالتك اللي ف منزلة أخوك

قبل أن يتابع المستشار "حسام البسطاويسي":

- ولا لجوز خالتك اللي ف منزلة المرحوم أبوك

والدة "مجد" تربت على ذراع "أُبيّ" الواقف بجوارها، في حين يأخذ "مجد" نفسًا عميقًا وقد شعر أنه لا يعرف ما ينبغى أن يفعل أو يقول، لينقذه نداء مفاجئ من أحدهم،

إنه الرائد "أمل العبد" ضابط أمن الدولة الذي يرتدي بذلة سوداء، وقميصا أسودا بلا رابطة عنق ليقترب منهم قائلا:

- سيادة الرائد مجد

الجميع يلتفت إليه، في حين يتقدم "أمل" بملامح حزينة نحو "مجد" فاردًا كفه في وضع المصافحة، فيبادله "مجد" المصافحة بدوره قبل أن يقول "أمل":

- الرائد أمل العبد من أمن الدولة، كنت عايز أتكلم معاك

"مجد" يلتفت إلى والدته، فيقول له "أُبيّ" بحسم:

- كمل كلامك مع سيادة الرائد يا مجد، وأنا هوصّل خالتى لحد البيت

"أُبيّ" يدفع مقعد خالته دون أن ينتظر الرد، وكذا يسير معه والده المستشار "حسام" الذي يمر إلى جوار "مجد" ويربت على كتفه قائلًا في لهجة حانية دون أن ينظر إليه:

- مبروك ع الترقية يا إبنى

"مجد" يتأمله من ظهره ويقول بعد برهة وبلهجة حزينة:

- الله يبارك فيك يا سيادة المستشار

ثم يلتفت "مجد" إلى الرائد "أمل"، فيشير له "أمل" للأمام بحسم، بما معناه "أتفضل معايا"

* * *

إلى جوار الهرم الأكبر في لحظة احتضار الشمس فوق قمته، نرى "مجد" و"أمل" يقفان بجوار سيارتين مركونتين، بينما يقول "أمل":

– من 3 شهور وصلتنا معلومات إن والدك المرحوم مستهدف من خلية نشطت فجأة بعد ما أتقبض على معظم أفرادها من سنة، وكان هدفهم هو الإنتقام من أعلى رتبة مسئولة عن مكافحة الإرهاب، كالمعتاد ف الأمور اللي زي دي عينّا حراسة سرية وهو طبعًا ما حبش يقول لحد منكم عشان ما تقلقوش، و ف يوم عمليتك الأخيرة قرر فجأة أنه يتخلص من الحراسة المرافقة ليه وأصر إنه يكون لوحده، بعد ما سلمنى الظرف ده، وطلب منى اديهولك لما يموت!

"أمل" يخرج ظرفا من طيات ملابسه، ويمده إلى "مجد" الذي ينظر له في دهشة شديدة، قبل أن يقول بحدة وهو يلتقط الظرف:

– وإزاي تتخلوا عنه بالسهولة دي وتسيبوه من غير حراسة؟

– سيادته أصر على تنفيذ الأوامر، وعقبال ما رجعنا للإدارة وبلغناهم وخدنا الأوامر الجديدة، كان أمر الله نفذ

الدموع تلمع في عين "مجد" بينما يتابع "أمل" بتأثر:

– الله يرحمه كان ليه معزة خاصة عندى بغض النظر عن الشغل، ولما ألحيت عليه ما يسيبش الحراسة ضحك وقال لي بلهجة واحد أنكشف عنه الحجاب: **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**

"مجد" يدير وجهه لتفلت منه دمعة تمردت على تماسكه، وألقت بنفسها من عينيه على خده بشكل مباغت، ليسقط معها تماسكه وقوته وتخور قواه تاركًا الحبل على الغارب لدموعه الحبيسة، فينظر له "أمل" بتأثر قبل أن يربت على كتفه ثم ينصرف،

لم يشعر بعدها "مجد" كم ساعة احتاجها لإعادة التماسك ومنع البكاء، لكنه على الأقل نظر حوله ليدرك أنه أصبح وحيدًا وقد تحول لون السماء إلى الأسود بعد أن خيم ظلام الليل على المكان، قبل أن يفض الظرف ويبدأ في قراءة الخطاب الذي تركه له والده على ضوء القمر:

"إبنى حبيبى، ف الوقت اللي بتقرا فيه الجواب ده هكون بين أيادى رب كريم، ممكن هتستغرب لو قولت لك أنى كنت شايف كل حاجة وأنا بكتب لك آول وآخر جواب، أمك المسكينة وهى بتتشل من الصدمة ف لحظة ما عرفت خبر وفاتى، دموعك اللي بتحبسها وإنت بتتكرم معايا ف يوم واحد وأنا مش موجود، وحاجات تانية كتير مش هينفع احكيهالك، عشان لو اتعرفت قبل أوانها هتضرك مش هتفيدك"

يتوقف "مجد" عن القراءة ليتخيل آخر لحظات والده في الدنيا،

اللواء "مهران" يغادر سيارته أمام عمارته، في الوقت الذي كان هناك في سطح البناية المقابلة إرهابيا قناصا، ينظر إلى عدسة بندقيته ليضبط الخطين المتعامدين على رأس اللواء، ويضع إصبعه على الزناد،

اللواء "مهران" يستدير فجأة وينظر إلى العدسة بحيث يرى الإرهابى من خلال الخطين المتعامدين في العدسة ابتسامة ساخرة على وجهه، فيعقد الإرهابى حاجبيه ويبعد البندقية عن وجهه وقد شعر بكمين خفي، فينظر حوله إلى الأسطح المجاورة وقد أوجس في نفسه خيفة من أنه وقع في مصيدة؛ لكنه لا يجد ما يبعث على القلق فيعود للإمساك ببندقيته مرة أخرى حاسمًا أمره، وعندها لا يجد اللواء في مكانه، قبل أن يرى ظلا خلفه ليحجب عنه ضوء الشمس، فيلتفت إلتفاتة مباغتة ويجد اللواء "مهران" وهو ينظر

إليه بصرامة وتحدى شديد،

"بس اللي عايزك تعرفه إن كل واحد فينا أتخلق عشان يؤدى مهمة محددة، بمجرد ما يعملها لازم يرجع مطرح ما جه، وأنا مهمتى خلاص، انتهت"

اللواء "مهران" ينزع مسدسه من جرابه في نفس اللحظة التي يصوب فيها إليه الإرهابي بندقيته ليطلق كل منهما طلقته على الآخر، قبل أن يسقط كل منهما متضرجًا في دمائه لتمتزج دمائهما معًا،

" ونهاية مهمتى إنى أسلم نفسى للعالم التانى، عشان إنت تكمل مكانى اللي وقفت عنده ف العالم ده"

مجد يقود سيارته عائدا لمنزله بسرعة شديدة تجتاز شوارع وأحياء القاهرة الخالية، في لحظات نادرة من الإنسياب المرورى، بينما لا زال صوت والده يتردد من الخطاب،

"الناس طول عمرها بتقول إن إبن أدم بيتولد صفحة بيضا، والزمن والدنيا بيعلّموا عليها، لكن الحقيقة إن كل واحد فينا بينزل دفتر كبير مكتوب فيه كل شيء"

"مجد" يجلس على سريره في غرفته حاملا ألبوم صور، ليتأمل صوره وهو طفل مولود، ويقلب صوره التي يتألم ويتثاءب ويبتسم ويبكى فيها، وقد كبرت سنوات عمره في كل صورة عن التي قبلها،

"بُص لوش أي طفل لسه مولود وهو مغمض عنيه، هتلاقى ملامحه بتتبدل ما بين الفرحة والصدمة من غير سبب واضح، وكأن فيه حد بيفتح قدام عنيه صفحة الزمن المطوية عشان يشوف المصير اللي ف إنتظاره"

"مجد" يتأمل صور له وقد تحول إلى صبى ثم شاب،

" وكل ما الواحد بيكبر، بيمسح حاجة من المكتوب، وينسى جزء من اللي شافه، لغاية ما الغشاوة تملى عنيه، ويبعد عن المهمة اللي جه عشانها"

"مجد" يترك ألبوم صوره ويفتح نافذته ويتأمل لمبة القمر التي تضيء السماء،

" وعشان القدر يخلى مسئوليته من اللي هيتكتب ف صحيفة أعمالنا، طول الوقت إبن أدم بتجى له جوابات من السما، فيها الحقيقة اللي مسحها ومش عارف يرجّعها تانى، وحل لمشاكله اللي وقّع نفسه فيها ومبقاش قادر يحلها لوحده"

"مجد" يلتفت إلى صورة والده المعلقة على الحائط وبها شريط أسود،

"وقبل ما نتفارق بشكل مؤقت، قررت أعرّفك في رسالتى الأولى والأخيرة ليك، إزاي تقرا الرسايل اللي هتجى لك بعد كده من السما، عشان تكمل مهمتك على أكمل وجه، أشوفك على خير"

الرياح تهب فجأة من الشباك المفتوح، لتقلب صفحات جورنال ملقى على الأرض قبل أن تتوقف حركة الصفحات على صفحة بها الإعلان التالى:

«وزارة العدل، تعلن الوزارة عن حاجتها لخريجين كليات الحقوق أو ما يعادلها للتقدم لإختبارات النيابة لشغل درجة مساعد نيابة»

مجد ينظر للإعلان عاقدًا حاجبيه، قبل أن يلتقطه ويتأمل الإعلان المكتوب، ويطيل النظر، ثم ينظر مجددا إلى صورة والده.

* * *

الآن عاد "مجد" من ذكرياته، لنراه في منظمة «نبض العدالة» السرية واقفا أمام المستشار "مظلوم غلاب" في مركز دوائر بشرية

متعددة من الأعضاء، قبل أن يبدأ "مظلوم" غلاب في شرح الهيكل التنظيمى للمنظمة، ليشير إلى الدائرة الأولى المكونة من 7 مستشارين تتشح ملابسهم بالسواد، في حين يرتدى كل منهم وشاحًا أبيضًا وهو يشير لهم قائلًا:

— تحت رئيس المنظمة، 7 من كبار المستشارين، لقبهم حماة الأوشحة

ثم يشير للدائرة الثانية التي تحيط الدائرة الأولى، ونرى فيها 15 قاضيا يتشحون بوشاح القضاة ذات اللون الأحمر قائلًا:

— وتحت منهم 15 قاضى اسمهم أعوان العدالة المفقودة

بعدها نلاحظ أن باقى الدوائر من أعضاء أخرين يتشحون بأوشحة خضراء، بينما يتابع مظلوم غلاب:

— بعدهم حراس الكلمة العليا، والفئة الأخيرة هي اللي بتضم الأعضاء الجدد من صغار السن وأصحاب المهارات البدنية العالية، زيك كده بالظبط

قبل أن يتطلع "مظلوم" إلى عيني "مجد" ويغوص فيهما متابعا:

— وبعد كل فترة بنختار مجموعة من الأعضاء عشان نرقيهم بناءًا على معايير سرية، ومع كل ترقية بيتعرّف العضو على معلومات وأسرار جديدة للمنظمة، ودلوقت جه دورك عشان تلقى القسم

فيناول أحدهم كتابا لـ "مجد" الذي يتلقاه ويقرأ منه على رؤوس الأشهاد قائلًا:

— بحق الذي حرّم الظلم على نفسه وهو القادر فوق عباده، وسمح للشر أن يبقى حتى ندرك قيمة الخير، أقسم بملك السلام العدل الحى القيوم، أننى أدين بالولاء التام لمبادئنا التي تعاهدنا عليها، وهدفنا الأسمى في حماية العدالة وتمكينها أن تسود، وأن

لكون حياتى دون ذلك، والله على ما أقول شهيد

"مظلوم" يقترب من "مجد" ويبتسم ابتسامة ودودة قائلًا:

— من النهارده أي قضية هتحكم فيها، هتبقى عارف وإنت بتنظرها مين الجاني الحقيقى اللي يستحق العقاب، سواء كان المتهم المحبوس عندك ورا القضبان، أو أي واحد تانى حر طليق، فاكر إنه ممكن يهرب من العدالة، ربنا يوفقك

"مظلوم" يمد يده مصافحًا، فيسلم عليه "مجد" بدوره وفي عينيه الترقب، وقد انشغل باله بما ستسفر عنه الأيام المقبلة

* * *

الفصل السادس

أكتوبر 2012

أصحى يا مرسي وصح النوم، عدوا وفاتوا الـ 100 يوم
أصحى يا مرسي بلاش تهجيص، إحنا زهقنا من الترقيص
مشروع نهضة طلع فنكوش، والـ 100 يوم كانوا حلق حوش
100 يوم خلوا العيشة تيبت، مرسي بيبجي مصر ترانزيت
وبيب بيب بيب بيب، 100 يوم مش لاقين أنابيب
الأنبوبة بـ 100 جنيه، الغلابة حيعملوا إيه
والبنزين واللا السولار، الطوابير م الدار للنار
غنـّي علينا بناي وكمنجة، ساب البامية وقال ع المانجة
يا مرسي ف بيتكوا بتتطبخوا إيه؟ 100 يوم قوطة بـ 10 جنيه
يا مرسي ف بيتكوا بتشوا فراخ؟ 100 يوم عيش دوخنا وداخ
يا مرسي ف بيتكوا بتعملوا لحمة؟ 100 يوم عدوا ما شوفنا الرحمة
حد أدنى للأجور، مطلب ثوار مع جمهور
مرسي يا مرسي يا مرسي يا مرسي، يا العدالة يا إما الكرسي
احكي يا مرسي ع المرور، لف يا مرسي علينا ودور
لا لا ولا لا ولا لا ولا لا، احكي يا مرسي عن الزبالة
واحكي كمان عن سينا كتير، ع الإرهاب وعن التهجير
قال هيجيب حق التحرير، كرّم عنان والمشير
قال حيوازن التأسيسية، 100 يوم عدوا خيبة قوية
قال حيهيكل في الداخلية، والداخلية هي هي

قال حيجيب ديموقراطية، ساب جماعته مش قانونية
قال جاي يحكم باسم الدين، ساب إخواتنا في الزنازين
قال حيجيب لنا هيبة الدولة، 100 يوم شايفين خيبة الدولة
قال مش جاي بقميص وحراسة، ناقص يمشي معاه قناصة
الجرافيتي والنبي دانيال، 100 يوم خلوا العيشة شمال
أخون أخون فيها كمان، 100 يوم بيعيـّن إخوان
حقق في محمد محمود، حق إخواتنا أكيد حيعود
القصر العيني وف ماسبيرو، القصاص ومفيش حاجة غيره
حق الألتراس راجع راجع، 100 يوم عدوا ألم ومواجع
مرسي يا مرسي يا مرسي يا مرسي، يا الحرية يا إما الكرسي
ثورة وقامت للحرية، والعدالة الاجتماعية
أنا مش خايف زي زمان، لسه الثورة ف كل مكان
لو ضربونا في الشوارع، صوت الثورة طالع طالع
لو مسكونا في البيوت، برضه الثورة مش حتموت
علّي ف سور السجن وعلّي، بكرة الثورة تشيل ما تخلي
علّي يا مرسي كمان وكمان، بكرة نشيل والزور حيبان
علّي يا مرسي كمان وكمان، صوت الثورة ف كل مكان

هكذا انطلقت الأغنية من موبايل المستشارة "أماني التهامي" الذي أمسكته ولوحت به بابتسامة ساخرة أمام المستشارين "أحمد العبد" و"عزيز شاكر" قبل أن تقول بشماتة:

– شوفتوا بقى إني كنت بضرب الودع؟ كل اللي قولته هنا ف نفس المكان من 90 يوم اتحقق بالمللي، وكمان 10 أيام كل القوى السياسية هتنزل تتظاهر على فشل بسلامته في تحقيق وعوده

خلال فترة الـ 100 يوم

قبل أن يقول المستشار "أحمد العبد":

— القوى السياسية طول عمرها بتتظاهر وما بتعملش حاجة، إحنا عايزين الشعب هو اللي ينزل وللأسف ماحدش بيعرف يحشد الشعب ويملا الشوارع غيرهم، قارني بين ميدان التحرير يوم 25 يناير ويوم 28 يناير وانتي تعرفي الفرق

المستشار "عزيز شاكر":

— المعركة دلوقت مبقتش مع الشعب بس، ما تنساش إنه بعد ما شال المشير وعنان بقت فيه حالة غليان ضده في الجيش، ده غير إنه ما وازنش اللجنة التأسيسية للدستور وأراهنك إنه هيسيبها كده عشان يعمل دستور تفصيل، كل دي أحبال عمال يلفها حوالين رقبته لحد ما هيتشنق، ومن الآخر كده زي ما نصّبناه ممكن نعزله

الآن يتضح أن كل ما سبق كان مجرد مقطع فيديو يشاهده "جودت الناظر" في مكتبه مع صديقه "شوقي الجزار" عضو مكتب الإرشاد الذي يقول له:

— مكنتش أتخيل إنهم يطلعوا بالوساخة دي، دي كده فعلا مؤامرة

بينما يعقد "الناظر" حاجبيه ويقول بصوت خفيض وكأنه يحدث نفسه:

— ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين

قبل أن يلتفت نحوه قائلا:

— أهم حاجة الخدامة اللي صورت لنا الفيديو ده تتقدر كويس ويتم التعامل معاها بحذر شديد، لحد دلوقت الخطة ماشية زي ما مرسوم لها بالظبط ومش عايزين أي غلطة تهد كل اللي بنيناه

— متقلقش، من غير ما تقبض هي أصلا تبعنا وعارفة هتعمل إيه، المهم هنعمل إيه بالفيديو الخطير ده؟

— خليه يتحط في الحصالة جنب إخواته لحد ما ييجي الوقت المناسب، ساعتها هيعرفوا عملي مين اللي هيشنق نفسه

* * *

انتابت "مجد" القشعريرة وهو يدس المفتاح في باب شقته التي غاب عنها منذ الحادث الذي تعرض له.

الآن جاءها زائرا وقد شعر فيها بالاغتراب والنفور وهو يطأها بقدمه، وفي يده كلبه الجديد "ماكس" الذي ينتمي لفصيلة الـ"بيتبول"، وفي اليد الأخرى حقيبة ملابس ضخمة، لكنها فارغة تمهيدا لجمع بقايا متعلقاته وذكرياته القديمة.

ما أن أصبح داخل شقته حتى استقبلته صورة والده ووالدته التي شوهتها النيران، لتسقط من يده الحقيبة، بينما يتعاطف معه كلبه بوصلة من النباح، دون أن يدري أن سيده يعبر رغما عنه بوابة زمنية تكشف له الماضي المؤلم، وذكريات كانت يوما سعيدة قبل أن يمحو سعادتها وبهجتها الدم، لتتحول جدران المكان الدافيء الذي كان يجد فيه نفسه إلى أطلال حزينة تحمل بقايا الماضي وحطام الحاضر الذي لن ينصلح أبدا.

تقدمت خطاه نحو صورة والده ووالدته، ليمد نحوها يده، قبل أن يشعر بجحيم يلتهم كيانه حين تحولت الصورة في يده إلى رماد ترك لونه الأسود على أصابعه، لتذوب آخر ملامح متبقية في الصورة في حضن يديه بعد أن دمرتها نيران الأمس.

حاول أن يأخذ نفسا عميقا ليمنع تلك الدموع المتلألئة في عينه

من الإفلات من عينيه، وهو يدور حول نفسه في المكان متفحصا الحطام، قبل أن يصطحب كلبه إلى باقي الغرف، ليأخذ ما يمكن أن يحتفظ به لنفسه من بين براثن الحريق.

"حمد الله ع السلامة يا مجد بيه؟ جيت أمتى؟"

استقبلت إذنيه سؤال البواب، ليلتفت نحوه مجيبا:

- لسه جاي يا عبد الرحيم، وكالعادة طعلت من غير ما أشوف وشك في الكرخانة اللي من غير بواب

يتلعثم البواب قائلا:

- يمين بالله العظيم،

- ششششش، خلاص، ماعادش ليه لزوم الكلام، أنا لميت اللي يلزمني، شوف أي بتاع روبابيكيا واخلص من كل اللي في الشقة وبعدين عايزك تمسحها وتنضفها كويس عشان هفرشها من تاني

- تحت أمرك يا بيه

قالها البواب، وما أن هم بالتقاط الحقيبة من يد "مجد" حتى كشر "ماكس" عن أنيابه وأطلق عليه نباحه ليتراجع الرجل في ذعر، قبل أن يقول "مجد":

- خلاص يا ماكس، انزل اسبقني ع الشارع وما تتحركش من مكانك

لينفذ الكلب أمر سيده بالحرف، ويغادر الشقة وينزل على السلم وسط ذهول "عبد الرحيم" الذي قال بدهشة عارمة:

- باه باه باه، يا سبحان الله، مستورد الكلب ده يا بيه؟

إلا أن "مجد" تجاهل سؤال البواب وهو يدس في يده مفتاح الشقة في صمت ثم ينصرف

* * *

على عكس الصورة المعتادة لقاعات المحاكم، دخل "مجد" إلى قاعة المحكمة الضيقة ذات المقاعد المتهالكة، والشكل المزرى، وقد انتشر الجمهور بها بشكل فوضوى، وما أن دخل حتى تراص الجمهور على المقاعد بطريقة عشوائية، قبل أن يقول "مجد":

— بسم الله الرحمن الرحيم فتحت الجلسة

الحاجب يكرر خلفه: بسم الله الرحمن الرحيم فتحت الجلسة

"مجد": رول رقم واحد

الحاجب: جرجس اسطفانوس مسيحة

"جرجس" يظهر في القفص وعلى وجهه علامات الطيبة الممتزجة بالذعر

— محامى "جرجس" أمام المنصة يقف ليترافع عنه، ويناقشه "مجد"،

— "مجد" ينادي والحاجب يكرر خلفه، لتتوالى القضايا، ويتبدل المحامين الذين يترافعون عن المتهمين

— "مجد" في منظمة "نبض العدالة"، يقرأ ملفات كثيرة مفتوحة أمامه، كما يستمع لتسجيلات صوتية

فى إحدى الشقق نرى "مجد" بزيه الملثم يضع يده على فم متهم مشكوك فيه من الذين ثبت تورطهم في قضية يحكم فيها، قبل أن يلقيه بقوة على الأرض، ويجثم على صدره ويقبض على عنقه بعنف قائلًا بلهجة تجمد الدماء في العروق:

— لغاية دلوقت أنا بتكلم معاك بشكل ودي، بلاش تجبرني أوريك اللي أوسخ شخص في التاريخ ما عملهوش في أعدائه

الرجل المتهم:

— أنا معترف إنه مظلوم، بس مش أنا اللي حطيت له المخدرات عشان أحبسه

– أومال مين؟

تتلاحق أنفاس الرجل وتزداد ضربات قلبه وهو يقول بريق ناشف:

– المدير بتاعنا، لما عرف إنه ناوى يبلغ عنا عشان أخدنا رشوة من صاحب البرج اللي طلع مخالف، وماكتبناش في التقرير إن البرج غير مطابق للمواصفات

– وإنت ساعدت مديرك طبعا عشان تلبسوه التهمة

المتهم بهلع:

– لا والله، انا آخد رشوة أه، لكن أحط مخدرات لأ، حد الله بينى وبين الحرام

يزداد بريق عيني "مجد" وتغلظ نبراته حين يقول:

– الحرام إن كلب زيك ينام على سريره، وواحد تانى شريف يدفع تمن شرفه بالنوم ع البورش

– ماتحكمش على استسلام الإنسان للحيوان اللي جواه ف لحظة ضعف على إنها حقيقته

– حقيقة الإنسان هي اللي بتبان ف لحظات ضعفه، ماكانش فيه حاجة تجبرك إنك تشهد زور وتقول إن المخدرات بتاعة زميلك بعد ما قولت والله العظيم أقول الحق

– طب اسمع ظروفي واعرف أنا كدبت ليه

– صَدَق من قال، متسألش الكداب كدبت ليه عشان أكيد هيرد عليك بكدبة تانية

ثم يخرج "مجد" كاميرا ديجيتال ويصوبها على وجه الرجل قائلًا بصرامة:

- أحكى الحكاية بكل تفاصيلها، هو ده التمن الوحيد لعمرك لو

كنت باقى عليه

– "مجد" بزيه الملثم يظهر ليلًا فوق سطح أحد بيوت المناطق الشعبية، ثم يقفز ماسكًا بحبل سميك قوى ليهبط وسط مجموعة من الرجال يقفون أمام أحد المخازن، وما أن يصبح بينهم حتى ينقض عليهم بعنف

– الشرطة تقتحم المخزن فتجد المجرمين مكبلين بالأصفاد، مكممين الأفواه

– "جرجس" يخرج من مديرية الأمن غير مصدق نفسه، ليحرك يده على صدره بعلامة الصليب، في نفس لحظة دخول مجموعة من المساجين

– فى قاعة المحكمة الحاجب يقرأ الأحكام، فيطلق أهالى بعض المساجين صيحات الفرح والزغاريد، في نفس لحظة بكاء وعويل بعض النساء اللاتى يلطمن الخدود ويشققن الجيوب

– صورة زنكوغرافية لمانشيتات مقتطفة من جريدة «المستقبل» عن شخصية البطل الملثم جاء فيها:

– شخص غامض يحاول تحقيق العدالة على طريقته

– مِن الملثم الذي يفجر خطوط الغاز إلى الملثم الذي يتصدى للجريمة، هل أصبحنا في زمن الأقنعة؟

– صراع جديد بين الملثم الغامض وأحد العصابات بالجمالية

– الشرطة تقبض على مرتكبى حادث باب الشعرية الحقيقيين بعد تدخل رجل خفى

ونلاحظ أن أسفل كل موضوع من تلك الموضوعات اسمى "براء فاروق» و«رحمة البدرى»

– "مجد" يسير في أروقة المحكمة وعلى وجهه نظرة رضا وإرتياح،

في حين تتغير وتتبدل الناس من حوله بسرعة شديدة

* * *

في ميدان التحرير انطلقت الحشود الهائلة بجمعة "كشف الحساب"، للتنديد بفشل الرئيس في تنفيذ الوعود التي قطع على نفسه تحقيقها خلال فترة المائة يوم الأولى من حكمه،

6 أبريل، التيار الشعبي، الاشتراكيين الثوريين، وغيرهم من القوى الثورية والمدنية، وعدد من المواطنين الناقمين على حكم الإخوان وعدم قدرتهم على حكم البلاد بالشكل الذي يتفق مع مباديء الثورة، خرجوا جميعا يرددون الهتافات بدوي هائل هز أرجاء الميدان،

أحلق دقنك بين عارك، تلقى وشك، وش مبارك

بيع بيع بيع.. الثورة يا بديع

وفي مسيرة قادمة من شارع "طلعت حرب" تشابكت أيدي "براء"، و"رحمة"، و"الحسيني" و"فاطمة" وعدد كبير من النشطاء السياسيين والصحفيين والشباب وهم يرددون الهتافات المعارضة للرئيس في طريقهم إلى الميدان.

وفي الوقت نفسه كان "صهيب البنجاوي" المسئول عن وحدة التأمين والاشتباك في جماعة الإخوان، يجلس في أتوبيس سياحي يقل شباب الجماعة، وسط موكب من الأتوبيسات التي تم حشدها من مختلف المحافظات للذهاب إلى ميدان التحرير بحجة التظاهر ضد صدور أحكام بالبراءة لصالح رموز النظام السابق في القضية المعروفة باسم "موقعة الجمل"، بهدف عمل حالة تشتيت للقوى الثورية المعارضة للرئيس.

وفي لحظة درامية قدرية أشبه بمشهد سينمائي يخرجه الظرف السياسي الراهن، تقدمت حشود المعارضة داخل الميدان في نفس لحظة تدفق شباب الإخوان من أتوبيسات المحافظات التي حشدتهم، ليردد كل فصيل هتافاته وشعاراته، وقد اجتهدت الحناجر على إخراج أقوى وأعلى ما لديها.

وعلى منصة التيار الشعبي بالميدان، انطلقت الهتافات داخل الميكروفونات بعلو الصوت ضد شباب الجماعة الذين أصبحوا داخل الميدان: "أهُم أهُم أهُم، تجار الدين أهُم".

وعندها، اشتعل فتيل الحرب.

انفجر الموقف عندما هرول "صهيب" نحو منصة التيار الشعبي ومعه 13 شابا ضخام الجثة ليصعدوا المنصة وينهالوا ضربا على كل الشباب الواقفين فوقها، قبل أن يشرعوا في تحطيم المنصة في حين يردد بعض شباب الجماعة: "حرية وعدالة، مرسي وراه رجالة"، قبل أن ينتشر هذا الهتاف كعدوى الكوليرا في كل من جاءوا من المحافظات إلى مولد الجماعة للاحتفال بسيدي المرسي!

ومن جانبهم، انقض شباب 6 أبريل والاشتراكين الثوريين على كل من يردد الهتافات المؤيدة للرئيس، قبل أن تنهال الحجارة والطوب من كل حدب وصوب، ليسقط المصابين هنا وهناك بأحجار معادية غالبا، وأحجار صديقة أحينا، ثم احتلت زجاجات المولوتوف ضيفا على المشهد بعد أن أصبحت سلاحا في يد الشباب المعارض، وهم يتوجهون بها نحو أتوبيسات الجماعة ليشعلوا بها النيران.

وفي موقعه، احتوى "براء" "رحمة" في حضنه قبل أن ينخفض بها أرضا متفاديا الطوب المتقاذف من هنا وهناك، وقد حمى رأسها ووجهها بين ذراعيه وهي تجلس في وضع القرفصاء، قبل أن يزحف بها نحو منصة التيار الشعبي المهدومة لتكون في مأمن هناك، فيلمحه أحد شباب الجماعة وهو يزحف فيلقى عليه قطعة

حجارة تشج رأسه وتسيل دماؤه بعنف، بينما يخرج "الحسيني" كاميرته ليصور المشهد من كل الزوايا، وقد تصبب وجهه بالعرق، وتبلل قيمصه تحت إبطيه وهو يسرق اللقطات سريعا، قبل أن تتوقف عدسته على وجه "صهيب" الذي بدا كثور هائج يطيح بكل من حوله بلا أدنى تمييز، دون أن ينجح أحد في الوقوف أمام هذه الدبابة البشرية شديدة التدمير، وفي الخلفية تعلو صرخات فتيات كانت تظن أن اليوم سيقتصر على المظاهرات السلمية، دون أن يتخيلن أنهن سيجدن أنفسهن فجأة في أتون حرب بلا أي استعدادات مسبقة، بينما يفر البعض في كل اتجاه.

ومن موضعه رأي "صهيب" "الحسيني" وهو يصوره فأشار نحوه قائلا لبعض رفاقه:

– حد يشوف الكلب اللي هناك ده بيعمل إيه؟

لينقض 3 شباب على "الحسيني" الذي أغلق كاميرته ووضعها في طيات ملابسه سريعا فور أن شاهدهم، وما أن همّ بالفرار حتى أمسكوا به لينهالوا عليه باللكمات والركلات بينما يحاول أحدهم أن يمد يده داخل طيات ملابسه ليخرج الكاميرا، إلا أن "الحسيني" وضع يده على الكاميرا وماتت أصابعه عليها قبل أن تسقط نظارته الطبية ويتحول العالم حوله إلي خيالات مهزوزة لصورة مشوشة يذيعها تيلفزيون عينيه الذي صار بلا إيريال، فطوح يديه في الهواء بكل ما أوتي من قوة ليحطم أنف أحدهم قبل أن يفر هاربا في اتجاه "صهيب" وباقي شباب جماعة الإخوان وهو يظن أنه يفر نحو جانب الثوار صارخا:

– ألحقوني ي ي ي، شباب الجماعة ولاد الكلب عايزين ياخدوا مني الكاميرا اللي عليها بلاويهم وفضايحهم كلها

قبل أن تنغرس ركبة "صهيب" في بطنه بفعل ركلة ساحقة أخرجت ما في جوفه، وجعلت لسانه يشعر بطعم الدم في حين ردد "صهيب" بظفر وقد انسدلت خصلات شعره الناعمة الطويلة على جبينه:

- إحنا شباب الجماعة يا مغفل

فيتأوه "الحسيني" قبل أن يقول بصعوبة وهو يخرج الحروف بالتقسيط:

– آآآآآآآه، طب ما أنا عارف بس كنت بختبركم، ما شاء الله عليكم بجد

فيجذبه "صهيب" من قميصه ويوجه لكمة ساحقة إلى وجهه لكنها لا تناله بأذى حين يظهر أحدهم في المشهد ويتلقى اللكمة على ساعده بدلا من وجه "الحسيني".

إنه "براء" الذي أتى في اللحظة المناسبة، متناسيا إصابة رأسه والدماء التي تغرق وجهه وبذلته الرمادية ذات القميص الأبيض المفتوح وقد تحولت أجزاء كبيرة منه إلى اللون الأحمر، ليمسك بيد "صهيب" اليمنى بعد أن تلقى منها اللكمة على ساعده الأيسر حتى ينقذ صديقه، وقبل أن يهم بتوجيه لكمة مضادة لوجه "صهيب" تتلاقي عينيهما في صرامة امتزجت بالدهشة، وقد عجز كل منهما عن الحركة واسقط في أيديهما من المفاجأة حين شاء القدر أن يتواجه أخان من أم واحدة، وينتمي كل منهما إلى أب مختلف، وفصيل سياسي متناحر في ساحة حرب بين فريقين يؤمن كل منهما أن الحياة على هذا الكوكب لا تتسع لبقاء خصمه معه أبدا!

عندها تداعت الذكريات أمام عيني "براء" في فوتو مونتاج سريع لمشهد قتل والده ليلا داخل القرية التي كان ينتمي إليها، لتروي دمائه تلك الأرض الزراعية التي كان يملكها، ثم زيارة خاطبة القرية لمنزله الذي يقيم فيه مع والدته بعد الأربعين لتعرض عليها الزواج

من الشيخ "حسن البنجاوي" الرجل الطيب الغني «بتاع ربنا»، حتى تجد في ظله الأمان والحنان والمساعدة في تربية طفلها في مجتمع لا يرحم الأرامل والمطلقات، ثم صورة زفاف الأم من الشيخ "حسن" في فرح أسطوري حضره أهل القرية جميعا ليردد أحدهم في إذن زميله داخل الكواليس بصوت خفيض مليء بالغل والحسد:

– يا بختك يا سعاد، وقعت واقفة بصحيح، الشيخ حسن هو اللي بيصرف على جماعة الإخوان المسلمين حدانا في البلد، وبيساعدهم في انتخابات مجلس الشعب، وبيصرف على عيالهم لما أهاليهم يروحوا المعتقل، أهي دي الجوازات واللا بلاش

وكيف بات "براء" الصغير في ذلك اليوم بمنزل والده ليسهر الليل كله في مناجاة مع صورة الأب الراحل، متذكرا كلمات أمه ووعدها له بألا تكون لغيره إذا ما فرقهما القدر، فإذا بها تحنث بوعدها قبل مرور عام على رحيله، إلا أنه على الأقل قطع على نفسه وعدا ألا يترك دماء أبيه تضيع هدرا، وألا يسمح لذلك الرجل الغريب بأن يحل محله.

ثم صوت بكاء طفل وليد ينبعث من أحد غرف الدار تصاحبه صوت زغرودة الداية وهي تغادر غرفة والدته قائلا للشيخ "حسن":

– يا ألف نهار مبروك، ولد يا شيخ حسن، شبهك الخالق الناطق، وبكرة إن شاء الله يطلع بركة زيك وخيره على أهل البلد كُلِتها

قبل أن تلمع عيني الرجل بدموع السعادة وهو يردد بنبرة باكية:

– ألف حمد وشكر ليك يا رب، ألف حمد وشكر

– هتسميه إيه يا حاج؟

– صهيب بإذن الله، "ثم يعيد تكرار الاسم ببطء وانسجام:" صهيب، حسن، البنجاوي

بعدها تحولت حياة "براء" إلى جحيم لا يطاق مع قدوم ذلك الأخ الجديد،

صار زوج الأم يسبه ويلعنه لأتفه سبب،

لصغائر الأمور كان ينهال عليه بالضرب المبرح لاسيما إذا اشتكى منه أخيه الأصغر أو اختلق أي كذبة ضده، حيث كلامه مصدقا دائما، بينما أصبح "براء" طوال الوقت في دائرة الشك والاتهام،

وفي إحدى المرات حاول "براء" أن ينتقم من زوج الأم ويحرجه أمام ضيوفه، فقام بشراء مسحوق المقالب الذي يتسبب في خروج الغازات الكريهة من بطن من يتناوله، وأفرغه بالكامل في كوب الشاي الذي تم إعداده خصيصا للمرشد حين جاء في زيارة هامة للشيخ "حسن" من أجل طلب مساعدة مالية للجماعة، والتنسيق معه لخطة إدارة الانتخابات القادمة، وكيف أخذ "براء" الصغير يضحك بصوت عال وهو يرى هرولة المرشد على الحمام كل 3 دقائق، وما أن اكتشف زوج الأم ذلك حتى قام بربطه وإلقائه في حجرة مظلمة دون أن يستمع لتوسلات الأم.

عندها فر صاحبنا من المنزل وذهب إلى بيت والده القديم وأقسم ألا يغادره أبدا، بعد أن حرّم على أمه أن تزوره أوحتى تدخله، قبل أن يغادر القرية بعد حصوله على شهادة الإعدادية ليلتحق بالثانوية الجوية ذات الإقامة الداخلية، بعد أن تقدم لاختباراتها ونجح فيها فقط ليجد مكانا بديلا عن المعيش في قرية واحدة يسكنها زوج أمه الذي اغتصب سعادته، وتسبب في بناء ذلك الحاجز النفسي الذي لن يمحى إلى الأبد بينه وبين والدته، دون أن ينزل في إجازات الخميس والجمعة إلا سويعات معدودة يذهب فيها لمقابلة الفتاة الجميلة "رحمة" التي تقيم في منزل عمها الأرمل للإطمئنان عليها والقيام بدور "سانتا كلوز" الذي يوهبها كل ما تحلم به وتتمناه،

ثم يعود لعنبر المبيت في مدرسته ليقضي عطلة الأسبوع في قراءة الكتب، قبل أن يغادر المدرسة بعد انتهاء فترة الثانوية رافضا التقدم لاختبارات الكلية العسكرية، بعد أن وجد في الكتب والثقافة غايته، وتمنى لو صار كاتبا صحفيا ذات يوم، لاسيما أنه وجد أن هذا حلم حبيبته التي قررت الالتحاق بكلية الإعلام فقرر أن يكون عكازها الذي تتسند عليه في فترة الدراسة، ليبقى معها أطول فترة ممكنة بعد أن استأجر شقة صغيرة أصبحت موطنه الجديد.

ومن جانبه، مرّ "صهيب" بنفس الحالة حين نشأ على وجود أخ أكبر لا يحبه والده، ودائما ما ينعته بالعاق المتصلف المليء بالحقد والغل،

أخ أكبر انقطع عن زيارته هو ووالده ووالدته، لتتأكد فيه كلمات وأوصاف الأب،

أخ أكبر التقاه قليلا بالصدفة على فترات متقطعة، وفي كل مرة كان يسخر فيها من الجماعة الأصولية التي ينتمي لها والده، وأفكارها المتطرفة، مشيرا إلى جرائمهم وأفعالهم المشينة عبر التاريخ، ليحذر أخيه الأصغر من ذلك الانتماء الملعون الذي تورثه العائلات الإخوانية لأولادها وبناتها، بينما اكتشف "صهيب" بدوره من خلال هذا الانتماء مدى صدق أعضاء هذه الجماعة ورغبتهم المقدسة في أن يعلو الإسلام وتسود شريعته، وكيف كان معلموها يدرسون إليهم كتب البنا وسيد قطب وزينب الغزالي وحكايات الصحابة والسيرة النبوية في الوقت الذي كان يقرأ فيه الأخرون كتب "فلاش" و"رجل المستحيل" و"ملف المستقبل" و"ما وراء الطبيعة" و"ميكي"، ويشاهدون كارتون كابتن ماجد ومازينجر وسلاحف النينجا، ليتأكد له أن أخوه الأكبر على باطل، ولا يشرفه أن تجمعهما صلة رحم واحدة.

أخ أكبر شمت في والده بعد أن اعتقلته قوات أمن الدولة وصدر قرار بتجميد ومصادرة أمواله، في قضية مليشيات جماعة الإخوان داخل جامعة الأزهر، ليكتب "براء" حينها مقالا ناريا ويظهر في حلقات التوك شو مطالبا بتوقيع أقصى عقوبة على جماعة الإخوان المنحلة، وأعضائها الذين فلت عيارهم وأزكمت رائحة تطرفهم وإرهابهم الأنوف، قبل أن يرفض حضور جنازة الشيخ "حسن البنجاوي" أو تقديم واجب العزاء فيه حين مات بالمعتقل، ليقرر "صهيب" بعدها أن يكمل رسالته ويستكمل كفاحه.

حتى في ثورة يناير حين تناست أطياف المجتمع خلافاتها السياسية والأيدلوجية، وتوحدت جميعها على هدف واحد متمثلا في اسقاط نظام مبارك، لم ينجح الميدان في أن يعيد المياه إلى مجاريها بين "براء" و"صهيب" لأنه باختصار لم تكن بينهما ذات يوم أي مجرى تسير به المياه، ولو وجد لصارت فيه الكراهية والأحقاد.

وفي توقيت واحد عاد كلاهما من ذكرياته، وقد عجزا عن اتخاذ القرار في تلك المواجهة القدرية، إذ رغم كل تلك الخلافات العميقة لم تتطور الأمور بينهما ذات يوم إلى العراك بالأيدي، قبل أن تعفيهم المصادفة من الحرج حين انقلبت الموازين فجأة ووجد "صهيب" شباب الجماعة وهم يولون الأدبار من حوله وكأنهم يفرون من الطوفان، وقد انسلخت وجوه البعض منهم وهو يجري بصرخات رهيبة متقطعة نحو اللا شيء دون أن يعرف إلى أي واجهة يهتدي، ليظهر في ذلك التوقيت شاب أبريلي وهو يشير نحو "صهيب" هو ومن تبقى من زملائه قائلا:

— أطحنوا ولاد الكلب..دووووول

قبل أن يتضح أن ذلك الشاب ورفاقه من جماعة 6 أبريل يحملون أكياسا من الجير الحي يلقوها على شباب الإخوان قبل أن يقذفوهم

بالماء لتتفاعل المياه مع الجير الحي وتولد جحيما لا يطاق يمحي الجلود ويصل إلى العظام، في حين أخذ شباب أخر من 6 أبريل في إلقاء زجاجات المولوتوف على الفارين من شباب الجماعة ليبدأ الإخوان في الإنسحاب من ميدان التحرير متجهين نحو تمثال عبد "المنعم رياض" الذي تقف عنده بعض أتوبيساتهم التي احترقت ولم يجدوا ما يقلهم في رحلة العودة لمحافظاتهم.

وخلف شباب 6 أبريل الذي حاصر "صهيب" ومن تبقى معه من رفاق، رأي "براء" من بعيد "رحمة" وهي تمسك بيد أحدهم لتهرول معه في حين تصيح بلوعة:

– الحقوا براء بسرعة قبل ما يعملوا فيه حاجة

لترتسم على وجهه – رغم دقة الموقف- سعادة لم تسعها أرجاء الكون الفسيح، ويرقص قلبه طربا غير مصدق أن حب عمره تهتم بأمره وتردد بأجمل لسان وأروع صوت في الوجود حروف اسمه بهذا الاهتمام، ليتمنى في تلك اللحظة لو تكرر الموقف ألاف المرات ليحظى باهتمامها ولهفتها في كل مرة، ثم تساءل في نفسه: لما لا يوجد Retweet للأيام والمواقف واللحظات؟!

يا الله، إنها هي التي استدعت الأخرين لنجدته وأصبحت تميمة نجاته في لحظة نادرة تبدلت فيها الأدوار بعد أن قضى عمره في خدمتها وإنقاذها من أي مكروه.

خيل إليه أنه يسمع دقات قلبه التي تعالت وغطت على صيحات وهتافات الميدان، وتمنى لو حالفه الحظ بطلقة مجهولة تسيل لها دماؤه ويتمدد جسده بعدها على الأرض فتحتضنه وتردد اسمه باهتمام مضاعف، وربما لم تبخل عليه حينها بكلمة "بحبك" ولو على سبيل الرأفة في لحظات عمره الأخيرة.

وفي غمار تلك النشوى التي غزت كيانه، التف حول عنقه فجأة ساعد "صهيب" ليعتصره بقسوة حبل مشنقة لا يرحم ضحيته حين يفتح عشماوي باب الطبلية، قبل أن يفر من رئتيه الأكسجين بينما يردد "صهيب" بغضب هادر وهو يضغط بعنف أكثر على رقبة "براء":

– كل واحد يقف مكانه وإلا هفصل راسه عن جسمه.

رأت "رحمة" الموقف بإذنيها التي حولت الكلمات والحروف إلى صورة، دفعتها لتصيح برعب:

– براااااااااااء

ومن جديد راحت ملامحه تبتسم بسعادة أذهلت كل رفاقه في 6 أبريل بعد أن تجمدوا في أماكنهم، بينما تزاحم المتظاهرون حول الموقف و"صهيب" يستطرد بعصبية:

– كل شباب الجماعة ترجع على أتوبيساتها بسرعة ومحدش يشغل باله بيا

وما أن غادرت الحروف لسانه حتى تراجع شباب الجماعة بسرعة، قبل أن يقول "براء" لرفاقه بصوت متحشرج صادر من حنجرة مختنقة:

– إنتوا كمان أمشوا وكملوا هتافاتكم، ده مجرد خلاف بين إتنين إخوات ماحدش فيهم ممكن يأذي التاني

قبل أن يحرر عنقه من ساعد "صهيب" الذي وجد نفسه يتركه بلا أدنى مقاومة لتتلاقى عينيهما مجددا ويتبادلا الحوار بنظرات ومشاعر كانت أكبر من أن تصفها الكلمات وتحتويها اللغة، وقد شعر كل منهما أن الميدان بمتظاهريه ومبانيه ومحلاته قد تلاشوا، ليتبقى حولهما فقط حبل ضعيف متفتل اسمه رابط الأخوّة التي أصبحت مع إيقاف التنفيذ، حتى انتصر في النهاية الولاء الإخواني

داخل "صهيب" الذي نفض عن نفسه بقايا إنسانيته ومشاعره تجاه أخوه، ليميل على إذن "براء" ويهمس فيها بشراسة:

– ماكنتش أتمنى إني أسيبك إنت وباقي الكلاب الضالة اللي نزلت تتطاول على أسيادها، لكن كويس إن ده حصل عشان لما نقتص منكم المرة الجاية ما نحسش بتأنيب الضمير

فيضغط "براء" على كلماته وهو يحدجه بنظرة نارية دون أن تفقد شفتيه سخريتها وهو يقول:

– الخرفان دايما بتحاول تنطح أصحابها، بس في النهاية هي اللي بيكون مصيرها الدبح

قبل أن يربت على كتفيه وهو يشير للأتوبيسات المحروقة قائلا:

– يالا عشان تلحق تشوف إخواتك هيركبوا إيه بعد ما أتوبيساتهم اتحرقت،

فيتركه "صهيب" وينصرف وعلى وجهه المقت بأعتى صوره، ومن خلفه نرى "رحمة" تقف بجوار "براء" الذي يردف بابتسامة ساخرة:

- أبقى خدهم على كتفك يا أخ صهيب وكله بثوابه، أو طفوا الأتوبيسات بالـ "مااااااااااء"

بينما واصل متظاهرو 6 أبريل وباقي القوى الثورية هتافاتهم:

- أهُم أهُم أهُم، تجار الدين أهُم

* * *

في ليلة أراد فيها الشتاء أن يرسل التماسي ويجس نبض البشر قبل مجيئه، هب النسيم على الشرفة التي تجلس فيها "رحمة" بمفردها كعادة يومية لم تنقطع عنها منذ سنوات، ليحمل لها رائحة السماء والنجوم، وسلامات الوجود الذي تسمع صوته عوضا عن رؤيته بعينيها التي لا تستقبل أي نور، قبل أن تغريها زغزغة النسيم على الطمع في جرعة إضافية من المتعة والسعادة، لتبحث بأصابعها عن زر تشغيل الـ MP3 الذي تسكن سماعتيه في إذنيها، وهي لا تعلم إلى أي Track سيقودها الحظ

فى عيونك، لغز وأسرار

فى عيونك، رحلة ومشوار

قلبى مشاعر كلمات، عنده مشاعر همسات، شعر قصايد أبيات، جوة عيونك

أنا ممكن أضيّع عمرى، وأضيّع روحى وأضيع في عيونك!!

أسعدتها الأغنية إلى حد الحزن، ورسمت على ملامحها ابتسامة دامعة، وقد عاندها القدر بأغنية جاءت على الجرح، وذكّرتها بحاسة البصر المعدومة، مع تكرار هذا الكم من كلمة «عيونك»!

فى عيونك، حسيت بأمان

فى عيونك، قلبى أنا غرقان

على كيفك ودينى

على كيفك ونادينى

وارمينى، وخلينى في عيونك

لو حد عايزنى في حاجة بجد يحلفنى بعيونك

إلا أنها تناست مع سحر الكلمات، واللحن، والصوت، أحزانها وآلامها، ليخطفها الخيال إلى عالم غير العالم، رأت فيه -بقلبها- ذلك البطل الذي لم تتبين ملامحه وهو يراقصها بكل الحب والرومانسية، قبل أن يحتضنها في صدره القوي، ويزود عنها بشخصيته ونبراته الواثقة ضد أي خطر محتمل.

تعالى أتصالح على نفسى وأنا وياك

وأعيش جوة سلام إيدك وأموت، وأنا بهواك

والحياة في هوااااااك تبقى حياة

فتنهمر عند هذا المقطع قبلاته على يديها بشكل أكثر من المتوقع، ليهز كيانها في أعنف موجة رومانسية تلقتها في حياتها، دون أن تحتمل عينيها الرقيقة كل هذا الكم من المشاعر، فتطلق العنان لدموعها وتكلم الوجود كله بحبات الماس التي تتساقط على وجنتيها، وكل حبة تشكر الإله الرحوم على نعمة الحب التي لم تتذوقها بعد مع شريك حياتها، لكنها على الأقل تعيش على أمل لقاءه ذات يوم، في حين يذوب صوت إليسا ويتوارى خلف صوت دقات قلبها التي علت على أي صوت، قبل أن تتحول وصلة الحب إلى رجة عنيفة تهز جسدها بقوة أجبرتها على أن تفتح عينيها بذهول دون أن ترى بهما أي شيء، فسعت للرؤية بإذنيها لتتبين صوت عمها الذي يقف أمامها في الشرفة كالمشدوه وهو يمسكها من كتفيها ويقول لها في دهشة:

– خير يا بنتي مالك في إيه؟ عمالة تبوسى إيدك وإنتى مغمضة عينك والدموع مغرقة خدك!!!

عندها بكت بخجل حاولت إخفاؤه دون أن تدري إلى أي اتجاه تنظر لتهرب من نظرات عمها، قبل أن تستسلم وتقول في وهن:

- وحشني أوي يا عمو

- هو مين ده اللي وحشك؟

- حبيبي اللي عايشة على أمل إنه يعوضني عن حضن أبويا وأمي اللي اتحرمت منهم من صغري، وحضن أخويا اللي عاش عمره كله ف أمريكا

يحتويها عمها العجوز بذراعه اليسرى، ويملس بكفه اليمنى على شعرها الحريري قائلا بحنان فاق حنان الأب:

– أخص عليكي، معقول حضني مامنّوش أي فايدة للدرجة دي، كنت فاكر إنه هيعوضك ولو بحاجة بسيطة

ثم يضحك ضحكة قصيرة قائلا بشقاوة تليق بعجوز مثله:

– طب قلة الأدب وبطلناها من زمان ومابقاش لينا ف أي حاجة، بس مش لدرجة إني ما بعرفش أحضن، ده حتى يبقى مرض بايخ، تخيلي كده واحد يروح يكشف عند الدكتور ويطلب مقويات للحضن

تضحك رحمة رغما عنها بينما لا زال الحزن يحتل ملامحها ويلجم لسانها عن الكلام فيتابع العم:

- نفسي أعرف بس ليه مش عايزة تحسي ببراء يا بنتي، أنا ماشوفتش في حياتي إنسان ممكن يحب واحدة الحب اللي بيحبهولك

- ولا أنا شوفت قلب عنيد زي قلبي، بس لو كانت قلوبنا بإدينا ماكانش في بني آدم نام ودمعته على خده، أو عدت عليه لحظة حزن، يمكن لو كانت مشاعره ناحيتي عادية كنت أنا اللي جريت وراه؛ لكن على قد ما بيلح عليّ على قد ما بيبعدني عنه، ومش ممكن أسامح نفسي لو ظلمته بعد كل الحب اللي حبهولي، ولا هرضى ف نفس الوقت أوافق على الراجل الوحيد اللي ظهر في حياتي لمجرد إن مفيش بديل غيره زي ما أي عانس بتفكر، أدعي لي يا عمو يظهر في حياتي حد تاني يحاول يحبني، وساعتها هشوف إذا كنت هبادله نفس الحب، واللا هعيد تفكيري ناحية براء بعد ما أكون شوفت مشاعر التانيين وعرفت قيمته

ومع آخر حروف كلماتها، عادت صديقتها المقربة إليسا لتبث عبر سماعات الـMP3 وصلة مشاعر ملتهبة عبر أغنية جديدة بدت كأنها رسالة من القدر

مش كل اللي بنحبهم، هيكونوا لينا

ولا كل اللي بنحبهم، لايقين علينا

ممكن نلاقي اللي ياما حلمنا بيهم، ويلاقونا، ما نلاقيش الحب فيهم

وساعات بنشوف الحب وهو، ما يشوفناش

وساعات يقابلنا الحب ويمشي، ما عرفناش

وساعات بيجينا الحب ويمشي، كأنه ما جاش

وكتير بيسيبنا الحب وجرحه، ما بيسيبناش

مش كل اللي راح مننا، سيبناه بإدينا

ما جايز يكون حلمنا، ما حلمش بينا

ممكن يلاقي فينا فعلا كل حاجة، وأي حاجة، وما يلاقيش الحب فينا

* * *

المستشار "حسام" وابنه "أُبَيّ" و"مجد" يجلسون على مائدة الطعام حيث يتـناولون العشاء، في حين يقول المستشار "حسام" بحسم وهو يقطع قطعة من البوفتيك بالشوكة والسكينة:

– بس ده مش صح يا مجد

ليرد عليه "مجد" باهتمام:

– ليه يا سيادة المستشار؟

المستشار "حسام":

– وأنا ف سنك عملت تصور مشابه للتصور بتاعك، طالبت فيه بزيادة عدد القضاة ووكلاء النيابة عشان نخلى القضاء المصرى حباله مش طويلة زي ما الناس بتقول، ولما سلمته لرئيسى عشان نصعّده لمجلس الشعب ويتحول لقانون جديد لإصلاح السلطة القضائية فضل يضحك

"مجد":

- ليه؟

المستشار "حسام":

– لما ويندوز الكمبيوتر يتقل معاك ويبقى بطيء، مهما زودت ملفاته مش هيتغير، الصح إنك تنزل ويندوز من أول وجديد

"أُبَيّ" وهو يضع الشوكة المغروس فيها قطعة لحم في فمه:

– لسه هنزل ويندوز جديد يا عالم عيوبه إيه، اللي نعرفه أحسن م اللي ما نعرفوش

فيرد عليه "مجد" بلهجة غامضة:

– بكره عمره الافتراضى ينتهى ويقع غصب عنه، ساعتها الجديد هيفرض نفسه

"أُبَيّ" وهو يمضغ الطعام:

– لو بصيت للتاريخ هتلاقى إن مصر طول عمرها بلد التحول المفاجئ اللي بيحصل من غير أي ترتيب، ننام 22 يوليو وإحنا بنسبح بحمد الملك نصحى 23 يوليو وإحنا بنسقف ونهلل لثورة 52، نغمض عنينا ف 4 يونيو وإحنا بنقول هنرمى إسرائيل ف البحر، نصحى 5 يونيو على أكبر نكسة ف تاريخنا، نقول ف 5 أكتوبر السادات مش هيحارب، نحقق ف 6 أكتوبر أعظم انتصار عسكرى على إسرائيل، حتى ثورة يناير بدأت بمظاهرت وفجأة الموضوع كبر وبقت ثورة، عشان كده أنا ماليش دعوة بالسياسة ووجع الدماغ، التغيير بيحصل ف لحظة مفاجئة من غير ما يكون لينا فيها أي دخل

فيقول له المستشار "حسام":

– بس فيه ناس معينة هي اللي هتصنعه، تضمن منين إنهم هيصنعوه لصالحك لو ماشاركتش فيه؟

"أبيّ" وهو يضع الشوكة في قطعة لحم كبيرة:

– وأضمن منين إن مشاركتى هتتحسب لي بدل ما تتحسب عليا، أديك أهو مشارك في تيار الاستقلال القضائي بقالك سنين، وياما طالبت بتحسين أوضاع القضاة والإشراف القضائي على الانتخابات، كسبت إيه، هتك مع الدولة، وحرب مع زمايلك في تيار الحكومة، وانت فاهم الباقى، حتى اللي قاموا بالثورة دلوقت اتشوهوا واتقال عليهم مخربين وقابضين، إحنا مش هيتصلح حالنا غير لو بطلنا كلام عن إمبارح وبصينا لبكرة

ينظر له "مجد" بصرامة قائلا:

– وبكرة عمره ما هييجى لو ما نضفتش الجرح بتاع إمبارح وغيّرت عليه كويس قبل ما تقفله، يا كده يا تستحمل الصديد والغرغرينا اللي هتنغص عليك باقى أيام حياتك، على سبيل المثال كل قضايا قتل المتظاهرين المتهمين فيها خدوا براءة، وآدي كمان المتهمين في موقعة الجمل خدوا براءة، مش عشان العيب في اللي بيحكم ولا العيب في اللي اتقتلوا قد ما العيب في القوانين نفسها والسيستم اللي القضاء ماشي بيه وحباله الطويلة، عشان كده قبل ما تتكلم عن المستقبل لازم تعمل قوانين جديدة نصالح بيها الناس على الماضى، وما تنساش إن تأخير تحقيق العدل، ظلم ف حد ذاته

فيقول له "أبيّ" ساخرا:

– موت يا حمار، إحنا ماشيين في طريق ممكن بعد 50 سنة كتب التاريخ تكتب عنه إنه كان أكبر غلط عملناه ف حياتنا، م الآخر كده كان قدام الناس حلين مالهمش تالت، يا يلعبوا سياسة وكل حاجة تمشي بالقانون وساعتها ماحدش يشتكي من الأحكام اللي معظمها هيبقى براءة عشان مفيش أدلة، ويحصل تصالح اجتماعي ونبدأ نبني البلد بجد، يا يلعبوها ثورة ومحاكم ثورية ويتحملوا ذنب ناس كتير هتروح في الرجلين وتتعدم ظلم حسب مزاج الثوار وأهوائهم الشخصية زي ما حصل في الثورة الفرنسية والبلشيفية، إنما نص ثورة ونص قانون ده هجص مش هيودينا لحاجة مفيدة، لازم نرسى على حل ونمشي فيه لحد أخره بس المهم نوصل لبكرة بدل ما إحنا محلك سر

يلتقط المستشار "حسام" طرف الكلام قائلا:

– في حل المسائل الرياضية خطوات الحل بتبقى أهم بكتير من الناتج النهائى اللي ممكن يطلع غلط، بس اجتهادك على الأقل هتاخد عليه درجات

* * *

في غرفة نومه الضيقة الأشبه بقبر، استيقظ "براء" على صفعة شرسة من أشعة الشمس التي تسللت إليه عبر النافذة التي فتحها صديقه "الحسيني" وهو يصور من جديد مشاهد متفرقة للقاهرة القبيحة بمبانيها العشوائية وأسطحها القذرة التي غزتها أطباق الستالايت، ليقول الأول بعين مغمضة وأخرى نصف مفتوحة، وجسد نصف عاري من الأعلي:

– بتعمل إيه عندك يا زفت، مش لاقي أم مكان تاني تصور منه غير شباك أوضة النوم؟

يستدير إليه "الحسيني" بوجه متورم غزاه اللون الأزرق وقطعتين بلاستر، قبل أن يقول ساخرا:

– هو إنت عشان أنقذتني وجيبتني أبات في بيتك هتعيّشني على مزاجك يا عم الحاج؟ أنا راجل بحب أصحى بدري ألحق نصيبي

في الأرزاق اللي ربنا بيوزعها من الفجرية، ده غير إن مفيش واحد virgin زيي ممكن يعرف ينام مع ذئب بشري نصه الفوقاني عريان زيك

يجلس "براء" نصف جلسة على سريره قبل أن يلتقط علبة سجائره التي يضعها في علبة معدنية عليها صورة "بوب مارلي"، ليتقط سيجارة يشعلها ويأخذ منها نفسا ثم يهرش في شعره قائلا:

- بمناسبة نصي الفوقاني العريان ده عايز أقولك إن انتظار المرض شيء سخيف، وأقذر بكتير من هجومه فجأة، يعني أنا كل ليلة بنام half naked، بيني وبين مروحة السقف اللي شغالة على أعلى درجة متر ونص بس، في شقة ضحكوا عليها وهي صغيرة وقالوا لها إنها صوبة إزاز، فبتشفط كل حرارة النهار وتطلعها على جتتي صهد طول الليل،كل ليلة ببقى عارف إني حصحى تاني يوم عرقان وواخد برد غبي، وكل ليلة بستنّى المرض ومش بييجي، لدرجة إني بفكّر إنه لازم يخترعوا حاجة عكس الأدوية للمواقف اللي زي دي

ثم يلتقط نفسا أخر وهو يتأمل السقف قبل أن يتثائب ويسأل بلهجة غلبها النعاس:

– هتغور أمتى صحيح؟

– تصدق إن ضوافري متربية عنك؟ أكيد مش قبل ما أفطر، عندك إيه يتاكل؟

– أنا ماعنديش تلاجة أصلا، أفتح الكومودينو هتلاقي عندك منيو فطاطري بحب أكل من عنده، هات لي بيتزا مشكل جبن وشوف هتطفح إيه

– وهي البيتزا إيه غير شوية عيش مزوقيته بمكياج، إنت بتسمي ده أكل؟ أنا قولت هتقول لي على منيو كبابجي

– والله لو على حسابك يبقى موافق

– ماشي يا أصيل يا أبو الذوق كله، هعزمك في بيتك وكله عند ربنا، عشان لو جيت تعايرني إنك انقذتني وبيّتني ف بيتك أعايرك بالريش والنيفة

يجذب "براء" وسادة صغيرة يضعها على رأسه ليحجب ضوء الشمس قائلا:

– فيه حكمة بتقول أوعى تتخلي عن حلمك، وخليك نايم عشان تكمله، سيبني أكمل حلمي بقى وأقفل الشباك وخد الباب وراك بدل ما أجيب لك الواد اللي ضربك تاني يعمل معاك السليمة

وما أن يهم "الحسيني" بالرد، حتى يرن جرس المنزل فيتجه نحو باب الشقة قائلا:

– حظك إن الجرس ضرب، غير كده كنت هفضل أتحايل عليك ما تجيبهوش لحد ما تزهق

ثم يثني مقبض الباب ليفتحه قبل أن تطالعه سيدة منتقبة متشحة بالسواد

– السلام عليكم

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

– يا ترى براء هنا؟

– آه موجود، نقول له مين؟

أقصته لتعبر إلى ردهة المنزل قائلة:

– المفروض إني أمه، وإنت تطلع مين؟

– المفروض إني صاحبه، وكتر خيره استضافني عنده بعد ما واد إخواني إبن كلب عورني

— أهو إبن الكلب ده المفروض إنه أخوه، وانت وأمثالك من اللي بيشتموا الإخوان وبيحاربوا الدين مش هيوردوا على جنة

— تصدقي وتأمني بالله؟

— لا إله إلا الله

— أنا سعيد إنك قولتي الكلام اللي زي الفل ده، ده انا كنت لسه هتورط في عزومة كباب ونيفة وبيتي كان هيتخرب، "**يلتقط كاميرته ويضعها في الحقيبة المخصصة لها مستطردا:**" طول عمري حاسس إن ربنا بيحبني عشان كده بينقذني على آخر لحظة، "**يتجه نحو باب الشقة ويفتحه ثم يستدير قبل أن يغادر مناديا:**" سيب حلمك بقى وتعالى استلقى وعدك من ماما يا براء، شكلها جايبة لك معاها أكل أحلى، سلامو عليكم

قال جملته الأخيرة وهو يغادر الشقة ليغلق بابها من الخارج، في نفس لحظة استدارة والدة "براء" لتجد إبنها أمامها وهو يتأملها بنظرة نارية حاولت أن تبادله مثلها قبل أن تهزمها عاطفة الأمومة لتتأمل بحنين فلذة كبدها الغائب عنها منذ سنوات، وقد بدت من خلفه صورة والده المعلقة على الحائط وعليها ذلك الشريط الأسود، ليبدو الأب والابن صورة طبق الأصل في الملامح والنظرات، غير أن أحدهما ينتمي للأرض والأخر ينتمي للسماء.

جاهدت الأم لتبادر بالكلام، فتاهت منها الكلمات، وتبعثرت على لسانها الحروف وهي تتذكر في ملامح إبنها عمر مضى مع زوجها الأول والحب الحقيقي في حياتها، قبل أن تفقد ابنها البكر هو الأخر رغم أنه على قيد الحياة!

"خير؟"

قالها "براء" بكلمات جافة خالية من المشاعر كورق شجر تالف مصفر في موسم الخريف، لتجيبه بلهجة امتزج فيها العتاب بالحنين:

— هييجي منين الخير وولادي الإتنين كانوا هيقتلوا بعض ويقطعوا قلبي ما بينهم؟

— انتي مالكيش غير إبن واحد فضّلتي أبوه على أبويا، وإذا كان على قلبك اللي خايفة إنه يتقطع فمتقلقيش، مش هيحصل له حاجة، لأنك ما عندكيش قلب أصلا

تتهدج نبرات صوتها الجريحة وهي تكشف عن وجهها قائلا بعينين دامعتين:

— مهما أنكرت صلة الرحم اللي بينا وقاطعت أمك مش هقدر أدعي عليك وأشتكيك لربنا، إنت حتة مني، وعملت اللي عملته عشان كنت خايفة عليك، جايز أكون اسأت التصرف، بس إنت كمان غلطت كتير، تعالى ننسى اللي فات ونسامح يا إبني، وإذا كان على أخوك فقلبه طيب وأنا هعرف أخليه يصالحك

يبتسم بسخرية مريرة ويغمغم:

— هه، ده أنتي لسه قايلة إننا مش هنورد على جنة، ولو فكرت أصالحك إنتي وإبنك انتمائكم لجماعة وسخة زي دي هيفضل حاجز ما بينا

ينهار تماسكها وتفلت دموعها رغما عنها وهي تقول بندم شديد:

— أنا اللي غلطانة إني وافقتك تبعد عن حضني لحد ما اتلميت على شوية عبيد ملوا دماغك بفكرهم المسموم وحقنوك ضد ناس عاشت وماتت عشان تنصر دين ربنا وتنشر الدعوة وآدي النتيجة، طب لو سامحتك في الدنيا ونسيت قسوتك عليّ هتعمل إيه مع ربنا يوم الحساب لما يكون فيه جنة ونار وصراط مستقيم؟

— في يوم زي ده إنتي والجماعة اللي هتطلبوا الرحمة والمغفرة،

بس ربنا ساعتها هيقول لكم إنه مش هيسامحكم غير لو الشعب والناس اللي اتظلمت على إديكم يسامحوكم الأول، لأنه بيسامح في اللي يخصه، ومستحيل يسامح في حاجة تخص بني آدمين مظلومين غير لما أصحاب الشأن يسامحوا

تتأمله بحسرة وأسف:

— نفسي أقولك حسبنا الله ونعم الوكيل فيك بس لساني مش مطاوعني، ولو طاوعني قلبي هيقول بعد الشر، **"يتهدج صوتها أكثر وتشعر أن أنياط فؤادها تتمزق وهي تقول بقلب ينفطر:"** روح ربنا يهديك

ثم تنزل نقابها لتداري وجهها وتحتجب خلفه دموعها السحاحة وهي تنصرف من البيت مسرعة، جارة معها أذيال الخيبة، بينما حان الوقت لتلمع عين الإبن بالدموع وهو يتابع إنصرافها بتأثر ثم يقول بكل حزن الوجود:

— كان نفسي أقول لك وحشتيني

قبل أن يستدير إلى الخلف متطلعا إلى صورة والده ليسيل خطا من الدموع الساخنة على وجنتيه

* * *

في منظمة "نبض العدالة" يجلس "مجد" أمام مكتب المستشار "مظلوم غلاب" الذي يطالع مجموعة من الأوراق قبل أن يقول لـ "مجد":

— بكرة أول يوم ليك في محكمة جنوب القاهرة، خلاص يا سيدى سيبنا القواضى الجنح ودخلنا في الجنايات، وبكرة تترقى وتبقى مستشار، مبروك

يبتسم "مجد" ابتسامة خفيفة قائلا باقتضاب:

- الله يبارك فيك

يغلق "مظلوم" الملف الذي كان يقرأه، ثم يتابع:

— في الحقيقة إنت محظوظ إنك هتشتغل مع المستشار حسام البسطاويسي في الدايرة بتاعته، الراجل ده مكسب مهم وهتتعلم منه حاجات كتير سواء في القانون أو على المستوى الشخصى غير اللي اتعلمته منه الفترة اللي فاتت باعتباركوا قرايب، لكن عيبه إنه متكتف زي غيره بسيستم القضاء اللي مليان غلطات وثغرات، ودى الميزة اللي هتفرقك عنه في القضايا اللي هيديهالك عشان تجتهد فيها وتحكم فيها معاه، بالمناسبة يا مجد، إنت متراقب

يعقد "مجد" حاجبيه ويسأل باهتمام:

— من مين؟

— من ظابط اسمه أمل العبد، أعضائنا اللي في الأمن الوطني بلغونا وقمنا بالواجب

— إزاي

— أبدا، عملنا عمليات تمويه بناس راكبة عربية شبه عربيتك بحيث يظهروا في اللحظات المناسبة ويعملوا عملية تشتيت، ده غير تدخلات رجالتنا في الأمن الوطني عشان يداروا عليك، **"يميل نحو مجد ويبتسم ابتسامة واثقة مضيفا:"** حسيت بأي حاجة من كل ده؟

— أبدا

— عشان تعرف إن وراك منظمة مش سهلة، عايزك تاخد حذرك الفترة الجاية بس من غير ما تبالغ في الحذر عشان ماحدش يشك، وإحنا هنبقى ف ضهرك

قبل أن يرد "مجد"، يضغط "مظلوم" زر الإضاءة ليظلم مكتبه قبل

أن يعمل جهاز البروجيكتور الذي يعرض صورة فتاة جميلة ذات بشرة بيضاء يتناثر اللون الأحمر على خريطة وجهها المستدير الذي تزينه عينين خضراويتين، وتحطيه طرحة سوداء تنسدل من تحتها خصلات ناعمة لشعر أصفر ذهبى تسللت من تحت الإيشارب لتظهر في الصورة، لكن ثمة حزن هائل في عينيها وملابس بسيطة بالية كادت أن تشوه هذا الجمال الربانى بمظهرها الفقير المعدم، بينما يقول "مظلوم" وهو يتأمل صورتها مع "مجد":

– فرحة عبيد الدرندلى، المجني عليها في قضية الإغتصاب اللي انت مكلف بالاجتهاد فيها وإبداء رأيك، ضمن القضايا اللي هتنظروها في الرول إنت والمستشار حسام البسطاويسي والقاضي عامر طويلة

ثم يعرض البروجيكتور صور متتالية لثلاثة من الشباب في أوائل العشرينيات من عمرهم، سيماهم على وجوههم بالشر والإجرام، في حين يقول "مظلوم":

– زكريا خليل المصيلحى، وسيد إبراهيم المنشاوى، وخطيب فرج درويش، المتهمين بإغتصابها، لكن كل الشواهد ضدها وبتؤكد إن حقها هيضيع، خصوصا إن الطبيب الشرعى اللي وقّع الكشف عليها قدر أهالى المتهمين يشتروه وكتب تقرير إنها لسه عذراء، ده غير إن واحد منهم قدم شهادة طبية بتفيد إنه عاجز جنسيا، أهاليهم دفعوا ألافات عشان يخرجوهم من القضية خصوصا إنهم واصلين، أبو واحد منهم تاجر أثار، والإتنين التانيين أهاليهم عندهم أراضى وشغالين في المقاولات، لكن رجالتنا لقوا حيلة قانونية عشان نثبت التهمة على المتهمين، بعد ما ساعدناهم يهربوا موبايلات جوه السجن عشان يكلموا أهاليهم، وحطينا جوه أجهزة الموبايلات أجهزة تانية بتسجل المكالمات، وفجأة هتحصل كبسة وتتمسك الموبايلات اللي معاهم وتتفرغ المكالمات المتسجلة عليها عشان نهرب من أزمة إن التسجيلات دي ماتمتش بدون إذن نيابة، ويتكيف الموضوع بشكل قانونى إنها حالة تبلس لمخالفة قانونية جوه السجن باعتبار إنه ممنوع على المساجين يكون معاهم موبايلات، مهمتك اللي هتقوم بيها جوه المحكمة إنك هتدور على كل الحيثيات اللي تثبت بيها إدانة العيال دول وتوقع عليهم أقصى عقوبة، أما مهمتك اللي برة المحكمة هي إنك تثبت إنها مابقتش عذراء، وتفضح كذب الطبيب الشرعي، شد حيلك، إنت الفترة اللي فاتت عملت شغل هايل معانا لما كنت في قضايا الجنح، عايزينك تفضل على نفس كفاءتك بعد ما اترقيت وبقى معاك اتنين تانيين مستشارين رأيهم القانونى هيمشى عليك لو ماكانش معاك الحجة القانونية الكافية، ربنا يوفقك

* * *

داخل محكمة جنوب القاهرة في مقرها الجديد بمنطقة «زينهم» بجوار المشرحة الشهيرة هناك، يسير "مجد" داخل أروقة المحكمة الفخمة التي تضم 3 أدوار تحت الأرض و9 فوقها، وقد اتسمت بوجود نظام لإدارة الدعاوى القضائية وميكنة محاضر الجلسات لتخرج من على الكمبيوتر مباشرة بدلا من كتابتها بخط اليد، بالإضافة إلى عرض جداول القضايا على شاشات عرض تتيح للمحامين والمواطنين المتابعة والمعرفة بدلا من الجدول الورقى القديم الذي كان يتزاحم الجميع حوله بشكل عشوائى في المقر القديم للمحكمة بمنطقة «باب الخلق»، بجانب وجود نظام لتبادل البيانات مع الجهات المساعدة مثل الطب الشرعى والخبراء المنتدبين وغيرهم، لتيسير خط سير العمل على القضاة، والمحامين، والمواطنين للوصول إلى عدالة أسرع.

ولأول مرة تم توفير شاشات عرض أمام كل قاعة، يمكن للمترددين على المحكمة من خلالها متابعة قضاياهم دون الدخول للقاعة؛

حتى لا يضطر الجميع للتكدس داخلها مثل علب السردين الموجودة في محاكم أخرى، ليتأمل "مجد" هذا الصرح المهم بعينيه متمنيا أن يتم تعميمه على باقى المحاكم التي تعيش في وضع مزرى، وفي عينيه نجد بريق ينم عن طاقة تمرد على الوضع العام لكنها سجينة داخله وتبحث عن مخرَج،

الآن يتجه إلى غرفة المداولة بخطوات واثقة، وفى طريقه إليها تنظر عينيه يمينًا ويسارا ليراقب ما يحدث حوله في الأروقة، قبل أن يصل إلى غرفة المداولة ليثنى مقبض الباب ويدخل بهيبة وصرامة فتستقبله ابتسامة زوج خالته المستشار "حسام البسطاويسي" الذي أكدت نظراته وملامحه على الحنان الأبوى، بينما نرى شيء من التحفز على وجه القاضى "عامر طويلة" الذي يكبر "مجد" بفارق عمرى لا يزيد عن 7 سنوات، وله شارب كثيف، وملامح صارمة، وفى نظراته نستشف القسوة والغلظة، في حين يبادر "مجد" بالتحية بنبرة صوته القوية، وملامحه الواثقة:

– صباح الخير

المستشار "حسام":

- صباح النور يا مجد، إيه الأخبار؟

أما القاضى "عامر" فلم يرد السلام وهو يرمق "مجد" بنظرة طويلة، بينما أجاب "مجد" على سؤال المستشار "حسام" قائلا:

- الحمد لله يا فندم بخير

ليخلع المستشار "حسام" نظارته الطبية ثم يسأله:

– عملت إيه ف القضية المكلف بيها؟

يلتقط "مجد" نفسا طويلا قبل أن يجيب:

– تقرير الطب الشرعى المرفق مع القضية بيؤكد إن المجني عليها عذراء، عشان كده أمر الإحالة للمحاكمة وصف القضية بإختطاف أنثى والتحرش بيها مش اغتصابها، بس إحساسى..

"إحساسك؟ إحنا هنا ما بنتعاملش بالأحاسيس يا سيادة القاضى، شغلنا كله قائم على الأدلة والبراهين المؤكدة وبس"

هكذا يقاطعه القاضى "عامر"، فيلتفت إليه المستشار "حسام" ويقول بنبرة صارمة:

– استأذنك نسمعه للآخر يا عامر، ماتنساش إن دي أول قضية ليه في الجنايات، وأكيد كلنا ف أول قضية لينا كان علينا ملحوظات كتير

المستشار "حسام" ينظر لـ "مجد" حتى يستكمل كلامه فيتابع:

– البنت أكدت ف محضر جمع الاستدلالات وتحقيقات النيابة، إن المتهمين أغتصبوها وهى راجعة من المصنع ف وقت متأخر، ومحضر التحريات أكد إن البنت بتتمتع بسمعة طيبة وخلصت شغلها يوم الحادث ف وقت متأخر فعلًا، ده غير إن إتنين من الشباب دول اتمسك قبل كده ف قضية تعاطى والتالت الناس كلها بتشتكى من شره، تفتكر بعد كل ده ممكن أصدق تقرير الطب الشرعى اللي بيثبت إنها لسه عذراء؟

"معنى كده إنك بتشكك في نزاهة الطب الشرعى؟"

قالها القاضى "عامر"، قبل أن يرد عليه "مجد":

– الطب الشرعى على عينى وراسى، أنا بشكك في نزاهة الطبيب اللي كشف بس، عشان كده أمر الإحالة للمحاكمة اللي قيدت فيه النيابة الاتهام بإغتصاب غير كامل أنا بطعن في وصفه وقيده من الأساس

فيسأله المستشار "حسام" بهدوء:

— وإيه دليلك؟

فيجيبه "مجد":

— لو الإغتصاب غير كامل يبقى الاتهام بيدخل تحت بند إختطاف أنثى والتحرش بيها، وسيادتك عارف إن 90 في المية من وقائع التحرش ما بيتـقدمش المجني عليهم فيها ببلاغات بسبب الخوف من الفضيحة ونظرة المجتمع، فما بالنا والمجني عليها في قضيتنا خرسة وغلبانة وأبوها راجل ضعيف مش قد جبروت المتهمين، أعتقد لو الموضوع كان مجرد تحرش ماكانتش قالت له، أو حتى كانت قالت له وهو حسبن على المتهمين وسكت

يغوص القاضى "عامر" في مقعده، ويعود بعموده الفقرى أكثر للخلف وهو يقول بتناكة "جمال مبارك":

— أنا مش فاهم يا حسام بيه الصحافة ليه حولت القضية دي بالذات لرأي عام؟ مع إن الموضوع رغم إنه جريمة لكن بيحصل مع بنات كتير والدنيا ما بتتقلبش بالشكل ده

فيرد عليه "مجد" بهدوء لا يخلو من الحزم:

— نشطاء حقوق الإنسان اللي لجأ لهم الأب الغلبان عشان يحموه هو وبنته من أهالى المتهمين، أثاروا القضية على صفحات الجرايد المستقلة والمعارضة، وأكدوا إن الطب الشرعى تلاعب في تقريره، وانا شايف إن ده كلام ممكن يكون صح

يتحداه "عامر" بعينيه وهو يقول:

- وممكن يكون غلط

فينهض المستشار "حسام" ويلتقط جاكت بذلته ليرتديه، وهو يقول بحزم قبل أن يدخل القاعة:

— عمومًا بلاش نسبق الأحداث، وخلينا نشوف دفاع الطرفين هيقول إيه

* * *

في الطرقة المؤدية إلى قاعة المحكمة يسير المحامى "فريد التعلب" ببذلته الأنيقة، وشعره الأسود الخفيف حتى أن مقدمة رأسه مالت إلى الصلع، بينما ضاقت عينيه لتنم عن الخبث والدهاء،

في إحدى يديه سيجار يدخنه أثناء سيره إلى قاعة المحكمة، وخلفه مساعده الذي يحمل له حقيبة اليد، بينما نجد أهالى الثلاث متهمين أمام القاعة يتطلعون إليه في شغف، وما أن يروه حتى يقترب رجلا منهم تتسم ملامحه بالغلظة ويرتدى جلبابا فضفاضا ليسأل بصوت أقرب إلى "التكريع":

— كل ده تأخير يا متر؟

فيرد عليه المحامى بلامبالاة:

— ولا تأخير ولا حاجة يا حاج

ثم يوجه كلامه إلى الجميع قائلًا بثقة:

— أنا عارف كويس أوى الأوقات اللي بيجى فيها القضاة والمستشارين وظابط ساعتى على ساعتهم، ماتقلقوش

فيتابع نفس الرجل ذو الملامح القاسية:

— همتك معانا النهارده، وكلنا خدامين اللي تؤمر بيه لو مشيتنا من هنا بخبر حلو

ليقهقه "فريد التعلب" في ظفر وقد جعلته الضحكة اسما على مسمى:

— ماتقلقش يا راجل يا طيب، قضاة مصر ومستشارينها بيحوشوا كلمة براءة ف بوقهم لغاية مايشوفونى عشان ينطقوها من قبل حتى ما أترافع، وبعدين إحنا جايين النهارده وكل حاجة متقشرة وجاهزة

نسمع صوت همهمة أهالى المتهمين، قبل أن يبرز من بينهم رجلا عجوزا ليقول في توسل:

— ربنا يطمنك يا فريد بيه، ربنا يطمنك

ثم ينحنى على يد المحامى ليقبلها فيسحبها "فريد" بسرعة مرددًا:

— استغفر الله

الآن يقترب مساعد المحامى ويقول له بإحترام:

- الرول هيبدأ يا فريد بيه

فريد يلقى السيجار بلا مبالاة، قبل أن يدلف إلى القاعة وخلفه أهالى الثلاث شباب المتهمين في حين يقول الرجل الكهل وهو يدخل:

— جيب العواقب سليمة يا رب

* * *

داخل قاعة المحكمة نرى كاميرات الفضائيات تصور ما يحدث في المحكمة، بينما نجد داخل قفص الاتهام المتهمين بملابسهم البيضاء، وحول القفص ذويهم الذين يتطلعون إليهم في حسرة

"خطيب" أحد الشباب المتهمين يحدث والده الكهل هامسا:

— المحامى قالك إيه يابا؟

— خير يا إبنى إن شاء الله

فجأة يقترب مصور صحفى من القفص ويهم بإختلاس صورة، فيقطع الشاب حديثه مع والده ويبصق على المصور قائلًا له بلهجة مرعبة:

— غور بعيد عن هنا يا أبن المرة، بدل ما تدغدغ إنت وكاميرتك

المصور يخفض كاميرته ويبتعد وهو ينظر للمتهم في قلق بينما ينظر له المتهم نظرة مرعبة،

وفى الصف الأول بالمحكمة نرى عم "عبيد" والد "فرحة" المجني عليها، وقد ارتدى جلبابا ممزقا، وتجلس بجواره إبنته الخرساء التي ترتدى عباءة سوداء مهلهلة، وطرحة برتقالية لا يتناسب لونها مع لون العباءة، ولا تسمع ما يحدث حولها، في حين تنظر لكاميرات المصورين بإنكسار وقد تحول وجهها إلى غشاء بكارة يتنازع الجميع على الفوز بسبق فضه بفلاشاتهم، وإلى جوارها شقيقها الصغير الذي يقول له والدهما:

— ماتشوف لنا يا إبنى المحامى ماجاش ليه لغاية دلوقت؟

— خرجت كلْمته ع المحمول من برة بس تليفونه مقفول

مع كلمات الصبى، يتضاعف عجز الأب فوق سنوات عمره المتقدمة، ثم تحين منه التفاتة لإبنته التي فقدت أعز ما تملك، فتسمع رغم صممها أحزانه بعينيها، وينطق قلبها بالقهر بدلا من لسانها الأبكم، قبل أن تنظر للأرض في ذل وإنكسار وشرود، وفى غمار ذلك نرى حاجب المحكمة وقد سيطر الحماس والاهتمام على ملامحه، وهو يصيح بصوت عال:

— محكمة

ليخيم السكون على المكان، في حين يقف وكيل النيابة في المكان المحدد له، بينما يخرج من حجرة المداولة المستشار "حسام" والقاضى "عامر" والقاضى "مجد"، ونلاحظ أن القاضى "عامر" يجلس على يمين المستشار، بينما يجلس "مجد" على يساره، ويقف إلى جوارهم سكرتير الجلسة، ليعم الصمت القاعة، ويتطلع الحضور إلى المنصة في صمت ومهابة وكأن على رؤوسهم الطير .

المستشار "حسام":

— بسم الله الرحمن الرحيم فتحت الجلسة

حاجب المحكمة يكرر خلفه:

– بسم الله الرحمن الرحيم فتحت الجلسة

المستشار "حسام":

– رول رقم 1

حاجب المحكمة:

– رول رقم واحد، القضية المتهم فيها كل من زكريا خليل المصيلحى وسيد إبراهيم المنشاوى وخطيب فرج درويش

مساعد "فريد" المحامى يمسك له روب المحاماة ليرتديه وهو يقف أمام منصة القضاء، ثم يقترب المحامى "فريد" من المنصة ويصافح المستشار "حسام" بحميمية قائلًا:

- إزيك يا حسام بيه؟

المستشار "حسام" بابتسامة بسيطة:

- أهلًا يا فريد

المحامي يتراجع ويقف أمام المنصة على بعد مسافة مناسبة، ويقول بنبرة صوت واثقة ومليئة بالكبرياء:

- فريد التعلب، حاضر عن المتهمين الثلاثة

فينظر المستشار "حسام" لوكيل النيابة قائلا:

– النيابة

فيقول وكيل النيابة:

– النيابة تؤكد لعدالة المحكمة أنها ارتأت الإدانة التامة للمتهمين الثلاثة، وهى إختطاف المجني عليها فرحة عبيد الدرندلى وإغتصابها بشكل غير كامل طبقًا لتحريات رجال المباحث، ومن ثم، فإننا نطالب بتوقيع أقصى عقوبة من نصوص مواد الإتهام الواردة بأمر الإحالة وشكرًا

المستشار "حسام" ينظر لقفص الاتهام ويتفحص وجوه المتهمين، ثم ينظر للأوراق الموجودة أمامه قبل أن ينظر مرة أخرى لقفص الاتهام ويقول:

– زكريا خليل المصيلحى

– أفندم

– ما قولك فيما نسب إليك من المشاركة في إختطاف فرحة ومحاولة إغتصابها؟

المتهم بطريقة سوقية وصوت عال:

– ماحصلش يا باشا، وكل أهل الحتة عارفين أنى ما أعملش كده أبدًا، وأبوها خلاها تقول كده عشان ياخد منا قرشين عشان هو طمعان ف أبويا الحاج خليل التاجر الكبير اللي قد الدنيا

المستشار "حسام" ينظر للمتهم الثانى ويسأله:

– وأنت يا سيد؟

"سيد":

– أنا يا باشا عندى إخوات بنات وما أعملش حاجة زي دى

المستشار "حسام" ينظر للورق ثم ينظر للقفص وينادي:

– خطيب فرج درويش

"خطيب":

– أيوة يا باشا

– خطفت فرحة وهتكت عرضها ليه؟

– يا باشا أنا حتى لو حاولت أعمل كده مش هعرف

– مش هتعرف ليه؟

"خطيب" ينظر للأرض بخجل ويتابع:

— عشان مبعرفش، لا معاها ولا مع غيرها

صوت ضحك وهمهمة تنطلق في المحكمة فيخبط المستشار "حسام" بالشاكوش على منصة المحكمة، قبل أن يعود الجميع للالتزام بالصمت، بينما ينادي المستشار:

— الدفاع

فيقول فريد التعلب بثقة القرش وهو ينقض على غريق في عرض البحر:

— سيدى الرئيس، ما جئت اليوم لأترافع عن متهمين بخطبة عصماء استدر بها عطف سيادتكم أو ألتمس الأعذار، فالاتهام المنسوب إليهم هو خطف المدعوة فرحة عبيد الدرندلي ومحاولة هتك عرضها تحت تهديد السلاح، وهى تهمة لو صحت لكنت أول المتبرئين منهم، وأول من طالبت سيادتكم بالقصاص العادل، لكن يكفينا رأي الطب الشرعى المرفق طيه مع مذكرة الدفاع وأوراق القضية، والذي أثبت بعد الكشف والفحص أن المجني عليها عذراء رغم أن غشاء بكارتها من النوع العادى الذي يسهل فضه، وليس من النوع اللحمى المطاطى، مما ينفى وقوع أي إيلاج لأي ذَكَر في جهازها التناسلى، كما أن تحليل البصمة الوراثية المتعارف عليه بتحليل الـ DNA، أكد أن المجني عليها لا يوجد بجسدها أي أثر لأي حامض نووى من المتهمين الثلاث،والأدهى يا سيدى أنها سليمة معافاة تمامًا بلا أية عاهات مستديمة أو إصابات كما أدعت، أما فيما يتعلق بشهادة الشهود حول واقعة الاختطاف فالشاهد الوحيد بالقضية يا سيدى هو مجدى السيد على، وكان يعمل يا سيدى لدى الحاج خليل المصيلحى والد المتهم الأول، وقبل الواقعة بثلاثة أيام تم طرده من المحل عند ضبطه بسرقة البضاعة، كما أنه على خلاف مع المتهمين الأخرين، لذا فإن المطالبة ببراءة المتهمين حق أصيل نطالب به عدالتكم

"مجد" ينظر لفريد نظرة ثاقبة، ويتابع وجوه المتهمين الثلاث في القفص، بينما ينظر المستشار "حسام" للحاجب ويأمره:

— نادي على الشاهد الوحيد بالقضية

الحاجب:

— مجدى السيد علي

لا أحد يرد، فيكرر الحاجب النداء:

- مجدى السيد علي

"التعلب" ينظر للمستشار "حسام" نظرة ظافرة ويقول:

— أرأيتم عدالتكم، إنه حتى لم يحضر خوفًا من المواجهة

الرجل الكهل والد المجني عليها ينهض رافعًا يده لطلب الكلام قائلًا:

- يا سيدنا القاضى، ممكن لو سمحت أقول كلمة؟

فينظر له المستشار "حسام" بضيق:

— إنت مين؟

— أنا أبو البنت الغلبانة اللي أغتصبوها

— وفين المحامى بتاعك؟

— ماجاش يا فندم

ليعقد "مجد" حاجبيه عند هذه اللحظة، قبل أن ينظر لـ "فرحة" بتعاطف، في حين يقول المستشار "حسام" لوالدها:

— طب اتفضل

فترتعش يد الرجل ويقول بلهجة تمزق نياط القلب:

– أنا راجل غلبان وكافى خيرى شرى طول عمرى، لا بعرف أمد أيدى ولا أجروء أطوّل لسانى، ولما ربنا ابتلانى ببنت خرسا قولت وماله، نحمده ونشكره على كل حال، صبرت وما اعترضتش وقولت بكرة يجيلها عدلها، هل نصيبى يا باشا عشان أنا غلبان وماليش حول ولا قوة ينهشوا شرفى ويشتروا بفلوسهم العدلة؟

المستشار "حسام" يميل للأمام وهو يلوح بسبابته في صرامة:

- ماحدش بيشترى العدالة يا راجل إنت، لو قولت كده تانى هرميك في القفص

الرجل يرفع يده المرتعشة في ضعف، ويقول بصوت متهدج وهو يفتح عينيه ويغلقهما بطريقة متتابعة سريعة تدل على ضعفه وتلعثمه ويأسه:

– لا بيشتروها يا سيدنا القاضى، مفيش حاجة ما بتتباعش، دكتور الطب الشرعى كان كاتب تقرير فيه كل حاجة وقدام عينى رشوه وقبّضوه، وحاولوا يشترونى قبل منه وهددونى، بس أنا قولت لهم لو فيها رقبتى مش هبيع شرف بنتى ورزقى على اللي خلقنى

ثم يسقط الرجل على مقعده ويبكى بحرقة، فتحتضنه إبنته وهى تطلق همهمات غير مفهومة، بينما ينظر الأب للمنصة بإنكسار وهو لا يقوى على النهوض بعد أن خارت قواه ويستطرد:

– حتى المحامى اللي بعت غويشة مراتى الله يرحمها عشان أدفع له منها أتعابه، بعد ما كنت مخليها لجوازة البت ماجاش وقافل تليفونه، ومش بعيد يكون هو كمان قابض، حسبى الله ونعم الوكيل، أحكم باللي تحكم بيه سعادتك، أنا لا عارف أقول إيه تانى ولا عارف أثبت إزاي

الأب يشير بسبابته لأعلى ويتابع:

– بس هو شايف وعارف، فوّضت أمري إليك يا رب

"مجد" ينظر للرجل في تأثر ثم ينظر لقفص الاتهام ويرمق المتهمين بنظرة طويلة، في حين ينظر المستشار "حسام" للرجل في تعاطف قبل أن يلملم أوراقه قائلا:

– اتطمن يا حاج، أقسم لك إن ماحدش هيشترى العدالة وهتشوف بنفسك، الحكم بعد المداولة

* * *

داخل غرفة المداولة نرى المستشار "حسام" يكتب في ورقة أمامه الأحكام التي اتفق عليها مع القاضيين "عامر" و"مجد" في القضايا التي نظروها، قبل أن يتابع:

– وآدى حكم آخر قضية ف الرول، لغاية دلوقت مفيش إختلاف والأحكام كلها بالإجماع

ثم يلتفت لـ"مجد" قائلًا:

– نيجى بقى لأول قضية بتاعتك يا مجد واللي تعمدت إننا نسيبها آخر واحدة عشان نحكم فيها، إيه رأيك؟

"مجد":

– أنا شايف إننا نحكم بتأجيل القضية ونستدعى الطبيب الشرعى

قبل أن يقول القاضى "عامر":

– لو كان الطبيب شرعى محل شك وإتهام كان المفروض المجني عليها تقدم طعن وتطلب تغييره وإعادة توقيع الكشف الطبى عليها، ثم إن الشاهد الوحيد في القضية ماجاش،عشان كده أنا شايف إننا نحكم بالبراءة

فيلتفت إليه "مجد" ويقول ببرود:

— من الناحية العقلية كلامك منطقى مية في المية، لكن ماتنساش إن القانون ليه روح لازم ناخد بيها زي ما بناخد بنصوصه وأحكامه، واضح إن المحامى اللي مع المجني عليها مش مهتم بالقضية أو اشتروه فعلا، وأهلها ناس غلابة مش فاهمين اللي ليهم واللي عليهم،والشاهد الوحيد وارد جدًا إنه يتهدد أو يتأذى بحيث مايجروءش يهوب ناحية المحكمة

المستشار "حسام" مبتسمًا:

- وأنا بأيد رأيك يا مجد، يعنى أغلبية

* * *

فى فرح شعبى بأحد الشوارع الضيقة في منطقة "القبوة" بحى "مصر القديمة"، نرى عددا غفيرا من المعازيم يجلسون في شارع ضيق، وأمام كل مجموعة أطباق عديدة بها الكفتة المشوية، وخليط من عناقيد العنب والموز والتفاح الأمريكانى، بالإضافة إلى الجوزة وأوراق التبغ وأوراق البفرة، وقد اكتست العمارات ذات المظهر المتواضع القديم الموجودة على جانبى الشارع بلمبات الزينة، وفى نهاية الشارع يوجد مسرح الفرح الموجود عليه كوشة العروسين.

على مسرح الفرح نشاهد راقصة ذات مظهر قمىء للغاية لكن ثروتها الحقيقية كانت في صدرها المنفوخ ومؤخرتها الممتلئة، بينما تنطلق أغنية شعبية من الـ D.J:

قفلت الباب ونازل، وف دبة الجيران

واحدة عملت لي عمل، ع الأرض والحيطان

وأنا ماشى وواخد بالى، وعملت فيها عبيط

ما اضمنش اللي يجرالى، يمكن ييجي لي عفريت

مشيت من طريق تانى، عشان أشوف بحالى

أنا راجل رايح شغلى، وعايز أجمّع مالى

الناس عايزة إيه، الناس بتعمل إيه

عين صفرا والتانية حمرا، قولولى أعمل إيه

يا طاهرة يا أم الحسن، يا أم الحسن والحسين

من الحسود والحسد، يكفينا شر العين

وحول الراقصة يتراقص العريس وعدد من المعازيم في أياديهم المطاوى والسيوف والسنج، بينما يقوم أحدهم بإلقاء أوراق البنكنوت كنوع من التحية،

فى مقدمة الشارع نجد بعض الصبية يقفون على الشوايات لشواء المزيد من الكفتة، كما نجد مولد الكهرباء في جزء بعيد عن الأحداث نوعًا ما حيث يقف إلى جواره 3 من المعازيم في يد كل منهم سيجارة ملفوفة، يقوم إثنين منهم بأخذ نفس عميق ويرتسم على وجهيهما علامات السطلان وعمل الدماغ، وقد أحمرت أعينهم بشدة، بينما يتأمل الثالث مقطع إباحى على هاتفه المحمول وعلى وجهه علامات التعب الجنسى، وفى غمار ذلك يظهر ظل يقترب منهم ومن مولد الكهرباء، قبل أن يظهر في الإتجاه المقابل شخص ملثم بمظهر مثير للرعب والرهبة، الإيشارب الأسود الذي يغطى وجهه بحيث يكون شفافًا يشف بعض ملامح النصف الأعلى من الوجه والجبهة لتتضح من أسفله جزء من نظارة الرؤية الليلية، بينما نجده قاتمًا لا يشف أي شيء من النصف الأسفل للوجه من تحت العينين حتى الرقبة، بشكل يعطيك الإنطباع بأن صاحبه هو ملك الموت، بينما اتشح جسده بالسواد بما يرتديه من قميص أسود مرفوع الياقة، ومجسم بطريقة تظهر عضلاته المفتولة، وبنطلون أسود تقف خامته بين القماش والجينز، وتصاحبه لمعة سوداء

مميزة، وذلك الحذاء الضخم الذي تزينه مقدمة حديدية، وقفازا أسودا تظهر منه نصف أصابعه، وما أن يظهر هذا الشبح الملثم حتى يخرج من طياته عصا خشبية يطلقها بقوة في وجه أحدهم، قبل أن يغرسها في خصية الثاني ثم يغوص بها في بطن الثالث لتصدر منهم تاوهات مكتومة، قبل أن يصعد الحائط بسرعة بخبطتين من قدميه ثم يدور حول نفسه دورة رأسية ويهبط عليهم بعنف فيفقد ثلاثتهم الوعى، وفى الخلفية نسمع صوت أحد المعازيم الذي أمسك بالمايك على مسرح الفرح ليردد بشكل هستيري:

- الدكتور، دكتور، دكتور، دكتور

ونجد أن صيحاته تلهب حماس الجميع، وتزيد سرعة أداء الراقصة، بينما يرقص العريس وتصفق العروسة وفجأة ينقطع الصوت ويعم الظلام التام بعد أن فصل "مجد" عمل مولد الكهرباء، لتسود الهمهمات والأصوات المتداخلة

صوت مسطول: في إيه يا جدعان؟

صوت رجل غليظ: حد يشوف الدينامو يا جماعة

وفجأة نسمع صوت تأوهات ولكمات وركلات تصاحبه صرخة من العروس، قبل أن تعود الكهرباء مرة أخرى حيث لا وجود للعريس في مقعده، فينظر الجميع للكرسى بصدمة ويصيح والد العريس بدهشة:

— أبنى الدكتور حمدى فين؟ يا حمدى ى ى ى ى ى

الفوضى والهرجلة تعم الفرح الذي انقلب حاله في لحظات، والجميع يتلفت حوله بينما نسمع أصوات متداخلة تغروش على بعضها، وهمهمة بعض النساء

* * *

فوق سطح أحد المنازل نرى الدكتور "حمدى" يستند بظهره على عشة موجودة في السطح، وقد سالت الدماء من أنفه، في حين ينظر له البطل المقنع بمقت وغضب هادر يطل من عينيه، بينما يقول الدكتور برعب:

- في إيه؟ إنت مين؟

لتطل صرامة الدنيا كلها من صوت "مجد"، وهو يقول بلهجة تدب الرعب في أعتى القلوب مقتربا بوجهه من وجه الدكتور "حمدى":

— واحد مارضيش بظلمك لبنت غلبانة خرسا، اغتصبها 3 وكنت إنت رابعهم لما قبلت على ضميرك إنك تدارى عليهم

الدكتور تتلاحق أنفاسه وهو يقول بارتجاف:

- أنا مادارتش على حد، أقسم لك إنـ

ليقاطعه "مجد" بلكمة في وجهه، قبل أن يقبض بيده اليمنى على عنقه ويرفعه من على الأرض، فتزيغ عيني "حمدى" وهو يتأرجح في الهواء بذعر غير مصدق قوة خصمه، بينما يقول "مجد" بصرامة أكثر:

— دفعوا لك كام؟

الدكتور تزيغ عيناه وهو يرتجف أكثر:

— والله العظيـ

يتركه "مجد" وهو يركل قدميه المرفوعتين من على الأرض فيسقط على وجهه، في الوقت الذي يخرج فيه "مجد" من طياته صاعق كهربي، وهو يضع إحدى قدميه على رقبة الدكتور، بينما يضع القدم الأخرى على ساقه اليمنى، ثم يمسك الساق الثانية بيده اليسرى ليضمن أن ساقيه مفتوحتين، بينما يضغط "مجد" على زر الصاعق فيومض بضوء أزرق مصدرا ذلك الأزيز المخيف ويضعه بين ساقى "حمدي" الذي يرتجف بشدة، ويبدو الرعب والألم في عينيه ويحاول أن يصرخ، إلا أن قدم "مجد" الموضوعة على رقبته تكتم

صراخه قبل أن يقول "مجد":

– يا ترى هيكون شعورك إيه لما تبقى زي مراتك يوم دخلتك، جربت تتكهرب في خصيتك قبل كده؟

فيقول الدكتور باكيًا بصوت متقطع من الخجل والألم:

– مـــمـ مية وخمسين ألف جنيه

عينى "مجد" يبدو فيها الغضب والاشمئزاز وهو يقول للدكتور بصوت ممتعض:

– لو حد اغتصب أختك أو أمك وإداك ضعفهم 10 مرات تمن سكوتك، هترضى؟

الدكتور يتلعثم وهو يحاول النهوض قائلًا:

- أنا ظروف غير،

يقاطعه "مجد" بركلة في وجهه قبل أن يتابع:

– أنا مش جاي أحقق معاك عشان تدافع عن نفسك، أنا جاي أصحح وضع غلط أنت المسئول عنه

الدكتور يقترب من قدم "مجد" محاولًا استعطافه:

- أبوس رجلك إرحمني

ليحاول الدكتور أن يقبل قدمه بالفعل، فيسحبها "مجد" وهو ينحنى ويقبض على عنقه قائلا بصرامة:

– عذابك هو قمة الرحمة، مادام رحمتك نصفت الظالم ع المظلوم

قبل أن يحمله "مجد" ويلقيه من فوق السطح في إتجاه لا يطل على الفرح، فيصرخ الدكتور قبل أن يمسكه "مجد" من يده في اللحظة الأخيرة قائلا:

– تدفع كام دلوقت وتفدى نفسك م الموت؟

الدكتور يتشبث بيد "مجد" وتتلاحق أنفاسه وهو يتكلم بسرعة:

– كل اللي معايا، أدينى فرصة بس أنزل دلوقت وهجيب لك شبكة مراتى واللي أتبقى من المبلغ

فيقول له "مجد" بصوت يجمد الدم في العروق:

– ربنا طلب منك أهون من كده بكتير عشان تفدى نفسك م العذاب، إنك تقول كلمة حق وإنت منعتها

ثم يخرج "مجد" من جيبه كاميرا صغيرة ويصوبها على وجه الدكتور قائلًا:

– أحكى الحكاية بكل تفاصيلها، هو ده التمن الوحيد لعمرك لو كنت باقى عليه

الدكتور ينظر اسفله ويتخيل سقوطه من هذه المسافة العالية، فيحاول الصعود قائلًا بهلع:

– طب طلّعنى وأنا هحكى على كل اللي إنت عايزه، إيدك هتوجعك وهقع

"مجد" يجبره على عدم الصعود وهو يوجه نحوه الكاميرا ويصيح فيه بعنف:

– مفيش طلوع قبل ما تعترف، انجز

الدكتور ينظر أسفله برعب ثم ينظر للكاميرا قائلًا بلهجة من يحاول أن يقول أكثر عدد من الكلمات في أقل وقت:

– أقر أنا دكتور حمدى عليش، إنى أخدت مبلغ 150 ألف جنيه من أهل التلات متهمين باغتصاب فرحة، البنت الخرسا اللي كشفت عليها ولاقيت إنها فعلًا مصابة بنزيف حاد بعد ما اغتصبوها، وكان المبلغ تمن تغيير شهادتى في التقرير اللي كتبت فيه إنها لسه بنت بنوت عشان يطلعوا براءة

فجأة تأتى أصوات من عدد كبير من الأشخاص مع والد الدكتور، الذي يصيح بلوعة بعد أن بلغوا السطح:

— حمدى، ألحقوه

"مجد" يلتفت إليهم وهو لا زال قابضًا على يد الدكتور قائلًا بصرامة:

— حركة تانية وهسيب أيده

الكل يتوقف في مكانه، بينما يقول والد الدكتور بلهجة قاسية:

— لو إبنى حصل له حاجة هتفضل طول عمرك تتحايل علينا عشان تموت ومش هتطول الموت

"مجد" يرفع الكاميرا أمامه ويقول بصرامة وهو يعيد تشغيل المقطع الذي سجله للدكتور:

- بس ما تقولش دكتور

المقطع المسجل يعمل على مسامع الجميع، وسط صدمة البعض، ولا مبالاة البعض الأخر، وما أن ينتهى حتى تطل الصرامة والحزم من عينى "مجد" قائلًا:

— إبنكم عمل فرحه على حساب ميتم اتنصب في بيت راجل غلبان ماكانش حيلته في الدنيا غير شرف بنته

"مجد" يدخل الكاميرا في جيبه وهو يصيح فيهم:

— والعدل إنه ياخد جزاته، وهى تاخد دليل شرفها

فجأة يخرج "مجد" من طياته حبل به خطاف في نهاية طرفه، ليلف الحبل بسرعة وبطريقة محترفة على يد الدكتور، ثم يثبت الخطاف المربوط في الحبل المقيد به الدكتور في سور السطح قبل أن يترك يد "حمدى" ليهوى من حالق، وما أن ينفرد الحبل حتى أقصى امتداد له حتى يتوقف إندفاع الدكتور لأسفل، ويتعلق في الهواء، ويندفع الجميع لإنقاذه.

الآن فقط نلاحظ أن هناك حبل أخر من طرفين، طرف مثبت هناك في سطح عمارة بعيدة، بينما الطرف الثانى به خطاف ومثبت في سور السطح بجوار "مجد" ليكون جاهزًا للإمساك به والقفز بعيدًا عن المكان في أي لحظة، فيستغل "مجد" انشغال الجميع بإنقاذ العريس، ليمسك بالحبل قبل أن يقفز لينطلق في الهواء بقوة ثقل جسمه متجها نحو العقار البعيد، ومستغلًا اهتمام التجمهر بإنقاذ حياة الدكتور

والد الدكتور يطل على المعازيم ويصيح فيهم بغضب هادر:

— اللي خطف الدكتور حمدى بيهرب في الشارع اللي ورانا ومتلتم بإسود في إسود،الحقوه بسرعة قبل ما يهرب

المعازيم ينطلقون بسرعة نحو الشارع الخلفى وقد أشهر بعضهم السيوف والسكاكين والخناجر، بينما أشهر البعض الأخر المسدسات والبنادق الألية في مشهد مهيب،

لنرى جسد "مجد" سابحًا في الهواء بلونه الأسود وهيئته الغامضة كطائر اسطورى جاء من زمن غير الزمن، وعالم غير العالم، محلقا في إتجاه العمارة المثبَت بها طرف الحبل، بينما في الأسفل نشاهد أعداد غفيرة من البشر تجرى بالأسلحة نحوه وكأنها ثورة شعبية ضده، وما أن يصل جسد "مجد" للعمارة حتى نلاحظ أنه بفعل طول الحبل أصبح جسده مواجها للدور الأول في العمارة فيقفز داخلًا الدور الأول من شباك السلم المطل على الشارع، بينما في الخارج وصل عدد كبير من المعازيم إلى باب العمارة ليقتحموها خلفه

وما أن يستقر "مجد" على سلم الدور الأول حتى يصعد سلالم العمارة بسرعة، وخلفه أعداد كبيرة من المعازيم الذين يمسكون بالأسلحة المختلفة سواء البيضاء أو النارية، ثم يصل إلى السطح

ويدخله،

وما أن يدخل "مجد" السطح ويجرى نحو السور حتى يذهب في إتجاه الجدار الذي يتضح أن به حبل أخر مربوط طرفه في عمارة بعيدة أيضا، ليمسك "مجد" بطرف الحبل ويهم بالقفز قبل أن يفاجأ بسكين حاد يمرق بجوار رأسه، فيقفز بسرعة بينما نرى عدد من المعازيم يطلقون النار عليه ويجرون خلفه للإمساك به وعندما يفشلون ويروه يطير متجها نحو العمارة البعيدة ينطلق الرصاص خلف "مجد"، قبل أن يذوب في الظلام.

* * *

في سيارته يجلس "براء" أمام عجلة القيادة وإلى جواره تجلس "رحمة" حيث أوصلها إلى تحت منزلها بينما تقول قبل أن تغادر:

– هستناك بكرة تعدى عليا نروح اجتماع الجورنال، هتصل بيك أصحيك بدل ما تروح عليك نومة

يتطلع إلى وجهها الخمرى الجميل الذي تزينه خصلات شعرها البنية قائلا:

– مش هتروح عليا نومة، لأنى مش هنام أصلا

تدرك أنه يُسخـّن لمباراة عاطفية، فتقرر أن ترش مية لمنع اللعب قائلة:

– ولا أنا كمان هنام، عندي كام موضوع لازم يخلصوا ده غير الأفكار اللي لازم أحضرها للاجتماع، تصبح على خير

يشعر بالزحلقة، لكنه يقرر عدم الاستسلام:

– قبل ما أقولك وإنتى من أهله هفكرك بحاجة مهمة كلمتك فيها قبل كده، لكن لسه الرد ما جاليش لحد دلوقت، وكل ما أحاول أفتح معاكي الموضوع بتصديني بكل قسوة رغم إن عمرك ما شوفتي مني حاجة وحشة، أنا ما استحقش منك التجاهل بالشكل ده يا رحمة

يرتج ضميرها مع جملته الأخيرة التي خرجت بنبرة حزينة تمزق القلب، لتدرك بالفعل أنها قست عليه وتجاهلته كثيرا رغم كل ما فعله معها، لكن ذلك الحاجز الجليدى بين قلبها وقلبه دفعها لتقول:

– صدقنى يا براء أنا مش بتجاهلك، لكن جمايلك عليا تجبرنى إنى ما اضحكش عليك، إنت ألف واحدة تتمناك، لكن أنا مش قادرة اعتبرك غير أخ

شعر بنزيف حاد في قلبه مع كلماتها، وتمنى لو سمحت له أن يحتضنها لأقل من ثانية، حتما ستدرك فيها أن الوجود كله لا يتسع لحبه لها،

حَلَم لو كانت مبصرة حتى تنظر إلى عينيه وترى ذلك العشق المطل من نظراته، وتلك الدموع التي لمعت حين تخيل ولو للحظة أنها ستكون في حضن شخص سواه ذات يوم، سيكون بالنسبة له بمثابة يوم القيامة،

شعر أنه يموت على باب مدينتها التي جاب كل السفارات بحثا عن فيزا تدخله إلى أرضها؛ لكن جواز سفره دائما ما كان يوصم بكلمة Refused!!

وفى غمرة أحزانه اندفع لسانه قائلا بنبرة بذل قصارى جهده حتى لا تخرج باكية:

– لحد إمتى يا رحمة هتفضلى تكابري وتضحكى على نفسك؟ إحنا عمرنا ما كنا اخوات

قبل أن تجيبه بهدوء ممتزج بالخجل:

— يمكن ده بالنسبة لك،لكن أنا عمرى ما اعتبرتك غير أخ، صدقنى يا براء أنا حاولت أقنع نفسى كتير أنى بحبك وممكن نعيش تحت سقف واحد، خصوصًا بعد اللي عملته معايا من وإحنا صغيرين، لكن صدقنى مقدرتش، دايما بشوف فيك الأخ الحنون اللي عوّضنى عن أخويا مالك بعد سفره

أخيرا فرت دمعة حزينة من عينيه، فاصطنع المرح في كلامه حتى لا يجرحها بنبراته الجريحة وهو يقول:

— شوف بقى من الآخر، أنا عمرى ما هرتبط بواحدة غيرك، بلاش آخد رد منك دلوقت، "**يفصح البكاء عن نفسه في نبرات صوته المتهدجة وهو يتابع:**" مستحيل هتلاقى حد يحبك قدى

تلمع الدموع في عينيها قائلة:

— من غير ما تقول أنا عارفة، والغريبة إن اللي المفروض يتهرب من التاني هو إنت، خصوصا إني عميا وأنت دايما عكازي وسندي اللي ألف واحدة تتمناه

— وإنتي روحي اللي من غيرها ماليش وجود في الدنيا، حتى لو عشت، هعيش وأنا ميت

تطلق تنهيدة حارة وقد عقد الحرج والحزن لسانها، بينما يتأملها "براء" لثوان، قبل أن يغادر السيارة ويتجه نحو بابها ليفتحه ويساعدها على الخروج، وما أن تخرج حتى تهوى على رأسه فجأة قبضتين مضمومتين، فيسقط أرضًا مطلقًا أهة مكتومة، بينما تصرخ "رحمة" قبل أن تمتد يد إلى فمها لتكممه

* * *

يقفز "مجد" بزيه الملثم فوق أحد الأسطح بمنطقة "جاردن سيتي" بعد أن غادر "مصر القديمة" وانتزع الإعتراف من الرجل، قبل أن يسمع في الشارع بغتة صوت صرخة أنثوية أجبرته على التوقف، لينظر حوله متطلعا إلى مصدر الصوت

* * *

في الشارع بجوار سيارة "براء"، نرى ثلاثة أشخاص يركلونه بعنف في بطنه ووجهه، بينما يكبل رابعهم "رحمة"، قبل أن ينحنى أحدهم ويميل نحو أذنه قائلًا بصوت وحشي يليق بدبابة لو كانت الدبابات تتكلم:

— عايز تبقى صحفيكبير ما عندناش مشكلة، بس مش على قفا أسيادك

"براء" يحاول النهوض بضعف شديد، فيركله الرجل ركلة عنيفة في بطنه يتأوه لها "براء" بشدة، قبل أن يحتضن وجهه الأسفلت، ثم يتجه الرجل لـ "رحمة" التي يكبلها زميله ويقول لها بعينين تفيض بالشر:

— وإنتي يا سنيورة، مش كفاية عليكى إنك عميا، عايزة يتعمل فيكى إيه تانى عشان تعقلى وماتمشيش مع الواد السيس بتاعك اللي من أول قلم قال أنا مرة، يقدر دلوقت يمنعنى لو حبيت أقلّعك وأعمل معاكى الصح؟

ومع كلماته، جنّ جنون "براء" لينسى كل ألامه وينهض وهو يشعر أنه «Hulk" في لحظة التحول من بشر إلى Super Hero سيفتك بكل أعداؤه لإنقاذ حبيبته وإثبات حبه لها، ليندفع نحو الرجل كالإعصار صارخا:

— **كله إلا هي يا إبن الكلاااااااب**

قبل أن يضربه أحد الرجال من الخلف بكعب مسدسه على مؤخرة رأسه، فيشعر بعشرة ألاف فولت تسرى في جسده ليسقط مجددا وقد أيقن حدود قدراته الحقيقية، في اللحظة التي يهوى فيها رجل أخر بنعل حذاؤه السيفتى على وجهه ليساويه بالأرض في

حين تصرخ "رحمة" بصوت مكتوم:

– براااااء

فيقول لها الرجل بنظرة غير أدمية:

– ما تخافيش يا حلوة، حالا هتحصليه، ودى دفعة بسيطة تحت الحساب

ثم يهوى بصفعة شرسة على وجهها، لكن يداً قوية ترتدى قفازاً تمسك يده فجأة، قبل أن نسمع صوت "مجد" الصارم من تحت القناع وهو يقول:

- خلى الحساب عليا المرة دى

الرجل يلتفت لمصدر الصوت، فيجد "مجد" بزيه الملثم الذي يثير الرعب، قبل أن يهوى "مجد" على وجهه بلكمة كالقنبلة، فينقض عليه الثلاثة رجال الأخرين لمؤازرة صديقهم، وقد أشهروا أسلحتهم، إلا أن "مجد" يتغلب عليهم بضربات سريعة قوية، ليهووا جميعًا فاقدي الحركة إلى جوار "براء" الذي يشاهد ما حدث وهو مشلول الحركة، قبل أن يخرج هاتفه المحمول بصعوبة من جيب بذلته، ويوجه كاميرته إلى "مجد"، في حين يقول "مجد" لـ "رحمة" من تحت القناع:

- يا ريت تطلبى البوليس والإسعاف لأنى مش هقدر استنى

"رحمة" تفرد ذراعها لتستكشف طريقها فيمسك يدها، وتتحسس هي أيضًا يده قائلة:

– أرجوك ساعدنى لأنى مش هعرف اتصرف لوحدى، أنا عايشة هنا ف الدور الرابع مع عمى، وده زميلى اللي دايما بتعكز عليه

"مجد" يترك يدها قائلًا بصرامة:

– فرصة تتعلمى إزاي تتعكزي على نفسك

"رحمة" تتشبث بيده وهو يهم بالإبتعاد، فتنزع القفاز الجلدى من يده قائلة:

- إنت مين؟

"مجد" يلتفت لها قائلًا وهو يتأمل القفاز الذي خلعته:

– بتاع الجوانتيات

ثم يوليها ظهره ويبلعه الظلام، وهى تنصت لخطواته التي تبتعد وعلى وجهها الحيرة

* * *

الفصل السابع

فى جريدة «المستقبل» نشاهد الصحفيين يجلسون على مائدة مستديرة في اجتماع هيئة التحرير التي يرأسها رئيس التحرير "جلال العوامرى"، بينما يقول "براء" بغضب وعلى وجهه كدمات، في حين ربط يده برباط ضاغط:

– ده مجرد واحد مجنون غاوى شهرة، عايز يعمل فرقعة والناس كلها تتكلم عنه

في حين ترد عليه "رحمة" بهدوء:

– ده كان تحليلك ليه في كل موضوعاتك قبل كده، لكن بعد ما أنقذ حياتنا بقينا مديونين له، وماتنساش إن إحنا اللي كتبنا عنه، وعمره ما سعى لينا

فينظر لها غاضبا ويقول بتحدى:

– تضمنى منين إنه مش مسلّط الناس اللي ضربونى عشان يظهر ف صورة البطل المنقذ؟ بدليل إنه مارضاش يستنى لغاية ما تبلغى البوليس وكل البلطجية اللي ضربهم هربوا

– وتضمن منين إن قابيل الهراس مش هو اللي مسلّطهم؟ ماتنساش إننا أكتر صحفيين هاجمناه ده غير أطراف كتير قلمنا ما رحمهمش

تزداد نبرة الغضب والتحدى في كلامه حين يقول:

– حتى لو كان الشخص ده ظهر بالصدفة وأنقذنا، أنا ضد إنه يتدارى ورا قناع، اللي عايز يعمل خير يحارب بوش مكشوف ويواجه زي ما أنا وإنتى بنواجه، يبجى إيه البطل بتاعك ده على سبيل المثال قصاد القاضى اللي خد موقف بطولى ودفع التمن بموت أمه

"رحمة" تسرح مع جملته الأخيرة لتعقد حاجبيها في تفكير، أما رئيس التحرير "جلال العوامري" فيتابع جدالهما باستمتاع، قبل أن يقول بابتسامة ظافرة موجها كلامه لهيئة التحرير:

– شايفين يا جماعة اللي أنا شايفه؟ رحمة وبراء لأول مرة بيختلفوا بعد ما اشتغلوا طول عمرهم فريق واحد وحققوا عشرات الانفرادات بالذات في الملف القضائي

"رحمة" تنظر لأسفل في خجل، بينما يشعر "براء" بالحرج وقد أنصبت نظرات الجميع عليه هو و"رحمة"، فيقول متـنحنحًا وعلى وجهه ابتسامة مرتبكة تحاول أن تدارى الموقف:

– واضح إننا اتحسدنا، بس أي حد هيحسبها بعقله هياخد نفس موقفى، الشخصيات اللي لابسة Mask مالهاش مكان غير ف أفلام السينما والكارتون.

رئيس التحرير ينظر إلى صورة "مجد" في زيه الملثم الموضوعة في ملف أمامه على المائدة، قبل أن يقول بهدوء وحكمة:

– أنا مقدر وجهة نظرك يا براء، لكن مش شرط تكون التفسير الوحيد، لو راجعت قايمة الممنوع من النشر في السنين اللي فاتت، هتعرف إن الكوارث اللي كانت هتحصل واتلحقت ف آخر وقت، أفظع بكتير من اللي بنشوفه ف السينما والروايات، واللي أنقذها رجال شرطة أو جيش ومخابرات منهم اللي كان لابس أقنعة أو منتحلين شخصيات غير شخصياتهم الحقيقية، خلينا ما نضيعش إنفراد أول صورة معانا للشخص المقنع بسبب خلافات بسيطة، كل واحد يكتب ف موضوعه وجهة نظره وتحليله للشخصية دى، والقارىء حر في إختياره بين وجهتين النظر

* * *

في منزل المقدم "أمل العبد" داخل غرفة النوم، يختفى وجه "أمل" خلف نشافة يمسح بها شعره المبلول بعد أن أخذ حماما

دافئا، ليزيح النشافة ويظهر تحتها شعره القصير الناعم الذي مال للأمام في صورة خصلات زادت من وسامته، قبل أن يجلس على سريره وقد ارتدى بنطلون رياضي وفانلة بيضاء حمالات صنعت عضلاته عليها تضاريس من المرتفعات والمنخفضات، في حين يمسك بالريموت كنترول ويوجهه تجاه التلفاز ليضغط على الزر فيظهر على الشاشة الإعلامي "معتز الدمرداش" قائلًا:

— طبعًا كلنا تابعنا قريب حادثة الاغتصاب البشعة اللي تعرضت لها فرح البنت الخرسا البريئة اللي اتهتك عرضها من 3 متهمين، والحقيقة في اليومين اللي فاتوا حصلت مفاجأتين في قضية فرح، الأولى كانت في محاكمة المتهمين اللي أثبت الطبيب الشرعى برائتهم بتقرير أكد فيه إن البنت لسه عذراء، والمفاجأة التانية كانت تعرُّض الطبيب الشرعى اللي وقَّع الكشف الطبى عليها لإعتداء من شخص مجهول، سجل له اعتراف إنه أخد رشوة واتبعت الإعتراف للشرطة وتم التحقيق مع الطبيب وتضييق الخناق عليه، وفعلًا اعترف بالتواطوء مع المتهمين والنهارده الصبح تم الكشف على الفتاة من جديد مع دكتور تانى واتضح إنها فعلا مش عذراء، ده غير إن المتهمين اتمسك معاهم موبايلات في السجن عليها مكالمات متسجلة مع أهاليهم بتؤكد إنهم اغتصبوا البنت بالفعل، يا ترى مين الشخص المجهول اللي خد الاعتراف من الطبيب الشرعى؟ وإيه مصلحته؟ وهل الطب الشرعى عندنا بخير واللا فيه مشاكل؟ اسئلة هنجاوب عليها بعد عرض إنفراد لبرنامجنا اللي حصل على نسخة من مقطع الفيديو اللي اعترف فيه الطبيب على نفسه، خليكوا معانا وأوعوا تروحوا لأي حتة

فجأة التلفاز يتم إغلاقه، فينظر "أمل" خلفه ليرى زوجته التي في يدها الريموت كنترول، وهى تقترب منه قائلة بدلال وفى عينيها

ابتسامة تفيض بالأنوثة:

— مش ملاحظ إنك هتضيّع اليوم على القواضى والحوادث؟ أنا سمعت إن فيه شعار جديد بيقول إن لمراتك عليك حق

"أمل" يتحسس شعرها ويقول بابتسامة ذات مغزى وهو ينظر إلى عينيها مباشرة:

— وإنتى طبعًا بتقـدسى الشعارات اللي م النوع ده

تقرب شفتيها من شفتيه وهى تقول بهيام:

- بموت فيها، ونفسى إنت كمان تعمل بيها زيّ

"أمل" يتطلع إلى عينيها بكل الحب وقد راقت له كلماتها، وشعر بالدفء القادم من أنفاسها الحارة بنكهة النعناع فيقول بشقاوة مماثلة ونظرات ساخنة:

- حيث كده بقى يبقى لازم أرفع الشعار

ما أن يهم "أمل" بإحتضانها حتى يرن هاتفه المحمول، فيتركها منتفضًا ويلتفت للمحمول الموجود بجواره على الكومودينو، فتقول له بغيظ وهو يعطيها ظهره:

— بقى تسيب حضنى عشان موبايل؟

"أمل" يمسك الموبايل ويلتفت لها وهو يقول بلهجة بها شيء من الإعتذار والتبرير:

— دى نغمة سيادة اللواء يا حبيبتى، معلش

"أمل" يضغط على زر الإجابة قبل أن يترك لها الفرصة في التعقيب، ليضع هاتفه المحمول على أذنه قائلًا:

— مساء الخير يا فندم، آه شوفت البرنامج، بس مالحقتش أشوف الإعتراف المتسجل للدكتور، "**ينظر لـزوجته بشقاوة ويتابع مبتسمًا:**" أصل النور اتـقطع، "**الزوجة تضحك بصوت عالى، فيبرق**

لها بعينيه حتى تكتم ضحكتها ويتابع"، حاضر يا فندم، تحت أمر معاليك

ما أن ينهى "أمل" المكالمة، حتى تبتسم الزوجة ابتسامة مصطنعة يملؤها الغيظ وتقول وهى تضغط على أسنانها:

— رجعنا تانى لشعار الشرطة ف خدمة الشعب

فيفتح الدولاب ويلتقط بذلة رمادية من الشماعة، قبل أن ينظر لها في خجل، ثم يخلع البذلة من الشماعة وقد هم بارتدائها دون أن يرد بحرف واحد

* * *

تحية عسكرية يؤديها "أمل" أمام رئيسه فور أن يدخل مكتبه، ليرد رئيسه بتحية خاطفة يكاد لا يرفع فيها ذراعه قبل أن يسأل:

- عملت إيه ف الموضوع اللي كلّفتك بيه؟

يلتقط المقدم "أمل" نفسا قصيرا قبل أن يجيب:

— كل مكاتب وتليفونات قابيل الهراس متراقبة، وإبنه آسر ما بيغبش عن عنينا لحظة واحدة، بس لغاية دلوقت مفيش أي إتصال حصل مع العناصر المخربة اللي دخلوا البلد، وكل النشاط اللي قام بيه إبنه هو الاستنجاد بعدد كبير من منظمات حقوق الإنسان بعد ما أكد لهم إن فيه محاولة مدبرة لقتل أبوه في السجن، ده غير إنه بدأ يعمل لقاءات مع مستثمرين أجانب عشان يهز اقتصاد البلد كنوع من الضغط علينا

رئيس "أمل" يشير إلى أول صورة حصرية لـ "مجد" في هيئته الغامضة بجريدة «المستقبل» قائلًا:

— والموضوع ده؟

"أمل" يتنحنح استعدادًا للإجابة بنبرة مناسبة مع رئيسه، بينما

يمسك رئيسه كوب القهوة ويرشف منه رشفة وهو يصغى إلى "أمل" الذي يقول:

— الشخص الملثم ده يا فندم بدأ في الظهور مع قضية قابيل الهراس، لكن يظهر إن القضية دي حركت عنده ميول إنه يستمر في محاربة الجريمة لأسباب مجهولة، لكن المعلومة اللي الكل متفق عليها إنه معملش أي حاجة ضد القانون، غير بعض التجاوزات اللي بيمارسها قصاد المجرمين اللي بيحاربهم

رئيسه يرشف رشفة أخرى ويتطلع إليه بنظرة جامدة لا تشف ما تحتها، ثم يقول له بعينيه:»أكمل» فيتابع "أمل":

— الإعلام الرسمى ما اتكلمش عنه، لكن الفضائيات والصحف المستقلة كانوا بيتهافتوا على نشر أخباره بطريقة أظهرته إنه بطل، ما عدا صحفى اسمه براء فاروق دايما بينتهز الفرصة عشان يهاجمه ويوصفه بالجبان المريض اللي بيبحث عن الشهرة

رئيسه يضع كوب القهوة على المكتب قبل أن يقول بلامبالاة:

— كل ده أنا عارفه

يرتبك "أمل" قبل أن يتابع:

— أهم حاجة لاحظتها يا فندم ف الموضوع كله، إن ممكن يكون فيه إرتباط بين الشخص ده وبين دخول العناصر الإجرامية البلد الفترة اللي فاتت

شبح ابتسامة يظهر على وجه رئيسه؛ لكنه سرعان ما يختفى وهو يقول بجديته وصرامته:

— هو ده اللي أنا كنت عايزك توصل له

"أمل" يبتسم ابتسامة واثقة بعد أن شعر برضاء رئيسه، فيقول بلهجة من يلقى قنبلة:

— ده أنا وصلت لحاجة أهم وأغرب يا فندم

نجحت كلمته أن تثير إهتمام رئيسه، حتى أنه لم يستطع أن يتحلى بالهدوء وهو يسأله بلهفة:

— إيه هي؟

— أنا لاحظت إن فيه ارتباط قوى بين الشخص المقنع والقضايا اللي بيحكم فيها القاضى مجد الدين مهران العزازي.

— ابن اللوا مهران العزازي؟

— تمام يا فندم، وبالتالى احتمال يكون فيه خيط خفى بين العناصر الإجرامية ومجد والشخص المقنع وقابيل الهراس

رئيس أمل مفكرا:

— يبقى تفحص ملف مجد وتراقب كل المشكوك فيهم وتبلغنى الأخبار أول بأول، الموضوع خطير وما يحتملش أي تأخير، إذا كنا مش عارفين نوصل للشخص المُقَنع وهو معانا، إزاي بكرة هنسيطر عليه ونحاكمه لو بقى ضدنا؟ تابع الموضوع ده لأنه ممكن يكون طرف الخيط اللي هيوصلنا للعناصر الإجرامية اللي ماحدش عارف هي مستقرة فين دلوقت وبتخطط لإيه

"أمل" يفهم أن وقت المقابلة قد انتهى، فينهض قائلًا بثقة وهو يؤدى التحية العسكرية:

- تمام يا فندم

* * *

"إحنا ورانا كل الدولة، وانتوا وراكوا أمن الدولة"

"إحنا ورانا كل الناس، وانتوا وراكوا جهاز حساس"

هكذا يتردد صياح بعض المتظاهرين الذين تنقل مظاهرتهم إحدى القنوات الفضائية على التلفاز الموجود في مكتب "مجد"، في حين يجلس "مجد" على مكتبه يقرأ جريدة "المستقبل"، ويتابع المقارنة بين ما كتبه "براء" و"رحمة" عن الشخص المقنع بإهتمام، حيث توسطت صورته في هيئته الملثمة موضوعين مكتوبين بالطول، أحدهما لـ"رحمة" التي أشادت به، والأخر لـ"براء" الذي قارن في موضوعه بين الشخص الجبان المريض الباحث عن الشهرة خلف قناع، والقاضي "مجد الدين مهران" البطل الذي حارب بوجه مكشوف ودفع الثمن!

ثم يرتفع صوت المتظاهرين على شاشة التلفاز وهم يصفقون ويصيحون على نغمة واحدة:

— الشعب يريد تطهير القضاء، الشعب يريد تطهير القضاء

قبل أن يسمع "مجد" صوت طرقات رقيقة على الباب، فيضع الجريدة على مكتبه ثم يوجه الريموت نحو التلفاز ليغلقه وهو يقول:

- أدخل

فتدخل "رحمة" وعلى وجهها ابتسامة هادئة، ومعها "براء"، قبل أن تقول "رحمة":

— صباح الخير

فيتأملهما "مجد" فاحصا وهو يقول:

— صباح النور

«إحنا عرفنا كل حاجة»

تقولها "رحمة" بطريقة مرحة، فيعقد "مجد" حاجبيه بقلق وتوتر متساءلًا:

- عرفتوا إيه؟

فيجيبه "براء" بابتسامة ودودة:

– حضرتك بتحب الموسيقى وبتحضر حفلات عمر خيرت، مش كده؟

"مجد" وهو يتنفس الصعداء:

– مظبوط

فتبتسم "رحمة" بدورها وتقول بلهجة طفولية:

– وعشان كده أنا جاية أعزم حضرتك على حفلة في الأوبرا هتحييها فرقتى النهارده

"مجد" في دهشة:

– فرقتك؟

– أه فرقتى، أنا عندى جمعية خيرية لمساعدة ذوى الاحتياجات الخاصة، وعاملين فرقة موسيقية مشتركة ف مسابقة عالمية ووصلنا للتصفيات النهائية

يشعر بأنه يتم توريطه في كمين فيقول بتهرب:

- كان نفسى والله لكن،

"براء" ينظر لصفحة الجورنال المفتوحة على المقارنة التي كتبها في موضوعه بين القاضى "مجد" وبين الشخصية الملثمة، فيبتسم وهو يقاطعه:

- مالاكنـش يا سيادة القاضى

ثم يلتقط "براء" الجريدة ويشير إلى موضوعه متابعًا:

– ده أنا كاتب عنك موضوع لو مدفوع الأجر ماكانش هيلمّعك بالشكل ده.

يرمقه "مجد" بنظرة طويلة قبل أن ينظر لصفحة الجورنال ثم يعيد النظر إليه وهو يقول بهدوء:

– ما أنا كنت لسه هشكرك، ولو إنى مستغرب اشمعنى أنا بالذات اللي حطتـنى ف مقارنة مع الشخص ده

فيجيبه "براء" باحترام وإعجاب:

– لقيت صورة حضرتك بتنور قدامي وبتفرض نفسها في المقارنة غصب عني، وبعدين دي مش أول مرة نكتب عنك، إحنا كنا أول ناس تقف جنبك لما حصل لحضرتك اللي حصل من الكلب قابيل الهراس، وبما إننا ماسكين الملف القضائي في جريدة المستقبل يشرفنا نتعاون مع بعض

يلتقط "مجد" منه الجريدة وهو يشير لصورة الشخص الملثم قائلا:

– أنا تحت أمرك، بس نصيحة ليك، حاول تبطل كتابة عن الشخص ده حتى لو كنت شايفه شيطان، كتر الكتابة عن الشياطين بتضيع هيبة الملايكة

يبتسم "براء" وقد راقت له الجملة، فيما تقول "رحمة" بابتسامة رقيقة:

– طالما حضرتك موافق تتعاون معانا يبقى لازم نبدأ التعاون بحضور حضرتك النهارده للحفل، حضرتك اتدبست خلاص مفيش كلام

يشعر "مجد" بالضجر من توريطه في الحضور رغما عنه، فيهم بأن يسمح لعصبيته في الإعلان عن نفسها، وقبل أن ينبس ببنت شفة يصطدم بصره بصورة موجودة على سلسلة معلقة في صدرها،

بلا وعي يمسك "مجد" الصورة ويقربها من عينيه كالممسوس!!

إنها صورة للسيدة التي قتلها بالفازة في طفولته وهى تقف مع شخص أخر، ليعود فور رؤيتها بذاكرته إلى الطفولة، وهو يخرج من غرفته ممسكا بالفازة ليلقيها بكل قوته نحو وجه السيدة، ثم

صورتها وهى ترتدى الفستان الأبيض عندما جاءته في الحلم وفى الخلفية يتردد صوتها العميق: **"هى دي العدالة اللي ما حققهاش القانون يا مجد، لو مقدرناش نتساوى في الحياة، يبقى على الأقل نتساوى في الموت"**

ليعود "مجد" من ذكرياته وقد شعر أن الأرض تدور في عكس إتجاهها، والشمس تشرق من مغربها، قبل أن يسأل "رحمة" بتوتر طالب ثانوى ينتظر نتيجة التنسيق:

— صورة مين دى؟

فتثير نبرة صوته دهشتها، بينما يتابع "براء" ما يحدث في حيرة قبل أن تجيبه "رحمة":

— دى صورة ماما وبابا الله يرحمهم، خدتها بعد وفاتهم وعملت سلسلتين، واحدة ليا وواحدة لأخويا مالك

عندها، عزفت في عقله أكثر المقطوعات الموسيقية حزنا وألما، بصوت بيانو جريح تضرب أصابع القدر أزراره بلا رحمة، ليترك "مجد" الصورة وقد لمعت في عينيه الدموع وهو يتطلع لعينى "رحمة" ويسألها:

- حفلتك النهارده هتبقى الساعة كام؟

* * *

في إحدى القاعات الضخمة بأحد الكنائس، وقف الناشط السياسي "مدحت أبو عابد" حاملا علم مصر، وسط عدد كبير من الشباب والفتيات الذين يحمل كل منهم العلم بدوره أيضا، بينما تغني فتاة وشاب ذو صوت خلاب ترنيمة "بارك بلادي"

مهما كان الحال هاتقدر، ياللي بتشق البحور

مهما كان عالأرض ضلمة، السما مليانة نور

زي ما جالك نحميا، بالبكا ونادي عليك

كلنا جاين بنصرخ، يا يسوع مد إيديك

قبل أن يتحول الجميع إلى كورال يردد سويا في حماس:

بـاااااااارك بلادي، بـاااااااارك بلادي

يا سامع الصلاة، في قلوب كل البشر

بارك بلادي، بارك بلادي

إلتفت لصراخ قلوبنا، وارسل لينا المطر

عندها لمعت الدموع في عيني "أبو عابد" وهو يكرر مع الكورال، متطلعا إلى صورة السيد المسيح والصليب الذي يحمله في يده، وصورة مريم العذراء التي تنظر للبشرية بحنان الأم بينما يردد الشاب والفتاة

روحك القدوس يجمّع، العظام من كل وادي

تحيا، تنطق، تنحني لك، تعترف باسمك يا فادي

في الصليب بطرح ذنوبي، ذنب آبائي وولادي

يا رحيم القلب اغفر، واستمع لآهات بلادي

عندها تفلت الدموع من خلف نظارة "أبو عابد" الطبية وهو يردد من جديد مع الكورال:

بارك بلادي، بارك بلادي

يا سامع الصلاة في قلوب كل البشر

بارك بلادي، بارك بلادي

إلتفت لصراخ قلوبنا، وارسل لينا المطر

في الخيام يعلي هتافنا، نرفع العلم السماوي

الرب بيجهز نفوسنا، والعدو جرابه خاوي

ينهض النايم ويسمع، الندا انتم شهودي
وكلنا من قلب واحد، نطلبك بارك بلادي
بارك بلادي، بارك بلادي
يا سامع الصلاة، في قلوب كل البشر
بارك بلادي، بارك بلادي
التفت لصراخ قلوبنا، وارسل لينا المطر

وبعد انتهاء الترنيمة، يتقدم "أبو عابد" نحو الشاب ليأخذ منه المايك ويتطلع نحو أعين الجميع قائلا:

- إخواني وأخواتي من شعب الكنيسة، طول عمري بحضر معاكم فَرحُكُم، وبشارك معاكم حُزنـكم، اللي يهمكم بيهمني، واللي أقدر أقدمه ليكم عمري ما اتأخرت عنه، لكن رغم كل ده ماكـُنتش واحد منكم بجد، كنت ببص لصورة يسوع وبحس برهبة ساعات، وحنين جارف في أوقات تانية، لكن ماكنتش بقدر أطوّل في النظرة عشان حاسس إن فيه حاجة غلط جوايا، حاجة بتشدني لحضنه وأنا بقاومها بجهل وعناد، **"تلمع الدموع في عينيه مجددا ويتابع"** النهارده بس لأول مرة بحتفل معاكم وأنا منكم بمعنى الكلمة، وببص لصورة يسوع وأحس إن عينه بتبارك لي، عشان بقيت من شعبه بعد ما فتح لي حضنه وخدني للحقيقة اللي كنت هربان منها، النهارده أنا معايا الصليب بيحميني، والنور مالي طريقي، ومفيش حاجة ممكن تكسرني أو تهزمني، **"تزداد نبرة الحماس في صوته ويستطرد"** وإذا كنت زمان معاكم وأنا مش منكم، فدلوقت أنا معاكم وروحي ودمي فداكم بعد ما بقينا واحد، وربنا مع الحق

يصمت لبرهة يوزع فيها نظراته على الجميع ويتابع:

- من النهارده وقت الكلام خلص خلاص، اللي جاي لازم يكون وقت الفعل والتنفيذ، وكل الحقوق اللي ضاعت واتطرمخ عليها هترجع، دم إخواتنا وأهالينا اللي داست عليهم المدرعات في ماسبيرو، والبنات اللي اتخطفت وأجبروهم يغيروا عقيدتهم، والناس الغلابة اللي حرقوا بيوتها وقفلوا محلاتها، والكنايس اللي اتهدمت، كل ده راجع بإيدينا من جديد، يا إما نحصّل اللي راحوا ونبقى شهداء جدد قدام عرش النعمة

* * *

على قناة ON TV ظهرت مذيعة برنامج "صباح ON" لتقول للمشاهدين:

– إعزائي المشاهدين على مدار الفترة الماضية، زاد اللغط والجدل حول وجود لجان الكترونية لجماعة الإخوان المسلمين، لتشويه خصومهم السياسيين بنشر الشائعات، وكتابة التعليقات الجماعية المهاجمة في صفحات التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك وغيره لاغتيالهم معنويا وتنفير الناس منهم، معنا اليوم الصحفي الشاب الحسيني عبد اللطيف، الذي يعمل محررا بجريدة المستقبل، واستطاع مؤخرا أن يخوض مغامرة صحفية مثيرة، دخل من خلالها جماعة الإخوان المسلمين وتعرف على أفراد يعملون بهذه اللجان الالكترونية ورصد طبيعة وكيفية عمل تلك اللجان، حسيني أهلا بيك

– أهلا وسهلا بحضرتك

– أحكي لنا عن مغامرتك بدأت إزاي وإيه التفاصيل اللي كشفتها عن قرب في هذا العالم

– في البداية أسمحي لي أبدي إعجابي ببرنامج حضرتك، وشياكتك، والكوافير اللي حضرتك بتروحي له، جامد جدًا بصراحة

المذيعة بخجل:

– إحم، شكرا ويا ريت نعرف من حضرتك تفاصيل المغامرة

– بسم الله الرحمن الرحيم، يا رب ساعدني لإني هقول كلام كتير أوي وكله في غاية الأهمية، جوه جماعة الإخوان المسلمين فيه جهاز مخابرات إخواني أسسته الجماعة بالتزامن مع سيطرتها على مجلس الشعب السابق، وبيرمزوا لأهميته بالرمز "أ"، وبيضم في عضويته شباب الجماعة اللي مش ملتحين، بالتعاون مع أشخاص من العاملين بهيئات الدولة على مستوى كل القطاعات الخاصة والحكومية عشان ينقلوا لمكتب الإرشاد كل كبيرة وصغيرة بتحصل، ده غير جمع المعلومات من المظاهرات وتصوير النشطاء السياسيين وتجنيد أعضاء من الأحزاب المعارضة لحسابهم، وكل ده بحجة إنهم عايزين يحموا المعارضة من شرور أنفسهم، فيه بعد كده جهاز تاني اسمه الرصد والاستطلاع الالكتروني وجواه شباب كتير جدًا كل مهمتهم الانتشار على كل مواقع ومنتديات الإنترنت اللي تعرفيها واللي ما تخطرش على بالك لسببين، السبب الأول نشر الإشاعات وعمل البلبلة بين الشباب لضمان استمرار الخلاف والجدل لمصلحتهم، والسبب التاني نشر ردود موحدة تدافع عن الجماعة ضد أي نقد يتوجه لها، أما الجهاز التالت فلسه متأسس قريب واسمه التأمين والاشتباك وبيقوده واد زي البغل ضربته قريب في ميدان التحرير لحد ما طلع يجري وهرب بمعجزة

"آه يا كداب يا ابن الكلب"

هكذا صرخ "صهيب" وهو يتابع اللقاء وسط أفراد من جماعته، قبل أن يرد عليه أحدهم:

– أهدى يا أخ صهيب، مش واد زي ده اللي حيخرجك عن شعورك

فيصرخ "صهيب" بثورة عارمة وهو يشير للتلفاز:

– بيقول ضربني إبن الكدابة وهو أصلا خارج من تحت إيدي بيفرفر

"طب خلينا نسمع باقي كلامهم عشان ده المهم دلوقت"

قالها أحد شباب الجماعة وهو يوجه الريموت كنترول نحو التلفاز ليقوم بتعلية الصوت، قبل أن تتجه أنظار الجميع نحو الشاشة لمتابعة الحوار

المذيعة:

– طب حضرتك إزاي عرفت تدخل العالم ده وإنت معروف عنك إنك صحفي ليك كتابات ضد الإخوان؟

– ما هو مش كلهم بيقروا ويتابعوا حضرتك، وزي ما فيهم ناس شاطرة ومتابعة، فيهم عيال أغبية فاكرين نفسهم عبقارة زمانهم ودول اللي اعتمدت عليهم في اختراق الجماعة من غير ما حد فيهم يعرف طبيعة مهنتي

– تمام، كلمنا بقى عن أخطر التفاصيل السرية اللي عرفتها في مغامرتك

– هي في الحقيقة تفاصيل كتير، يعني مثلا انا عرفت طريقتهم السحرية في اكتساح أي انتخابات سواء برلمان أو مجلس شورى أو رئاسة

– اللي هي إيه؟

– شوفي حضرتك، قبل أي انتخابات بتقوم الجماعة بعمل غرفة عمليات مهمتها إدارة العملية الانتخابية عن بعد وتقسيم اللجان الانتخابية لنوعين، النوع الأول لجان المدينة ودي غالبا بيسيطر عليها التيار الليبرالى اللي كثافته الانتخابية قليلة، وبيتم مواجهته عن طريق أفراد تابعين للجماعة بيقفوا في لجان مش بتاعتهم

عشان يعملوا طوابير وهمية لحد ما الناخبين بتوع الأحزاب التانية يزهقوا ويمشوا، أما النوع التانى فمختص بلجان القرى والنجوع، ودول بيتم السيطرة عليهم عن طريق صفقات سرية مع مشايخ القرية لحشد الجماهير مقابل خدمات شخصية، يعني الجماعة اتفقت مثلا مع شيخ قرية في المنيا إنه يحشد 1000 شخص مقابل إنهم يرصفوا الطريق لحد بيته، ده غير التربيط مع سواقين النص نقل والميكروباصات والتكاتك على نقل الناخبين لحد اللجان بتاعتهم وبعدين يبقوا يرجعوهم تاني لبيوتهم ببلاش، وجوة اللجان بقى فيه مجموعة من القضاة التابعين للجماعة كل مهمتهم إنهم يشاوروا للمرشحين الأمين اللي مش بيعرفوا يقروا ولا يكتبوا على اسماء المرشحين اللي تبع الجماعة عشان يعلّموا جنب اسمه، وكله كوم والورقة الدوارة كوم تاني

— يعني إيه ورقة دوارة ؟

— تمام، أنا برضه كنت عبيط ومش عارف لحد ما فهمت على كبر، هاهاهاهاااااااااااع

— طيب ممكن حضرتك تشرح للسادة المشاهدين؟

— الورقة الدوارة حضرتك دي عبارة عن ورقة شبه الورق اللي بيستلمه الناخبين جوّه اللجان الانتخابية بتاعتهم بالظبط عشان يعلموا فيها على اسم المرشح اللي عايزين ينتخبوه، وبتجيبها الجماعة من المطابع الحكومية وبتوزعها على الناخبين اللي تبعهم وهي معلمة على اسم المرشح الإخواني، بحيث يدخل الناخب من دول يحط الورقة اللي متعلم عليها في الصندوق الانتخابي وياخد الورقة اللي بيستلمها من رئيس اللجنة ويحطها في جيبه ويخرج بيها، فيسلمها برة اللجنة لأعضاء الجماعة وياخد المقابل المادي اللي اتفقوا معاه عليه ويمشي، ويقوم أعضاء الجماعة بالتعليم في الورقة

الجديدة اللي خدوها على اسم المرشح الإخواني ويسلموها لناخب تاني عشان يدخل يحطها في الصندوق ويطلع لهم بورقته الفاضية وهكذا

تتسع عين المذيعة وتردد بخفوت كالمسحورة:

— يا نهار إسود ومنيل، **"ثم تشعر بالخجل مما قالت فتتابع:"** آسفة بجد ما قدرتش أمسك نفسي، طب وإزاي ناس بتصدّر نفسها باعتبارها جماعة دينية تعمل كده؟

— حضرتك مفيش حد ابن كلب بيقول لنفسه أنا ابن كلب، لازم دايما يدور على مبرر عشان يريح بيه ضميره، عشان كده لما سألت واحد من الجماعة إحنا ليه بنعمل كده رد وقال: إنت عارف إن الشعب مش عارف مصلحته فين، ومحتاج اللي يوجهه، خصوصا وإنت عندك أكبر نسبة أمية في العالم، ولو ما عملناش كده البلد هترجع من جديد في إيد الفلول

تبتسم المذيعة بانبهار، فيما يستطرد "الحسيني":

— تصدقي حضرتك إن كل اللي انضموا للجماعة وأعرفهم معرفة شخصية بيشتركوا في صفة واحدة؟

— صفة إيه؟

— إن طموحهم في الحياة أكبر بكتير من قدراتهم ومؤهلاتهم، عشان كده انضموا لجماعة ممكن تساعدهم في الوصول لحلم هما عارفين كويس إن تحقيقه مستحيل، زي اللي بيشرب مخدرات وبيلاقي في الإدمان الدنيا التانية الجميلة اللي عاش عمره يحلم بيها، بس للأسف مش بيشوفها غير في خياله وهو في لحظات النشوى المزيفة تحت تأثير المخدر

يغلق "صهيب" التلفاز عند هذا الحد قائلا بنفاذ صبر:

– الواد ده فحت قبره بإيده، لازم اللي سابوه يدخل الجماعة يتحاسبوا، وهو نفسه لازم يبقى عبرة لكل كلب ممكن يفكر إنه يتجرأ علينا

ثم يدير عينيه في وجوه الجمع حوله متابعا:

– عايز كل المعلومات المتاحة عن كل العيال الأدمنز بتوع الصفحات اللي ضد الإخوان، وبعد ما نوصل لهم يتحطوا تحت المراقبة 24 ساعة، لحد ما تيجي لحظة الحسم وكلهم يتصفوا، الأصوات دي لو ما اتخرستش هتفضل تنشر الكراهية والإشاعات ضدنا لحد ما الناس هتصدقهم والحرب اللي على الإسلام هتنجح

فيصيح أحد شباب الجماعة:

- ده على جثتنا، الله أكبر ولله الحمد

فيردد الجميع خلفه:

- الله أكبر ولله الحمد

* * *

"اللي إنت بتقوله ده مستحيل يا فندم"

هكذا خرجت الكلمات بصيحة غاضبة داخل القصر الجمهوري من المستشار حسين مكي أمام رئيس الجمهورية، معربا عن احتجاجه الشديد ضد ما أبلغه به الرئيس قبل أن يقول الأخير:

– هو إيه اللي مستحيل يا حسين؟ إيش حال إنك واحد من المستشارين المستقلين اللي شافوا بنفسهم تزوير قضاة مبارك ومشاركتهم في بوظان الحياة السياسة، مش قادر أفهم إزاي بتدافع لهم دلوقت بعد كل اللي عملوه

– أنا بدافع عن هيبة القضاء اللي قرارك ممكن يقضي عليها، حتى لو فيه قضاة فاسدين معظمهم سنه فوق الـ 65 سنة ما ينفعش تفصّل لهم قانون بخفض سن التقاعد لـ 60 سنة عشان تزيحهم من طريقك مرة واحدة، فيه قضاة كبار مخضرمين عندهم خبرات وكفاءات صعب نتخلى عنهم كلهم، وإلا ساعتها هتحصل هزة كبيرة في الأوساط القضائية ممكن تعمل اضطراب شعبي في البلد بحالها، وحتى القضاة والمستشارين المحترمين هيقفوا معاهم ضدك وهتخسر كل حاجة، وبعدين ما تنساش إن عدد كبير منهم ليه أولاد قضاة ومستشارين وبمجرد ما توقــع الروس الكبيرة الديول الصغيرة هتبدأ تلعب ومش هتعرف تسيطر عليها

– يعني إنت معترف إن القضاء فيه شللية وعلاقات شخصية!

– أكيد، بس مش دي طريقة الحل، وبعدين يا ريس أسمح لي، إحنا مش هنقدر نواجههم بحجة الشللية والعلاقات الشخصية اللي بينهم لأن الجماعة هي كمان مبنية على علاقات النسب والقرابة بين قياداتها

– إحنا كل علاقتنا لوجه الله تعالى ولخدمة البلد

– ده كمان ممكن يكون ردهم

– طب والنائب العام اللي الثوار بيطالبوا بخلعه، وباقي قضاة المحكمة الدستورية اللي واقفين لنا زي اللقمة في الزور هنعمل معاهم إيه؟

– أي حاجة إلا إنك تعادي شيوخ القضاة كلهم دفعة واحدة، وماتنساش إنهم كانوا قلقانين منك لحد ما طمنتهم بنفسي إن ماحدش هيمسهم لحد نهاية السنة القضائية اللي هتنتهي في 30 يونيو 2013، وبكل أسف لو سيادتك هتصغّرني قدامهم يبقى وجودي في المكان ده مالوش محل من الإعراب، ويا ريت سيادتك توافق على قرار استقالتي اللي جاهز من دلوقت وواقف على

توقيعك الشخصي، وتتحمل لوحدك تبعيات اللي هيحصل

حملق الرئيس طويلا في ملامح نائبه عسى أن يجد أي بادرة لين أو خائنة أعين توحي بأنه قد يقبل التفاوض والنقاش، إلا أن ملامح النائب أرسلت تقريرا بأن كلماته غير قابلة للتفاوض، فألقى الرئيس قنبلته الجديدة:

– يبقى مفيش قدامي غير عزل النائب العام بشكل شخصي وساعتها الشارع هيبقى معانا من غير ما نخسر القضاة

– بس ده ما ينفعش بناءًا على نصوص قانون السلطة القضائية والإعلان الدستوري

– منصب سفير مصر في الفاتيكان فاضي، لو ضغطنا عليه يقدم استقالته من منصبه مقابل إنه يبقى سفير أعتقد إنه ممكن يقبل، بس المهم يكون الضغط شديد والتنفيذ يتم في أسرع وقت

فجاءت إجابة نائب الرئيس بالصمت هذه المرة وهو يعقد حاجبيه وقد أخذ يفكر في هذا المطلب الشعبي الذي قرر الرئيس تلبيته في هذا التوقيت لامتصاص غضب الشعب ضد إخفاقه في تحقيق خطة المائة يوم، وهو يتساءل داخل نفسه: ترى هل تنطوي تلك الحيلة على الشعب المصري؟ أم أن الأيام القادمة ستحمل ما لا يحمد عقباه

* * *

الفصل الثامن

في منظمة "نبض العدالة" يجلس "مجد" والمستشار "مظلوم غلاب" على كنبة فخمة تشعر أنه تم جلبها من قصر دوق انجليزي في عصر النبلاء، ليتابع كل منهما ذلك المؤتمر الصحفي الذي عقده النائب العام على الهواء مباشرة ليتحدث أمام عشرات الميكروفونات التي تحمل شعارات قنوات "الجزيرة"، و"العربية"، و"الحياة"، و"النهار"، و"CBC" و"ON TV"، و"التحرير"، وغيرهم، بينما أحاط به عددا كبيرا من القضاة والمستشارين، وعلى رأسهم المستشار "أحمد العبد"، فيما يقول النائب العام بحماس ممتزج بالغضب:

– وأكبر دليل إن عمري ما جريت ورا المناصب والمصالح الشخصية زي ما البعض بيحاول يروج الشائعات ضدي بطريقة رخيصة، إني قدمت استقالتي 3 مرات بعد ثورة يناير، مرتين للمجلس الأعلى للقضاء، ومرة للمجلس العسكرى، وفي الـ 3 مرات قوبل طلبي بالرفض، لكن لما يتصور البعض إنهم ممكن يضغطوا عليّ عشان أكون كبش فدا يداري على فشلهم في تحقيق أهدافهم، ويحاولوا يقيلوني بطريقة مهينة للسلطة القضائية عن طريق تصوير إن فيه خطر على حياتي وإني ممكن اتقتل لو ما استقلتش وروحت الفاتيكان، فيا مرحب بالموت بس يفضل قضائنا شامخ ونزيه

ليدوي التصفيق الحار في المؤتمر، قبل أن يختفي الصوت بعد أن ضغط المستشار "مظلوم" على زر الـ Mute في ريموت التلفاز لينهض ويتجه نحو مكتبه متأملا مكتبته الضخمة الموجودة خلف المكتب قائلا وهو يطيل النظر إليها وقد أعطى ظهره لـ"مجد":

– مش قولت لك إن النائب العام مش هيستسلم بسهولة وهيحرجهم؟

فينهض "مجد" بدوره متطلعا إلى ظهر حكيم المنصة قائلا:

– نفسي مرة واحدة الريس يقول كلمة ويلتزم بيها، رفض إنه يقسم اليمين قدام المحكمة الدستورية ورجع حلف قدامها، صمم على إنه يرجّع مجلس الشعب المنحل وضرب بكل القوانين عرض الحائط، ورجع بعدها في كلامه بحجة احترامه للقانون، وآديه النهارده بعد ما أقال النائب العام واتحدى قانون السلطة القضائية اضطر يرجعه تاني وصنع منه بطل بعد ما كان فيه مطلب شعبي فعلا إنه يتشال، معقول هنقف نتفرج على كل ده؟

يضع "مظلوم" يده اليمني في جيبه، ثم يستدير إليه بابتسامة غامضة قبل أن يقول في غموض:

– بكرة ييجي اليوم اللي هتتمنى فيه إن الريس يرجع في كلامه؛ لكن ساعتها هتلاقيه راكب دماغه من غير ما تتهز له شعرة على الأرواح اللي هتضيع، والدم اللي هيملا الشوارع، وساعتها هييجي دورنا

تتسع عينا "مجد" في دهشة قبل أن يقول بتوجس وهو يضغط على حروف كلماته:

– أرواح ودم؟ هو حضرتك وَصَلِتَك أي معلومات جديدة

يشير "مظلوم" بيده نحو مكتبته الموجودة خلفه دون أن ينظر إليها قائلا:

– الكتب اللي قدامك دي لأشهر الكتاب والمحللين السياسيين في العالم، كلها وصفت من سنين الوضع اللي إحنا فيه حاليا بالتفصيل وكأن كُتّـابها كان معاهم ألة زمن جابتهم يعيشوا معانا قبل ما يكتبوا، وبتأكد إن اللي بنمُر بيه ده مش صدفة، لأن ببساطة وصول الإسلاميين للحكم مترتب له من أكتر من 60 سنة، ده لأن الإسلاميين من وجهة نظر القوى العالمية أحسن وأفيد من الديكتاتورية العلمانية في الشرق الأوسط، على الأقل مش هيحتاجوا أي تدخلات خارجية تهد أوطانهم، بعد ما كل واحد فيهم هيقوم بالدور ده بنفسه! وبمجرد ما يتمكنوا هيفصّلوا قوانين ودساتير حسب أهوائهم ومصالحهم، وهيصادروا العدالة والتنوير عشان يضمنوا استمراريتهم، وفي المقابل هينولوا البركة والدعم من أمريكا والغرب اللي هيغرفوا من بلادنا كل اللي محتاجينه ويبقى الكل كسبان، إلا الشعوب المطحونة في الشق الأوسط.

يتقدم "مجد" نحوه حتى تتلاقى عينيهما، ويصير بين وجهيهما سنتيمترات قليلة ثم يقول:

– بس إحنا مجرد تنظيم سري إمكانياته محدودة عشان يقف قصاد كل ده

يزداد بريق عيني "مظلوم" ويزداد صوته عمقا وغموضا وهو يقول:

– تنظيم سري آه، بس إمكانياتنا مش محدودة، خصوصا لو ضيفت للمعادلة أهم عنصر الإسلاميين والغرب ماحطهوش في الحسبان بالشكل اللي يليق بيه، **"تضيق عينيه أكثر وهو يتابع"** الشعب

ثم يتجه "مظلوم" نحو مكتبه ليجلس عليه بينما يجلس "مجد" على المقعد المقابل ليقول الأول:

– أهم حيلة استخدمها أصحاب السلطة الفعلية عشان ينفذوا مخططاتهم الفترة اللي فاتت إنهم خلوا الناس مش فاهمة حاجة، زمان كان الشعب فاهم بس ساكت وعامل نفسه مغيب، دلوقت بقى مش فاهم ومع ذلك صوته عالي وعامل نفسه فاهم، لأن اللي فاهمين بجد بيوصّلوا ليه الجزء اللي بيتفق مع خططهم من الحقيقة، وبيخفوا عنه الجزء التاني اللي هيضرهم، ومع الوقت بدأت الناس تمشي ورا اهوائها واستنتاجاتها، أما اللي عندهم انتماءات

وايديولوجيات فضلت قناعاتهم ثابتة ما بتتغيرش مهما كان. وكل طرف مقتنع برأيه ورؤيته مهما كانت حجة خصومه قوية، لو قدرنا نوصل للحقيقة الكاملة ونخلي كل الناس تشوفها، الأغلبية الصامتة من الشعب هتتحرك، وكل حاجة حواليك هتتغير، بعد ما هيبان العدو الحقيقي، والصاحب المزيف.

قبل أن يرد "مجد"، يضغط "مظلوم" زر الإضاءة ليظلم مكتبه قبل أن يعمل جهاز البروجيكتور الذي يعرض صورة السيارة البيضاء التابعة للهيئة الدبلوماسية الأمريكية وهي تجري مسرعة لتدهس عشرات المتظاهرين بجوار شارع القصر العيني يوم جمعة الغضب قبل أن يعيد المشهد بالتصوير البطيء قائلا:

— المشهد ده ما اتصورش فجأة، اللي كان واقف بيصور وجّه كاميرته ناحية العربية قبل ما تيجي وكأنه كان عارف إنها جاية وهتعمل إيه، ده غير إن لو كان متظاهر عادي بيصور وفجأة لقى عربية بتدهس كل العدد ده من الناس، كان أقل ما فيها صرخ أو الكاميرا اتهزت في إيده، لكن ده كان ثابت وعارف هو بيعمل إيه، ولو سمعت التسجيلات اللي اتسربت على اليوتيوب بين غرفة العمليات وظباط الأمن المركزي عن طريق اللاسلكي، هتلاقي القيادة بتحذر الظباط من عربية هيئة دبلوماسية بتدهس اللي بيقف في طريقها وبتأمرهم يتعاملوا معاها أول ما يشوفوها، وفعلا لما لقوا العربية بعدين لقوا فيها طلقات رصاص لأنها هاجمت الشرطة، يعني العربية ماكانتش تابعة للداخلية زي ما ناس كتير تصورت، وبمجرد ما النت رجع في مصر كان مشهد الدهس من أول المشاهد اللي اترفعت على اليوتيوب عشان صاحب الفيديو كان كل همه الأمور ما تهداش، وكل ما متظاهر زهق أو فكّر يرجع بيته يشوف الفيديو ده فينزل تاني وتفضل الدنيا والعة لحد ما مبارك يمشي

يعرض بعدها البروجيكتور فيديو آخر للدكتور "عصام شرف" وهو في مسيرة أعضاء هيئة التدريس ودكاترة الجامعات التي تصل ميدان التحرير وهم يطالبون بسقوط مبارك ورحيله، قبل أن يوقف المستشار "مظلوم" الفيديو على وجه "عصام شرف" قائلا:

— المجلس العسكري بدوره قرر هو كمان يشارك في اللعبة، وحب يبسط نفوذه ويسيطر على مجريات الأمور في البلد من قبل ما مبارك يمشي، عشان بمجرد ما يقع تبقى الخيوط كلها في إيديهم، فاستقروا على عصام شرف ضعيف الإرادة والشخصية إنه يبقى رئيس الوزراء بعد ما تأكدوا إن أحمد شفيق كده كده مش هيكمّل، ساعتها ومن قبل ما مبارك يمشي بعتوا رجالتهم تهلل لدخول عصام شرف الميدان، وتصور لحظة دخوله باعتباره رجل ثوري مناضل مع إنه كان قبل كده عضو في الحزب الوطني وعمره ما ناضل ولا حارب، وبعد الحلقة التليفزيونية الشهيرة بين علاء الأسواني وشفيق قرر المجلس إنه يستبعد شفيق من اللعبة عشان يخرج بطريقة تصوره ضحية ومجني عليه للأغلبية الصامتة، وف نفس الوقت ظهر ساعتها فيديو دخول شرف للميدان ولعبوا مع الثوار لعبة بص العصفورة، ده راجل ثوري ومحترم وانتوا بنفسكم شوفتوه في الميدان وبعضكم طالب إنه يبقى رئيس وزراء، طب يالّا إحنا هنعينّه عشان خاطركم، وبلع الثوار الطعم مع إنك لو سألت أي واحد فيهم إنت طالبت إن شرف يبقى رئيس وزراء هيقول لك لأ ومعرفش مين اللي طالب بيه أصلا، ده غير طبعا جهاز المخابرات اللي شايف كل اللي بيحصل ومش عايز يمنعه، وفين وفين لما يطلّع تصريح أو يكشف معلومة، وكأن الموضوع سيناريو محكم بيوصّل لنهاية مأساوية بعضهم بيحلم بيها عشان يبقوا الفئة الناجية من الطوفان، أما رجال الأعمال الفاسدين اللي معاهم راس المال

وبيتحكموا في الاقتصاد فكل هدفهم إن النظام القديم يرجع عشان يحافظوا على مصالحهم زي قابيل الهراس واللي زيه

بمجرد ذكر الأخير حتى تنقلب سحنة "مجد" ويفيض من عينيه كره يكفي لإشعال الكون بأكمله، قبل أن يتابع "مظلوم":

– وهي دي أزمة مجتمعنا يا مجد، العدالة غابت وبقى فيه قانون أعرج عامل زي خيوط العنكبوت، بيمسك الدبان الصغير، لكن بيسمح للدبابير إنها تعدي منه زي ما قال جوناثان سويفت في رواياته اللي انتقدت أوضاع المجتمع الانجليزي في عز مجد بريطانيا العظمى، وعشان نبني مصر لازم نقضي على فساد القضاء، ونكشف كل الحقايق للشعب، وساعتها ماحدش هيستنى ف بيته والكل هينزل ياخد حقه بعد ما هيكون فيه قانون جديد خالص بيحقق العدالة، وبيمشي على الكل

* * *

في قطعة أرض فضاء بالتجمع الأول، توقفت سيارة جيب شيروكي سوداء اختلط لونها بسواد الليلة المعتمة التي خلت من ضي القمر، ليغادرها شاب أسمر حلق رأسه على الزيرو تماما، وقد ارتدى نظارة شمسية رغم العتمة الليلية، بينما أطلت سلسلة ذهبية ضخمة من فتحة قميصه المفتوحة معظم أزراره، ليستند الشاب على مقدمة سيارته ويخرج سيجارا مارلبورو مستوردة تخلو علبتها من الرسومات الهزلية التي زادت من إقبال المدخنين على التدخين بدلا من إخافتهم منه، قبل أن تتوقف على يسار سيارته سيارة أخرى BMW حمراء الفئة السابعة ليغادرها السياسي "مدحت أبو عابد" الذي ترجل نحو الشاب قائلا:

– أزيك يا شامبولي؟

رمقه الشاب بنظرة تليق بأفعى، قبل أن ينفث دخان سيجارته ببطء ويقول بثقة أسد دون أن يرد السلام:

– الشباب اللي طلبته جاهز، شوية منهم ألتراس، وشوية تانين طلبة ثانوي وجامعة، على شوية من الكنيسة

– فهّمتهم إن.

– كل اللي طلبته حصل، عرّفني بس عايز تشوفهم امتى وفين وهيكونوا عندك

– التلات الجاي الساعة 12 بالليل في فيلا القطامية

– اتفقنا

"أشوفك على خير، سلام"

قالها "أبو عابد" وهو يهم بالمغادرة متجها نحو سيارته، بينما أخذ "شامبولي" نفسا من سيجارته لينفثه في الهواء في هيئة دوائر قبل أن يقول وهو يتأملها:

– الشيك يا إكسلانس

ليتجمد "أبو عابد" في مكانه قبل أن يلتفت نحوه ويتقدم بضع خطوات تجاهه ثم يخرج من جيب بذلته شيكا يقدمه وهو يقول بإحراج:

– معلش يا شامبولي الحماس خدني

لكن الشاب لا يعبأ بالرد على اعتذاره حين اختطف من يده الشيك بأنامل حاوي، قبل أن يدخل سيارته بلا مبالاة وينطلق بها لتصدر إطاراتها صريرا مزعجا أثار الرمال من خلفه، في حين يتابع "أبو عابد" ضي كشافاتها الذي يتضائل حتى يبتلع الظلام السيارة، قبل أن يستدير بغضب نحو سيارته ليدير مفتاحها ويضغط على زر الـ CD Player ليصدر منه صوت تسبحة نصف الليل القبطية: "إفنوتي ناي نان، إفنوتي سوتيم إيرون".

* * *

في قاعة مظلمة يضيئها إنعكاس شاشة لاب توب على الحائط عبر جهاز بروجيكتور، وقف إلى جوار الحائط رجل ملثم بزي شديد الشبه بالهيئة التي ينتحلها "مجد" أثناء نزوله في عالم الجريمة، ليشير بعصا إلى الحائط الموجودة عليه صورة لشباب يرتدي أقنعة البلاك بلوك قائلا:

– حتى الدول المتقدمة في العالم، مرت بأوقات صعبة أضطر فيها الشباب إنهم يكوّنوا تشكيلات مجهولة الهوية، بتداري ملامحها ورا الأقنعة عشان تهدد الأنظمة الحاكمة إنها تعدّل من سياستها الغلط، وتجبر الرؤساء والحكومات إنها تبني مجتمع قائم على العدالة والمساواة

تظهر صور لمجموعة من شباب البلاك بلوك في ألمانيا وهم يشتبكون مع ضباط وجنود الشرطة هناك قبل أن يتابع الرجل:

– أول ظهور لمصطلح Black Bloc أو الكتلة السودا، ظهر في منتصف التمانيات بألمانيا الغربية، ضد استخدام الشرطة الألمانية للعنف المفرط، خصوصا لما حبت الحكومة الألمانية تِخلي بعض المناطق من السكان بالعافية عشان يبنوا محطة للطاقة النووية.

تظهر صور أخرى لمجموعة من شباب البلاك بلوك في أمريكا وخلفهم تمثال الحرية بينما يستطرد الرجل الملثم:

– بعدها ظهر البلاك بلوك في أمريكا في التسعينيات خلال المظاهرات ضد حرب الخليج مرة، وضد السياسات الرأسمالية ومنظمة التجارة العالمية مرة تانية، واتنقلت بعدها للندن سنة 2011 ضد غلاء الأسعار، وخرّبت محلات تجارية كتير

تختفي صور البلاك بلوك من الحائط لتعود الإضاءة إلى المكان بينما يتابع الرجل الملثم كلامه للشباب الحاضرين قائلا:

– لو سألت خبراء المفرقعات إزاي نطفي حريقة ضخمة جدًا فشلت كل الجهود إنها تطفيها، هتتصدم لما يجاوبك بإن الحل الوحيد وقتها إنك تفجر قنبلة وسط النار فتعمل خلخلة في الهوا تساعد في اطفاء الحريقة دي، وهو ده دورنا في المرحلة الجاية، النظام الحالي أتوحش وانفرد بالسلطة وما حققش أهداف الثورة اللي اخواتكم وقرايبكم وصحابكم ماتوا عشانها، وجماعة الإخوان المسلمين بتجهز حرس ثوري وحلفاء من الجماعات الإسلامية هيقتحموا أي مظاهرة ضدهم لحد ما يستولوا على البلد ويكمموا الأفواه وينفذوا مخططاتهم، والبلد في حالة غليان هتوصلنا قريب لحريق ضخم هيبلع كل حاجة في سكته، يبقى الحل الوحيد إننا نبقى القنبلة اللي هتعمل خلخلة في النظام وتطفي النار دي، لازم يحسوا إن فيه شباب مجهول قلوبهم ميتة وماعندهوش حاجة يخافوا عليها وقادرين يعملوا عنف ودمار في كل مكان من غير ما يكون ليه دراع يتلوي، ساعتها بس هيعملوا ألف حساب وهيتراجعوا عن مخططاتهم الخبيثة، عشان كده المطلوب إن كل واحد فيكم يتزعم مجموعة ويضم لها شباب زيه، يكون ليهم تار مع لصوص الثورة وتجار الدين في مختلف المحافظات، ولحد ما تيجي ساعة الصفر ونعلن عن وجودنا كل الدعم اللي هتحتاجوه موجود، وكل الاقتراحات اللي عندكم هتتناقش وتتنفذ، المهم إن البلد ما تتخطفش مننا تاني بعد ما رجعناها بالدم، والشهدا اللي ماتوا يرتاحوا في قبورهم، ودلوقت هناخد بريك ونكمل كمان نص ساعة

قال حروف كلماته الأخيرة ثم غادر القاعة ليسير في طرقة طويلة قبل أن يدخل غرفة أخرى ويخرج هاتفه المحمول ليضغط على مجموعة من الأرقام ثم يضغط على زر الإتصال لينتظر لحظات،

وما أن أتاه الرد حتى قال:

– مساء الخير يا فندم، كل حاجة ماشية زي ما اتفقنا، الاجتماع الأول تم بعد ما اخترت الشباب بنفسي وكلهم مستعدين يرموا نفسهم في النار، أكيد يا فندم، لا لا لا متقلقش من النقطة دي خالص، المعلومات اللي معاهم مش كفاية عشان ده يحصل، على رقبتي، المرة الجاية كل واحد فيهم هيسلمني تقرير فيه اسماء الشباب اللي جندهم عشان نلحق نكوّن تشكيلات على مستوى كل المحافظات بس يا ريت سعادتك تستعجل لنا الشيك عشان نكون جاهزين، تحت أمرك، سلام

قبل أن يخلع الرجل قناعه، ليتضح أنه "مدحت أبو عابد"!

* * *

"تمام يا فندم"

رددها النقيب "مجدي" وهو يؤدي التحية العسكرية للمقدم "أمل" في مكتبه الذي يجلس عليه، قبل أن يضع ملفا على المكتب به صورة لأحد الأشخاص ويتابع:

– من خلال عينات المسح العشوائي للتجمعات اللي تمت في ميدان التحرير الفترة اللي فاتت، لاحظنا إن الراجل ده من ضمن العناصر المخربة اللي دخلت البلد وسيادتك كلفتنا نحاول نتتبعها

يلتقط المقدم "أمل" الملف بلهفة، ويتطلع لصورة الرجل باهتمام، ببشرته البيضاء التي تميل للإحمرار، وشعره القصير، وعينيه الضيقة المليئة بالقسوة، وقامته متوسطة الطول، حيث يقف وسط تجمع من المتظاهرين بجوار محل "كنتاكي"، منصتا لهتافاتهم وعلى ملامح وجهه الشرسة التركيز الشديد، قبل أن ينظر "أمل" للضابط قائلا:

– برافو عليكوا، عرفتوا مكانه؟

– لسه يا فندم، عقبال ما فريق التصوير بعت الصور وبدأنا نفحصها ونفرزها كان اختفى من الميدان، بس مؤكد إنه هيرجع له تاني، إحنا عنينا هناك في كل حتة ووزعنا نشرة بصورته على كل الأكمنة وإن شاء الله مسألة وقت وهيبقى تحت إدينا

– والقاضي مجد الدين أخباره إيه؟

– الراجل ده لغز يا فندم

– اشمعنى؟

– ساعات كتير بيبقى يومه عادي وتقليدي جدًا ما بين البيت والمحكمة والجيم اللي بقى يتردد عليه كتير اليومين دول، وساعات تانية بياخد عربيته بالليل ويفضل يلف من غير ما يروح لمكان معين لحد ما يرجع البيت

يعقد "أمل" حاجبيه ويفكر في الكلمات، ثم يسأل:

- إنت اللي بتراقبه بنفسك يا مجدي؟

- لا يا فندم

- طب عايزك إنت اللي تراقبه الفترة الجاية وارجع بلغني

- تحت أمرك

فجأة يرن هاتف "أمل" المحمول، ليجد اسم زوجته على الشاشة، فيختلس ابتسامة سريعة قبل أن يضغط على علامة "Cancel" ثم ينهض ليلتقط جاكت بذلته المعلق على ظهر المقعد الذي يجلس عليه قائلا وهو يرتدي الجاكيت:

- أنا عندي مشوار مهم لازم ألحقه، لو جد أي جديد خلينا على تليفونات، سلام

* * *

التقط المستشار "حسين مكي" فنجاله ليرشف منه رشفة وهو يجلس في مكتب اللواء "ياسر حجازي" كبير الياوران بالقصر الجمهوري قبل أن يقول له:

– يعني سيادتك عايز تقنعني إن ماحدش عارف سبب وجود المستشارين القانونيين لحزب الحرية والعدالة في القصر، ولا بيقعدوا يتكلموا مع الريس في إيه؟

– لأ طبعا أكيد فيه ناس عارفة، بس هتلاقيهم قاعدين في مكتب الإرشاد بالمقطم، إنما هنا ماحدش يعرف أي حاجة، كل اللي الريس قاله إنهم يدخلوا مكتبه أول ما يوصلوا، وبقالهم كام يوم بيجتمعوا بيه بالساعات

يضع نائب الرئيس فنجاله وينهض واقفا بحماس قائلا:

– قال يا خبر بفلوس، كمان كام دقيقة هيبقى ببلاش، طالما استدعاني وهمّا لسه عنده يبقى فيه قرار اتاخد وهيبلغني بيه، عن إذنك

* * *

"لتاني مرة يا سيادة الريس بتضطرني أقدم استقالتي لأن الكلام ده ما اتفقناش عليه، سعادتك اعتبرني من دلوقت مش في منصبي وهخرج من هنا على كل وسايل الإعلام أعرّفها باللي هيحصل عشان أعفي نفسي من المسئولية"

هكذا ردد المستشار "مكي" كلماته بصيحة غاضبة على مائدة الاجتماعات في حضرة الرئيس، ومدير مكتبه، ومستشاره القانوني، وعدد من المستشارين القانونيين بحزب الحرية والعدالة، ليضرب الرئيس سطح مائدته بيده قائلا بغضب:

- أنت بتلوي دراعي يا مكي؟

- العفو يا فندم، بس سيادتك لما جيت تعيّني نائب اتفقت معاك إننا هنشتغل لمصلحة مصر بالطريقة القانونية السليمة اللي تحافظ على البلد، وإنت بنفسك وعدتني إنك هتحمي الثورة وتحقق أهدافها، لكن اللي أنا بسمعه دلوقت مالوش علاقة بكل ده، عايز يكون رد فعلى إيه؟

- بقى لما نفكر نعمل إعلان دستوري جديد بيلغي الإعلان بتاع العسكر، وبيوعد الشعب إنه في حالة ظهور دلائل أو قرائن جديدة هنعيد التحقيقات مع المتهمين في جرايم قتل الثوار وإصاباتهم يبقى إحنا كده ما بنعملش لصالح الثورة؟ إنت نسيت إني قولت في حملتي الانتخابية إن دم الشهدا في رقبتي؟

- واللي إنت بتقوله ده هيترتب عليه شهدا جدد ودم تاني، أولا قانونا مفيش حاجة اسمها إعادة محاكمة في قضية اتحكم فيها، ثانيا أنا مش معترض على إنك تصدر إعلان دستوري جديد، لكن إنت وجماعتك لسه مصممين تحطوا مادة في الإعلان الجديد بتنص على خفض سن تقاعد القضاة عشان تتخلص من النائب العام ورؤساء جميع الهيئات القضائية بما فيها المحكمة الدستورية العليا، وده بطبيعة الحال هيعمل هزة كبيرة في الأوساط القضائية، القضاة هتضرب عن العمل وهتبقى فوضى وخد بالك إن خصومك هينتهزوها فرصة وهيحشدوا الناس ضدك

- وإحنا كمان بنعرف نحشد

- وتبقى مدبحة هتتحمل وزرها قدام ربنا

يرد الرئيس بغضب أكبر:

– وبعدين يا مكي؟ يعني إنت عايزنا نفضل سايبين قضاة مبارك وترزية القوانين اللي معينهم واقفين لنا زي اللقمة في الزور؟ آديك شوفت النائب العام اللي رجع تاني لمنصبه وهيبتنا اللي اتهزت،

فاضل ايه تاني

– فاضل إنك تكسب الناس بجد وتحسسهم إنك رئيس لكل الشعب مش رئيس لناس وناس، عبد الناصر في بداية حكمه كان فيه حواليه فلول واقطاعيين وأحزاب حاطة عينها على السلطة، بس خد قرارات لصالح الشعب فكسب الناس كلها رغم إنه كان لسه شاب عمره 35 سنة، وإنت لسه شعبيتك ما اكتملتش عشان تاخد خطوة زي دي

يتطلع الرئيس إلى عيني نائبه الحازم الذي خرجت نظراته كحد السيف، وتتلاقى نظراتهما لبرهة من الوقت اختبر فيها الرئيس صلابته، قبل أن يتأكد استحالة تراجع الرجل في موقفه، فيوجه كلامه لمستشاري الحزب قائلا:

- خلاص يا جماعة، كملوا كتابة الإعلان وألغوا البند ده دلوقت، لحد ما يقضي ربنا أمرا كان مفعولا

* * *

الفصل التاسع

غادر "مجد" ذلك الأسانسير الفخم في البرج الذي تسكنه "رحمة"، وقد بدا في غاية الوسامة في بذلته السوداء الايطالية ماركة Giorgio Armani، وتحتها فيست أسود وقميص أبيض تزينه رابطة عنق لونها بني محروق ومنقطة باللون الأبيض، وقد فاح منه عطر الـ Chanel Allure، بينما يحمل في يده حافظة سيديهات، قبل أن يطرق باب شقة "رحمة" وينتظر ثواني ينفتح بعدها الباب وتطل من خلفه ابتسامة العم "رءوف البدري" الذي يرتدي روب أنيق، ونظارة طبية قائلا بنبرة ودودة:

– أهلا وسهلا، أستاذ مجد؟

– مظبوط يا فندم، هو أنا

– قالها "مجد" بابتسامة هادئة، قبل أن يفسح له العم الطريق قائلا:

– اتفضل

ليدلف "مجد" للشقة، قبل أن تظهر "رحمة" و"براء" من خلف العم ليسلّما عليه بحفاوة بالغة، وتقول "رحمة" بلهجة مرحة وهي تصافحه:

– مش مصدقة نفسي إنك بتقبل دعوتي لتاني مرة، ولو إن يوم ما شرفتني في الحفلة ما يتحسبش لأني معرفتش أرحب بيك ساعتها

يتطلع إلى عينيها، ثم يتأمل صورة والدتها المعلقة على الحائط قبل أن يقول بحزن:

– مع إني حاسس إني جيت متأخر أوي

يلمح "براء" نظرة "مجد" الحزينة للصورة، وكذا يفعل العم، قبل أن يفحص "مجد" المكان ببصره، متأملا الموبيليا الكلاسيكية

الفخمة، وتلك الجدارية الرائعة، بخلاف لوحات أخرى تزين أرجاء المكان، وذلك البيانو الأنيق المستقر في ركن الصالون وقد استندت عليه آلة الكمان، قبل أن يمد يده بحافظة السيديهات الجلدية الأنيقة التي يحملها ليضعها في يد "رحمة" قائلا:

— أمسكي يا رحمة، دي مجموعة كتب مسموعة لأشهر الكتب العالمية زي: The Secret و Men Are from Mars, Women Are from Venus وفيه كمان كتب عربية هتعجبك زي لا تحزن والمجموعة الكاملة لأحلام مستغانمي وأحمد مراد، ده غير مقطوعات موسيقية مساحتها حوالي 10 جيجا

تتلقى "رحمة" حافظة السيديهات بسعادة شديدة قبل أن تقول:

— أنا قريت The Secret على فكرة بطريقة برايل، بس باقي الكتب كنت فعلا حاطاها في الـWaiting List ومستنية حد يشجّعني، أما المزيكا بقى فمستنية أشوف ذوقك

تطل نظرة غيرة من عيني "براء" وهو يتأمل "مجد" بغيظ قبل أن يشير نحو الصالون قائلا:

— اتفضل

ليتجه "مجد" نحو أحد المقاعد ويجلس عليه، بينما يتابع "براء" برخامة:

— كنت هبقى فرحان أوي لو جيبت لي أنا كمان هدية، "يضيف بابتسامة سمجة:" من باب العدل يعني

فيبادله "مجد" ابتسامة أكثر رخامة:

— لما تعزمني في بيتك مش هدخل بإيدي فاضية، إنما انت هنا ضيف زيي، أطلب هديتك من بابا نويل

تبتسم "رحمة" في حرج، بينما يقهقه عمها قائلا:

— واضح إنك ابن نكتة زي حالاتي، استنى أما أقولك نكتة حلوة هتعجبك، بيقول لك مرة واحدة عجوزة متهمة في جريمة قتل، قالت للقاضي والله أنا بريئة صدقوني، فرد عليها القاضى بذكاء: لكن مواصفات القاتلة كلها بتنطبق عليكي، بنت جميلة، ورشيقة، وجذابة، قام الست العجوزة اتكسفت ونزلت راسها لتحت وقالت: والله ما كنت ناوية أقتله

يبتسم "مجد" ابتسامة وقورة قائلا:

— بس للأسف الواقع مفيهوش قضاة كتير بالذكاء المطلوب، ولا متهمين كتير ممكن ينضحك عليهم بحيلة ساذجة

لترد عليه "رحمة":

— طبعا، عشان كده حضرتك نموذج نادر نفسنا يكون فيه كتير زيك

— أشمعنى؟

— عشان أنا وبراء متابعين حضرتك من وقت ما كنت وكيل نيابة ليه مواقف مشرفة لما تيار القضاة المستقلين اصطدم بمبارك في انتخابات رئاسة 2005، ساعتها كنت حزينة إن معظم اللي واقفين مجموعة قضاة شعرهم أبيض وشبعوا خلاص من الدنيا ووراهم تاريخ كبير، في حين إنك كنت من الشباب القليلين اللي لسه قدامهم مستقبل طويل ممكن يخافوا عليه، ووقت ما قامت الثورة كنت من القضاة القليلين اللي نزلوا باتوا في الميدان واتكلمت في وسائل الإعلام عن كل عيوب القضاء المصري، نبرة صوتك القوية وتصريحاتك لسه في وداني لحد دلوقت، ده غير إنك وقفت زي الأسد يوم موقعة الجمل، بجد لو 10% من قضاة مصر بعزيمتك ونزاهتك ماكانش طلع المثل اللي بيقول ياما في الحبس مظاليم.

تنهال كلماتها على مسامعه كحراب مسنونة تنغرس في ضميره وكيانه لتخرس لسانه عن الكلام، في حين يمر أمام عينيه ماضي بغيض استيقظ من ذكريات غافلة كان قد نجح بالكاد في تسكينها في طي النسيان طوال أعوام طويلة، قبل أن يتابع "رءوف البدري" عم "رحمة":

— رحمة وبراء قالوا فيك شعر، خلاني أصمم إني أجهز لك العشا بنفسي

تلوح من "مجد" نظرة للمائدة الموجودة في غرفة السفرة المفتوحة على الصالون، ليصطدم بصره بوليمة ملكية أقرب لمأدبة منها إلى مجرد عزومة، قبل أن ينظر للعم بدهشة شديدة قائلا:

— إيه ده؟ هو أنتوا عازمين 15 نفر تانيين؟

يقهقه العم مجددا، بينما تقول "رحمة":

— عازمين 100، بس كلهم مجتمعين في شخص واحد

يعقد "براء" حاجبيه وهو ينظر إليها غاضبا، كصائم نائم في ساعة عصاري شديدة الحرارة واستيقظ توا على انقطاع الكهرباء عن التكييف، متمنيا لو انقض عليها وصفعها صفعة أودع فيها كل غله وطاقته السلبية، ثم يحتويها بعدها في حضنه حين تحين لحظة بكائها!

في تلك اللحظات فقط اكتشف أن حبيبته عمياء، وهو الذي عاش معها عمرا كان يراها فيه المبصرة الوحيدة التي ترى الأمور على حقيقتها، ثم اكتشف في التو إنها فاقدة للبصر والبصيرة،

طالما غفر لها زلات وأخطاء وكأنها لم تكن، إلا أن يطل الإعجاب من كلماتها حين تتحدث مع رجل أخر سواه مثلما يحدث الآن على مسمع ومرأي منه، وكأنها عدمت قلبه ومشاعره البكر البريئة

في ميدان عام، لذا حان وقت الانسحاب من هذا اللقاء بعد أن اكتشف أن "مجد" يستحق أن يكون في خانة الأعداء والخصوم رغم أنه كان يسعى لصداقته منذ ثوان

يا إلهي، لقد تذكر بالفعل أنه كان يجب عليه أن يذهب للطبيب حتى يعرض عليه نتيجة التحاليل الطبية التي طلبها منه منذ فترة، حمدا لله أنه لن يكون كاذبا حين يقسم بأن ورائه موعدا هاما لا يجب أن يتغيب عنه.

"للأسف يا جماعة كان نفسي أكمل معاكم، لكن للأسف لسه فاكر إن ورايا ميعاد مهم كنت ناسيه خالص، **"ينهض ويمد يده نحو مجد متابعا"** فرصة سعيدة يا سيادة المستشار وتتكرر قريب إن شاء الله بس هتبقى عندي المرة الجاية"

فيرد عليه "مجد" وهو يصافحه:

— إن شاء الله

— خلاص اتفقنا، أنا مش هجيب بقى الاسطوانات اللي كنت ناوي اشتريها عشان أسيب لك حاجة تعرف تهاديني بيها لما تشرفني

بينما يقول العم بدهشة:

— طب استني يا ابني نتعشا مع بعض وبعدين أمشي

ثم تقول "رحمة" غاضبة:

- براء ما تهرّجش، أومال إحنا عاملين الأكل ده كله لمين؟

فينظر لها شذرا:

— معلش، ما أنا سايب معاكي واحد بميت راجل، يا ريت الأكل يكفيهم

قبل أن يوليها ظهره وينصرف دون أن يلاحظ تلك النظرة الفاحصة له من عيني "مجد" وهو يقرأ المشهد ويضع البيانات الجديدة في

خانة التحليل، قبل أن يباغت "رحمة" فور إنصرافه:

— بيغير عليكي أوي، واضح إني عكيت الدنيا

يحمر وجهها وتزداد ضربات قلبها مع تلك الملحوظة التي كشفها "مجد" بجرأة غير متوقعة، وقد كبل الحرج لسانها عن الكلام في حضرة عمها الذي اكتفى بالابتسام، بينما أخذت تبحث عن خصلات متطايرة من شعرها لتتصنع الانشغال بتسريحها بأصابعها قبل أن تهمس بصوت مبحوح:

- طول عمره بالنسبة لي أخ وزميل

- وأنتي بالنسبة له إيه؟

- تقدر تسأله

هنا يفرج العم عن مكنون صدره ليقول بابتسامة بها شيء من العصبية:

- من غير ما يسأله كل حاجة باينة زي الشمس، أستاذ مجد أهو أول مرة يقعد معانا وفهمها لوحده

ينظر العم لـ"مجد" ويستطرد:

— واحد غيري كان ممكن يتضايق من كلامك يا ابني ويعتبرك بتتدخل في حاجة ما تخصكش، بس أنا أصلي من الريف وبحب الناس اللي بتتكلم دوغري واللي ف قلبها على لسانها، ده غير إني حبيتك من اللي سمعته عنك، عشان كده يا ريت تتكلم معاها طالما هي بتحترمك وبتثق في رأيك

يجيبه "مجد" بابتسامة هادئة رزينة:

— لو كان ينفع في الحب نغش أراء اللي حوالينا، ونفرق بين النصيحة الصح والنصيحة الغلط ماكانتش فيه قلوب اتكسرت، ولا عيون نامت معيطة، الأزمة الحقيقية في الحب عمرها ما كانت إنك تاخد قرار قد ما بتبقى إنك عارف الصح فين لكن مش قادر تنفذه

يبدو الإعجاب على ملامحها، لتتابع بعد أن بثت كلماته فيها الشجاعة والثقة:

— ده غير إن التسرع في الحب والارتباط ممكن يعمل سوء تفاهم يتعس الإتنين بدل ما يوفر لهم الحياة اللي بيحلموا بيها

— الحب أصلا سوء تفاهم بين اتنين، وأول ما بيفهموا بعض بيفركشوا

انبهرت بجملته الأخيرة التي لم تتخيل يوما أن تسمعها من رجل يفهم حقيقة الحب لهذه الدرجة الساحرة، لتمرق كلماته في عقلها ومشاعرها كجرعة مورفين زائدة تجلب لمتعاطيها السعادة المفرطة، غير أنها خشت على نفسها من الأوفر دوس فقالت بلا مبرر:

— طب يا جماعة، تعالوا نسيبنا بقى من جو أسامة منير ونحنحة آخر الليل ونلحق نقوم نتعشا قبل ما الأكل يبرد

بعدها بدقائق كان "مجد" يتذوق أجمل فراخ متبلة تذوقها في حياته على الطريقة المكسيكية، قبل أن تذوب أصابع ورق العنب في فمه، وقد حارت عينيه بين كم أطباق السلطة المختلفة المرصوصة على المائدة بفن وجمال يجعلك تستحرم أن تفسد كل هذا الإبداع، ما بين الثومية، وسلطة المكرونة بالهوت دوج، والسلطة الخضراء، والكلو سلو، وطبق البنجر المخلل، والباذنجان، قبل أن يقول:

— رغم إني أكيل يا عمي ومقضي معظم وقتي في المطاعم بحكم عيشة العزوبية، إلا إن عمري ما استطعمت أكلة بالشكل ده في أي حتة

فتبتسم "رحمة" وهي تتناول أصبع بطاطس مقلية على طريقة الفريسكاس

— عايزة أقول لك إن دي أقل حاجة عنده عشان بس كان

مستعجل، بجد في المرة الجاية هخليه يدوقك مكرونة المشروم بالوايت صوص مع فاهيتا الجمبري والسمك ووريني هتقاوم إدمانها إزاي؟

يتساءل "مجد":

- هو حضرتك مجال عملك ليه علاقة بالسياحة والفنادق يا عمي؟

- لا يا ابني، أنا كنت وكيل وزارة الزراعة بس قدمت استقالتي من ساعة ما البهايم قرروا يعملوا مشروع توشكى

يلتقط "مجد" إصبع ورق عنب مجددا ويسأل باهتمام:

- اشمعني؟

- عشان ضميري منعني أشوف البلد بتقع في أكبر غلطة حصلت في تاريخها وأقف أتفرج، بقى معقول نسيب الصحرا الغربية اللي فيها ربع مليون فدان صالحة للزراعة، ونروح نعمل بلد اسمها توشكي في الجنوب اللي أرضه مش ممهدة، ودرجة الحرارة هناك 48؟ طب مين هيقدر يعيش ويزرع ويعمر في جو زي ده إذا كان الفلاحين دلوقت بقوا بيتعبوا من الحر، ومركبين تكييفات في بيوتهم اللي من طين؟ وفعلا مع الوقت طلع كلامي صح وما اتنفذش المشروع اللي بيعنا بسببه شركات القطاع العام بتراب الفلوس وخسرنا الجلد والسقط ع الفاضي

- وليه حضرتك ما شرحتش وجهة نظرك ودعمتها بالدراسات؟

- عملت كل اللي يخطر على بالك، بس بتوع البليلة اللي ماسكين البلد كانت رؤيتهم معدومة، ومع ذلك لازم تتنفذ بالإجبار، سمعت عن ممر التنمية بتاع فاروق الباز؟

- أه طبعا بس في الحقيقة مش ملم بكل تفاصيله

- فاروق الباز كان صديقي، وأنا اللي طلبت منه يقدم المشروع ووعدته إني هبذل قصارى جهدي عشان يتنفذ، ويوم ما عرضت عليهم فكرة المشروع خدوها زي ما هي بنفس الدوسيه وحطوها في الدرج وردموا عليها ملفات تانية كتير مالهاش أي لازمة، وطبعا كل ما أسأل إيه الأخبار يكون الرد بعدين، فاروق شاف إن الإنسان المصري بطبيعته بيحب نهر النيل وما يقدرش يبعد عنه لدرجة إننا عايشين في حوالي خمس مساحة مصر على ضفتين النيل من الشمال للجنوب، ففكر إننا نعمل في الصحرا الغربية طريق موازي لخط النيل بالمواصفات العالمية من ساحل البحر المتوسط في الشمال، لغاية بحيرة ناصر في الجنوب وبكده تبقى عملت دلتا جديدة للامتداد العمراني والزراعي والصناعي والتجاري، وساعتها مش هتحتاج تقنع الناس إنها تروح هناك وتسيب الزحمة اللي هنا، لأن الكل كان هيهج لوحده طالما فيه كل الخدمات اللي مش موجودة في الخرابة اللي إحنا عايشين فيها

يتوقف "مجد" عن الطعام وقد فر من فمه حلو المذاق وحلت مكانه مرارة الإنهزام والشعور بالعجز والحسرة على بلد كان يمكنها أن تكون عظيمة قبل أن يقول بضيق:

- كان لازم سيادتك تتمسك بموقفك

- أكتر من إني هددت إني هبلغ الصحافة بكل المعلومات والتفاصيل اللي معايا؟ وفعلا حاولت لكن مافيش جورنال فيكي يا مصر قدر ينشر، خصوصا إن ساعتها ماكانش فيه حرية صحافة زي دلوقت، وماكانش فيه صحف معارضة وفضائيات وتوك شو يومي

يغمغم "مجد" بشفتين مرتعشتين من الغضب والقهر:

- ويا ريتهم اكتفوا بوأد المشاريع المهمة وبس، لأ دول كمان دخّلوا المبيدات المسرطنة ودمروا البلد

- لا يا إبني، الواحد يقول اللي ليه واللي عليه، موضوع المبيدات

المسرطنة دي كذبة اخترعتها الصحافة والناس صدقتها

- إزاي؟

- مفيش حاجة اسمها مبيد مسرطن، إنما فيه حاجة اسمها إن الفلاح بيجيب مبيد قوي وفعال معمول مخصوص لدودة القطن مثلا اللي بتبقى شديدة وخطر، عشان يقضي عليها بسرعة، وبعد ما يرشه على القطن ويتبقى منه كمية، يقوم يرشه على الطماطم مثلا اللي الدودة بتاعتها ضعيفة ومش مستاهلة مبيد بالقوة دي، ومتخصص لها مبيد تاني خالص، لكن إحنا طبعا فهلوية وبنمشي كل حاجة مع أي حاجة بالبركة، فتكون النتيجة إن محصول القطن بياخد فترة يتقطف فيها وبعدين يتحلج لحد ما يختفي منه أثر المبيد، لكن الطماطم يادوب بيرشوها بمبيدات تانية مش بتاعتها وعلى طول يقطفوا المحصول ويبيعوه وهو لسه شارب المبيد السام وما لحقش يتخلص منه، والناس تاكل وتمرض

- أومال الفضايح اللي نشرتها الجرايد عن المبيدات المسرطنة دي كانت إيه؟

- كلها كانت تصفيات سياسية وضرب من تحت الحزام، مبارك كان عايز يشيل يوسف والي اللي مسنود من أمريكا ومش عارف، فاخترع له حكاية المبيدات المسرطنة عشان يعرف يتخلص منه، ومعظم الفضايح اللي اتكتب عنها كانت فضايح مالية وقضايا رشوة، لكن مفيش قضية واحدة عن مبيد مسرطن، لأن الشعب بنفسه هو اللي صنع سرطانه، وما كانش محتاج لأي تدخل خارجي، وخد عندك بقى التعليمات والتحذيرات اللي بتبقى جاية مع أي مبيد سواء الكمامة والهدوم اللي المفروض تتلبس ومحدش بيلتزم بيها من الفلاحين اللي مش فارق معاهم صحتهم وواخدينها بالبركة، وميا الصرف الصحي اللي بقوا يرووا بيها المحاصيل بتاعتهم بعد ما خدوا

أراضي في الجبل وضع يد واستغلوا المصارف اللي بتعدي قدامها عشان يسقوا بيها الأراضي، والدولة اللي عملت نفسها مش شايفة لأن المسئولين عارفين كويس إنهم لو حبوا يمنعوا الكلام ده هيطلب منهم الفلاحين توفير البديل بديل لري الأرض، ومع الوقت طرحت في الأراضي شجر ونخيل وبقى مستحيل تقنع الفلاح إنه يسيب المكان لحد ما بقت العشوائيات الزراعية أمر واقع زي بالظبط عشوائيات مساكن الدويقة ومنشية ناصر، وبعد ده كله ممكن تصدق إن ده بيحصل في بلد حصتها من الميا 55 مليون متر مكعب في السنة؟ ودولة زي إسرائيل ماعندهش نيل زيك، ولا مساحتها ربع مساحتك، بتعرف تكسب من كل متر مكعب ميا 2 دولار، يعني لو بيدخل لها الـ 55 مليون متر ميا بتوعك كانت عملت 110 مليار دولار بناء على نظم الري الحديثة اللي بيستخدموها، وإحنا لسه عايشين في ميا البطيخ

- طب وبعد الثورة، الوضع ليه ما اتغيرش؟

- عشان إحنا وصلنا لمرحلة إنك لازم تسرق عشان تعيش، لو أنا جيت النهارده حطيت قدامك أنت وأخوك طبق فيه كيلو فول، وجيت بكرة جبت لكم أخ تالت على نفس كيلو الفول، وجيت بعده جبت أخ رابع وهكذا لحد ما بقيتوا 100 واحد في نفس الطبق بنفس الكمية، تفتكر هينفع تشبعوا؟

- أكيد لأ

- ساعتها لازم واحد فيكم هيجور على حق الباقيين عشان ياخد اللي يكفيه ويسيب الباقيين جعانين، يا تظلم يا تتظلم مالهاش حل تالت، وحتى لو حاولت تعدل بينهم، يبقى كل واحد هياخد أقل من اللي محتاجه، عشان كده حلنا الوحيد إننا نزود الأطباق ونزود الكمية ونوزعها بشكل عادل غير كده هيبقى الحال على ما هو

عليه، وهتفضل العشوائية والسرقة في دمنا

هنا يحين دور رحمة في الكلام، لتردد بحزن:

– بشكل عادل، طول عمرنا أزمتنا في العدل

يتحاشى "مجد" النظر إليها وكأنها تراه، قبل أن ينهض قائلا:

– سفرة دايما يا رءوف بيه، تسلم إيدك بجد، استأذن أنا بقى وإن شاء الله المرة الجاية نقعد مع بعض فترة أطول من كده

– تستأذن قبل ما تشرب الهوت سيدر من إيدي؟ أنسى، أتفضل إنت ورحمة ع الصالون ومحدش يحاول يمد إيده ف حاجة أو يساعدني لو سمحتم "**يميل نحو مجد ليحمل صنية من أمامه قائلا بلهجة أشبه إلى الهمس وهو يشير بعينيه نحو رحمة**" البنت دي كانت لسه بتغني من شوية أغنية أجنبية جميلة أوي، خليها تغنيهالك

يلمح "مجد" "رحمة" وهي تهم بالنهوض من جلستها أمام السفرة، فيمسك يدها ليساعدها قائلا:

– أغنية إيه اللي كنتي بتغنيها؟

- Hello

يسير بها نحو الصالون قائلا:

– بتاعة Evanescence

تبتسم برقة:

– واضح إنك بتسمع أجنبي كتير

يصبح هو وهي عند البيانو قبل أن يتابع:

– أنا بسمع أي حاجة ممكن تعجبني بغض النظر مين اللي بيغنيها، سواء عربي أو أجنبي، أو حتى شعبي

ثم يتفحص البيانو ويضع يده عليه قائلا:

– ده غير إني بعزف بيانو من صغري

قالها وقرن كلامه بحركات سريعة من أصابعه على أزرار البيانو لتخرج نغمة مقتضبة من وحي اللحظة، فاتسعت ابتسامتها وهي تلتقط الكمان وتمسك بعصاه قائلة:

– طب ما توريني شطارتك

يتأمل ابتسامتها الطفولية كنبع صافي لم يطأه البشر، بينما تسند ذقنها على الكمان النائم فوق كتفها الأيسر، وقد أمسكته في وضع الاستعداد قبل أن تعزف مقدمة مقطوعة ADAGIO لـ Secret Gardens التي تشبه تلك الموسيقى العقلية التي طالما رددها ضميره، وعزفها قدره البائس منذ طفولته، لتبهت ملامحه مع تلك الصدفة التعيسة لحد السعادة! وينغمس كيانه ووجدانه مع نعومة صوت الكمان الحزين، ووتره الذي يذبح الفؤاد ببطء، متذكرا أصعب لحظات عمره التي لعب فيها دور الجاني مرة، والمجني عليه مرات،

تلك هي الموسيقى ومأساتها بالنسبة إليه، تماما حين تروق لك مقطوعة موسيقية ترتبط بحدث سعيد وتذكرك به، فتهيم بها حبا وتدون على جدران نغماتها ذكريات جميلة ممتعة ترتبط بها لحد تذكرها كل مرة مع سماع نفس المقطوعة وذات النغمات، لكنها يمكن أن تتحول إلى جحيم لا يطاق، يلتهم كيانك ويدمر مشاعرك، حين تسمعها مرة فتكتشف أن الذكريات التي كانت سعيدة يوما لم تعد كذلك، وقد صارت عبئا عليك بعد أن ذهب كل ما هو جميل ومرتبط بها ولم يعد، وتصبح الموسيقى آلة زمن تعيدك كل مرة عند نفس الماضي وذات الزمن الذي ولى دون أن يكون في المشهد نفس الأشخاص، فتكتشف أنك لا تملك رفاهية تغيير الذكرى القديمة لصالح حاضرك أو مستقبلك، وتكتفي فقط بالبكاء على الأطلال!

"تيجي نعزف Hello مع بعض؟"

تباغته بطلبها الذي جاء في صورة سؤال، فيتطلع إلى عينيها التي لا تراه ويمعن فيها النظر قبل أن يبحر في ملامحها التي ابتلعته كمحيط بلا مرسى، دون أن يعرف إذا ما كان شعورا بالشفقة على ضحيته، أم بوادر إعجاب بملهمته، قائلا وهو يتأمل خصلات شعرها الكستنائي الفاتح شديد النعومة:

— موافق بس بشرط، تغنيها وانتي بتعزفي

تبتسم بدلال وتهز رأسها هزة بسيطة أينعم، ثم تحرك عصا العزف على الكمان دون أن تمهله لحظة للتباطوء، لتبدأ الكمان في إصدار لحنها الشجي الذي يخترق الحواس ويخلب الألباب، بينما تعانق أصابع "مجد" أزرار البيانو وتفرغ فيها ذلك الكم الهائل من المشاعر المتناقضة داخله كقالب ثلج يحتضن النيران، قبل أن يخرج صوت "رحمة" المليء بالإحساس والمشاعر كقيثارة من السماء خلقت خصيصا لتسحر أهل الأرض وهي تردد بصوت حزين كلمات الأغنية بتدريجات صوتية شديدة التأثير والتمكن:

Playground school bell rings again

Rain clouds come to play again

Has no one told you she's not breathing?

Hello, I'm your mind giving you someone to talk to

Hello

يسحره اداؤها الجبار الذي تفوق على حلاوة صوت Amy Lee صاحبة الأغنية، غير مصدق أن هناك صوتا بهذه الروعة، بينما تراقص كلمات الأغنية ضميره تحت أمطار الأمس ولا زالت "رحمة" تغني

If I smile and don't believe

Soon I know I'll wake from this dream

Don't try to fix me, I'm not broken

Hello, I'm the lie living for you so you can hide

Don't cry

دون أن يدري أنها في تلك اللحظات كانت تحتاج لشيء آخر بعيدا عن الركض خلف الماديات الجامدة والأشياء الخيالية، شيء يشعرها باللحظة، بجمالها، ببهجتها، شيء يجعلها تشعر أن قلبها مازال ينبض، وأن الحياة مازالت مستمرة في العروق، وأن الإحساس يتمختر في الأعصاب.

شيء يوقف ذلك الخط الملتهب من الدموع التي تسيل على خديها الآن وهي تتفاعل مع الكلمات واللحن متأثرة بمشاعر لم تعشها، وصدمة عاطفية مؤلمة رغم أنها لم تتعرض لها يوما!

Suddenly I know I'm not sleeping

Hello, I'm still here

All that's left of yesterday

وحين فرغت من الغناء، اكتشف القاضي بدرجة فنان تلك المشاعر الحزينة التي تسيل على وجنتيها، لكنها عجزت أن تكتشف بدورها دموع قلبه التي كانت تسيل في نفس اللحظة.

اقترب منها أكثر وتجرأت إبهامه على ملامسة خدها لتمسح تلك المشاعر المبعثرة، فاستسلمت لحنانه دون مقاومة وقد أدركت أن هناك بشر جعلهم الإله في صورة أدوية لشفاء أمراض الروح، حتى وإن لم يفعلوا شيئا، لكن تكفي مجالستهم لتطيب الجراح بما وهبهم الله من مادة فعالة شديدة التأثير، حتى ولو من على بعد!

في حين أدرك هو بدوره أن تلك الفتاة باختصار لا يمكن اختصارُها!

ومن بعيد وقف العم العجوز حاملا الصنية الموضوع فوقها أكواب العصير، ليتأمل المشهد من زاوية رؤيته ويشاركهم الدموع بدوره، دون أن يشعر بوجوده أحد.

* * *

في طريق مصر الإسكندرية الصحراوي قاد "مجد" سيارته بأقصى سرعة، غير مبالٍ بالزحام النسبي على الطريق، ليتفادى كل السيارات التي تعترضه بمهارة وتهور في آن واحد، وقد أعلنت ملامحه عن ذلك الجحيم المستعر في أعماقه، متذكرا خطيئة الأمس التي دفنها في أعمق أعماقه، قبل أن يكتشف أنها لا زالت حية ونجت بمعجزة لتخرج من عقالها وتجسد سوءته أمامه ما بقى له من العمر.

لقد وجد في فتاته المكفوفة حلمه، لكنه الحلم الجميل الذي تدرك مسبقا أنه لن يتحقق مهما تكرر أمام عينيك في كل ليلة، لأن إيمانك بسوء الطالع يفوق كل التفاؤلات العبثية، وإدراكك لذلك الجرم الذي اقترفته يتخطى كل التماسات البراءة أو حتى تخفيف الحكم.

كان ذلك يحدث على خلفية تلك المقطوعة الموسيقية الشهيرة When Darkness Falls التي انطلقت من كاسيت سيارته، لتضاعف داخله صرخات الندم دون أن يجد أي مسكنات أو مخدر للضمير،

وفجأة، اقتحم الصحراء عاقدا حاجبيه في لحظة تمنى فيها الموت وخشى من ذنب الانتحار، لتصدر إطارات سيارته عاصفة ترابية هائلة وهو يتوغل في قلب الظلام، بينما ترتج سيارته في عنف شديد وهو يتعمق بها في المجهول الرملي بعيدا عن الأسفلت، ثم توقف بالسيارة ونزل منها كجندي غاضب قرر تحرير أرضه المحتلة حتى آخر قطرة دم، قبل أن يفتح الحقيبة الخلفية وينتزع ذلك المدفع الألي المليء بالذخيرة، ثم يوجهه نحو اللاشيء وتموت سبابته على الزناد ليفرغ من داخله كل هذه الشحنة الهائلة التي فاقت احتمال أعصابه وهو يرى تطاير فوراغ الطلقات، ورمال الصحراء التي أضائتها نيران الرصاص بينما تطرب إذناه لذلك الصوت الألي، "راتا تتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتتا"، بينما اسندلت خصلات شعره الناعمة على جبهته لتزيد من وسامته رغم كل ما بدا عليه من شقاء، وساهم في كآبة المشهد تلك الدموع التي أطلق لها العنان.

ثم عادت الصحراء لظلامها الدامس، واختفى دوي الرصاص، ليصدر مدفعه الألي تلك التكة المعدنية التي أعلنت نهاية اللعبة، لتظهر ملامح "مجد" على ضي القمر وقد بدا صورة حية للتعاسة والبؤس.

* * *

في إحدى العيادات الطبية، جلس "براء" أمام مكتب الطبيب الذي أمسك نتيجة تحاليل الدم وأخذ يقرأ أرقامها بعناية من خلف نظارته الطبية المستقرة فوق منتصف أنفه، وقد ظهر الضيق على ملامحه قبل أن يتساءل:

– إنت والدك أو والدتك عندهم السكر يا براء؟

يبادله "براء" التوتر والترقب قبل أن يقول بحرج:

– معرفش

– بكل أسف الأرقام اللي قدامي دي بتقول إنك عندك السكر بنسبة عالية فيها خطورة على حياتك، واضح إنه عندك من فترة كبيرة وإنت بتلخبط ومش عارف

ترتسم الصدمة على ملامح "براء" التي غزاها الوجوم، بينما يلتقط الطبيب قلمه ليقوم بواجبه التقليدي في الشخبطة بخط غير مفهوم على الروشتة الطبية وهو يقول بكلمات خرجت بنبرة رتيبة جامدة

من شخص اعتاد أن يقولها مئات المرات بنفس الطريقة وذات اللهجة:

– أنا هكتب لك على نظام غذا هتمشي عليه لمدة شهر، وبعدين نشوف هيناسبك واللا هنحتاج نغيره، في الفطار هناكل ربع رغيف عيش سن مع جبنة منزوعة الدسم أو شوية فول، وفي الغدا هناكل خضار مع نص رغيف وسلطة خضرا وفراخ أو لحمة بشرط يكونوا مشويين، ولو حبيت تاكل فاكهة يبقى تاخد ثمرة تفاح أو برتقان، بالنسبة للعنب هما 5 حبات بس، وبالنسبة للبطيخ والكنتالوب هتاخد قطعة صغيرة، أما البرقوق والمشمش والقصب والمانجة فتنساهم مدى الحياة! وفي العشا كوباية زبادي معاها جبنة أو فول ونبعد خالص عن الدهون والكوليسترول، والشيكولاتة والشيبسي وكل المشروبات الغازية وأي حاجة فيها مواد حافظة، إنت بتدخن؟

– أيوة

– يا ريت لو تبطّل، ولو ما قدرتش يبقى تقلل على قد ما تقدر وحاول تنزل جيم، هيفيدك كتير

يشعر "براء" باختناق شديد جعل الهواء يفر من رئتيه وقد زاغ بصره خلف تلك القضبان العلاجية التي سجنه خلفها المرض، بينما يتابع الطبيب:

– قبل الفطار هناخد حباية أميريل 4 مللي، وحباية ثيوتاسيد مركب 600 مللي، وبعد الغدا هناخد قرص جلوكوفاج 1000، وقبل العشا هناخد تاني حباية ثيوتاسيد مركب 600، وبعد أسبوعين هتحلل دم صايم وفاطر، وكوليسترول، وهيموجلوبين، ووظايف كبد، لو النتيجة بقت كويسة إن شاء الله هنمشي على العلاج على طول، ولو لا قدر الله ما اتحسنتش هنضطر ساعتها نلجأ للأنسولين، فياريت تحاول على قد ما تقدر تلتزم بالنظام اللي في الروشتة ولازم

تصارحني لو عكيت في الأكل عشان أعرف أقيّم حالتك صح

ثم يقطع الروشتة ويناولها لـ "براء" بابتسامة معلبة يخرجها لكل مريض وقت انتهاء الجلسة قائلا:

– بالشفا إن شاء الله

لكن يده تظل ممدودة في الهواء دون أن يلتقط "براء" الروشتة، فيعقد الطبيب حاجبيه وتتلاشى ابتسامته، بينما يقول "براء" بلامبالاة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة أسير مهزوم:

– وبعد ما أمشي على كل اللي في الروشتة بحذافيره وأحرم نفسي من كل حاجة بحبها، مش ممكن تخبطني عربية سايقها شاب مجنون أو تفرتك دماغي طلقة من قناص جبان؟

يخلع الطبيب نظارته الطبية دون إجابة بينما يتابع "براء":

– ده غير إني ممكن أنام ما أقومش من غير سبب زي شباب كتير زي الفل ناموا والحلم ماليهم، وماطلعش عليهم نهار مع إن صحتهم كانت زي البمب

– لو هنحسبها بالمنطق بتاعك، يبقى من الأول ليه كلفت خاطرك وجيت تكشف، طالما كل حاجة متحددة ومالناش دور في تغييرها؟ على الأقل المفروض تنول شرف المحاولة وتعمل اللي عليك

– شرف المحاولة كان إني آجي لك مع إني مابحبش الدكاترة، لكن نظام المعتقل اللي بتحاول تدخلني فيه ده مش هيمشي معايا لأني بطبيعتي ثوري، يا يعيش زي ما هو عايز، يا على الأقل يموت زي ما هو عايز، خلي الروشتة مع حضرتك يا دكتور لمريض تاني مستعد يموت وهو عايش، أما أنا، فبحب أعيش وأنا ميت!

* * *

على كورنيش النيل بجوار ماسبيرو، سار "براء" متثاقل الخطى،

حاملا على كتفه حقيبة اللاب توب، ليمشي وجيدا رغم كل هذا الزحام من بشر اجتمعوا جميعا لنيل بركة النهر الخالد في طرد الهموم والأحزان، دون أن ينتبهوا أنهم هم أنفسهم أصبحوا عبئا على النيل، ومصدر تعاسة وأنين لـ"حابي"، سر حضارتهم وسبب بقائهم طوال هذه القرون، وقد تاهت تأوهات وأصوات أوجاع النهر المقدس في ظل فوضى الأغاني الشعبية المتداخلة بين المراكب العديدة، وفرشات الشاي والعصير والحمص شام، بخلاف أطفال يقضون حاجتهم في الماء برعاية أهاليهم الذين يعلمونهم باحتراف "أصول الطرطرة"، وأصوات الحناطير التي تلقي خيولها فضلاتها على شفتي النهر الذي يلعق يوميا كل ما هو قذر وغير محتمل، في مشهد يجعلك تقسم على أن المصريين يستحقون فعلا ذلك الابتلاء القادم على يد السد الأثيوبي، غير أن كل هذا الزحام لم ينجح في اختراق ذلك الحوار الذي دار بين "براء" ونفسه، في لحظات التصالح مع النفس والبوح للسماء، وقد انهالت على عقله الذكريات والهواجس كنهر متدفق لا توقفه السدود!

لم ينس في خضم كل ذلك أن يقضم خلال سيره قطعة من الشيكولاتة، تعقبها رشفة لـ can من البيبسي، ليشعر في تلك المرة بحلاوة واستمتاع لم يستشعرهما من قبل على مدار سنوات عمره حين كان يأكل هذه الأشياء وهو سليما معافى، كعادة كل محروم يتحدى الممنوع، وكل لص يستلذ الحرام!

وفجأة، وجد نفسه في بقعة هادئة على النيل بمنطقة "جاردن سيتي"، بعد أن قادته قدماه إلى هناك، قبل أن يقع بصره على كرسي متهالك مخصص للمارة، موجود أسفل شجرة وارفة تمتد أغصانها وفروعها إلى الأرض كفتاة غجرية دخلت موسوعة جينس بأطول خصلات شعر في العالم، ليجلس عليه "براء" ويسرح في صفحة الماء، بينما امتدت يديه بحركة لا إرادية لتخرج اللاب توب من حقيبته وتهيؤه لوضع التشغيل، بينما لا زال عقله يفكر ويفكر، قبل أن تحول أصابعه التي تعانق الكيبورد تلك الأفكار والهواجس إلى كلمات وهو يناجي السماء.

"أبكى على ذنوب لم اقترفها، وأندم على خطايا لم ارتكبها، فقط لأننى أدرك جيدًا أن كل من اقترفوا ما اقترفوا، وارتكبوا ما ارتكبوا، لم يكونوا سوى أنا لكن في حالات أخرى !"

"أذوق طعم الموت واستمتع بمرارته وحلو إحساسه، فقط عندما أوقن أنه لم يكن موتًا، وأوقن أن طعم الحياة لهو أكثر مرارة من العلقم نفسه، فأعيش في انتظار من يفاجئنى بأنها ليست حياة! "

"أتوكل على الله كثيرًا، وأصحو من نومى مبكرًا، مفعمًا بالأمل والنشاط، مواظبًا على الصلاة في مواعيدها، مرددًا مع العالمين "آمين" بعد أن يفرغ الإمام من قراءة الفاتحة في يوم الجمعة، دون أن أنسى الدعاء بأشياء أود لو تتحقق، فأشعر بالطمأنينة والراحة والسعادة على عدم تحقيقها، وأنا أعلم أن القدر يخبىء ما هو أعظم مما لم يتحقق بعد، ثم أشعر بالضجر والروتين لأتمرد على تلك الحياة المملة، فلا أتوكل إلا على نفسى، وأنام صباحًا وأصحو ليلًا مليئًا بالخمول والكسل، محققًا بذاتى كل الأشياء التي لم تحققها لي السماء، لكن إحساس الضياع لا يفارقنى وأنا أتساءل في نفسى "ما سر كل هذه التعاسة؟""

"أحقق أحلامًا لم أحلم بها يومًا، ولم أسع أبدًا إليها، فيحسدنى الأخرون على سعادة يظنونها بى، لكنى أظل أبحث عما حلمت به وسعيت إليه بلا جدوى حتى أحزن، ثم أشكو من كثرة الأحزان وأسأل وأتساءل أين السعادة! "

"يصفق لي من حولى على النجاح، لكنى أعرف جيدًا أنه ليس

نجاحًا منى بقدر ما هو فشلًا منهم، وليس موهبة أملكها بقدر ما هو إفلاس فيهم، فأظل أبحث عن نجاح انتزعه من الشطار، وتفوق أتقدم به على الموهوبين، فيكون الناجح الوحيد الذي أعثر عليه، هو من أدرك أننا جميعًا حفنة من الفشلة، فأبى أن ينجح مثلنا، وعاش مغمورًا معتزًا بنفسه، محافظًا على احترامه لذاته، ليذكرنا دومًا بفشلنا! "

"أندم على معرفة أناس حلمت كثيرًا بمعرفتهم، وتمنيت لو فقط ألقوا إليّ السلام أو رأيتهم من بعيد، وأسعد بمعرفة أناس كانوا حملًا ثقيلًا على قلبى حينما اخبرونى أنهم تمنوا لو صرنا أصدقاء، فإذا بهم أكثر إخلاصا ووفاءا من أشقائى في النسب والدم، غير أنهم هم الذين يندمون على معرفتي! "

"أراني المؤمن إلى حد الإلحاد، والكافر إلى درجة الإيمان والتصديق"

"المتمرد حتى أقصى درجات الطاعة، والمطيع حتى تجاوز كل حدود التمرد"

"أنا أبليس حين كان الأعلى بين الملائكة من فرط العبادة والتقديس، وأنا هو حين أبى واستكبر السجود لأدم المخلوق من طين"

"أنا الضمير اليقظ الذي يؤلم صاحب الخطيئة، وأنا النفس والهوى التي تخدع صاحبها أكثر من الشيطان في وقت الوساوس"

"أنا الذي خسر العالم كله ولم يربح نفسه مثلما أخبره الفلاسفة النصابين، وخسر نفسه دون أن يلقى المقابل مثل باقي المنافقين! "

"أنا استاتوس عبقري أخذ ألف Like ومائة Share في الـ Face Book لكن التي أهديتها كلامي كانت قد طردتني من حياتها بـ Block"

" أنا تويتة لقيطة في عالم تويتر، يضغط عليها الجميع Retweet بإعجاب دون أن يعرفوا مصدرها الأصلي"

" أنا دموع أم أخبرها الطبيب باستحالة تحقيق حلمها بالإنجاب، ودمعة فرح أب وهو يرى طفله لأول مرة داخل الرحم في السونار"

عند هذا الحد من الاعتراف والفضفضة، ينظر "براء" إلى السماء لتتوقف أصابعه عن القفز على أزرار لوحة المفاتيح، وتلمع عينيه بالدموع ثم يواصل:

إنه العطل الفنى المتكرر حدوثه مع النفس البشرية لا لعيوب صنع، بقدر ما هي صغائر وتناقضات نتعاطاها باستمرار لنوقن استحالة أن نصبح آلهة، فنعرف حجمنا الحقيقى ونلجأ إلى الإله الأوحد في أوقات شدتنا، بينما يجد هو بهذا العطل مبررات يرحمنا بها، وقت لا نجد نحن لأنفسنا أي حجج أو مبررات عند اللقاء، لكن متى يأتي هذا اللقاء؟

ثم ينظر إلى السماء ويكرر سؤاله بعينيه وفي صميم قلبه: متى يأتي هذا اللقاء؟

بعدها بساعات كان يسير وحده في ظلمات الليل بأحد الشوارع الجانبية في طريقه إلى المنزل، دون أن يشارك أصوات خطواته في الشارع سوى نباح الكلاب الضالة، وغراب صار ينبح من مصدر خفي، قبل أن يخيل إليه أن هناك من يراقبه ويتتبع خطواته، ليلتفت خلفه في قلق وخوف، فلا يجد سوى العدم، لتمر بأوصاله قشعريرة باردة وهو يظن أن هذا المراقب الخفي لم يكن سوى الله، غير أن الله بالنسبة إليه لم يكن يوما خفيا!

منذ طفولته إلى وقته الحالي كان يرتعد من ظلام الليل الدامس لأنه يعتقد أنه هو ظل الإله الذي نزل من عليائه إلى السماء الدنيا لتغطي ظلاله الكون المحيط، ويصبح هو المجهول والغموض المسيطرين على الحياة بعد أن خلت من البشر الذين غرقوا في

ثبات عميق، ليسخر من موتتهم الصغرى التي يلاقوها كل يوم دون أن يتعظوا من تلك البروفة القصيرة التي تسبق الماستر سين يوم الدينونة، وقد خلت الحياة من حولهم أثناء نيامهم إلا من حركات الهوام، وحفظة يتصدون لأشرار العالم السفلي ويمنعوهم من الانقضاض على أبناء آدم والفتك بهم أثناء النوم، ليرى "براء" بقلبه إلهه الوحيد ينظر إليه ويراقب أعماله ويشير إليه في ترقب أن تعال هنا، لا مفر من اللقاء مهما طال البقاء، اليوم يومك وغدا يومي وما بينهما مجرد لحظات ترقب سرعان ما ستنتهي، دون أن يقدر على التخلص من رعبه إلا حين يتذكر أن رحمته غلبت غضبه، وعند تلك الأمنية فقط أصدح المؤذن بصلاة الفجر ليزداد مع الأذان صوت نباح الكلاب، ليبتسم "براء" مع رمزية المشهد حين لاحظ أن صوت المؤذن بمفرده أعلى من نباح كل الكلاب!

* * *

في صالة التحرير بجريدة "المستقبل"، يدخل "الحسيني" وزميلته "فاطمة" وكل منهما يحمل صنية بها شيكولاتة فاخرة ليتوجها إلى المحررين ويبدءا في توزيع الحلوى قبل أن يتساءل أحد المحررين ساخرا:

– إيه ده يا حسيني؟ إنت كان عندك طهور واللا إيه؟

ليجيبه "الحسيني" بصوته الغليظ الأجش وبسخرية مماثلة:

– آه والدكتور غلط وشال الباقي

فيضحك المحرر قائلا:

– وانت بتعترف عادي كده؟

– أصلي قريت في حكمة اليوم: افضح نفسك باستمرار عشان ماحدش يمسك عليك حاجة، **"ثم يضحك كالحشاشين:"**

هاهاهاآآآآع، كفك

وما أن يمد المحرر كفه ليصافح "الحسيني"، حتى يصفعه الأخير بهزار بوابين قبل أن يشير إلى "فاطمة" قائلا:

– أنا خطبت فاطمة يا مغفل، والفرح إن شاء الله كمان سنة

– لا يا راجل، ألف مبروك.. بس اشمعنى فاطمة يعني ما كان فيه قدامك كتير؟

– عشان قصيرة وCute كده وعسل، لو ضربتها تنزل دموع فتصعب عليك وتاخدها ف حضنك، إنما البت الطويلة لو ضربتها تنزل لك بلح، ده غير إن مالهاش في المـُحن بتاع البنات الشمال، حاكم فيه بنات من كتر مُحنُهم تحس إنها عايزة تقول لك جود محنينج

وفي تلك الأثناء كانت "رحمة" تعانق "فاطمة" وهي تقول لها بسعادة شديدة:

– ألف مليون مبروك يا بطة، أخيرا هنفرح بيكي؟ على الله بقى الارتباط ما يطيّرش شوية العقل والتركيز اللي فاضلين لك، حاكم انتي مش ناقصة، وكل يومين ألحق من وراكي مصيبة في الصفحة

"فاطمة" ضاحكة:

– لا والله ما هتتكرر تاني يا أستاذتنا، سبب السرحان وعدم التركيز راح خلاص ومن هنا ورايح مفيش ورايا غير الشغل وبس

تبتسم "رحمة" وهي تغمغم:

– أبقي قابليني، بكرة يلففك حوالين نفسك

"حد بيجيب في سيرتي هنا واللا حاجة؟"

قالها "الحسيني" وهو يقتحم حديثهما، قبل أن تقول له "رحمة" ساخرة:

– نعم حضرتك، هما يعني عشان استضافوك في التليفزيون

وعملت خبطة صحفية هتعيش علينا واللا إيه، وبعدين يا راجل سايب الانفراد اللي عملته والتفاصيل الكتير اللي نشرتها هنا في الجورنال وعمال تعاكس في المذيعة؟

– بصراحة كانت جامدة جدا

تنظر له "فاطمة" شذرا فيقول لها:

– لا ما تبصيليش كده، حقتك تشكريها؟

"فاطمة":

– ليه إن شاء الله؟

– عشان من بعد ما شوفتها قولت لازم ألحق نفسي وارتبط بواحدة تعلمني العفة

"رحمة":

– ويا ترى فاطمة علمتك؟

"الحسيني":

– كان نفسي، بس للأسف مش قادر أقاوم رغبتي إني أتجوز، عشان أخون مراتي مع الشغالة، هاهاهااااع

"فاطمة":

– طب روح يا خويا وفر تمن التلات علب سجاير اللي بتشربهم كل يوم قبل ما تتكلم عن الشغالة بتاعتك، قال شغالة قال، حسستني إنك من الأعيان

"رحمة":

– 3 علب في اليوم يا حسيني؟

– وماله، ساعات السيجارة بتكون لصاحبها صديق وفي أكتر من باقي صحابه الأندال

– لا يا شيخ، وبقالك قد إيه على كده؟

– بتاع 10 سنين

– يعني لو العلبة فيهم سعرها 10 جنيه يبقى بتصرف في الشهر 900 جنيه، يعني في السنة بتاع 11 ألف جنيه، يعني بتاع 110 ألاف جنيه في العشر سنين، كانوا جابولك بي إم دابليو موديل التسعينات أو هيونداي ماتريكس

يفكر "الحسيني" في كلماتها قبل أن يقول:

– تصدقي عندك حق؟ ويا ترى بقى انتي عندك بي إم دابليو موديل التسعينات واللا هيونداي ماتريكس؟

تجفل من سؤاله وتعجز عن الرد ليرتسم على ملامحها الحرج، فيقول "الحسيني" ساخرا:

– شوفتي بقى إنك بتشربي سجاير من ورانا يا خلبوصة؟ "يمسك **فاطمة من يدها ويستطرد**" يالا بينا يا بنتي عشان ما تفسدش أخلاقك

وما أن يهم بالإنصراف فعلا حتى تناديه "رحمة":

– حسيني

– يا نعم

– ما بتشوفش براء؟

يتأمل ملامحها بعتاب قبل أن يتابع:

– اشمعنى؟

– بقاله كام يوم مختفي وما بيردش على الموبايل

– فيكي الخير والله، براء جاله السكر وقرر إنه ما ياخدش أي دوا وياكل اللي نفسه فيه، أصله مش معقول يا عيني هيبقى محروم

من الحب والشيكولاتة كمان، خبطتين في الراس توجع

ثم ينصرف مع خطيبته، ويترك من ورائه "رحمة" بملامح واجمة تملؤها الصدمة والإحساس بالندم

* * *

في شقة "مجد" التي تدور في أرجائها مقطوعة "حنين" لعمر خيرت، جلس في الصالون صديق عمره وابن خالته "أُبيّ" يدخن سيجارة بدت ملفوفة، وينبعث منها دخان له رائحة نفاذة، بشكل دفع "مجد" للتساؤل:

— إيه الريحة دي يا أُبيّ؟ إنت بتشرب حشيش؟

ليأخذ "أُبيّ" نفسا عميقا قبل أن يقول بهدوء:

— آه، أومال أنا عامل زي العيال الصغيرة وجاي أشرب عندك ليه؟

— ده على أساس إني فاتح دولاب هنا؟

— لا على أساس إني ماليش بيت ممكن آخد راحتي فيه غير بيتك، أبويا وعايش في دور المثالية زيادة عن اللزوم لحد ما خنقني، والشغل زي ما انت عارف، الناس باصة لك فيه على إنك مثال للأدب والاحترام كأنك ملاك نازل من السما، من غير حتى ما يدوك الفرصة تعيش زي البني آدمين ولو كام دقيقة

يأخذ نفسا عميقا آخر ويكتمه داخل رئتيه لفترة، ثم يخرجه ويطلق معه كحة خفيفة ويتابع على خلفية الموسيقى التي لا زالت تعمل:

— ده غير بقى التفاصيل المقرفة اللي ملطوط فيها ليل نهار، يا عم الناس انعدم فيها الضمير وبقوا لا دين ولا تربية ولا إحساس حتى، أنا خلاص هتجنن، امبارح نزلت أعاين جثة واحدة قاتلة جوزها بمساعدة عشيق بنتها، وكانت عارفة إن بنتها مرافقاه بس رافعة

الايريال، وقبله قضية أب اغتصب بنته، والنهارده قضية مخدرات لعصابة بتهرب الهيروين في حفاضات الأطفال، وصيدلي تاني بيتاجر في الأدوية اللي نازلة في الجدول، والأسبوع اللي فات سواق توك توك قتل صاحبه عشان اختلفوا على خمسة جنيه، ده غير عيال في ثانوي سرقوا معمل الكمبيوتر في المدرسة، قال ويقولك مجتمع متدين بطبعه، هي فين يا عم المشايخ اللي بتظهر على الفضائيات وتزيح على كرشها ملايين قد كده عشان يعلموا الناس دين ربنا؟ الناس بقت بنت وسخة كده ليه؟ فين أساتذة علم النفس والاجتماع يشوفوا حل لأم المجتمع النجس ده؟

— وإنت بقى بألفاظك الجميلة وسيجارة الحشيش اللي بتشربها مختلف عنهم؟

— مختلف كتير، هما بيشربوا المخدرات عشان ينسوا قرف الحياة، وأنا بشربها عشان أنسى قرفهم، مهما كنت لابس أبيض ونضيف، لازم لبسك هيبقى أسود لو حطوك تشتغل في منجم فحم

ثم يدفن سيجارته بالحياة في مطفأة أمامه على الترابيزة ويمسك كوب العصير ويجرع نصفه دفعة واحدة قبل أن يكمل حديثه كسكير حزين بدأ يفيق على واقعه المرير في بار درجة ثالثة، وقد أيقظت الموسيقى أحزانه وآلامه:

— المشكلة إني لما برجع بالليل طالع عين أمي، بلاقي نيجار مراتي نايمة مهدودة من المستشفى والعيادة، وللأسف مش قادر أقول لها كفاية شغل وابعدي عن الأمراض الجلدية اللي بتعالجيها في الناس لحد ما قرفت منك، عشان لازم إحنا الاتنين نشتغل لحد ما نحوش قرشين نعرف نسكن بيهم في شقة بعيد عن أبويا، وندخّل العيال مدارس أجنبي ده لو عرفنا نعمل واحد في يوم من الأيام!، امبارح بقولها قومي البسي بدلة الرقص اللي انتي شارياها من سيتي ستارز

من تلات شهور، واعملي أي حركة كدة تخفف عليا اللي أنا شايفه طول اليوم، فتحت نص عين وقالتلي بقرف: أنا مفشوخة طول النهار في العيادات الخارجية، واحدة ست كانت بتولع في نفسها ولحقوها بالعافية، حروق درجة تالتة، وقرفتني آخر قرف!

يمسك كوب العصير ويجرع نصفه الثاني ثم يستطرد:

– مقدرتش أمسك نفسي، شخرت غصب عني، فاتدورت لي وقالت: يرحمكم الله، وبعدين اتكلفتت في اللحاف لحد ما مبقاش باين منها حاجة وقالت قبل ما تنام: ابقى افتح اليوتيوب ودلع نفسك، واللا أقولك، افتح موقع بورنو وعيش يا برنس، والمصحف ما أنا زعلانة، بس سيبني أنام عشان عندي نبطشية الصبح!

يتأمله "مجد" في أسى، وقد اختلطت مشاعره نحوه ما بين الشفقة والاشمئزاز، لكن على الأقل تبقت صلة رحم وصداقة عمر كانت كفيلة بمد جسور من الإنسانيات، وصنع رصيد لاستمرار تلك العلاقة رغم الخلاف الجذري بين شخصيتيهما.

ومن جانبه، شعر "أُبيّ" أنه صار شخصا غير مرغوب فيه، فحاول أن يجمع شتات نفسه، ونهض ببدنه البدين كبرميل طرشي، قبل أن يلتقط نظارته الطبية ويرتديها لتزيد من شكله المزري وقد بدا شعره منكوشا، وترك رابطة عنقه مفتوحة تحت جاكيت بذلته غير المهندم، ثم التفت لـ"مجد" قائلا بنبرة حزينة:

– معلش يا صاحبي لو كان دمي تقيل النهارده، بس كنت محتاج أفك شوية

– وفكيت؟

يبتسم ابتسامة بائسة ويجيب:

– آه فكيت ميا

يبادله "مجد" الابتسامة الحزينة بأخرى أكثر حزنا، قبل أن يردف "أُبيّ":

– هي دي الحاجة الوحيدة اللي بنعرف نفكها في بلد بتتحرك من سيء لأسوأ، الظاهر كده إننا غلطنا مش من ساعة ما مشينا مبارك، لأ، ده من ساعة ما مشينا الملك نفسه وساوينا الرؤوس اللي ما ينفعش تتساوى

"مجد":

– لو إنت مقتنع إن عصر الملك أيام ما كان المصريين محرومين من دخول مطاعم وشوارع معينة أحسن من عصر عبد الناصر، ومقتنع إن عصر عبد الناصر اللي كان فيه أي ظابط جيش يقدر يسجنك لو ماعجبهوش شكلك، لحد ما من غرورهم دخلوا معارك خسروها كلها وضيعوا ثروات مصر، أحسن من عصر السادات، أو شايف إن عصر السادات اللي بقى دكتور الجامعة فيه مش لاقي ياكل، وتاجر الشنطة بقى مليونير، أحسن من عصر مبارك، وعصر مبارك اللي مجاري الفساد طفحت فيه لحد ما غرقنا في الوحل وأكلناه أحسن من بعد الثورة وحكم المجلس العسكري، ومقتنع إن المجلس العسكري اللي قتل وسحل الثوار والمسيحيين في ماسبيرو وحكم مصر كإنه بيدير وحده أو كتيبة أرحم من الإخوان، يبقى بعقليتك اللي بتبكي على أطلال كل ماضي، هاتترحم على أيام مرسي في المستقبل، حتى لو مش عاجباك أوضاعه.. اللي يبص وراه عمره ما هايعرف يتحرك لقدام، ولو إتحرك مسيره يتكفي على وشه، ولحد ما يخترعوا آلة الزمن، الماضي مش هيرجع، ومحاولة صناعته خيابة وبلادة، لإن والمصحف عمرها ما هتتعدل إلا لو كل واحد بص قدامه

"أُبيّ" بابتسامة ساخرة حزينة:

– كالمعتاد، دايما بنلعب دور المحامي مع أفكارنا ومعتقداتنا، لكن مع أفكار غيرنا اللي بتخالفنا ما بنعرفش نلعب غير دور القاضي!

ثم يربت على كتف "مجد" بحميمية قائلا:

– على كل حال غير مود الكآبة اللي غصب عني لقيتني فيه، كنت جاي لك النهارده عشان أبلغك خبر مهم جدا

يعقد "مجد" حاجبيه متساءلا:

– خبر إيه؟

– قابيل الهراس عمل قرد لحد ما نجح إنه يفتح من جديد ملف التحقيق في قضيته.. من بكرة هيبدأ يتحقق معاه من أول وجديد

* * *

الفصل العاشر

على شاشة جاهز الكمبيوتر في منزله، جلس "براء" نصف عاري من أعلى وهو يشاهد كليب أغنية "إثبت مكانك" لفريق كاريوكي، وقد مدد قدميه على ترابيزة الكمبيوتر وفي يده شيكولاتة يأكل منها،

إثبت مكانك، هنا عنوانك

ده الخوف بيخاف منك، وضميرك عمره ما خانك

إثبت مكانك

ده النور الشمس راجع، يا تموت وإنت واقف، يا تعيش وإنت راكع

إثبت مكانك

ده عنيك شايفة الدليل، إبعد عنهم وسيب، الحيطة عليهم تميل

إثبت مكانك

قلب الوطن انجرح، وصوت الحرية خلاص اتنبح

كلامك ما بيتفهمش، إحساسك ما بيتوصفش

إنت بتقول كرامة، وهمّا يردوا بمهانة

إنت بتقول العدل، بيقولوا عنك ندل

إثبت مكانك، هنا عنوانك

ده الخوف بيخاف منك، وضميرك عمره ما خانك

إثبت مكانك

رنين جرس الشقة حاول اغتصاب سكينته وانسجامه، إلا أن سحر الأغنية حال بينه وبين الرد على الطارق، ليتجاهل الجرس ويتابع المشاهدة، قبل أن يصر الطارق على رن الجرس من جديد لينزل "براء" قدميه من على الترابيزة ويضغط على زر Space في لوحة

المفاتيح ليوقف عرض الكليب، ثم يصيح وهو يتجه نحو باب الشقة:

— مين؟

لم يتلق أي إجابة، ففتح الباب بضجر وتحفز قبل أن يطالعه وجه "رحمة" التي تنهج بابتسامة مرهقة قائلة:

— ماكنتش أعرف إن سلمك صعب أوي كده

تلجمه المفاجأة بشكل يعجزه عن الرد برهة، فتتابع بنفس الابتسامة:

— طب على الأقل قول اتفضلي، دي أول مرة آجي لك فيها

يظل على صمته وقد جاءت إليه من يعتبر حضورها نصبا تذكاريا لضعفه البشري، فتهم بالدخول من نفسها لكن قدمها تتعثر في عتبة الباب الرخامية لتندفع للأمام صارخة من المفاجأة، قبل أن يمد يده ويعيد إليها توازنها لتتحسس يدها صدره العاري وهو يقول:

— حاسبي

فتجيبه بحرج وهي تسحب يدها:

— حصل خير الحمد لله، يا ريت تلبس حاجة عشان نعرف نكمل كلامنا

ينظر لعينيها الكفيفة بدهشة، ثم يبتسم رغما عنه فتشعر بابتسامته وتقول بشقاوة:

— حاسة بيك على فكرة، ابتسامتك دمها تقيل

يقترب منها قائلا بمزيج من الحب والعتاب:

— مش فاهم طلبك بصراحة

فتجيبه بود ولهجة تصالح:

— انت لو قلعت مالط مش هشوفك عشان عميا، ومع ذلك هتكسف، لكن لو أنا اللي قلعت برضه مش هتشوفني عشان عينك هتسترني، وحتى شعري اللي باين مني ممكن تداريه بطرحة ف خيالك، عشان كده لما عرفت إنك تعبان جيت لك البيت مع إني عمري ما عملتها مع مخلوق وانت عارف كده كويس

فتحت كلماتها كل الأبواب الموصدة، وهدمت الجدران التي حاول بنائها في الأيام الماضية بينه وبين قلبها، لتقول لها عينيه ذلك المقطع الرائع من قصيدة "مذهلة": "يا بدايات المحبة، يا نهايات الوَلّه، ها الحسن سبحان ربه ظالم وما أعدله".

ثم يدس في يدها قطعة الشيكولاتة التي كان يأكلها قائلا:

— طب خودي كملي دي عقبال ما ألبس، **"يتجه نحو غرفة نومه تاركا صوته خلفه وهو يقول لها:"** للأسف ما عنديش حاجة تانية ممكن أقدمها لك دلوقت

تقضم الشيكولاتة وهي لا تعرف ماذا تأكل، قبل أن تتبينها من مذاقها، وتسأله بحزن:

- ما كنتش أعرف إنك بتحب الشيكولاتة أوي كده، حتى لو فيها خطر على حياتك

يخرج من غرفة نومه بعد تغيير ملابسه متطلعا لعينيها بحزن وعتاب:

— الشيكولاتـة، والكابتشينو، والآيس كريم، والسجاير، كل دي حاجات اتعملت عشان تقول إن السعادة مش محتاجة لبني آدمين

— طب وعُمرَك، مش خايف عليه؟

يتطلع إلى عينيها مجددا ويتابع:

– الدنيا علمتني إن الحاجة اللي خايف تخسرها أخسرها عشان تبطل تخاف

– بس لو الحاجة دي حياتك يبقى ما ينفعش تخسرها بالسهولة دي

– هفرق معاكي لو مت يا رحمة؟

تترقرق الدموع في عينيها قائلة:

– أنا ما عيشتش مع أبويا وأمي قد ما عشت معاك، ومع ذلك لسه فاكراهم طول السنين دي كلها، فما بالك باللي عشت معاه أكتر منهم، وكل ذكرى حلوة في حياتي مرتبطة بيه

فجرت كلماتها حبه الميئوس منه نحوها، ليعلن عن مشاعره في ثورة:

– بأمارة إيه؟ ما حسيتيش في السنين اللي فاتت دي كلها دبحتيني كام مرة مع كل رد قاسي وغبي كنتي بترديه عليا لما اتجرأ وأعبر عن حبي ليكي؟ ما خدتيش بالك كام مرة قولتي كلام زي الدبش وبدل ما أصرخ وأقول أيّ كنت بعمل نفسي بضحك عشان حتى ما أحسسكيش بالذنب؟ ماحدش قال لك ده نفسه يقدم عمره تحت رجليكي وياخدك في حضنه عشان يحميكي من الدنيا كلها وإنتي ولا على بالك؟ حتى اللي ظهر في حياتك من كام يوم خليتيه بطل وبقى الهزار والضحك معاه شيء طبيعي، واللي عايش عمره كله ليكي دايما مصدرة له الوش الخشب

تفلت دموعها رغما عنها إزاء تلك الثورة العارمة، وتقول بنبرة باكية مليئة بالخجل:

- أنا آسفة، مكنتش أعرف إني عديمة الذوق والأدب للدرجة دي، بس والله العظيم كنت بحافظ عليك من إني أقولك كلمة حلوة تخليك تفهم غلط وتتعلق بالأمل وفي الآخر أصدمك وأقولك مش هينفع

يمسكها من كتفيها ويهزها بعنف صارخا فيها:

- وليه مش هينفع؟

تجيبه بإنهيار وبكاء شديد:

- عشان مش بإيد حد في الدنيا إنه يختار مشاعره، ولا يحدد يحب مين كزوج ويحب مين كأخ، دي حاجة قلوبنا هي اللي بتختارها لوحدها، زي ما مش بمزاجك انك تحبني، مش بمزاجي أني أحبك، أفهم بقى أفهم

يرق قلبه لدموعها التي هزمت انفعاله، لكنه لا يملك أن يغفر لها خطيئة عدم تقدير مشاعره فيقول بحزن:

– صدق اللي قال، عايز الناس تحبك؟ موت، ساعتها بس هتعرفي قيمتي وإنتي بتجربي الحياة من غيري، وهتكتشفي إنه كان ينفع تختاري إننا نكمل باقي العمر سوا، بس دايما الناس بتفهم متأخر

يزداد نحيبها وهي تقول له بتوسل:

– بعد الشر عليك، إنت فعلا لو حصل لك حاجة بسببي عمري ما هسامح نفسي، لو عايزني من دلوقت أقولك بحبك مش هتأخر لحظة، بس ما تأذيش نفسك او تخسر حياتك

تصعقه جملتها الأخيرة، فيقول بعزة نفس:

– لا يا رحمة، أنا مش طالبها منك عطف أو شفقة، لو انتي ممكن تضحي بقلبك ومشاعرك عشان حياتي، فأنا كمان هضحي وأقبل أعيش في حياة انتي فيها مش مراتي عشان ما أخليكيش مضطرة للتضحية

تصمت بخجل أمام كلماته الأخيرة، بينما يبتسم ابتسامة مريرة

ويردف:

— يااااه، طول عمري بسمع إن الناس بتضحي وتموت، لكن عمري ما تخيلت إن الحياة ممكن تبقى ف حد ذاتها تضحية خصوصا لو هتعيشها من غير الإنسانة اللي اختارها قلبك وكيانك

تمسح دموعها وهي تقول بضعف ونبرة جريحة:

— نفسي تفهمني صح يا براء، ساعتها والله عمرك ما هتزعل مني

— ماعادش يفرق يا رحمة، إحنا الاتنين خالصين، لا أنا عارف أفهمك ولا انتي عارفة تحسي بيا

قالها وهو يوقن تماما أن أصْدَق الأكاذيب جملة: سأحبك إلى الأبد!، وأن اعتذار المحبين لا يكفي أحيانا، لكن المحبة لها قدرة أكثر على المغفرة

أما هي فقد أخذت نفسا عميقا حاولت أن تبتلع معه تلك المأساة التي لا تنتهي، قبل أن تقول:

— بس على الأقل ليا خاطر عندك، مش كده؟

يصمت، فتكرر:

- ليا والللا ماليش؟

- ليكي

- يبقى هقول للضيفة اللي جاية معايا اتفضلي وأول ما تدخل تبوس راسها وإديها، وتشوفها عايزة إيه، وعلى فكرة هي صاحبة بيت مش ضيفة كمان، اتفضلي يا ماما

تتسع عيناه مع دخول أمه من جديد وهي فاردة ذراعيها لتختطفه في حضنها وهي تقول بلهفة:

- ألف سلامة عليك يا ضنايا، إن شالله أنا وإنت لأ

لكنه يظل متجمدا في حضنها بلا أي تجاوب، قبل أن يبعد جسده عنها ويرمقها بنظرة نارية، ليصمت كلاهما، فتتنحنح "رحمة" بحرج وهي تتخيل ما يحدث، قبل أن تتابع:

— سلم على ماما كويس يا براء، أنا اللي عرفتها إنك جالك السكر وطلبت منها تيجي تشوفك، ولو ما سمعتش كلامي همشي أنا وهيّ ومش هيكون فيه بينا كلام تاني، وكمان مش هعرفك خبر إنت أول واحد يهمه إنه يعرفه

ينظر ليعنيها متساءلا:

- خبر إيه؟

* * *

بغضب شديد وتحفز سار "مجد" في أروقة منظمة "نبض العدالة"، ليقتحم مكتب المستشار "مظلوم غلاب" الذي كان يطالع بعض الملفات قبل أن يقول له "مجد":

— آخر حاجة كنت أتوقعها إن قابيل الهراس يطلب إعادة التحقيق معاه وأنا معرفش

يضع "حكيم المنصة" الملف الذي كان في يده جانبا، قبل أن يتأمل ملامح "مجد" الغاضبة ثم يقول ببرود:

— وفيها إيه؟

— فيها إن دي قضيتي

يبتسم "حكيم المنصة" بسخرية، ويهز رأسه نافيا وهو يقول:

— دي قضية المنظمة اللي ماشية بسيستم هي اللي بتحطه مش إنت، "**تتحول ملامحه إلى الصرامة وهو يميل للأمام متابعا**" ولما حققنا فيها أول مرة وجبنا حقك، كنت إنت مرمي بين الحياة والموت وماكانش ليك أي دور

فيرد عليه "مجد" بنبرة تحدي:

— ودلوقت أنا واقف على رجلي وأقدر أقوم بشغلي

— شغلك إنك تحكم في أي قضية بتتعرض عليك، إلا القضية اللي إنت خصم فيها، ساعتها هتتخيل إن صوت الشيطان هو ضميرك، وكل حاجة هتعملها غلط هيكون لها جواك ألف مبرر وده عكس المبادىء اللي إحنا شغالين بيها

يعجز "مجد" عن الرد، وهو يفكر في كلمات "حكيم المنصة" الذي يستطرد قائلا:

— حتى القرار الصح لو اتبنى على سبب غلط هيكون قرار غلط، ارجع للقضايا بتاعتك يا مجد وثق تمام الثقة إن قضيتك هي قضيتنا، بس إحنا هنعرف نشتغلها بعقل واعي وتخطيط سليم من غير أي ميول انتقامية أو تهور، وده اللي هيخلينا ننجح فيها زي باقي القضايا اللي نجحنا فيها من غير ذرة فشل

ومع آخر حروف كلماته الصارمة، يرتسم الضيق على وجه "مجد" رغم أن عينيه تعلن عن قناعته بأنه لا يصلح بالفعل أن يكون هو القاضي والجلاد

* * *

داخل مجمع النيابات، يسير "براء" نحو مكتب "طايع البلك" وكيل النيابة الذي يحقق مع "قابيل الهراس"، ليصل إلى باب المكتب دون أن يرى أي عسكرى واقفا أمامه فيطرق الباب ويدخل فجأة،

وعند دخوله، يرى "براء" وكيل النيابة يمد يده ليأخذ CD من "قابيل الهراس" الذي يقول:

- وكل أسرارهم هتلاقيها هنا

"براء" يدير بصره في وجه وكيل النيابة و"قابيل الهراس"، وما أن يلاحظ كلاهما أنه دخل الغرفة حتى يتراجع "الهراس"، ويحاول "طايع البلك" أن يخفى الـ CD وهو يقول لـ "براء" في غلظة:

— إيه ده يا بنى أدم، إنت مين وإزاي تدخل من غير ما تستأذن العسكرى اللي برة؟

يسرح عقل "براء" في ذلك المشهد الذي سرقه ببصره، وسمعه قبل أن يصبح سرا لن تبوح به جدران النيابة، فيرد ببطء:

— أنا براء فاروق يا فندم، صحفى بجريدة المستقبل، وكنت جاي أتابع قضية القاضى مجد الدين مهران، والعسكرى اللي برة ماكانش موجود عشان استأذن منه

قبل أن يرمقه وكيل النيابة بقرف ويقول بغلاسة الكون:

— طب أتفضل برة شوية وما تدخلش غير لما أسمح لك

ليومىء "براء" برأسه دون أن ينبس ببنت شفة، في حين لم تتوقف عينيه عن جلد "قابيل الهراس" بسياط من الكراهية والغضب،

وخارج المكتب، حقق "براء" Top Score في حرق أكبر قدر من السجائر التي لم تفقد عذريتها بين شفتيه لتموت بكرا بين أصابعه، قبل أن يخرج "قابيل الهراس" ومعه عسكرى لا يضع الكلابشات في يده، لتتلاقى نظرات "الهراس" القاسية بنظرات "براء" المتحفزة قبل أن يصطحبه العسكرى، ويتابعهما "براء" وهما يسيران حتى نهاية الممر، ثم يطرق باب المكتب ويدلف مجددا.

* * *

"سى دي إيه اللي أنت بتتكلم عنه؟ أنا ماخدتش من الهراس النهارده أي سيديهات"

هكذا أجاب وكيل النيابة بإقتصاب وضيق على سؤال "براء" الذي صدمته الإجابة، حتى أنه ظل يحملق لدقيقة كاملة في وجه وكيل

النائب العام!

هل ينفجر فيه: أنت كداااااااب، انا لسه شايف الـ CD بعينى دول؟

هل ينظر له باستحقار ويغادر المكتب بلا استئذان ثم يكتب ما حدث في جريدته؟

إلا أن "براء" حسم أمره واستقر على خيار ثالث لم يفصح عنه حين رفع شعار "اعمل عبيط"، وقال بأكثر نبرات الكون أدبا وذوقا:

— واضح إن حصل سوء فهم يا فندم، على العموم ده الكارت بتاعى ويشرفنى أكون تحت أمر سيادتك في أي حاجة تحتاجها من الصحافة، خصوصا في قضية الهراس اللي بتشغل بال الرأي العام، عن إذنك

وما أن يغادر "براء" المكتب حتى ينظر إلى بابه ويتأمل اليافطة المعلقة عليه وهو يغمغم:

— وحياة أمى ما هتعدى بالساهل

* * *

أمام مجمع النيابات يجلس "براء" في سيارته الـ «فيات 128»، بعد أن أحرق سيجارة عذراء جديدة بين أصابعه دون أن يفض عذريتها بفمه ولو بنفس، بينما تجرى أصابع يسراه خلف بعضها بضربات متتالية على نافذة السيارة دون أن يعرف سبيلا جديدا لقتل الإنتظار، وفجأة يلمح وكيل النيابة وهو يغادر المكان ويتجه نحو سيارته «الميتسوبيشى لانسر» ذات اللون الفضى، فيلقى يمين الطلاق بالثلاثة على سيجارته البكر ويلقيها في الشارع، ثم يدير المفتاح في المارش ليتأهب للانطلاق بسيارته، قبل أن تضغط قدمه على كماحة البنزين فور تحرك سيارة وكيل النيابة،

في غضون دقائق تصبح السيارتين في ميدان لبنان، ولا زال "براء" يراقب بسيارته المتواضعة سيارة وكيل النيابة الفاخرة ويسير خلفها، حتى يصبح كلاهما على الطريق الصحراوى،

وكيل النيابة ينظر في مرآة سيارته الأمامية ويلاحظ مراقبة سيارة "براء" له، فيدخل في أول ملف يقابله قبل أن يجذب الفرامل الخلفية «الهاند بريك»، فتدور سيارته حول نفسها وتصبح في مواجهة سيارة "براء"، ليعقد وكيل النيابة حاجبيه وهو يركز على وجه "براء" جيدًا، ويلاحظ "براء" ذلك فيكمل سيره بشكل طبيعى حتى لا يلاحظ وكيل النيابة أنه يراقبه، قبل أن تتراقص في عينى وكيل النيابة شياطين الكون

* * *

"التصرف ده معناه إنه مش سهل وعارف كويس إن على راسه بطحة بيحسس عليها"

هكذا قالت "رحمة" وهى تجلس مع "براء" في مكتبه بالجورنال، في وقت متأخر من الليل، في حين نرى "براء" ممسكا بقلم يضغط على السوستة الخاصة به ليخرج سن القلم ويدخله في سرعة وعصبية لتفريغ شحنته العصبية، وقد بدا عليه الشرود،

"روحت فين؟"

تقولها "رحمة" لتخرجه من شروده، فيقول دون أن يغرب الشرود من عينيه:

— واضح إن كان فيه إتفاق بين الهراس والقاضى المرتشى على موقف قانونى محدد وإجابات محفوظة، وكان المفروض إنهم يمشوا على اتفاقهم، لكن اللي حصل النهارده بيقول إن الهراس بدأ يلعب لحسابه وقرر إنه يقلب الترابيزة

تفكر "رحمة" قليلا في كلامه قبل أن يبدو على وجهها الإقتناع فتقول بحزم:

— عندك حق، عشان كده ده دورنا إننا ننبه القاضي باللي حصل ونحاول نضمه لصفنا، لو حس إنه هيتباع في سجنه هيطلّع كل اللي عنده، ده غير إننا لازم نشوف مجد ونحكي له

— حاولت أوصله بس ماعرفتش

— يبقى سيب لي زيارة القاضي المرتشي في سجنه لحد ما نعطر على مجد، إنت دلوقت بقيت وش محروق ولازم نلعب بكارت جديد

يفكر في كلامها ثم يردف:

- بس خدي بالك إن اليومين دول قلق، يعني استخراج تصريح زيارة هياخد وقت

تنمر عينيها بشراسة قائلة:

- وماله؟ اللي خلانا صبرنا السنين اللي فاتت دي كلها مش هيمنع إننا نستنى كام يوم

* * *

على شاشات الفضائيات، انهالت القذائف المدفعية من الجيش الإسرائيلي على قطاع غزة، فيما راحت الطائرات الحربية تطلق ذخيرتها وتلقي قنابلها لتفجر القطاعات الحيوية وتدمر البنية التحتية للشعب الفلسطيني الأعزل، بينما راح صوت المذيعة يردد:

- هذا وواصل الجيش الإسرائيلي عدوانه مجددا على قطاع غزة في عملية عسكرية أطلق عليها «عامود السحاب»، استهدفت مواقع حربية تابعة لكتائب القسام منها موقع بدر 5، وسجن أنصار، ومواقع خاصة بالحكومة الفلسطينية مثل مجلس الوزراء ووزارة الداخلية، وردت عليها الفصائل الفلسطينية بعملية «حجارة السجيل»، فيما ارتفع عدد ضحايا العدوان إلى 156 شهيدا، و1200 مصابا

* * *

انطلق الصراخ من منزل الرئيس بالتجمع الخامس ليقول صاحب أعلى منصب «رسمي» في البلاد بصوت غاضب أمام "جودت الناظر" الذي زاره في وقت متأخر من الليل:

- لا يا جودت لأ، انتوا كده زودتوها لأقصى درجة وأنا اللي بدفع التمن لوحدي قدام الشعب

ليواجه الرجل الثاني في مكتب الإرشاد غضب الرئيس بهدوء شديد إلى حد البرود قائلا بلهجة ثابتة على موقفها:

— مفيش حاجة اسمها لوحدك لأن كلنا في مركب واحد، يا توصل بر الأمان يا نغرق مع بعض، واللي أنا بقوله دلوقت هو الأمل الأخير عشان ننقذك وننقذ آخر فرصة لجماعتنا

— طب إزاي، إزاي يا جودت هتنقذوا جماعتنا بإعلان دستوري زي ده، أنا لما قعدت مع المستشارين القانونيين للحزب كان كلامنا إننا نعمل نيابة ثورية ونقيل النائب العام لتاني مرة عشان نرجع حق الشهدا ونكسب الشارع، أقوم في نفس الإعلان أحصن اللجنة التأسيسية وأحصن قراراتي وأقول مفيش محكمة أو أي جهة قضائية ممكن تردها أو حتى تناقشها؟ إنت متخيل بند زي ده ممكن يعمل إيه؟

يخرج "الناظر" هاتفه المحمول ويشغل ذلك المقطع المسجل للمستشار "عزيز شاكر" في جلسته مع المستشارة "أماني التهامي" والمستشار "أحمد العبد" وهو يقول لهما:

— المعركة دلوقت مبقتش مع الشعب بس، ما تنساش إنه بعد ما شال المشير وعنان بقت فيه حالة غليان ضده في الجيش، ده غير إنه ما وازنش اللجنة التأسيسية للدستور وأراهنك إنه هيسيبها كده عشان يعمل دستور تفصيل، كل دي أحبال عمال يلفها حوالين رقبته لحد ما هيتشنق، ومن الآخر كده زي ما نصّبناه ممكن نعزله

تتسع عين الرئيس في دهشة عارمة ليفغر فاه قائلا كالمشدوه:

— إنتوا سجلتوا الكلام ده إزاي؟

يغلق "الناظر" هاتفه ويضعه في جيبه قائلا:

— مش مهم إزاي، المهم إنك عرفت المؤامرة وصلت لفين، المحكمة الدستورية هتحل اللجنة التأسيسية في جلسة ديسمبر الجاي وهتضيّع كل اللي خططناه للدستور الجديد، ومش بعيد زي ما حلت مجلس الشعب تشوف أي تكييف قانوني تعزلك بيه ويضيع معاه حلم حسن البنا اللي حققناه بعد 80 سنة من الذل والظلم والقتل والتعذيب، عشان كده لازم نمنع مخططهم بأي تمن

— بس تحصين القرارات ضد أي طعن أو قرار قضائي مش قانوني

— وماله، طالما القوانين متفصلة على مقاسهم يبقى مش عيب إننا نخرج عليها، اللعب دلوقت بقى ع المكشوف ويا إحنا يا هما

ثم يقترب "الناظر" من الرئيس الذي لا زال مشدوها هائما وينظر إلى عينيه وكأنه يريد تنويمه مغناطيسيا:

— القصف الإسرائيلي اللي شغال على غزة دلوقت هيبقى لمصلحة شعبيتك لو اتدخلنا وقدرنا نمنعه والأمريكان ما عندهمش مانع في حاجة زي دي، والسفيرة الأمريكية هتدعمك لحد ما أغلبية الشعب تشوفك بطل للعروبة والمظلومين، وساعتها نضرب الحديد وهو سخن ونعلن الإعلان الدستوري الجديد، ونقطع الطريق

على الانسحابات الجماعية اللي عمالة تحصل دلوقت في اللجنة التأسيسية عشان يبوظوا دستورنا، وبعد ما نحط الدستور الجديد، نفوق لقضاة عبارك ونلاعبهم بطريقتهم

يتأمل الرئيس كلمات "الناظر" لبرهة قبل أن يتساءل بقلق:

- طب والمعارضة؟ والفلول؟ والناس اللي ما انتخبتنيش؟ والقنوات والجرايد اللي عمالة تشتمنا ليل ونهار؟ تتخيل كل دول هيستسلموا بالسهولة دي؟

- كل دول نفسهم قصير زي أي حد على باطل، ما يقدروش يستحملوا ساعة واحدة من العذاب والبهدلة اللي شوفناها طول السنين اللي فاتت، وأي مال هيصرفوه عشان يحاربونا بيه هتنطبق عليه الأية اللي بتقول {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}، وحتى لو اتهوروا وفكروا يلجأوا للعنف، أنا قعدت مع الشيخ جاسر أبو إسماعين واتفقت معاه أمده بشباب ومال وسلاح وحطينا خطة إنه يحاصر مدينة الإنتاج الإعلامي لو حصلت في الأمور أمور من غير ما نبان إحنا في الصورة، وساعتها الناس هي اللي هتبوس إيدك وتقول موافقين على كل قراراتك بس كمل ولايتك وأبو إسماعين لأ، وبمجرد ما نطرح الدستور للاستفتاء معظم الشعب اللي تعب وبقى مش مستحمل مظاهرات ومليونيات هينزل يقول نعم عشان الاستقرار

يجيبه الرئيس بقلق بالغ:

- بس أنا وعدت حسين مكي إني هعدل مادة خفض سن تقاعد القضاة، ولو رجعت ف كلامي هيقدم استقالته وهيعمل لنا قلق

فيهز "جودت" الناظر رأسه لينفي شكوك الرئيس قائلا:

— كل حاجة أنا رتبت لها كويس، المفروض إنك هتسافر بكرة

باكستان لحضور القمة الإسلامية، الصبح هتعتذر وتكلف حسين مكي يسافر بدالك، وف نفس اليوم هنبعت شبابنا عند دار القضاء العالي عشان يهتفوا باسمك ويؤيدوا قرارات تطهير القضاء اللي بقت مطلب ثوري وشعبي، وبالليل نضرب ضربتنا ونذيع الإعلان الدستوري الجديد، عايزك تجتمع مع وزير العدل، ووزير الشئون القانونية والبرلمانية عشان تحط النقط ع الحروف من غير ما أظهر في الصورة بدل ما حاجة تتسرب لوسائل الإعلام ويقولوا إن القرار مش قرارك لوحدك وتبقى جنازة ويشبعوا فيها لطم

يمط الرئيس شفتيه ويزيغ بصره، وما أن يشعر بالتوجس والقلق من أيام المواجهة المرتقبة حتى يتذكر جملة «زي ما نصّبناه ممكن نعزله» فتتحول ملامحه إلى الضيق والغضب ليقول بكل حسم:

- وهو كذلك، والله المستعان عما يصفون

* * *

في اليوم التالي استدعى الرئيس مستشاره القانوني، ووزير العدل، ووزير الشئون القانونية والبرلمانية، بصورة عاجلة، ومعهم بعض أعضاء اللجنة القانونية بحزب الحرية والعدالة، ليطلعهم على مواد الإعلان الدستوري، فعقد وزير العدل حاجبيه قائلا بتوتر:

— متهيأ لي يا سيادة الريس إن خطوة تخفيض سن القضاة المفروض تكون خطوة مؤجلة لآخر السنة على الأقل، إنما دلوقت مش وقتها خالص

عندها، رد عليه أحد المستشارين القانونيين لحزب الحرية والعدالة:

— مالهاش حل تاني يا سيادة الوزير، سعادتك عارف قضاة مبارك اللي مدّ لهم السن القانوني عشان يفضلوا في الخدمة ويفصّلوا القانون على مقاسه كام واحد؟ ده إنت بنفسك ياما عانيت منهم

وزير العدل:

— ويوم ما تخفّض سن القضاة برضه هيقولوا الرئيس خفض سن القضاة عشان يصعّد قضاة منتمين ليه ولجماعته ويفصلوا القانون على مقاسه، وماتنساش إن فيه فعلا قضاة متهمين بإنهم كانوا خلايا إخوانية نايمة زي تشكيل «قضاة من أجل مصر»، ده غير إنك لسه ما وصلتش للشعبية القوية اللي تخلي الشارع ينزل يأيدك، ومعظم القضاة لو مش ضدك فعلى الأقل واقفين على الحياد ولسه ماقدرتش تكسبهم ف صفك وف لحظة ممكن ينقلبوا عليك

يلاحظ صمت الجميع وإنصاتهم لكلماته باهتمام فيدير عينيه في وجوه الجمع ويتابع:

— حضراتكم المفروض تفهموا إن القضاء ليه وضع شديد الخصوصية، خلط القضاء بالسياسة زي خلط الحق بالباطل، لأن السياسة بيحكمها الهوى، لكن تعيين قاضي أو ترقيته ده شأن خاص بالمجلس الأعلى للقضاء ليه قواعد وقوانين ثابتة، والقاضي المصري الوحيد على مستوى العالم اللي عنده حصانة قضائية منحها ليه الدستور والقانون من سنة ٨٤، ده غير إن مهنتنا إننا نفصل بين الناس، لكن ما نقبلش أبدا حد من برة المجال يفصل بينا خصوصا لو من السلطة التنفيذية اللي مهمتنا نحاكمها ونطبق عليها القانون، لأن ده معناه ببساطة إن فيه رقباء علينا، وإننا مش قد حل مشاكلنا، واللي يفشل في حل مشاكله مش من حقه يحل باقي مشاكل الأمة

هنا تنحنح مستشار الرئيس للشئون القانونية قائلا للمستشارين القانونيين لحزب الحرية والعدالة:

— في الحقيقة يا جماعة أنا متفق قلبا وقالبا مع كلام سيادة الوزير، عشان كده لازم نعدل بند المادة التالتة، ونكتفي بإقالة

النائب العام الحالي وتعيين النائب الجديد اللي اتفقنا عليه، من غير ما نجيب سيرة تخفيض سن القضاة

وزير العدل:

– حتى إقالة النائب العام الحالي بالطريقة دي مش قانوني، وهتبقى سقطة هنتهاجم عليها، لأن المادة 119 من قانون السلطة القضائية بتقول إن النائب العام بمجرد ما يتعين بيكتسب حصانة من العزل أو الإقالة، ومفيش حاجة تبعده عن منصبه غير الوفاة أو بلوغ سن التقاعد أو تقديم استقالته بمبادرة شخصية منه، ويوم ما حد هيخالف القانون ونيجي نحاسبه هيقولك طب ما الريس نفسه خالف القوانين

وزير الشئون القانونية والبرلمانية:

– طب ما مبارك استبعد ماهر عبد الواحد من منصب النائب العام وعينه رئيس المحكمة الدستورية العليا بالمخالفة للقانون ومحدش اتكلم وقتها

وزير العدل:

– زمن مبارك وظروفه غير زمن الإخوان

وزير الشئون القانونية والبرلمانية:

– بس إقالة النائب العام الحالي بغطا ثوري مع الوعد بإعادة محاكمة قتلة الثوار هيفرق كتير

وزير العدل:

– الكلام ده لما يكون فيه إجماع شعبي على إعادة محاكمة قتلة الثوار، لكن الشعب نفسه دلوقت مقسوم ما بين كتلة صامتة بتدور على لقمة عيشها وبس، وأهالي الشهدا وقرايبهم والثوار من ناحية تانية، وناس شايفة إن الثورة خربت البلد وإن النظام القديم

كان نعمة ماحدش حاسس بيها، ومحدش عارف الكتلة الصامتة لو اتحركت هتروح في أي اتجاه

وزير الشئون القانونية والبرلمانية::

– الكتلة الصامتة مش هتتحرك دلوقت، لأنها بتحاول تعوض الخساير اللي خسرتها في الثورة وتدور على لقمة العيش زي ما سيادتك قولت، وأنا شايف إن ده الوقت المناسب اللي يتحد فيه النظام مع الثوار من جديد ضد الفلول وولاد مبارك بتعيين نائب عام ثوري ولائه لينا مش للنظام القديم

ثم يتطلع وزير الشئون القانونية والبرلمانية إلى عيني الرئيس ويتابع:

– وإذا كان على خفض سن القضاة والمستشارين يا سيادة الريس فبمجرد ما نحط دستور جديد هيبقى مجلس الشورى مصدر التشريع في ظل غياب مجلس الشعب المنحل، وبما إننا بنشكل أغلبيته هنقدر نسن تشريع بخفض سن القضاة، وبكده نبقى حققنا هدفنا بشكل قانوني رسمي من غير ما تظهر في الصورة وتدخل في صراعات، واللي مش هيعجبه الكلام هيبقى خارج عن القانون والشرعية

يبتسم الرئيس وهو يتأمل كلمات الرجل، بينما تقول عينيه:«يخرب بيتك، ده إنت طلعت داهية أكتر من الناظر»، قبل أن يقول للحضور:

– طب عن إذن حضراتكم، دقايق وراجع

ثم يغادر الرئيس غرفة الاجتماعات ويدخل مكتبه في عجالة، قبل أن يخرج هاتفه المحمول ويضغط على مفاتيح أرقامه سريعا، وما أن يأتيه الرد حتى يقول:

– أيوة يا جودت، حتى وزير العدل والمستشار القانوني اعترضوا

على بند خفض سن القضاة، ما ينفعش نتحداهم كلهم وواضح إنهم شايفين اللي إحنا مش شايفينه

فيأتيه صوت الرجل الثاني في مكتب الإرشاد متوترا:

– طب وبعدين، الشباب خلاص اتشحن وبدأوا التحرك لدار القضاء عشان يأيدوا القرارات

فيجيبه الرئيس بثقة:

– متقلقش، وزير الشئون القانونية والبرلمانية لقى مخرج ما خطرش على بالنا

* * *

الفصل الحادي عشر

مالت الشمس للمغيب حين وقف "براء" على سلالم نقابة الصحفيين بمنطقة «وسط البلد»، ليتابع تلك المسيرات الزاحفة بالألاف من شباب جماعة الإخوان المسلمين نحو دار القضاء الأعلى بعد أن تم حشدهم ليؤيدوا قرارات مرتقبة سيعلن عنها الرئيس في خطاب للأمة خلال ساعات، بينما راح شاب إخواني يهتف في الميكروفون، لتردد الحناجر خلفه:

- قالوا بلدنا بلد قوانين، قاموا أفرجوا ع المجرمين

- واللي قتل شهدا ومصابين، قرّبوا يخرجوا م الزنازين

ووسط هذه الهتافات والزحف، نزل "براء" من على سلالم النقابة ليلتحم بالجموع ويتأمل الوجوه والملامح، ليصل معهم إلى دار القضاء العالي، بينما لا زال الشاب الإخواني يردد في الميكروفون

- نائم عام طنش بلاغات، عمال يحرق فيها في سكات

- الشعب يريد تطهير القضاء

ومع الشعار الأخير انتابت الشاب الإخواني حالة هيستيرية ليردد الشعار أكثر من مرة بسرعة وحماسة بينما تردد المسيرة خلفه بحماس وسرعة مماثلة وهم يصفقون بإيقاع منتظم:

- الشعب يريد تطهير القضاء، الشعب يريد تطهير القضاء، الشعب يريد تطهير القضاء

ليشتعل داخل "براء" صراع حاد بين رغبته في ترديد هذا الشعار الذي يحلم به حقا ويجاهد لتحقيقه عبر عمله بالصحافة منذ سنين، ورفضه لترديده طالما نادى به الإخوان الذين يرفض أن يصبح معهم في خندق واحد، ليقينه بأن خلف شعاراتهم النبيلة وهتافاتهم البراقة أهداف خبيثة لصالح جماعتهم.

302

وفي خضم صراعه الفكري، إذا بشعار جديد يردده شابا أخر:

- قولها يا مرسي وإحنا معاك، كل شعب مصر وراك

وفي ظل ترديد الجميع ذلك الشعار، تبينت إذن "براء" هوية هذا الشاب الذي لم يكن سوى أخاه "صهيب" وقد حمله البعض رغم حجمه الضخم

"إنت إيه اللي جابك هنا؟"

اخترق السؤال إذنيه أثناء تطلعه لأخيه المحمول فوق الأعناق، فالتف خلفه ليجد "مجد" مرتديا بذلة بنية فاخرة، وقد وقف معه في قلب المسيرة، ليجيبه "براء" بسؤال:

- قصدك هما إيه اللي جابهم هنا؟ أنا واقف جمب نقابتي وإنت واقف جمب دار القضاء الأعلى بصفتك قاضي، لكن هما هنا صفتهم إيه؟

فيجيبه "مجد" بغموض:

- بصفتهم جايين يطهروا القضاء

- تفتكر؟

- وليه لأ؟

- هما برضه مش كانوا بيقولوا ع القدس رايحين شهداء بالملايين؟ ما راحوش ليه لحد دلوقت؟ مش كانوا بيطالبوا مبارك يفتح باب الجهاد؟ لما مسكوا البلد ما فتحوش الباب ليه؟ المفتاح معصلج؟ ولا القفل مصدي؟ الناس دي طول عمرها بتقول شعارات حلوة بيضحكوا بيها ع الغلابة عشان يلموا الناس حواليهم وياخدوا شعبية، لكن وقت التنفيذ مش بينفذوا غير اللي في مصلحتهم، وطالما قالوا تطهير القضاء يبقى القضاء في خطر، واللا إنت شايف إيه؟

"شايف إنك واحد من بتوع ستة إبليس وقريب أوي إن شاء الله هنلبسكم طرح ونحطكم في سجن الحريم"

هكذا جاءته الإجابة، لكن من فم أخيه "صهيب"، ليلتفت له "براء" قائلا بتحدي:

— قصدك السجن اللي انتوا طلعتوا منه وهترجعوا ليه تاني يا شوية خرفان معدومة الإرادة،كلمة بتوديكم وكلمة بتجيبكم

يكشر "صهيب" عن أنيابه ويطل الشر من عينيه وهو يقترب من "براء" أكثر ويقول بشراسة:

— شكلك كده عايز تموت النهارده

"براء"ساخرا:

— إيه، زعلت من كلمة خرفان؟ طب إيه القرارات اللي جايين تأيدوا مرسي فيها؟ لو قولت لي قرار واحد بس أنا هحط رقبتي تحت جزمتك وأقول لك اعمل فيا اللي إنت عايزه

يقترب منه "صهيب" أكثر قائلا:

- ما أنا كده كده فعلا هحطها

فيلتف بعض الشباب الإخواني حول "صهيب" ليتساءل أحدهم:

— فيه إيه يا صهيب؟

وهنا يحين دور "مجد" في الكلام فيقول لـلشاب الذي يسأل "صهيب" وهو يشير لـ"براء":

— فيه إن الأخ بيقول للأستاذ قول لي قرار واحد من القرارات اللي إنتوا جايين تأيدوا مرسي فيها، فالأخ زعل وحول الموضوع لخناقة، حد من حضراتكم عارف إيه القرارات اللي جايين تأيدوا مرسي عليها؟

فيجيبه أحد الشباب:

303

– قرارات لصالح البلد والثورة

فيسأله "مجد":

– أيوة اللي هي إيه يعني؟ هو مش حضرتك إخواني والمفروض إنك جاي تأيد الرئيس؟

– أنا مش إخوان على فكرة بس بحترمهم، والناس دي أي قرار بتاخده أكيد لصالح البلد

فيقول "براء" بتحدي:

– وأنا مش إخوان على فكرة بس مش بحترمهم، ولو قرارات النهارده لصالح البلد مش الجماعة كان حشد الشعب كله بدل ما يحشد شوية إخوان فاكرين إنهم هيضحكوا علينا بكام شعار ثوري

فينقض "صهيب" فجاة على "براء" ويمسكه من عنقه بعنف صائحا:

– الواد ده من شباب ستة إبليس وجاي يبوظ المسيرة

إلا أن يدا كالفولاذ قبضت على يد "صهيب"، قبل أن يقول "مجد" بصرامة:

– مفيش داعي للعنف، أظن اللي عايز مصلحة البلد ونيته خير مش محتاج يمد إيده

فيشعر "صهيب" بالصدمة وهو يفلت عنق "براء" رغما عنه، حيث لم يتصور أن شابا في وسامة وأناقة "مجد" لديه هذه الإعصاب الفولاذية، وفجأة يرتفع أذان المغرب ليصل إلى عنان السماء فيقول "مجد" للجميع:

– متهيأ لي نروح نصلي المغرب أحسن والأيام هي اللي هتبين نية كل واحد

فيصمت الجميع احتراما للأذان، بينما يصطحب "براء" بعيدا عن الحشد قائلا:

– لازم تتعلم تتحكم في أعصابك عن كده، اللي إنت عملته ده اسلوب مراهقين مش أسلوب ناس عندها قضية مؤمنة بيها وواثقة من نفسها

– مش مهم، كفاية وريتهم قدام نفسهم إنهم خرفان ومحدش عرف يجاوبني

– النجاح الحقيقي لما تغير وضع إنت مش راضي عنه وتنفذ اللي في دماغك، وهو ده اللي هما بيعملوه، بيسيبوا اللي يشتم يشتم، بس في الآخر بيحققوا اللي هما عايزينه

وقبل أن يرد "براء"، يرن هاتف "مجد" المحمول ليضعه على أذنه قائلا:

- آلو

فيأتيه صوت المستشار "مظلوم" قائلا:

- أيوة يا مجد، عايزك تيجي حالا، فيه موضوع مهم ما يحتملش أي تأجيل

فيجيبه "مجد" وهو ينظر لـ "براء":

- تحت أمرك يا فندم، مسافة السكة هكون عندك

ثم يغلق هاتفه المحمول ويقول لـ "براء":

- معلش يا براء أنا لازم أمشي دلوقت حالا، فيه عندي مشوار مهم لازم أعمله

- طب كنت عايز حضرتك في موضوع مهم

فيقول له "مجد" بحرج وهو يهم بالإنصراف:

- بعدين يا براء، أخلص مشواري وبعدها تحت أمرك، سلام

* * *

في مكتبه الواسع بمقر المنظمة، جلس المستشار "مظلوم غلاب" على مائدة مستديرة ضخمة، وفي خلفيته شاشات عرض عديدة، تعرض إحداهما صورة "ياسر علي" المتحدث باسم رئاسة الجمهورية وهو يقرأ على الشعب بيان الإعلان الدستوري الجديد الذي أصدره الرئيس "محمد مرسي"، فيما تعرض الشاشة الثانية مؤتمر جبهة الإنقاذ حيث يقف على المنصة الدكتور "محمد البرادعي" مؤسس حزب الدستور، و"حمدين صباحي" و"عمرو موسى" المرشحين الرئاسيين السابقين، و"السيد البدوي" رئيس حزب الوفد، و"سامح عاشور" نقيب المحامين، وغيرهم من رموز المعارضة المصرية التي أعلنت سقوط الرئيس "محمد مرسي" بعد إعلانه الدستوري الجديد الذي انقلب به على الشرعية والإرادة الشعبية، وخالف به القانون، ليطالب الجميع بسرعة تشكيل حكومة إنقاذ وطني لقيادة البلاد، بينما تعرض الشاشة الثالثة برنامج "القاهرة اليوم" حيث يظهر الإعلامي "عمرو أديب" قائلا بسخرية:

– أظن كده يا جماعة من حقنا كلنا نفتخر بالشباب الإخواني ونبطل نهاجمه، أنا عن نفسي بشجعه وبحيي فيه ولائه للجماعة، لدرجة إنه نزل النهارده يؤيد قرارات مرتقبة هو نفسه ما يعرفش القرارات دي بتقول إيه ولا هتبقى عاملة إزاي، أهم حاجة في المقام الأول والأخير إنهم يؤيدوا قرارات الرئيس وخلاص، لا بجد شابوه وتسلم إيدين اللي عرف يبرمج ويحضر النسخة دي من المؤيدين، انزلوا حاصروا دار القضاء، حاضر، اهتفوا هناك لتأييد قرارات الرئيس اللي لسه ماتعرفوهاش حاضر، اعملوا بيبي في الشارع، برضه حاضر

ومن جانبه أخذ "مجد" يتطلع إلى الشاشات عاقدا حاجبيه في ضيق وتوتر قبل أن يقول له المستشار "مظلوم":

– قبل ما أقول لك تشرب إيه، وتسألني أسئلة كتير شايفها في عنيك، خليني الأول أعرض لك فيديو هيلخص كل الكلام

وما أن ينتهي من حرفه الأخير حتى تختفي الصورة من كل الشاشات، ليحل محلها مقطع فيديو جديد لـ"جودت الناظر" الرجل الثاني بالجماعة، وهو يجلس في مكتبه ومعه اللواء "ماجد بهجت" رئيس جهاز الأمن الوطني، قبل أن يسلم الأول للثاني ملفا وهو يقول:

– دي اسماء الـ 3 ألاف شاب المطلوب تدريبهم، جهّزت رجالتك؟

ليجيبه رئيس جهاز الأمن الوطني بثقة:

– أنا اتفقت مع 92 ظابط مفصول من مباحث أمن الدولة، ده غير 109 ظابط وأمين شرطة سابقين، كلهم على أتم الاستعداد يبدأوا من بكرة، بس المهم يتحط لهم ميزانية تأمن مستقبلهم، وهستأذن فضيلتك تكون اسمائهم حركية، عشان لو هتأيدوها في أي أوراق عندكم ما يكونش عليهم أي مسئولية في اللي هيعملوه

– متقلقش يا بهجت، إحنا بنعرف ندير شغلنا كويس، شد إنت حيلك بس معانا عشان تخلي الكرسي على مقاسك بمجرد ما يفضى الفترة الجاية

سال لعاب اللواء "ماجد بهجت" مع الجملة الأخيرة، قبل أن يزدرده بسعادة قائلا:

– أنا خدامكم والله من غير حاجة، المهم بس ربنا ينصركم لإن أعداء الدين زادوا أوي اليومين دول

ينظر له "الشاطر" بعيني نمر ثم يردف:

— اللهم أمين

ثم يتوقف مقطع الفيديو عند هذا الحد، في حين يتطلع المستشار "مظلوم" لوجه "مجد" الذي سيطر عليه الذهول والوجوم، قبل أن يغلق الشاشة ويقول له:

— الـ 3 ألاف شاب اللي بيتكلم عليهم دول الحرس الثوري اللي بيجهزوه، ناويين بعد الإعلان الدستوري اللي أصدوره النهارده يشكلوا دستور على مقاسهم، وبعدها هيسيطروا على القضاء، ومن خلاله هيزوروا انتخابات مجلس الشعب، وآخر خطوة هيشكلوا الوزارة من حزبهم وبكده يبقى اكتمل مشروع التمكين وتبقى الدولة كلها في إديهم، وأي تجمعات ضدهم هيسحقوها، ولو ده حصل يبقى قول على البلد السلام لـ 100 سنة جاية ع الأقل

— يردد "مجد" بخفوت وهو لا يصدق ما يرى ويسمع:

— مش ممكن

— لأ ممكن، إحنا رصدنا مكان التمركز في أطراف مدينة النوبارية شمال الصحرا الغربية في محافظة البحيرة، وللأسف قدروا يهرّبوا لهناك كمية كبيرة من كل أنواع الأسلحة اللي تتخيلها واللي حتى ما تخطرش على بالك، ده غير عربيات مجهزة لأعمال التخريب.

يتطلع "مجد" إلى عيني حكيم المنصة للحظات يحاول خلالها أن يستشف ما يريد أن يقول قبل أن يتساءل بتحفز:

— وإيه المطلوب مني؟

يميل "مظلوم غلاب" للأمام ويحملق في عيني "مجد" قائلا:

— زي ما إنت عارف فيه قضية مرفوعة دلوقت بتطعن في نتيجة الانتخابات الرئاسية، وفيها تفاصيل كتير لو صحت هتثبت تلاعب وتزوير جماعة الإخوان في النتيجة، وممكن تعيد الانتخابات من

أول وجديد

فيعقد "مجد" حاجبيه ويتلتقط طرف الخيط ليكمل قائلا:

— القضية دي بتتنظر في محكمة جنوب القاهرة اللي أنا فيها، وطبعا من المتوقع إن ميليشياتهم تحاول تحرق المحكمة خلال الفترة الجاية عشان يخفوا أي أثر للقضية، عشان كده لازم بشكل سري آخد نسخة من كل الملفات المهمة اللي هناك

— بالظبط، ومن ناحيتنا كلفنا عيونًا في مكتب الإرشاد ومكان التمركز الجديد لميليشياتهم إنهم يمدونا بكل المعلومات والفيديوهات، عشان نضيفها لأخطر ملف بنجهزه ضد الإخوان، لحد ما تيجي ساعة الصفر ونعلن للشعب كل حاجة، وهو ساعتها اللي هيقول كلمته

— وساعة الصفر دي هتبقى أمتى؟

— مقدرش أحددها بالظبط، لكن الأكيد إنها هتتحدد بعد ما ناس كتير تموت وكارث خطيرة تحصل في البلد، ساعتها هيكون فيه شحن شعبي والناس هتبقى مهيأة إنها تتجاوب مع أي موجة ثورية جديدة

— وليه ما نسلمش المعلومات اللي معانا دلوقت للأجهزة المختصة عشان تلحق تتحرك؟

— عشان حاميها بقى حراميها، والإخوان بقى ليهم خلايا نايمة في كل مكان، اللي خلاهم جندوا رئيس الأمن الوطني لصالحهم يخليك تتوقع أي حاجة، ووارد جدًا إنك لو حاولت تكشفهم وتبلغ عنهم ياخدوا احتياطهم وتلاقي نفسك إنت اللي متهم

— وهنسيب ناس من الشعب تموت عادي كده؟

— ده قدرهم، ساعات الدم القليل بيكون تمن عشان تمنع بيه

دم أكتر، تفتكر من ساعة ما اتخلقت البشرية كان ينفع نعرف إن البحر غريق غير لو شوفنا واحد بيغرق قدام عنينا؟

يصمت "مجد" وعلى ملامحه الغضب الهادر وقد عجز عن الكلام، فيستطرد حكيم المنصة:

— أنا مقدر إنسانيتك يا مجد وكرهك للدم، بس ما تنساش إن لحد دلوقت هم الأقوى، لازم قبل ما تصطاد الأسد تضربه بحقنة بنج الأول وتفضل تناوشه لحد ما يقع ويستسلم، صدقني يا مجد مرسي أيامه قربت فوق ما تتصور بس لازم نلاعبه صح قبل ما نسترد البلد من إيديهم

* * *

الفصل الثاني عشر

في أحد مقرات حركة «6 أبريل» التف "براء" وأصدقائه حول التلفاز يتابعون الخطاب الارتجالي للرئيس "محمد مرسي" الذي يبث على الهواء مباشرة من أمام قصر الاتحادية، حيث يلقيه وسط حشد من مؤيديه وأنصاره صارخا فيهم بصوته الجهوري الذي يبعث على الصداع:

— القانون ماض، والقضاء مؤسسة لها قدرها واحترامها برجالها المخلصين لها، أما من يريد أن يختبيء داخل المؤسسة فإني له بالمرصاد، ولن أتركه أبدا، القضاء المصري كان دائما ومازال وسيظل برجاله، ولكن أصابه مما أصاب القوم في بعض ممن يحاولون أن يلتحفوا، يتغطوا بغطائه، سأكشف عنهم الغطاء، هؤلاء قلت قبل ذلك وعنيت ما قلت، الخمسة ستة سبعة تلاتة أربعة اللي بيحاولوا إنهم يتغطوا بالغطاء المحترم وهم يفسدون، قلت إياكم أن تتصوروا إني لا أراكم، أو أنني لأني أغض الطرف عن بعض تصرفاتكم أنكم يمكن أن تؤثروا على مسيرة الثورة، هؤلاء مين اللي جابهم؟ "**يجيبه أنصاره:**" مبارك، كانوا تبع مين؟ "**يجيبه أنصاره:**" مبارك، كانوا بيعيطوا بالدموع على النظام المجرم قبل كده، إذن الأمر واضح، لما أشوف معاكم كلكم وبوضوح إن حكم المحكمة بيعلن قبل الجلسة بأسبوعين تلاتة، ده إحنا هنحل مجلس الشورى وهنحل الوطن كله يظهر، إزاي؟ إزاي يعني؟ وعندما أرى أن الوطن قد يتعرض لسوء، أو أن الشعب والثورة بيحاول المنتمين للنظام اللي فات، اللي بيحاولوا، اللي متصورين إنهم بيهربوا من قدام عيني ويروحوا في حارة مزنوقة علشان يعملوا حاجة غلط، أو بعضهم يسافر يستخبى برة وبعدين يتصل بحد جوه، كل ده واضح جدا، واااااااضح جدا.

مع الحرف الأخير، انطفأ التلفاز بضغطة من زر الريموت كنترول

الذي يمسكه "براء" قبل أن يهتف بحنق:

– غور ينعل أبوك ابن كلب، قال حارة مزنوقة وستة سبعة ثمانية

تلاتة أربعة قال، هي ناقصة هطل وتخلف ع المسا؟

لتجيبه إحدى الفتيات ساخرة:

– إخص عليك يا براء، طفيته ليه بس كنا عايزين نكمل ضحك؟

يلتفت لها قائلا بغيظ:

– كان نفسي أعرف أضحك على الهبل ده بس للأسف ما بعرفش، كل ما أتخيل إن ده رئيس بلدي، وإن التخلف اللي بيقوله ده العالم كله بيسمعه بحس بالنفخ، وساعات تانية بحس بالفقع، وكل واحد عنده حاجة ممكن تتفقع لازم يخاف عليها

ثم يهتف أحد الشباب الحاضرين:

– إحنا لازم ننزل الشارع ونوريه إن مصر مش حبة الخرفان المطبلاتية اللي لاممهم حواليه عشان يصقفوا ويكبروا على كلمة بيقولها، مش هو عامل نفسه ربنا ومطلع إعلان دستوري بيخلي قراراته فوق النقد والحساب والقانون وكأنه لا يسأل عن شيء وهم يسألون؟ خليه بقى يعرف إنه بني آدم رخيص ممكن أصغر عيل يديه على قفاه

يحتل القهر والحزن ملامح "براء" وهو يقول بمرارة:

– أكتر حاجة واجعاني إن الفلول وأيتام مبارك هما كمان بيقولوا نفس الكلام، وعايزين ينزلوا التحرير اللي كانوا في يوم من الأيام بيتهموا كل اللي فيه بالعمالة والخيانة

فترد عليه زميلته في الحركة:

– ولا يهمك، العيب على حرامية الثورة اللي تاجروا بيها وبالدم والدين لحد ما سرقوا الغنيمة لحسابهم لوحدهم، وجه الوقت اللي

الحق لازم يرجع فيه لأصحابه، وبعدين أنا شايفة إن ميدان التحرير مش هيغير حاجة، وزي ما مرسي لم خرفانه عند الاتحادية لازم إحنا كمان نهتف بسقوطه في نفس المكان، وما تنسوش إن مبارك ما أتنحاش وهرب على شرم الشيخ غير لما وصلنا لهناك

تصدر في المكان همهمات عديدة، قبل أن تبرق عينا "براء" قائلا:

– عندك حق، الاتحادية فعلا هي كلمة السر

إلا أن زميله "جابر صلاح" قال:

– يا جماعة كل واحد فينا يتظاهر في المكان اللي يريحه، المهم إننا نحشد على قد ما نقدر، أنا شخصيا هتظاهر في شارع محمد محمود عشان أحيي الذكرى الأولى لأحداثه، وأجيب حق صاحبي الشهيد أسامة أحمد اللي مات على إيدي هناك، ده غير حق أحمد حرارة وشباب تاني كتير، وكتبت الكلام ده على الفيس بوك عشان كل اللي عندي ينزلوا معايا

ينظر له "براء" بغضب قائلا:

– ما بلاش إنت يا جيكا، مش إنت من اللي عصروا على نفسهم ليمون وقالوا مرسي أرحم من شفيق؟

فيجيبه "جيكا" بغضب مماثل:

– وهو يعني شفيق لو كان جه كان هيبقى هو اللي تمام؟ كده كده كان لازم واحد فيهم هيكسب سواء قاطعت أو ما قاطعتش، ولعلمك بقى لو رجع بيا الزمن لورا برضه هختار مرسي تاني، على الأقل لو كان جه شفيق ونظام مبارك خد براءات كنا هنقول الحكاية فيها إنًا، وساعتها كنا هنتندم ع الإخوان الطيبين بتوع ربنا

ونستنى لما شفيق يخلص فترته والبلد كلها تِمًّا كانت هتنتخب مرسي ونرجع نتصدم نفس الصدمة بتاعة دلوقت، بس الفرق إننا

كنا هنبقى خسرنا 4 سنين ضاعوا ع الفاضي من عمر البلد، لكن دلوقت كل حاجت اتكشفت بدري بدري، وعرفنا إن مفيش فرق بين الإتنين، سلامو عليكو

ثم ينسحب "جيكا" من الجمع، قبل أن تقول الفتاة لـ"براء":

— ما كانش ليه لزوم يا براء تقفش عليه بالشكل ده، إنت عارف كويس جيكا بيحب البلد دي قد إيه، ثم إن فعلا كده كده كان لازم واحد هيكسب سواء شفيق أو مرسي، واللي قاطعوا زيك ما ينفعش يزايدوا دلوقت ويعايروا اللي اجتهد وحاول يخدم البلد بطريقته

ثم تلتفت للجميع قائلة:

— من النهارده يا جماعة لازم ننسى أي خلافات قديمة عشان ده الوقت اللي لازم كلنا نتوحد فيه على كلمة واحدة

فيغمغم "براء":

— واضح إني كان دمي تقيل فعلا، أنا هنزل الاتحادية في المسيرة اللي هتطلع من عند جامع النور بكرة، أشوفكم على خير

* * *

التف "صهيب البنجاوي" مع عدد من شباب الإخوان الذي يعملون تحت أمرته حول مائدة مستديرة عليها العديد من الملفات، قائلا لهم:

— الملفات دي بعتها لنا الجهاز "أ" بعد ما طلبنا منه معلومات تفصيلية عن كل الأدمنز بتوع الصفحات اللي ضدنا ع الفيس بوك، زي مثلا صفحة "معا ضد الإخوان المسلمين" اللي الأدمن بتاعها واد اسمه جيكا، و"إخوان كاذبون" اللي الأدمن بتاعها عيل مسمي نفسه كريستي، وغيرهم من الصفحات، كل أدمن من دول ليه ملف فيه كل التفاصيل المهمة عنه، وخط سير تحركاته الفترة الجاية، بسلامتهم فرحانين بالشهرة والتفاف الشباب حواليهم، وعمالين يكتبوا إنهم هيتحركوا منين وهيروحوا فين الفترة الجاية عشان يعملوا فيها قادة وزعماء ضد الإعلان الدستوري

يدير عينيه في وجوه الجميع وهو يضغط على حروف كلماته قائلا:

— شوية الأنجاس دول لازم يموتوا وسط القطيع اللي ماشي وراهم، عشان كل خروف عامل نفسه ثوري وماشي ورا شوية الكلاب دول يترعب ويرجع يتغطى ف بيتهم ويشد اللحاف، ده غير نقطة مهمة لازم تتنفذ بالتوازي

يسأله أحدهم:

— اللي هيّ إيه؟

فيجيبه "صهيب":

— لازم ميدان التحرير يتكره والناس تفقد ثقتها فيه، والأهالي تخاف تبعت ولادها هناك، واللي يتحدى كل ده وينزل سمعته تتشوه لحد ما يبقى منبوذ وحاطط وشه في الأرض

فيسأله شاب أخر:

— إزاي؟

يصمت "صهيب" لحظات يجذب فيها حماس وانتباه الحضور قبل أن يجيب:

— قيادتنا نسّقت مع مجموعة لها ولاء لينا في الداخلية إنهم يسرحوا أكبر قدر من المسجلين والبلطجية في الميدان خلال الفترة الجاية بحيث ينشروا الفوضى والتخريب والتحرش لحد ما الميدان يبقى رمز للتخريب والبلطجة والناس تكرهه

فيسأله الشاب:

— طب وإحنا، معقول هنحط ايدنا في إيد البلطجية والمسجلين؟

— إطلاقا، لكن على الأقل هنكون متواجدين هناك وهنصور كل حاجة ونرفعها ع اليوتيوب لحد ما اللي بيحصل يدخل كل بيت

* * *

ألقى الرائد "مجدي" التحية أمام المقدم "أمل" في مكتبه بجهاز الأمن الوطني، ليرد الأخير عليه التحية بسرعة قبل أن يسأله:

— ها يا مجدي إيه الأخبار؟

— تمام يا فندم، عندي لسيادتك خبرين

— انجز

— أول خبر عرفنا مكان الشاب اللي كنا صورناه من فترة وطلع من المجموعة المخربة اللي دخلت البلد

يميل "أمل" للأمام ويسأل بلهفة:

— فين؟

— في شقة مأجرها هو وأفراد مجموعته في باب اللوق

— ومستني إيه؟ دول لازم يتقبض عليهم فورا

— متقلقش يا فندم، هما دلوقت تحت عنينا وخلال ساعات هيكونوا هنا

— والخبر التاني؟

— القاضي مجد الدين مهران يا فندم

— ماله؟

— سيادتك كنت أمرتني أراقبه بنفسي، واكتشفت إن فيه عملية تمويه متعمدة بتحصل عشان تشغل الأنظار عنه، ولما فشلوا إنهم يضحكوا عليا وفضلت مكمل وراه لقيته رايح مكان صحراوي بس

اكتشف إني براقبه فغير اتجاهه ورجع البيت

يشرد "أمل" بذهنه لثوان أخذت فيها أصابعه تنقر سطح المكتب في تتابع يبدأ من الخنصر وينتهي بالسبابة، قبل أن يلتقط جاكت بذلته ويرتديه، ثم يفتح درج مكتبه ويلتقط منه صورة يدسها في الجاكيت وهو يغادر المكتب، دون أن يبالي بهتافات الرائد "مجدي" المتكررة:

— أمل بيه، يا أمل بيه

* * *

في ساعة متأخرة من الليل، دق جرس منزل "مجد" مرتين متتاليتين، ليتجه "مجد" نحو باب الشقة ويفتحه بتوتر، وخلفه كلبه "ماكس" الذي يتبعه كظله، قبل أن يعقد "مجد" حاجبيه فور رؤية الطارق "أمل؟"

يبتسم "أمل" ابتسامة تجمع بين الخبث والظفر متجاهلا نباح "ماكس" وهو يزيح "مجد" ويدلف للداخل قائلا:

— أتمنى تكون زيارتي مرغوب فيها يا سيادة القاضي

يغلق "مجد" باب الشقة ويأمر "ماكس" بعينيه قائلا:

— خش جوه يا ماكس

لينفذ الكلب الأمر، في حين يلتفت "مجد" نحو "أمل" قائلا بترقب ممتزج بالسخرية:

— مفيش أي حاجة تمنعني أرحب بيك يا سيادة المقدم طالما زيارتك ليا بالأصول، ومبلغني قبلها، وجاي في وقت مناسب

ينظر "أمل" في ساعته ويفهم مقصد "مجد" قبل أن يجلس على فوتيه الصالون ويضع ساق على ساق مستطردا:

— ع العموم أنا مش هاخد من وقتك كتير

يجلس "مجد" على الفوتيه المقابل ثم يتساءل:

— خير

يخرج "أمل" من بذلته صورة فوتوغرافية ويعرضها أمام وجه "مجد" قائلا:

— تعرف الشخص ده؟

يدقق "مجد" النظر في الصورة باهتمام قبل أن يغمغم:

— لأ

— ده واحد من العناصر الإجرامية المخربة اللي دخلت البلد الفترة اللي فاتت، ومشتبه فيه هو واللي معاه بإنهم كان ليهم يد في تنفيذ محاولة اغتيالك، حبيت أعرف إذا كنت شوفته قبل كده واللا لأ يمكن ألاقي عندك معلومة ممكن تفيدنا

نجحت كلماته في جذب حواس "مجد" حتى أنه نهض من مكانه والتقط الصورة من يد "أمل" ليدقق فيها النظر من جديد، وقد أخذت عينيه تمسح كل مللي فيها، قبل أن ينهض "أمل" بدوره ويردف:

— المفروض إن الشخص ده موجود دلوقت في باب اللوق، وبينزل كل فترة والتانية في ميدان التحرير لأسباب لسه لحد دلوقت ما عرفنهاش

يبعد "مجد" الصورة من أمام عينيه، ثم يتطلع لوجه "أمل" وتتلاقى عينيهما وهو يقول:

— يمكن تكون إنت لسه ما عرفتهاش، بس قياداتك أكيد عارفة

— تقصد إيه؟

— أقصد إن المعركة دلوقت ما بقتش بين خير وشر زي زمان، لكن بقت بين ناس عايزة تشتغل مع الشر وتكسب من وراه، وناس عايزة تزيح الشر وتكسب بعد ما تزيحه، بس الأكيد إن كلمة الخير مبقتش واردة في قاموس الطرفين

يبتسم "أمل" ساخرا ثم يقول بلهجة ذات مغزى:

— عشان كده لازم يظهر طرف تالت، يحاول يحقق الخير على طريقته

يبتسم "مجد" بسخرية مماثلة قائلا:

— بالظبط كده، بس المشكلة إن الخير عند بتوع أمن الدولة هو الشر اللي مهمتهم إنهم يحاربوه ويمنعوه، أما الشر بالنسبة لهم، فهو الخير اللي لازم يساندوه ويقفوا جمبه وإلا البلد تفلت من إديهم

يرتسم الغضب على ملامح "أمل" وهو يقول:

— صعب جدًا على واحد ساب الداخلية من سنين زي حالاتك إنه ينظّر ويحلل وهو مش عارف حاجة

— والأصعب إن واحد شغال في جهاز كانت كل مهمته إنه ينكل بالناس اللي بتصلي ويراقب الجوامع ويقبض ع الناس في الفجر إنه يفرق بين الخير والشر

— الجهاز ده لما اتعطل شغله كام أسبوع المخربين دخلوا البلد وأمك كانت من بين ضحاياهم، والإسلاميين اللي بتدافع عنهم علّموا الناس الإلحاد بدل ما يوروهم طريق ربنا

— معاك حق، بس لما رجع يشتغل من جديد حط إيده ف إيد اللي كان بيحاربهم زمان وقال فيهم العبر، لمجرد إنه حس إنهم أقوى منه، زي العاهرة اللي بتنام على أي سرير مع اللي يدفع أكتر

تضيق عيني "أمل" ويضغط على أسنانه وهو يردد:

— إنت كده اتعديت حدودك، وأقسم لك إن حصانتك مش

هتحميك من خطر اللي بتقوله، مشكلتك إنت واللي زيك في السلطة القضائية إنكوا من كتر ما حكمتوا على الناس افتكرتوا إنكوا احتكرتوا الحقيقة والحكم على الصح والغلط، وإن مفيش مخلوق من سلطته إنه يحاسبكم، وقريب جدًا هثبت لك العكس

يقهقه "مجد" ساخرا قبل أن تكسو الجدية ملامحه وهو يتساءل:

– ويا ترى وجهة نظرك في بتوع السلطة القضائية دي كوّنتها منين؟ السيد الوالد؟

تتسع عينا "أمل" في صدمة شديدة وقد شعر أن الكلمات جاءت على الجرح بالفعل، قبل أن يضم شفتيه في مقت وهو يحرك نصف فكه الأسفل يمينا ويسارا، باذلا أقصى جهد لكبح جماحه، قبل أن يردف "مجد":

– في مثل ياباني بيقول لا جدوي من لافتة مكتوب عليها "لا تقطف الزهور إذا كانت الرياح لا تستطيع القراءة"، عشان كده الكلام دلوقت مالوش أي معنى، الريح خلاص جاية في الطريق واللي خايف على الورد بجد لازم يتصرف عملي ويبطل كلام، شرفت يا أمل

يتأمله "أمل" بغل شديد قبل أن يستطرد:

– عندك حق، مفيش فعلا أحسن من العملي

ثم ينصرف وهو يقسم بين نفسه أن يلقن "مجد" درس العمر

* * *

عندما مالت الشمس للمغيب في ذلك اليوم التاريخي، كان القدر يصنع أخطر عملية فوتومونتاج في حياة المصريين الذين تفرقوا في ميادين مصر ما بين مسيرات مؤيدة، وأخرى معارضة للإعلان الدستوري والدستور الجديد، شاشات الفضائيات تعرض صورة حية لملايين البشر الذين خرجوا للتعبير عن أرائهم في القاهرة، والإسكندرية، والمحلة الكبرى، وكفر الشيخ، ودمنهور، وأسيوط، والمنيا، وسوهاج، وغيرهم من محافظات مصر، فيما ارتبط ما يحدث في ميدان التحرير بما يتم عند قصر الاتحادية، وما يدور داخل مكتب الإرشاد، وكأنه فيلم سينمائي يقوم مخرج القدر بالتقطيع بين مشاهده في وقت واحد!

أمام مسجد النور بالعباسية

مسيرة ضخمة تتجه إلى قصر الاتحادية، وقد رفع المشاركين فيها لافتات مناهضة لدستور المرشد والإعلان الدستوري الجديد، وفي قلب المسيرة راح "الحسيني" يتحدث مع "براء" بلهجة ساخرة:

- امبارح دخلت اشتري علبة سجاير من كشك قاعدة فيه ست كبيرة موصّلة قدامها تليفزيون صغير، وزي ما إنت عارف حبيت أجس نبض الشارع عشان أعرف الحرافيش رايحين على فين،

بعد ما اخدت السجاير قولت لها لو سمحتي يا حاجة عايز ولاعة، إلا قولي لي يا بركة، أخبار الخطاب بتاع مرسي إيه؟

وكان ردها بدون تردد: ده راجل منسون

صدمتني الكلمة، فسألتها: يعني إيه يا حاجة؟!

قالت لي يا بني الرجالة بتتكلم كلام رجالة، مش تقعد تلقح على الناس من تحت لتحت و تجيب سيرة ده، وتطلع من سيرة ده تدخل على ده، ده راجل تربية فسحة وغاوي قاعدة نسوان فاضية، آدينا سمعناه وهو بيلت ويعجن لحد ما رفع لي الضغط والسكر منه لله.، واحدة ست في سني استفدت إيه من اللي قاله؟ لا بضاعة رخصت ولا علاج اتوفر للغلابة، وهصحى الصبح ألاقي طابور العيش زي ما هو، صح؟!

قولت لها صح

وخدت الولاعة وأنا مبتسم وبقول لها شكرا يا حاجة، الله يبارك في صحتك

قالت لي أوعى تكون معاهم، قولت لها أنا بالذااااات عمري ما كنت معاهم

قالت لي آه، أحسن دول بيضحكوا ع الشباب الصغير و يخلّوهم يعصروا لمون

أنا سمعت آخر جملة دي، ووقعت من طولي

يبتسم "براء" قائلا:

– مبارك لو كان دافع رشوة للتاريخ ما كانش هينصفه بسرعه كده وبالشكل ده، في حين اللي مسكوا البلد بقالهم كام شهر سكنوا مزبلة التاريخ بجدارة، لدرجة إني بدأت أحس إن مزبلة التاريخ بقت أكبر من التاريخ نفسه

ميدان التحرير

وسط مسيرة نسائية ضخمة تهتف ضد الاستبن والمرشد، همست "فاطمة" في أذن "رحمة" التي تتوكأ عليها:

– أنا حاسة بالذنب أوي يا رحمة عشان كدبت على حسيني ووعدته إني مش هنزل المظاهرات وفي الآخر نزلت من وراه

تبتسم "رحمة" من خلف نظارتها السوداء قائلة:

– ما هو لو كان صريح معاكي وواضح ما كنتيش كدبتي عليه، إنما هو حاول يشتغلك وقال إن المظاهرات مش هتغير حاجة ومفيش داعي للنزول، ومع ذلك نزل مع براء عند الاتحادية، بس أنا كان رأيي إنك تواجهيه أحسن، بدل ما تحسي إنك بتعملي حاجة غلط رغم إنك بتقومي بأعظم دور ممكن كلنا نقوم بيه لبلدنا في الوقت الحالي، إننا بنحافظ على هويتها اللي عايزين يمحوها

– مش هيقدروا لو وقفوا على شعر راسهم، قال وأنا اللي اديتهم صوتي في مجلس الشعب اللي فات، مش قادرة أفهم إزاي كنت حمارة ومضحوك عليا للدرجة دي

– محدش بيتعلم ببلاش يا فاطمة، المهم تاخدي بالك في اللي جاي

وفجأة تتسع عيني "فاطمة" في دهشة وهي تهتف في "رحمة":

– إيه ده بصي بصي بصي بصي

لترد عليها "رحمة" بعصبية:

– فيه إيه يا فاطمة ما انتي عارفة أني مش هعرف أبص

فتجيبها "فاطمة" بحرج وهي تتابع ظهور شباب ملثمين من البلاك بلوك يدخلون الميدان في مسيرة ضخمة جذبت أنظار شعب التحرير:

– آسفة، أصل فيه شباب كتير لابسين أسود في أسود، ومغطيين وشهم بأقنعة سودا وكل الناس حوالينا عمالين يصوروهم، مش عارفة مين دول ولا ناويين على إيه

قبل أن يصطك مسامع الجميع صوت طلقات نارية تنبعث من شارع "محمد محمود"

في محيط قصر الاتحادية

"براء" محمولا على الأعناق، هاتفا بحماس شديد وصوت عال يكاد أن يمزق أحباله الصوتية ويشرخ حنجرته بينما يردد الجميع خلفه:

– عليّ وعليّ وعليّ الصوت، اللي بيهتف مش هيموت

– أيوة أنا بهتف ضد المرشد، أنا مش كافر أنا مش ملحد

— عبد الناصر قالها زمان، الإخوان مالهمش أمان

بينما يتدفق على الجانب الأخر من محيط الاتحادية، أنصار ومؤيدي الرئيس بقيادة "صهيب البنجاوي" الذي يمسك بمنظار مقرب ويراقب حشود معارضي الرئيس بوضوح، قبل أن تقع عينيه على أخيه "براء"، وزميله "الحسيني" الذي يصور بدوره تدفق أعداد مؤيدي الرئيس، ويرى ملامحهم وتحركاتهم بوضوح من خلال ـZoom كاميرته الـ Canon 5D Mark 2، وما أن يرى "الحسيني" في الــZoom وجه "صهيب" حتى يشير له بعلامة النصر وهو يلوح له بيديه ساخرا، ليرى الأخير ذلك بوضوح ويدرك بمنظاره المكبر أن "الحسيني" يراه من خلال كاميرته، حيث التقت نظراتهما عبر العدسات!

في مكتب الإرشاد

جلس "جودت الناظر" أمام شاشة التلفاز المفتوح على قناة "الجزيرة مباشر"، متابعا تدفق حشود مؤيدي الرئيس في محيط الاتحادية، وبجواره صديقه وزميله في مكتب الإرشاد دكتور "محمد التاجي" الذي رن هاتفه المحمول ليظهر على شاشته اسم "عمر الجزيرة"، قبل أن يرد قائلا:

— أيوة سلام عليكم يا أخ عمر.. دلوقت حالا؟

ثم يبعد "التاجي" هاتفه المحمول عن فمه، ويهمس سريعا لـ"الناظر":

— الجزيرة عايزيني أعمل معاهم مداخلة

فيشير له "الناظر" أن إفعل، فيبتسم "التاجي" قائلا في المحمول:

— زي بعضه يا أخ عمر، بس يا ريت تبلغ المذيعة في الـEarpiece إن المداخلة ما تزيدش عن 5 دقايق عشان عندي اجتماع مهم.. تمام

تمام.. بارك الله فيك

قبل أن تقول المذيعة على الشاشة:

— ومعنا عبر الهاتف، مداخلة تليفونية مع الدكتور محمد التاجي عضو مكتب الإرشاد، أهلا وسهلا بك سيدي، ونود أن نعرف ما تعقيب سيادتكم حول وصول المتظاهرين المعارضين للرئيس إلى محيط قصر الاتحادية، ولجوء بعضهم إلى العنف وإلقاء زجاجات المولوتوف، فيما يحاول البعض الأخر تسلق أسوار الاتحادية واختراق القصر

— نعم سيدتي، البعض يحاول بالفعل اختراق القصر واسقاط الدولة المصرية وتعطيل مسيرة الديموقراطية التي بدأنها بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير، لكن هؤلاء لا يمكن أن نسميهم ثوارا بأي حال من الأحوال، وإنما هم مجموعة من المرتزقة الذين يحركهم أذناب النظام البائد، بالإضافة إلى مجموعة من المسيحيين الذين يرفضون الدستور الجديد بتحفيز وتوجيه من الكنيسة المصرية التي انسحبت من اللجنة التأسيسية للدستور بإرادتها رغم محاولتنا المستميتة لاسترضائها، ومن هنا أعلنها أن حماية القصر الجمهوري من اختصاص القوات المسلحة والحرس الجمهوري ووزارة الداخلية.. لكن.. إذا الأجهزة المسئولة ما قامتش بواجبها، وتم اختراق القصر الجمهوري سندافع عن الشرعية بدمائنا جميعا، وستكون ساعة الصفر اللي الشعب كله هينزل من بيوته، من مَرسَى مطروح لأسوان والنوبة، ليكنس كل المتآمرين على هذا الوطن

في محيط قصر الاتحادية

لا زال "الحسيني" يصور حركة مؤيدي الرئيس قبل أن يلمح أحدهم وهو يسحب أجزاء مدفعه الرشاش فيهتف في "براء":

— أوبااااا، ألحق يا معلم دول معاهم رشاشات وشكلها كده

يهم "براء" بالتقاط الكاميرا منه ليرى المشهد بنفسه، إلا أن هاتفه المحمول يرن فجأة فيضعه على أذنه مجيبا:

– آلو

بعقد حاجبيه ثم يصرخ بشدة غير مصدق نفسه:

- **إنت بتقول إيه؟ أمتى حصل الكلام ده؟ طب أنا جاي دلوقت حالا**

قبل أن يغلق هاتفه المحمول ويردد بعين باكية:

– لا إله إلا الله، لا إله إلا الله يا ولاد الكلب يا أوساخ

فيصيح فيه "حسيني" بتوتر وقلق:

– في إيه يا براء؟

ينتحب "براء" وهو يلتفت إليه قائلا بصوت باكي:

– قتلوا جيكا يا حسيني ف شارع محمد محمود

وما أن غادرت الحروف الأخيرة لسانه، حتى شعر أن قدميه لا تقوى على حمله ليهم بالسقوط أرضا، قبل أن يحتضنه "الحسيني" في حب أخوي وعاطفة صادقة ليزيح عنه ألامه قائلا:

– أمسك نفسك يا صاحبي، اللي زي جيكا ما يتزعلش عليهم لأنهم ماتوا رجالة، وزمانهم دلوقت في مكان أحسن، الدور والباقي ع اللي المفروض يجيب حقهم ويكمل اللي بدأوه، يا نجيب حقهم يا نموت زيهم

إلا أن نقطة خضراء من أشعة الليزر سقطت على ظهره خلف موضع القلب مباشرة وهو يحتضن "براء"، قبل أن يحل محلها في اللحظة التالية طلقة جبانة غادرة جعلته يصرخ بشدة، قبل أن ينهار جسده الثقيل الضخم فوق جسد "براء" ويسقط كلاهما أرضا،

ومن مكانه وقف "صهيب" حاملا قلم ليزر صائحا في صديقه الممسك ببندقية قناصة:

– الله ينور عليك، آدي تاني كلب في الليستة

فيبتسم صديقه هاتفا بدوره:

– يا مسهل يا رب

وعلى الجانب الآخر التف العشرات حول "براء" و"الحسيني"، بينما احتضن الأول رفيق عمره وهو يصرخ في رعب، وقد هالته الدماء التي تخرج من فمه، وظهره كطوفان لا تسعه الأرض:

– حسيني، رد عليا يا حسيني، "**ينتحب صوته أكثر وينهار تماسكه وهو يبكي بحرقة أم على وليدها**" ما تبقوش إتنين في يوم واحد أبوس إيدك، لو مصمم تروح خدني معاك، مش عايز اعيش ولا أكمل أي مشواااااااااار

إلا أن "حسيني" يفتح عينيه بصعوبة وقد غزا الموت ملامحه الهزيلة وهو يردد بصوت مبحوح كدجاجة مذبوحة:

– أمانة عليك ما تخليهمش يكتبوا تحت صورتي في الفيس بوك Rest In Peace، عمري ما فهمتها وبحس إنها فال وحش ع الميت

ثم تذبل عينيه ويختفي منها نور الحياة، بينما لا زالت ابتسامته الواهنة مرسومة على وجهه الميت، فيريح "براء" رأسه على الأسفلت في احترام، ثم يغلق عينيه وهو يذرف المزيد من الدموع، قبل أن ينهض بتأهب وينظر تجاه الحشود المؤيدة لمرسي، صارخا بكل ما أوتي من قوة:

– يا ولاد الكلاااااااااااااااااااااااااااااب

قبل أن يجري بأقصى سرعته وعزمه تجاه حشد المؤيدين وسط

دهشة المتظاهرين المعارضين للرئيس من جرأة وإقدام هذا الشاب ذو القلب الميت، ليتشجع بعضهم ويلقي المزيد من زجاجات المولوتوف وقنابل المونة على مؤيدي الريس.

ومن جانبه قام الطرف الأخر من مؤيدي الرئيس بالرد على الطرف المعارض بالخرطوش والبنادق الألية ليشتعل الموقف ويتحول إلى مذبحة، قبل أن يصبح "براء" في ظرف ثوان معدودة بين المؤيدين ويحدث الاشتباك وقد فقد عقله وصوابه

في مكتب الإرشاد

لا زال "جودت الناظر" يتابع أحداث الاتحادية عبر قناة "الجزيرة"، قبل أن يتلقى مكالمة هاتفية من اللواء "ماجد بهجت" رئيس مباحث الأمن الوطني، فيجيبه مسرعا:

– أيوة يا سيادة اللوا

– أيوة يا مولانا، المتظاهرين هما كمان طلع معاهم أسلحة وقتلوا ناس من عندنا، وللأسف زي ما سيادتك شايف قوات الحرس الجمهوري اتخلت عن القصر، ووزير الداخلية أمر قوات الأمن المركزي تسيب المكان، عشان كده فضيلتك أنا شايف إن رجالتنا لازم يوروهم العين الحمرا وإلا القصر هيتم اقتحامه خلال ساعات

تضيق عيني "الناظر" قبل أن يجيب بحسم:

– نفذ يا بهجت، وبالمرة خلي رجالتك تتعامل في التحرير زي ما طلبت منك

في مكتبه بجهاز الأمن الوطني، يتراقص شبح ابتسامة على وجه اللواء قبل أن يقول بسعادة:

– تمام فضيلتك، أنا تحت أمر معاليك عشان بس تعرف مين اللي ولائه ليكم بجد، ومين اللي الكرسي مش على مقاسه وما يستحقوش من أصله

في شارع باب اللوق

الرائد "مجدي" يجلس في سيارة ملاكي مرتديا ملابس مدنية، وهو يتحدث مع المقدم "أمل" عبر سماعة البلوتوث التي يرتديها قائلا:

– ما تقلقش يا فندم، زي ما حضرتك توقعت، الضجة اللي عاملاها المظاهرات اللي مالية الميدان سهلت علينا المهمة ومحدش حس خالص بقواتنا اللي دخلت الشارع بلبس ملكي، الإرهابي اللي رصدناه هو واللي معاه دلوقت تحت إدينا، وكلها دقايق والقوات هتقتحم الشقة وتقبض عليهم، تقدر تعتبر أمرهم منتهي

يأتيه صوت "أمل" مشحونا بالانفعال:

– طب والأمانة التانية؟

يبتسم الرائد "مجدي" وهو ينظر لشاشة صغيرة في سيارته يظهر عليها "مجد" وهو يجوب الميدان باحثا بعينيه عن ذلك المشتبه به في قتل والدته، قبل أن يجيب:

– برضه صدقت توقعاتك، الظاهر إن الطُعم اللي رميتهوله جاب نتيجة، وفيه فريق دلوقت ملازمه زي خياله وبيصور كل هفوة بيقوم بيها

في ميدان التحرير

تتجه "رحمة" بخطوات مسرعة نحو شارع «محمد محمود» وهي تتوكأ على زميلتها "فاطمة" لاستكشاف أصوات ضرب النار التي صكت مسامعهما من هناك، فإذا بمجموعة من شباب 6 أبريل يحملون جسد "جيكا" الذي تغرق الدماء وجهه، ليضعوه بسرعة في إحدى سيارات الإسعاف، قبل أن يتوافد شباب مجموعات البلاك بلوك ليسأل أحدهم صديق "جيكا" الذي يحمله:

— ده ماله ده؟ إيه اللي حصل له؟

فيجيبه صديق "جيكا":

— اتضرب عليه نار من ناحية وزارة الداخلية

فيصرخ فرد البلاك بلوك غاضبا:

— يعني مفيش فايدة في الداخلية الوسخة؟ طب وحياة دين أبوهم لنعلمهم الأدب بييجي منين

ثم يخرج من طياته زجاجة مولوتوف يشعلها وبالمثل يفعل باقي زملائه ليصيح أحدهم وهو يجري مخترقا الشارع في اتجاه وزارة الداخلية:

— يالاااااااااا

فيردد الجميع خلفه وهم يخترقون شارع «محمد محمود» في إتجاه الوزارة ومعهم قنابل الملوتوف:

— الداخلية هي هي، الداخلية بلطجية

قبل أن تنهمر على الميدان فجأة قنابل الدخان المسيلة للدموع، لتملأ المكان رائحة نفاذة وأصوات السعال، بينما يجري المتظاهرين هنا وهناك وقد اختنقوا من التأثير القلوي لغازات القنابل التي أخذت تنهش في وجوههم ورئتهم، حتى أن "فاطمة" سقطت مختنقة وهي تسعل بشدة عند ناصية شارعي «القصر العيني» و«محمد محمود»، لتفلت يد "رحمة" وتتركها بمفردها وقد مدت يدها للأمام في عجز تام باحثة عمن يساعدها، قبل أن تنهض "فاطمة" بصعوبة وتحاول الإمساك بها، وفجأة إذا بطوفان بشري من الشباب يمسك بكلا الفتاتين ليفصلونهما إلي دائرتين.

وفي دائرتها لم تدرك "رحمة" في البداية أي شيء،لم تفهم ماذا يحدث، ولا من هؤلاء، ثم بدأت تصرخ بشدة مع إحساسها بالمئات من الأيادي التي تجردها من ملابسها وتخترق جسدها بكل وحشية، حاولت أن تستغيث بمن ينقذها أو يساعدها، ثم اكتشفت أنه لا سبيل للنجاة، فثمة أصوات تتردد في إذنيها: «ما تخافيش إحنا معاكي، مش هنخلي حد يلمسك»، لكن ما كانت تشعر به أن دوائر الشباب القريبة منها والملتصقة بجسدها تغتصبها بالأصابع من الأمام والخلف، بل وأحدهم كان يقبلها من فمها!

في ظرف ثوان معدودة أصبحت عارية تماما لتشعر بلفحة من البرد مختلطة بأنفاس حارة تلهب جسدها، وترى بأذنيها تفاصيل يترجمها عقلها لذئاب بشرية ذو وجوه قبيحة تهتك عرضها بالتقسيط رويدا رويدا!

الكتلة الملتفة حولها تدفعها إلي الممر المجاور لمطعم «هارديز»، وكلما تحاول أن تصرخ وأن تدافع عن نفسها أو على الأقل تستنجد بمخلص كانوا يزيدون من عنفهم واغتصابهم.

حاولت أن تركض نحو اللا شيء فوقعت في مياه المجاري الموجودة أمام «هارديز» وأدركت في هذه اللحظة أن في الوقوع موتها، فقررت أن تحافظ على هدوئها طالما الصراخ يتبعه عنف أكبر، وحاولت أن تبقى واقفة تتشبث بأكتافهم وأيديهم التي تخترقها وهي لا تراهم، ليعيدوها مرة أخرى إلى الممر بجوار «هارديز»، لتقع مرة أخرى في بلاعة المجاري ذاتها وقد أصبحت عارية تماما. قبل أن يدفعها الزحام نحو مدخل عمارة مغلق، يقف خلف بابه بواب يغلق الباب جيدا.

حاولت أن تتشبث بالباب لتمنعهم من اصطحابها نحو أي مكان، فشعرت بجلباب البواب وصاحت فيه:

— أبوس إيدك أفتح الباب، **"ثم صرخت بأقصى ما لديها"**، أفتح بسرعة أرجووووووووووووووك، هيموّتوني

لكن الرجل هز رأسه في عجز دون أن ينبس ببنت شفة، قبل أن يحملها أحدهم بقوة صائحا:

— ناخدها وبعدين واحد واحد يا شباب!

وفجأة بدأت الكتلة البشرية تدفعها مرة أخرى في اتجاه خرابة مظلمة، في اتجاه معاكس للمستشفى الميداني، وقد فرغت طاقة مقاومتها واستسلمت لواقعها البائس بين أنياب ذئاب بشرية تنهشها وتستبيح كل ما هو خاص وسط نظرات ولمسات مليئة بالعنف، والشبق، والغريزة الحيوانية، حيث لا أحد قادر على إنقاذها من ذلك المصير المظلم الذي تطل منه على صفحة جديدة من حياتها التي ستكملها بدون غشاء بكارة، وداخلها كومة من العقد والكلاكيع النفسية، ونظرات معايرة وسخرية وأحيانا تلذذ من مجتمع سادي، مريض، لا يرحم ضحايا الشرف رغم أنه عاهر يرتدي ثوب الفضيلة!

في ميدان عابدين

صرخات مدوية تشعر أنها تخرج من امرأة ألقيت للتو في جهنم، تطلقها "فاطمة" التي انتهى بها المقام بالمثل وسط دائرة من الذئاب البشرية التي أخذتها إلى ميدان عابدين، واخترقت الأيادي فيها خلال مسافة الطريق كل ملليمتر في جسدها، لتفركه، وتداعبه، وتقبض عليه بقسوة، دون أن توقفهم الصرخات أو التوسلات، وقد ضبطوا أذانهم وضمائرهم على وضع الـSilent.

وما أن لاح ذلك المنزل القديم المهجور، حتى اقتحمته الدائرة البشرية وفي مركزها تلك الوجبة الطازجة التي استوت وصارت مهيأة للأكل

في محيط قصر الاتحادية في الجانب المؤيد للرئيس

يمسك "صهيب" "براء" من فروة رأسه بقسوة وعنف، وقد امتلأ وجهه بالدماء التي تنزف من مواضع شتى، وقد تم تعرية نصفه الأعلى من الملابس لتنتشر على كتفيه وصدره وبطنه الكدمات والسحجات، وسط عشرات شباب الإخوان الذين يصورون ما يحدث بكاميرات الموبايل، ثم يصفعه بقوة قائلا:

— لو ما نطقتش واعترفت مين اللي باعتك هنا أنا همشي وأسيبهم يتعاملوا معاك، وساعتها هتتمنى إني كنت أبقى موجود عشان أحوش عنك عذاب مفيش بشر ممكن يتحمله

ثم يهوى بصفعة أقوى وأشد تنكيلا صارخا فيه:

— مين اللي باعتك هنا وقبضت منه كام؟

ينهج "براء" ويشعر بالأرض تدور عكس اتجاهها، قبل أن يرفع عينيه بصعوبة ويقول:

— اللي بعتني هنا واحد ليه علاقة بالحزب الوطني

الجميع يهللون:

— الله أكبر

ثم يتابع "براء" بضعف:

— ياما عمل معاهم صفقات وحط إيده في إديهم عشان الانتخابات

ثم ينظر لعيني "صهيب" ويستطرد ساخرا:

— واسمه حسن البنجاوي

أحد الشباب المؤيد للرئيس يصيح دون فهم أمام كاميرات الموبايل التي تسجل الموقف تمهيدا لرفعه على اليوتيوب:

— والله واتكشفتوا يا بتوع الحزب الوطني يا أوساخ، اسمع فضيحتك يا بنجاوي الكلب بعد ما الخروف بتاعك وقع، وحياة أومك لهنجيبك من بيتك إنت وكل الكلاب اللي بيتآمروا على البلد

والدين

يبتسم "براء" ساخرا رغم ألامه، في حين تبرق عيني "صهيب" حتى يكاد أن يتطاير منها الشرر، ثم ينقض على أخوه ليلكمه بأقصى قوته في وجهه، ثم يعقب اللكمة بأخرى في بطنه لينحني "براء" في ألم، قبل أن يضم "صهيب" يديه ويهوى بهما على مؤخرة رأسه ليفقده الوعي، ثم يصيح في الحضور:

— فيه مين تاني مسكناهم وعايزين تستجوبوهم؟ أنا عايز أربي الكلاب دول بنفسي نفر نفر

في ميدان عابدين

ما أن انتهى آخر الذئاب البشرية من اغتصاب "فاطمة" في ذلك البيت المهجور، حتى أخرج مطواة دسها في مهبلها ليشجه بعنف حتى بلغت المطواة فتحة الشرج، لتطلق صرخة مكتومة من تحت تلك القماشة التي أغلقوا بها فمها، بينما يردد الذئب بصوت ساخر:

- سامحينا يا قطة، كان لازم نداري أثار الجريمة عشان ما تعرفيش تثبتي إن حد مننا عمل معاكي الصح

في مكتب رئيس مباحث الأمن الوطني

بنظرة مصاص دماء يستمتع بالتهام دم ضحيته، تابع اللواء "ماجد بهجت" ما تذيعه قناة الجزيرة مباشرة من قلب ميدان التحرير وهو يضع هاتفه المحمول على أذنه، لتظهر على الهواء تفاصيل اغتصاب "رحمة"، قبل أن يواصل حديثه في الهاتف المحمول مع "جودت الناظر" قائلا:

— وآدي فضيلتك طلبك التاني اللي أمرت بيه، الميدان خلاص اتشوه ومفيش حد بعد كده هيرضى ينزل بنته تاني هناك حتى لو رايحة مشوار مالوش أي علاقة بالمظاهرات، وكل الكتلة الصامتة من الشعب هتبص للميدان على إنه مكان للبلطجية والشمامين، **"يقهقه بسماجة ثم يستطرد"** أكيد فضيلتك طبعا بتتفرج ع الجزيرة دلوقت وشايف كل حاجة بنفسك

إلا أنه يبتلع باقي الكلام لتتسع عينيه فجأة مع ذلك المشهد الذي تنقله الشاشات لشاب وسيم يرتدي بذلة فاخرة ويقتحم بكل جرأة تلك الكتلة البشرية الممسكة بـ"رحمة" حاملا أنبوبة غاز مشتعلة أخذها من أحد الباعة الجائلين بالميدان، ليدب نيرانها في الوجوه والأجساد بلا تردد وعلى ملامح وجهه صرامة وغضب بلا حدود.

أحد المتحرشين يمسك به من الخلف ويحاول تكبيل حركته، فتسقط من يده الأنبوبة بشكل يحفز باقي الكتلة البشرية على الفتك به، إلا أنه يدفع رأسه للخلف ليحطم أنف المتحرش الذي يكبل حركته، قبل أن تطيح يده في لكمتين متتاليتين بأنف وفك متحرشين أخرين، في نفس اللحظة التي ترشق فيها قدمه اليسرى في خصية متحرش ثالث، قبل أن يمسك بالأنبوبة ويلقيها تجاه عدد من المتحرشين الذين يتقدمون نحوه لتشتعل النيران في ملابس ثلاثة منهم، قبل أن يخلع حزامه ذو الجزء المعدني الضخم ويصوبه بقلب ميت وبمهارة لا تخيب في وجوه من حوله بقوة وسرعة شديدة شقت صفهم وجعلتهم يتراجعون في قلق، قبل أن يتشجع باقي شباب الميدان على اتخاذ موقف، ليتحركوا نحو المتحرشين ويوسعوهم ضربا وركلا، بينما تقدم ذلك الشاب نحو "رحمة" العارية ليخلع جاكيت بذلته ويضعه على نصف جسدها الأعلى وهي تصرخ بآخر ما تبقى لديها من كرامة وشرف، قبل أن يربت على كتفها بصوت حنون يمتزج فيه الحنان بالصلابة قائلا:

— **ما تخافيش يا رحمة، أنا مجد**

فتتحسس يده وتتشبث بها كعصفور يختبيء في كهف دافيء

بعد أن كاد يموت بردا في الجليد، قبل أن يحملها ويسير بها نحو المستشفى الميداني ليأمر أحد الأطباء فور دخوله:

– ناولني بطانية بسرعة أغطي بيها البنت دي

الطبيب يلبي طلبه مسرعا، ويساعده على تغطية جسد "رحمة" العاري، دون أن يدري "مجد" أن هناك من يراقبه ويصور تحركاته بالفيديو لصالح جهاز الأمن الوطني، ولا أن موقفه البطولي تبثه الشاشات الآن على الهواء مباشرة عبر الكاميرات المثبتة في شرفات العمائر

وفي تلك الأثناء همت قوات الأمن باقتحام الشقة التي تقيم فيها العناصر الإرهابية المخربة، وما أن تم اقتحام منزل الشقة ودخول قوات أخرى من نافذة البيت حتى صك مسامعهم جيمعا صوت أزيز الكتروني يشبه صوت المنبه الرقمي، قبل أن يدوى في قلب شارع «باب اللوق» إنفجارا رهيبا جذب إليه انظار كل الحضور في الميدان، لينظر "مجد" و"رحمة" نحو لسان اللهب الذي طال السماء، بينما غادر الرائد "مجدي" سيارته وهو يتأمل ذلك الفخ الذي ابتلعته قواته وقضى على كل من فيها، بينما تراقص ألسنة اللهب

* * *

الفصل الثالث عشر

في مكتبه جلس وكيل النائب العام "أُبيّ البسطاويسي" وأمامه جهاز الـ I Pad الذي يعرض مقطع فيديو لأحد دعاة تيار الإسلام السياسي وهو يقول:

– شوية الجرابيع اللي قاعدين في ميدان التحرير اللي بيغتصبوا البنات، 30 بنت جردوهم من ملابسهم في ميدان التحرير، طبعا بنات واطية، هي رايحة هناك عشان كده، هي اللي قاعدة هناك دي لها أهل يلموها؟ مالهاش أهل يلموها، وشوية سفلة لصوصية مبرشمين، شوية كلاب قاعدين هناك مالهمش أي لازمة، هو مين اللي هناك يا عم؟ الفنانين والفنانات؟ ده واحدة من الفنانات اللي اسمها ليلى علوي حبت تعمل بطلة تنزل تقف وسطيهم في ميدان التحرير مرمطوها، كان فاضل لها تكة وتطلع من ميدان التحرير حامل، عشان تبقى فاهم يعني، بس، اتفرجوا ع الـنت وانتوا تعرفوا، شوية سفلة، شوية جرابيع لا ملة، ولا دين، ولا أي حاجة، وعشان كده أنا قولت مش هما دول اللي هيفرضوا إرادتهم علينا، هي المعركة دلوقت معركة تحدي، آه والله ما بين حق وباطل، عشان كده مش عايز بقى اللغة المايعة اللي أنا بسمعها بقى، أصل ممكن يعملوا، أصل ممكن يسووا، يا أخي ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض، يا راجل عيب عليكم أما تبقى شوية جرابيع زي دول هما اللي يخوفونا وهيقلقونا، أو هما اللي هيغيروا مصير البلد، أو هما اللي هيلووا دراع اللي بيحكمها، دي تبقى خلاااص، هزلت على رأي ولاد البلد، يبقى القوالب نامت والـ. دول حتى ما حصلوش أنصاص، والوساخات قامت، أنا بعلن بملء فيه أهوه، إن إحنا مفيش في نيتنا نأذي حد، لكن اللي هيرمش لنا هنخرم له عينه، ولن نسمح لأي كلب يتطاول علينا، إحنا نازلين

وعاملينها سلمية ناس محترمين، لكن وقت الجد، بالبرطوشة

قبل أن يقطع استماعه للفيديو صوت طرقات على الباب فيضغط على شاشة الـ I Pad ويوقف العرض، في حين يدخل عسكري يصطحب معه طفل صغير ذو ملامح بائسة تدل على أنه أحد أطفال الشوارع قائلا:

– المتهم عمر أحمد عمارة يا فندم

فيجيبه "أُبيّ" بلامبالاة:

– طيب روح هات لي واحد شاي سكر زيادة

– تحت أمرك يا فندم

وما أن ينصرف العسكري، حتى يخرج "أُبيّ" سيجارة من علبة سجائره ويدسها في فمه، ثم تمتد يده لالتقاط ولاعته الذهبية الأنيقة التي تشعل السيجارة في ثوان كانت كفيلة لالتقاط نفس عميق، قبل أن ينظر للطفل بقرف قائلا:

– كنت بتضرب طوب على القصر الجمهوري ليه يالا؟

– ما ضربتش يا باشا، هما اللي ضربوا علينا نار ومسكوا صحابي فضلوا يعذبوا فيهم طول الليل

– هما مين دول؟

– الإخوان

– وطبعا إنت ما سكتش وحبيت تجيب حق أصحابك مش كده؟

يصمت الطفل ناظرا للأرض، فيتابع "أُبيّ":

– طب خد حق أصحابك بمولوتوف، بخرطوش، لكن رايح ترمي شوية طوب مش هيعملوا حاجة يا ابن العبيطة؟

ينظر له الطفل بدهشة شديدة، لكنه يلتزم الصمت حيث لا يعرف إن كان وكيل النيابة الشاب يعبر عن كراهيته للإخوان حقا، أم يستدرجه بذكاء، قبل أن يردف "أُبيّ":

– أسمع يا ابني، هما كلمتين عشان مش طالبة مناهدة كتير ع الصبح، لو كنت ضربت الإخوان بجد هسيبك تطلع من هنا، هتمثل وهتعمل نفسك ملاك ما غلطش في حاجة وديني ما إنت شايف الشارع تاني، ها، قولت إيه؟

– ضربتهم يا باشا بالطوب عشان شوفتهم بيضربوا الناس ويعذبوهم

ينظر "أُبيّ" إلى موظف النيابة الذي يجلس على يساره قائلا ببرود:

– وباستجواب المتهم تبين أنه حدث، وأنكر قيامه بأي أعمال عنف، كما تبين لنا أن التحريات الواردة بشأن واقعة ضبطه منقوصة وغير مكتملة الأركان، وبناء عليه قررنا نحن أُبيّ البسطاويسي إخلاء سبيله

الطفل يفتح فمه ليبدو كتيس صغير وهو يسأل:

– يعني إيه ده يا باشا؟

– يعني إفراج يا بغل، يالا أخرج خد حق أصحابك بس من غير ما حد يعرف يمسكك تاني، لو جيت لي تاني هنا مش هرحمك، مفهوم؟

– ....

– مفهوم واللا مش مفهوم؟

– مفهوم يا باشا

* * *

مع ارتفاع أذان الظهر لعنان السماء، تناثرت كاميرات الفضائيات في مسجدي "الأزهر الشريف" و"عمر مكرم" لنقل صلاتي الجنازة الخاصة بشهداء الإخوان، وشهداء الثورة، ليبدو المشهد سينمائيا

وعبثيا على شاشات التلفاز التي تبث وقائع ما يحدث.

الألوف هنا وهناك يبدو على ملامحهم الحزن والأسى، لتبدو الكآبة والدموع قاسما مشتركا بين كلا المشهدين، وكل طرف يؤكد أن قتلاه شهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

في مسجد "عمر مكرم" تراصت جثامين أدمنز الصفحات الثورية الذين تم اغتيالهم، مع عدد من جثامين النشطاء السياسيين الذين سقطوا بفعل طلقات رصاص حي، فيما امتلأ المسجد بزعماء المعارضة المصرية، وعدد من الرموز السياسية، وأهالي الشهداء، ورجال الإعلام والصحافة، ومصوري الفضائيات الذين صوبوا جميعا عدسات كاميراتهم نحو "فاطمة" التي بدت في إنهيار تام وهي تحتضن الصندوق الذي يرقد فيه جثمان "الحسيني" قائلة بنحيب شديد ولهجة تخرج من صميم قلبها الجريح:

— وحشتني من يوم يا حسيني، وحشتني من قبل حتى ما تفارقني وما أشوفش وشك الطيب تاني، كده برضه تمشي من غير ما نسلم على بعض؟ من غير ما أقولك لا إله إلا الله وتقول لي محمد رسول الله؟ "**يزداد نحيبها ليرتج معه صدرها ويهز حنجرتها بشدة وهي تردف بانهيار**" ده أنا لما صدقت إنك حسيت بيا وعرفت أنا بحبك قد إيه، لما صدقت إني لبست دبلة عليها اسمك وبقيت رافعة راسي في السما وحاسة إن ماحدش في الدنيا كلها قدي، تقوم تمشي قبل ما ألحق اتهنا بيك وأشبع منك؟ تمشي قبل ما نجيب بيبي ينام على السرير اللي اشتريته ليه وإنت بتقولي دي أول حاجة لازم نجيبها في شقتنا عشان أنا مستعجل على حتة عيل يبقى حتة مني ومنك؟ تمشي وأنا محتاجة لك تقف جمبي بعد اللي حصل لي في غيابك عني؟ يا ريتني سمعت كلامك وما نزلتش، وياريتك وفيت بوعدك وما روحتش، كنت بتضحك عليا وتقول إن نزولنا

مش هيغير حاجة، "**تبرق عينيها وتتجمد فيها الدموع وهي تأخذ نفسا عميقا ثم تردف**" لكن لأ يا حسيني، نزولنا هو اللي هيغير كل حاجة، أنا واللي زيي خلاص ما بقاش عندنا حاجة ممكن نخسرها، مبقاش عندنا حاجة ممكن توجعنا أكتر من الوجع اللي اتوجعناه، والوقت الجاي وقت تصفية الحسابات وأخد الحق، وهما اللي لازم يخافوا عشان عندهم حاجات كتير أوي لسه هيخسروها، وحياة روحك ودمك يا حسيني لهيدفعوا التمن غالي أوي، وكل ما أعمل فيهم كارثة أو مصيبة هستنى زيارتك ليا في المنام عشان أعرف إنك راضي عني، وتوصف لي إحساسك وإنت شايف حقك وهو بيتاخد

وإلى جوارها جلست "رحمة" بملامح جامدة بعد أن فقدت القدرة على البكاء والبوح!

نظرة عابرة على ملامحها الواجمة المصدومة كانت كفيلة بإنبائك أن وصلة المشاعر ودائرة الأعصاب لديها قد احترقت تماما حتى أنها أصبحت غير قادرة على الفعل أو رد الفعل!

صارت الحاضر الغائب في الحياة، كصفر على الشمال لا يغير القيم، ولا يؤثر على الأرقام.

وفي نفس التوقيت، وقف "جودت الناظر" إماما في صلاة الجنازة بجامع الأزهر الشريف، ليكبر تكبيرة الإحرام في الميكروفون وخلفه أعضاء مكتب الإرشاد وعدد من قيادات التيار الإسلامي السياسي وأهالي الشهداء لتلمع الدموع في عيني دكتور "محمد التاجي"، وتفلت من أعين عدد من قيادات الإخوان، قبل أن يصرح "محمد التاجي" بضيق أمام كاميرا الجزيرة بعد خروجه من المسجد:

— رحم الله كل شبابنا الشهداء، سواء الذين انتهينا للتو من الصلاة عليهم، أو الذين لم نتمكن من الصلاة عليهم نظرا لأن تيارات تطلق على نفسها صفة الثورية نسبتهم لنفسها وحسبتهم على معارضي

الرئيس رغم أنهم من الإخوان المسلمين، مثل الشهيد الصحفي الحسيني عبد اللطيف، والشهيد كريستي الذي ينتمي للجماعة هو وأسرته، وغيرهما من الشهداء، فيما لم تشهد الحشود المعارضة للرئيس سقوط أي شهيد أو قتيل مما يوضح الفارق الشاسع بين كلا الفريقين، ويظهر من الذي على حق، ومن الذي على باطل

وفي محيط الاتحادية، سار عدد من شباب الإخوان فيما يشبه المارش العسكري بعد الفتك بمعارضي الرئيس وفض اعتصامهم وتكسير خيامهم، ليردد الجمع الإخواني بفخر وثقة:

— عزيمة، إيمان، مرسي بيضرب في المليان

بينما أخذ البعض يستعرض محتويات خيام الثوار ويصورها بالموبايل، ليظهر أمام الكاميرا شاب إخواني ممسكا بعلبة جبنة قائلا:

— حمدين صباحي والبرادعي، البرادعي الكلب الخاين، أمريكا وأوربا، شوية الخونة اللي كانوا قاعدين هنا، جبنة نستو يا معفنيييين

وفي إحدى المستشفيات رقد "براء" عاريا وهو فاقد الوعي، وقد تم توصيل جسده بالمحاليل والأجهزة الطبية، وإلى جواره جلست "رحمة" شاردة الذهن منعدمة الحيلة، فيما وقف حوله مجموعة من المصورين لتسطع فلاشات كاميراتهم على جسده المستسلم حيث لا حول له ولا قوة، قبل أن تصبح صورته في جريدة يمسكها عم "رحمة" في صالون منزله وهو يتحدث مع "مجد" بأسى:

— آدي اللي خدوه من الصحافة والنضال، واحد بين الحيا والموت والتانية بقت عايشة ومش عايشة، اللي إنت عملته يا إبني مع رحمة هفضل طول عمري شايلهولك فوق راسي، بس بستسمحك تكمل جميلك، أنا كلمت الدكتور طه أبو العزايم، باعتباره صاحبي وواحد من أشطر الدكاترة النفسيين في مصر، ونصحني إني لازم صديق مقرب منها يقف جمبها في المحنة دي، وللأسف براء زي ما إنت شايف، وفاطمة ربنا يتولاها برحمته، وأخوها مالك في أمريكا، **"تدمع عينيه ويتابع:"** بنت أخويا بتضيع مني يا مجد ومش قادر أعمل لها حاجة

يطل كل منهما على "رحمة" من خلال نصف فتحة باب غرفتها الموارب ليشاهداها وهي تعزف على الكمان لحن When Darkness Falls لـ Secret Gardens، وقد صارت ملامحها صورة حية لتجسيد البؤس والانكسار، فيما يواصل العم كلامه:

— من اليوم المشئوم وهي واخدة البيانو والكمان في أوضتها وعمالة تعزف ألحان عجيبة ورافضة الكلام مع أي حد، حاولت أطبطب عليها وآخدها ف حضني صرخت فيا، وبعدين عرفت من الدكتور إن اللي بيتعرض للاغتصاب أو التحرش ما ينفعش حد يلمسه لأنه بيبقى خايف من كل الناس، ومش طايق أي لمسة على جسمه، وقال لي كمان إني المفروض ما أعرّضهاش لأي زحمة من البشر، وأبعدها على قد ما أقدر عن التليفزيون والانترنت اللي ممكن تسمع من خلالهم أي موقف مشابه للي مرت بيه، ده غير إني ما ينفعش أسألها أي سؤال ليه علاقة بالواقعة والمفروض اكتفي بسماع اللي هي عايزة تحكيه في أي وقت من غير ما استفسر عن أي تفاصيل، دي أهم النصايح اللي لازم تعرفها، حاول يا ابني تعمل حاجة يمكن ربنا يجعل على إديك الشفا.

وداخل غرفتها، واصلت "رحمة" العزف الحزين اليائس بحركات عصبية عنيفة بعصا الكمان التي أخذت تحركها في كل الاتجاهات، قبل أن تلتقط إذنيها صوت خطوات غريبة تتجول بنعومة ورفق في غرفتها، شأن كل كفيف عوضه الله بزيادة حاسة السمع عن غياب حاسة البصر، قبل أن تميز هوية صاحب تلك الخطوات وتدرك أنه

"مجد"، وعندها فقط توقفت عن العزف، وسكنت ملامحها الثائرة، غير أنها تجمدت في مكانها ومات على شفتيها الكلام، لتكتفي بالترقب والإنصات لشيء جديد من المفترض أن يتم.

ومن جانبه أخذ "مجد" يتأمل غرفتها الروز ذات التابلوهات الأنيقة التي تضم صور أبيض وأسود لسعاد حسني، وعبد الحليم حافظ، وصلاح جاهين، وأم كلثوم، ونجيب محفوظ، بخلاف شهادات التقدير التي تعانق تلك الصور على حائط الغرفة، بذوق عال وحسن اختيار يجعلك تحتار بشدة وتتساءل: كيف صنعت تلك التركيبة الساحرة فتاة عمياء، ليدور "مجد" في الغرفة حول نفسه ويرصد كل شبر فيها بإعجاب، قبل أن يجلس على الكرسي المواجه للبيانو، ثم ينظر لملامح "رحمة" البائسة وكأنها تمثال حزين تم نحته من الألم، قائلا لها بعينيه: أنا عارف دواكي، ثم يضع أصابعه برفق على مفاتيح البيانو ليعزف مقطوعة: It's Hard To Say Goodbye المنتشرة على اليوتيوب باسم Sad Piano.

ومع بدأ العزف، عادت الروح وبريق الحياة لعيني "رحمة" الميتتين، ولانت ملامحها المتجمدة لتنضم من جديد لعالمنا الذي كانت معزولة عنه، بعد أن دبت في أوصالها جرعة من المتعة جراء الاستماع لتلك المقطوعة التي تعتبرها واحدة من أجمل مقطوعات التاريخ، حيث تجلب مع سماعها أحزانا إيجابية تطرد باقي الأحزان المدمرة التي لا يمكن ترويضها أو الاحتفاظ بها داخل نفوس وأرواح البشر، وكأن علاج الأحزان أحيانا لا يكون إلا بالأحزان، وطرد الآلام لا يكون إلا بالألم، كصرخة ألم ممتعة في ممارسة جنس تطرد نيران الشهوة، وتأوه مؤلم داخل الحمام يطرد وجع البطن!

وبعد مرور 60 ثانية من بدء العزف، فوجيء "مجد" بصوت الكمان وهو يفرض نفسه على المشهد ويشارك بنغماته الحزينة، ليلتفت حيث تقف "رحمة" فإذا بها تحرك عصا الكمان يمينا ويسارا لتسير به على الأوتار في حزن، كأم تتحسس وليدها الذي مات للتو، وقد لمعت عينيها العاجزتين بالدمع، ليتشارك كلاهما في وصلة حوار حلت فيه الموسيقى محل الكلام، وتبدلت خلاله النبرات بالنغمات، لتصل المعاني الكاملة والأحاسيس الـ Pure من العقل للعقل، ومن القلب للقلب، عبر درجات السلم الموسيقي، بلا أي مصطلحات لغوية قد تكون عاجزة أو قاصرة في توصيل الفكرة وشرح المعني، والغريب أن كل منهما كان يسمع مكنونات نفس الأخر بكل وضوح، وكأنهما يمرحان في السماء كمخلوقين ينتميان لعالم الخلد حيث لا حاجة لمفردات وكلمات البشر!

وفي تأثر، سمع "مجد" صوت أوجاع "رحمة" عبر الأوتار، لتقول بعزفها مقالا موسيقيا تنبع كلماته من داخلها دون أن ترددها شفتيها:

" رغم أننا لم نلتق يومًا وجهًا لوجه، إلا أن كلانا يعرف الأخر جيدًا، حتى أننى أعتبره صديقى الأنتيم.

اعترف أن صداقتنا لا تشبه أي نوع تعرفونه أو سمعتم عنه من قبل في تلك العلاقات الإنسانية المستحدثة، التي أطلقنا عليها مجازًا "الصداقة الإلكترونية"، فصديقى المقرب لا يملك هاتفًا محمولا، وليس لديه حسابًا شخصيًا على الفيس بوك أو تويتر، كما أنه لم يقم يومًا بعمل بريد إلكترونى يتيح لي محادثته أون لاين عبر الماسنجر أو حتى إرسال أهم ما يجول بخاطرى إليه عبر البريد، وهنا تكمن عظمة وجمال تلك الصداقة التي ليس لها مثيل

لعلك ستندهش مثلى تمامًا، لكنها تلك الحقيقة التي تفوق في غرابتها الخيال حيال صديق لم تراه يومًا، لكنه يثبت لحظة تلو الأخرى، وموقف يلو الموقف أنه الأقرب إليك من أقرب المقربين،

لازلت بعد كل تلك السنين أتذكر كيف قادتنى الحماقة أنا وباقى الرفاق في خوض مغامرة مجنونة أقدمنا فيها خلال الطفولة على ركوب الخيل في حقول القرية تحت السيول الضارية، قبل أن تتحالف ضدنا الطبيعة وتنقلب الخيل علينا في لحظة نادرة خالفت فيها طبيعتها الأليفة لتتحول إلى عدو يود لو يفتك بمن يعتليها، دون أن يجروء أحدنا على التحكم في مساراتها ووجهتها، لأكتشف في النهاية أننى أنا وصديقتي التي تقود الفرس وحدنا في جوف الليل نمتطي حصانا أحمقا اختلف رد فعله عن باقى أقرانه، وقرر الإنتحار بالموت بردًا في مكانه دون أن يتحرك قيد أنملة.

لم يتأخر عنى صديقى الحقيقى الذي أحاط بما ألم بى، وقرر التدخل في لحظة اختفى فيها من حولى باقى الأصدقاء الذين كنت أظنهم حقيقيين، ليأمر الخيل أن يتحرك ويذهب بى أنا وصديقتي إلى الطريق السليم فإذا به ينصاع للأمر فجأة ويسير بسرعة هادئة لا تهددنا بالسقوط من فوق ظهره، ليصل بنا في النهاية إلى الواجهة الصحيحة، ونكتشف أن باقى الأصدقاء الذين تركونا بمفردنا لم يعودوا بعد، لأكون أنا وصديقتي البائسة سببًا في العثور عليهم وإنقاذهم!!

وقتها توقفت عن طلبى اللحوح بأن يشترى صديقى موبايل حتى أصل إليه وقتما احتاجه، بعد أن تيقنت أنه يحمل محمولًا من نوع أخر لا يتقيد استشعاره وبلوتوثه بمجال وقيود !!

صار الإتصال به معجزة المعجزات رغم بساطة الفكرة، وصارت متعة الحديث إليه لاتدانيها متعة، رغم أنى لا أحفظ رقمه، ولا أسمع صوته، لكن لا بأس من الـ S.M.S الفريد من نوعه بينه وبينى باستمرار ليمليني النصائح والإرشادات بشكل غير مباشر.

كم أنت جميل أيها الصديق العظيم، لا أصدق كيف منحتنى هذا الشرف رغم ضآلة حجمى ووضعى إلى قدراتك العظيمة، وقوتك التي لا تحتويها الحدود، حتى أننى أتساءل لحظيا لماذا تتواضع وتصادق ضعيفة مثلى؟

أتذكر كيف تمنيت وحلمت أن أكون صديقة لرئيس الجمهورية، وذهبت يومًا للقصر الجمهورى لعل الحظ يتبسم وأحظى بموعد أقابله فيه لأعرض عليه أفكارى وأحلامى التي تفيد البلاد، لكنى تيقنت في النهاية أن الصابونة هي الخيار الوحيد الذي يمنحه القصر الجمهورى لزائريه من الشعب!!

أتذكر كيف تخيلت يومًا أن يكون عمرو دياب صاحبى الأنتيم فيمنحنى آخر ألبوماته قبل طرحها في السوق، وعددًا لا بأس به من بوستراته الموقع عليها بخطه، وإنفرادى بمعرفة أحدث أخباره، دون أن يبخل علىّ بركوبة معه في سيارته الفاخرة وأنا أتفاخر بأن هذا الميجا ستار صديقي، ليتهافت الجميع على صداقتى أملًا في تحديد موعد لهم مع الهضبة، دون أن أتمكن حتى في النهاية من مقابلته لأعطيه أغنية كنت قد كتبتها له خصيصًا وتمنيت لو أهديتها له دون إنتظار مقابل مادى ولا معنوى، لأتبين في النهاية أن النجوم تحب أن تسمع صوت عشاقاها فقط من أعلى المسرح!!

كل الكبار يا صديقى الحبيب يمنحون محبيهم نفس "الصابونة" الشهيرة بدءًا من القصر الجمهورى إلى أقل نجم من النجوم، فضلًا عن باقى أنواع البشر في دائرة معارفنا من الأهل والجيران والأصدقاء، لكنك لم تمنحنى سوى كل خير على امتداد معرفتى بك

لن أقل أنك دومًا تتذكرنى لأنك لم تنسانى لحظة، بينما غبت أنت عن بالى وتفكيرى لأوقات طويلة،

دائمًا ما كنت ترسل لي أرقى الهدايا والأحلام على طبق من ذهب، دون أن تنتظر منى مقابل وأنت الأعلم بضيق حالى، وفقرى، وذلى،

وهواني على الناس

أتذكر كيف كنت أتصل بك في أحلك المواقف، بأوقات متأخرة من الليل، وسط هطول الأمطار والجميع يتنعم بالدفء تحت الفراش دون أن يجروء مخلوق على إيقاظهم ليسألهم أو يطلب منهم، بينما كنت أنت دومًا في إنتظارى دون أن تكل أو تتململ، لتمنحنى رأيك الذي لا يخيب، وقدرتك اللامحدودة

صرت بك قوية، وحققت معك ما لم أحققه مع السيد الرئيس، ولا عمرو دياب، لأتيقن أن صداقتى لك لا تقارن بأي صداقة أخرى في الكون قد تنتهى في لحظة غابرة بنفس الصابونة!!

صديقى العزيز..

سامحنى، لقد عصيت أمرك ولم أنتبه إلى نصيحتك الغالية، وصرت رفيقة لعدوك الذي طالما نبهتنى أنه عدوى أنا أيضًا..

أقنعنى بخبثه ودهائه أن ما صرت عليه من قوة استمددتها منك، ونعمة أسبغتها علىّ، هي من صنع يدى دون أن يكون لك فضلًا فيها ولا نعمة

ذقت معه لذة التحرر من القيود، ومتعة إسكات صوت الضمير القابع داخلى ليحسرنى على أفعالى وأقوالى، ومع الوقت أقنعنى رفيق السوء أن صديقى الطيب ما هو إلا شخص يود لو قيد حركتى، وخنق حريتى في وصلة أوامر ونواهى لا تنتهى حتى يشعر داخله بلذة التحكم في حياتى، وجعلنى مثل الجرذ الحقير الذي يجرى طوال الوقت داخل حواجز بناها حوله سيده في لعبة إختبار الذكاء!!

صدقت رفيق السوء وقررت ألا أكون جارية، لتنقطع علاقتى بصديقى الأنتيم، وأنا أكسر كل الحواجز وأتخطى كل الحدود..

صرت أشعر في نفسى بأننى إله صغير يكاد أن يقول للشيء كن فيكون، فأنا الذي أملك المال لأشترى ما أريد، وأنا الذي في يدى السلاح لأسحق من أبغض، دون أن أفطن أن صديقى الطيب هو صاحب الفضل في تسخير كل تلك اللعب الصغيرة في خدمتي

ها أنا الآن أعود إليك نادمة، حزينة، باكية، بعد أن ضحيت بأعظم صداقة في الكون، في حين منحنى رفيق السوء نفس الصابونة إياها التي تلقيتها من البشر!!

ها أنا أجرى إتصالى المعتاد بك وخطك مفتوحًا دائمًا لا تطل علىّ منه تلك الرسالة المقززة التي تعلن في تحدى بغيض مغلف بذوق مصطنع أنه قد "نفذ رصيدكم"، إذ أنك عودتنى أن أتصل بك دومًا على حسابك ومن رصيدك الذي تحول إلىّ منه كل يوم، وكل ساعة، وكل لحظة المدد والتغطية لكيلا أنفصل عنك وأتوه في صحراء كونك الشاسع، لكننا بجهل منا وغباء تقدره جيدًا فينا اعتدنا على نزع الشريحة ورغم ذلك لم ننجح في الإختباء منك"

يتأملها "مجد" بتأثر بعد انتهاء همس خواطر عقلها، لتلتقي عينه بعينيها ويسألها بموسيقى البيانو:

"إنتي كنتي بتكلمي ربنا؟"

فتمطر عينيها وهي تجيبه بنغمات الكمان:

"أيوة، تخيل إني زعقت له واتكلمت معاه بشكل مش كويس لما حاولوا يغتصبوني، رغم كل اللي عمله معايا؟ فكرت بس في اللي جرحني ونسيت إني على الأقل مديونة له إنه بعتك ليا في الوقت المناسب قبل ما يحصل لي اللي حصل في فاطمة أو حسيني الله يرحمه، أنا مش حزينة على اللي جرالي قد ما حزينة إني إزاي أجحد بنعمته عليا وأتخطى حدودي معاه للدرجة دي"

يبتسم وصوت نفسه يتردد عبر الموسيقى:

"تخيلي لو حصلت معجزة وقدرتي تسمعي صوت النمل وتفهمي لغته، ولاقيتي نملة واقفة بتزعق لك ونازلة فيكي شتيمة، هتعملي إيه ساعتها؟"

"هضحك ومش هعمل لها حاجة لإني عارفة كويس أنا إيه وهي إيه"

"طب ولو لاقيتيها بتشتم نملة زيها وبتفتري عليها؟"

"ساعتها بس ممكن أفعصها"

يبتسم مجددا وصوت نفسه يتابع:

"أظن الإجابة وصلت"

تبتسم بدموعها وهي تتحرر من أحزانها وألامها للحظات تمنت فيها لو احتضنته وذاب الكون كله من حولهما، بعد أن وجدت فيه الدواء الإلهي الذي أرسلته السماء لشفاء روحها الكسيرة، في حين وقف العم من بعيد يراقب بدهشة ملامح إبنة أخيه وقد تبدلت تماما وصارت البسمة تعرف الطريق إليها، وهو لا يدري كيف نجح "مجد" في كسر حصارها النفسي رغم أنه لم ينبس ببنت شفة، إلا أن الخوف راوده فجأة وهو يتأمل ضحكتها متذكرا مقولة نجيب محفوظ:

عندما تتكاثر المصائب يمحو بعضها بعضًا،
وتحل بك سعادة جنونية غريبة المذاق،
وتستطيع أن تضحك من قلب لم يعد يعرف الخوف!!

وقبل أن تنعم نفس العم بالهدوء والسكينة وهو يرى البسمة تعود من جديد لملامح إبنة أخيه، ألقى "مجد" قنبلته التي أعادت القلق والتوتر للمشهد حين قال لـ"رحمة" وهو يهم بالإنصراف:

– بالمناسبة يا رحمة، إنتي كنتي حاولتي من فترة تعملي تصريح زيارة للقاضي المرتشي اللي سجنته هو وقابيل الهراس بس الإجراءات خدت وقت، مظبوط؟

– مظبوط

يبتسم وهو يقول بلهجة حاسمة:

– أنا خلصت لك التصريح عشان تكملي معركتك، لسه بدري على استراحة المحارب، ربنا يوفقك

تبتسم بحزن وهي تقول:

– كويس إنك ما قولتليش لازم تتعظي من اللي حصل لك، وحاولي تبعدي عن السياسة ووجع القلب

– عمرك ما هتقدرى تعيش حياة بترضى فيها كل الناس، لازم تختارى اختيارات انتى مؤمنة بيها مهما كانت نتيجتها

تتأمل كلماته التي زادتها صلابة، بينما يتمتم العم برعب وهو يتأمل المشهد من على بعد:

– ليه كده بس يا إبني؟ ما كان كل شيء ماشي كويس وبدأت أخيرا اتطمن ع البنت

ثم لاحت منه التفاتة للسماء عبر نافذة الصالون، ليناجي ربه أن يخفف وقع الأيام المقبلة

* * *

في مكتبه الذي يلتقي خلاله بعدد من شباب الجماعة، صاح "صهيب" بزهو:

– وبعد الأداء الهايل اللي قمتم بيه عند الاتحادية، فضيلة المرشد وكل إخوانا في مكتب الإرشاد باعتين لكم الشكر والتحية مخصوص، وبيطلبوا منا جميعا نفضل متأهبين ومستعدين لأن الخصم انهزم مؤقتا لكن لسه فيه الروح، واللي حصل هيخليه زي التور الهايج

اللي بيتحرك بخطوات أكتر قوة وهمجية، عشان كده لازم يكون رد فعلنا الفترة الجاية أشرس وأعنف لحد ما نقضي عليه تماما وما تقوملهوش قومة بعدها

وفجأة اصطك مسامعه صوت باب المكتب وهو ينفتح بغتة، ويندفع بقوة ليصطدم بالحائط قبل أن تظهر على عتبته والدته التي ظلت ترمقه بنظرات نارية لثوان خيم فيها الصمت على المكان، قبل أن ينهض من مكانه ببطء ويتأمل ملامحها التي تنبيء بما يجيش به صدرها قائلا في حرج وهو يتجه نحوها:

– خير يا أمي؟ فيه حاجة؟

فتأتيه الإجابة في صورة صفعة قوية هزت أركان المكان، قبل أن تقول الأم:

– فيه إنك بقيت حيوان ما عندوش رحمة بأقرب الناس ليه، ده حتى الحيوانات ما بتعملش كده مع بعضها

ينظر لها في ذهول امتزج بالغضب الجارف، قبل أن تدخل المكان وتتأمل وجوه الشباب الجالسين فيه قائلة:

– معقولة إبني اللي اتربى على تعاليم الإسلام واخلاق سيدنا النبي يتحول لمسخ بالغباوة والغل ده؟ هان عليك أخوك اللي من بطن واحدة تعمل فيه كده؟ قال وأنا اللي كنت مقاطعاه عشان بيحارب أنصار الشرع والشرعية، طلع كان بيحارب شوية همج

أحد الشباب ينهض قائلا بحرج:

– طب نستأذن إحنا يا أخ صهيب ونكمل كلامنا بعدين، سلامو عليكم

لينصرف الشاب وخلفه باقي الحضور ويتركا الأم وإبنها على انفراد، قبل أن يتقدم "صهيب" من أمه ووجهه الأبيض يهم بالإنفجار من فرط الحمرة التي كسته، وقد علمت على خده أصابع الأم الخمسة، ثم يضغط على أسنانه وتبرق عينيه الجاحظة من الغضب وهو يقول:

– لسه بتعتبريه إبنك بعد كل اللي عمله معانا في السنين اللي فاتت دي كلها؟ كان لازم ياخد جزاته طالما مفيش أمل من هدايته

– وإنت وشوية القتلة اللي معاك مين هيديكم جزاتكم بعد ما إديكم اتلوثت بالدم؟

يجيبها بغل وشراسة:

– العين بالعين، والسن بالسن، وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

تهز رأسها بحزن، وتفلت من عينيها دموع ساخنة وهي تقول باكية:

– يا خسارة، كنت بتمنى أقابل ربنا عشان يجازيني عنك خير، ويكافئني على إني ندرت إبني للإسلام، لكن يظهر إني لازم أدعيه من كل قلبي إنه يأخر أجلي، لحد ما ألحق استغفره على إني ربيت جاهل أخطر على الإسلام من كل خصومه وأعدائه، من النهارده لو ما توبتش لربنا وسيبت السكة ديه لا إنت إبني ولا أعرفك

ثم غادرت المكان بخطوات سريعة وقد كَرِهَت أن تبقى فيه لحظة واحدة، حتى لا تشتم رائحة الغدر والخسة والنذالة، وتتجنب أن ترى في جدرانه الغد المظلم الذي يهدد مصير فلذتي كبديها

* * *

في قاعة الدور الأول بباخرة سياحية فاخرة تبحر في قلب النيل، راحت راقصة شهيرة من راقصات قناة الـ"تت" ذات المواصفات الصاروخية تلهب غرائز الحضور من رواد ذلك الفرح الفخم الذي

أقامه أحد قيادات المجلس العسكري السابق بمناسبة زفاف نجله على كريمة أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين، ليحل كبار رجال الدولة ضيوفا، وقد تجاهلوا مناصبهم الرفيعة ووقارهم الذي يظهرون به أمام الشاشات، ليتنافسوا على الرقص والتجاوب مع ذلك الميني نووي من طراز عابر القارات لإثبات قدرة كل منهم على "الردع"!

وفي تلك الأثناء كان هناك على سطح الباخرة حديثا لا يستمع إليه أحد بين اللواء "ياسر حجازي" كبير الياوران، و"براء" الذي وضع يده اليسرى المجبسة في حامل للذراع، وقد سيطرت على ملامح وجهه الكدمات الزرقاء، بعد أن حلق شعره على الزيرو تماما ليعالج موضع الشعر الذي تم تمزيقه ونزعه من فروة رأسه ليلة التعذيب في أحداث الاتحادية، ليقول له اللواء "حجازي" بوقار:

— آخر حاجة كنت أتوقعها في يوم من الأيام إني أحط إيدي في إيد صحفي وأديله أسرار خطيرة ممكن تكون رقبتي قصادها، بس إنت أثبت لي إنك نوع نادر جه بالغلط في الفئة المنحطة من تجار الكلام اللي ما بيختلفوش من وجهة نظري عن القوادين وتجار المخدرات، بالعكس، القواد وتاجر المخدرات واضحين ومتصالحين مع نفسهم، لكن الصحفي من دول ممكن يتاجر بالقيم والمبادىء وهو بيختلق الكدب والأزمات عشان يزود توزيع جورناله، ده غير الكتاب الكبار اللي بيحاربوا الفساد طالما مش بينوبهم من الحب جانب، وبمجرد ما يقبضوا التمن بتتبدل مواقفهم في ثانية أو على الأقل يغموا عنيهم عن الغلط اللي كانوا بيحاربوه، حتى في تعاملات الصحفيين الصغيرين مع بعض بتشوف أوسخ أنواع الحرب القذرة اللي بيستغلوا فيها النميمة والخوض في الأعراض عشان يكسروا عضم بعض لحد ما مجموعة رخيصة منهم هي اللي تنول رضا

رئيس التحرير وتتعين وتاخد كارنيه النقابة، ولولا العلقة المحترمة اللي خدتها من أخوك وجماعته ماكانش ممكن أثق فيك، إنت وصاحبك الله يرحمه طلعتوا رجالة بجد، ولو عشرة في المية من صحفيين مصر في إخلاصكم ووطنيتكم ما كانتش الصحافة لمت وبقت مهنة من لا مهنة له

يجيبه "براء" بعينين صارمتين وبلهجة حازمة:

— أشكرك يا فندم بس تعميم سيادتك مش في محله، لكن على كل حال أنا مقدر كلامك لأني وقعت في نفس الغلط زيك بالظبط، لما تصورت إن مفيش حد في القصر الجمهوري ممكن يكون ولائه للشعب والبلد، وإن أصحاب المناصب العليا مجرد كلاب سلطة ولائهم للحاكم وبس

تضيق عيني كبير الياوران قائلا:

— إنت كنت هتدفع التمن حياتك عشان موقف كنت ولا زالت مؤمن بيه، وأنا النهارده بغامر باسمي ومنصبي ويمكن حياتي وحياة عيلتي عشان البلد ما تتباعش بالشكل الرخيص اللي شايفه بيتم قدام عيني

— كلنا عارفين البلد بتتباع إزاي

— اللي إنتوا تعرفوه حاجة، واللي أنا عارفه حاجة تانية خالص، القصر الجمهوري أثبت لي إن الدنيا زي الميزان، بترفع الناقص!

ثم يمد كبير الياوران يده في جيب بذلته ليخرج علبة اسطوانات ويسلمها لـ"براء" قائلا:

— بعد ما مرسي نجح في الانتخابات، طلب من اللوا ماجد بهجت كل التسجيلات والملفات اللي تخص جماعة الإخوان المسلمين في أمن الدولة عشان يخفي ماضيهم القذر ومحدش يعايرهم بيه،

وبمجرد ما ماجد بهجت نفذ الأمر وجاب معاه كل الملفات في القصر وسلّمهم للريس في مكتبه، قدرت آخد نسخة منهم من غير ما حد يحس، ولقيت من ضمن التسجيلات دي مكالمات حصلت يوم 28 يناير بين مرشد الإخوان وقيادات في حماس بتؤكد إنها هتقتحم السجون حسب خطة محددة عشان تهرب القيادات الإسلامية ومن ضمنهم الريس نفسه لما كان محبوس ساعتها، وده بيؤكد إن الإخوان وحماس متورطين في حرق الأقسام وقتل الظباط وبالتالي مكانهم الحقيقي هو السجن مش كرسي الرئاسة، ده غير تفاصيل دقيقة كتبتهالك في ملف Word عن كواليس إصدار الإعلان الدستوري اللي قسم البلد، وطريقة طبخه بين الريس ومستشارين قانونيين في حزب الحرية والعدالة، وأسرار تانية بتخص سلق الدستور الجديد والتحالفات اللي حصلت بين الإخوان والجماعات الإسلامية والسلفيين مقابل الوعد بحتة من التورتة لكل فصيل هيحط ايده في إيدهم

يأخذ منه "براء" الاسطوانات المدمجة ويدسها في طيات ملابسه عاقدا حاجبيه في ضيق شديد، بينما استطرد كبير الياوران:

– أنا فعلا كان ولائي للريس وبس، بس عمري ما كنت كلب سلطة قد ما حاولت أراعي ضميري وأدي الناس دي فرصة عشان تشتغل وتفيد البلد، وبمجرد ما اتأكدت إن البلد رايحة ف داهية على إيديهم وعرفت تفاصيل المؤامرة، غيّرت موقفي تماما وقررت أخوض المغامرة وزي ما تيجي تيجي، المهم إننا ننقذ ما يمكن إنقاذه

– إن شاء الله يا سيادة اللوا مش هيلحقوا ينفذوا مخططهم، ووعد مني إن اسم سيادتك هيفضل بعيد عن كل التفاصيل والمعلومات اللي هننشرها للرأي العام الفترة الجاية، وإذا كانوا فاكرين إنهم بقوا في أمان عشان سيطروا على جهاز الأمن الوطني، فغضبة الشارع أخطر مليون مرة من كل الأجهزة السيادية

* * *

ارتسم الذهول بأعتى صوره على ملامح المقدم "أمل" وهو يتابع مانشيتات جريدة "المستقبل" التي سجلت إنفرادات خطيرة كانت مثار الرأي العام المصري والعالمي

– هكذا تدار مصر من قلب القصر الجمهوري

– كواليس الساعات الأخيرة قبل صدور الإعلان الدستوري،ودور جودت الناظر وحزب الحرية والعدالة في وضع بنوده

– مفاجأة: ننشر صفقات الإخوان المسلمين مع نظام مبارك بعد أن أمر مرسي بإخفاءها من الأمن الوطني وحرقها فور وصوله للحكم

– بالتسجيلات: نص المحادثات التي تمت بين مرشد الإخوان وقيادات حماس ليلة جمعة الغضب وبها مخطط حرق الأقسام واقتحام السجون

– سؤال الساعة، هل اخترق الإخوان جهاز الأمن الوطني وقاموا بتجنيد رئيسه؟

كانت المانشيتات كفيلة بأن يتلامس حاجبي "أمل" المنعقدين، وهو يهز رأسه في ضيق شديد غير مصدق ما يقرأ، قبل أن تصك مسامعه هتافات معادية للقضاء من وقائع مظاهرات تذاع على تلفاز مكتبه من أمام المحكمة الدستورية العليا التي حاصرها أنصار الرئيس مرسي حتى يمنعوا القضاة من أداء عملهم والبت في قضية حل اللجنة التأسيسية للدستور، فيتأمل المظاهرات للحظات يوجه بعدها الريموت كنترول للتلفاز غالقا شاشته ثم ينظر باستكار للرائد "مجدي" متسائلا بدهشة شديدة وهو يشير للصفحة الأولى

بجريدة المستقبل:

– إنت قريت الكلام ده يا مجدي؟

– قريته يا فندم وكل حرف فيه منطقي

يعقد "أمل" حاجبيه لبرهة وهو ينظر نحو اللا شيء، قبل أن ينظر لعيني "مجدي" قائلا:

– ورغم كل ده، أغلبية الشعب وثقت فيهم وإدتهم أصواتها

يبتسم "مجدي" ويقول ساخرا:

– مستنى إيه من شعب تقول له النمرة غلط، يقول لك أومال مين معايا؟!!

ينهض "أمل" من مكانه قائلا:

– طب ما تيجي نعمل محاولة أخيرة نتأكد بيها إذا كان المنشور ده صح واللا كلام جرايد؟

– إزاي يا فندم؟

– عايزك تجمع لي كل ملفات الإخوان اللي كانت عندنا، خصوصا المتعلقة برئيس الجمهورية أيام ما كان معتقل

– ولو ما لقيتهاش؟

– يبقى البلد بتتسلم تسليم أهالي، وساعتها قبل ما ندوّر على العناصر الأجنبية المخربة، لازم نلحق العناصر بنت الحرام اللي جوّه

* * *

في مكتبه بالقصر الجمهوري، جلس رئيس الجمهورية مع وزير الدولة للشئون القانونية والمجالس النيابية ليقول الأخير بسعادة وحماس:

– ألف مبروك يا ريس، الأغلبية قالت نعم على الدستور

ليجيبه الرئيس بغرور:

– مبروك على البلد، كفاية إن خبراء القانون قالوا عليه من أعظم دساتير البشرية، وبما إنك كان ليك دور كبير في صياغته والدفاع عنه لحد ما شاف النور، يبقى لازم تتكافئ

يتنحنح وزير الشئون القانونية قائلا:

– مكافئتي يا فندم إن بلدي تتحط على المسار الصحيح لحد ما تبقى أعظم بلد في الدنيا

يبتسم الرئيس بخبث ويتابع:

– حيث كده بقى يبقى الطلب اللي هطلبه منك هو المكافأة اللي تستحقها فعلا

يرتسم الشغف على ملامح وزير الشئون القانونية قائلا:

– طلب إيه يا فندم؟

يجيبه الرئيس من خلف نظارته الطبية:

– عايزك تقدم استقالتك

– إيه؟!!

– ما تتخضش أوي كده، دي خطوة تكتيكية مفيش قدامي حد أقدر أعتمد عليه فيها غيرك

– مش فاهم يا فندم

– أنا أفهمك.. بعد ما أغلبية الشعب وافقت على الدستور وبقى أمر واقع، بقى الطريق مفتوح قدامنا في انتخابات مجلس الشعب وتشكيل الحكومة، لكن لسه فيه سلطة واقفة لنا زي الشوكة في الزور وممكن تعاكسنا

– قصد سيادتك السلطة القضائية؟

– الله ينور عليك، عشان كده لازم نقصقص ريشها ونطوعها الفترة الجاية قبل ما نعمل أي خطوة جديدة، وده مش هيتم غير لو استبعدنا رجالة مبارك من القضاء وجبنا رجالة مخلصين تبعنا عشان يساعدونا في مشاريعنا

– وإيه الدور المطلوب مني بالظبط؟

– بجانب إنك موسوعة في القانون، فيه عندك ميزة تانية مش عند غيرك، وهي إنك محسوب على حزب الوسط ومش منتمي لحزب الحرية والعدالة، وبالتالي أي مشروع قانون هتقترحه الفترة الجاية في مجلس الشورى ماحدش هيقدر يقول عليه مشروع إخواني

يتحسس وزير الشئون القانونية رابطة عنقه ويفكها قليلا قائلا:

– فهمت، سيادتك عايزني استقيل من منصبي، وبعد الاستقالة يكون ليا نشاط سياسي في مجلس الشورى أقترح من خلاله مشروع قانون جديد لإصلاح السلطة القضائية، لغاية ما يتمرر ويتوافق عليه، وساعتها نعين قضاة تبعنا عشان ما تتعارضش أحكامهم مع سياسة وأهداف الدولة

– بالظبط، وبكده نخلص من فلول مبارك ونطهر القضاء بحق وحقيقي، ما تنساش إن مبارك عمل تعديل للقانون ومد فترة عمل القضاة كرشوة مقنّعة عشان يكسب ولائهم، ويضمن إن ليه رجالة بتنفذ توجيهاته، ودورنا الفترة الجاية إننا نصدر قانون يقلل مدة بقائهم عشان نتخلص منهم بسرعة وندخّل مكانهم رجالتنا

يسرح وزير الشئون القانونية قليلا مع الجملة الأخيرة قبل أن يتمتم وكانه يحدث نفسه:

– بس قانون زي ده هيهيج القضاة والمستشارين، ومش بعيد يستغله خصومنا في التشهير بينا وشحن الشارع ضدنا

يبتسم الرئيس بثقة قائلا:

– ما تقلقش، قابيل الهراس الملياردير المعروف عرض علينا صفقة عشان يخرج من السجن، وفي المقابل هيتنازل عن جزء كبير من ثروته وهيدينا هدية هنستغلها كويس ضد كل رجال السلطة القضائية

– هدية إيه؟

– سي دي عليه معلومات خطيرة عن تنظيم سري بيضم قضاة ومستشارين بيقوموا بأعمال مخالفة للقانون، واسمه نبض العدالة

تتسع عينا وزير الشئون القانونية قائلا بذهول:

– معقول الكلام ده؟

يضحك الرئيس قبل أن يتابع بمكر:

– شوف إنت بقى لما الشارع يكتشف إن رجال القضاء الشامخ عاملين رباطية وبيفصّلوا الأحكام على مزاجهم، وبالتزامن مع ده هننشر في جرايدنا ومواقعنا تسعيرة القبول في اختبارات النيابة لحد ما الناس تبقى مهيأة لظهور بطل ينقذها من فساد القضاة والمستشارين، وساعتها نضرب ضربتنا ونصدر القانون الجديد بتاعنا، ووعد مني إن الحزب بتاعك هيكون ليه حقائب وزارية لو المخطط ده تم على أكمل وجه، ومش بعيد إنت اللي تشكل الوزارة الجديدة

* * *

في غرفة مأمور السجن تتحدث "رحمة" مع القاضي المرتشي على إنفراد، حيث يظهر الحزن والندم على ملامح وجهه الذابل، الذي صار أكثر شحوبا وضعفا، وقد نبتت لحيته وغزاها الخضار، في حين

انقبضت عينيه للداخل وحل حولهما هلالين من اللون الأزرق، بينما تقول له "رحمة" بصرامة:

— يمكن أنا وبراء أكتر ناس هاجمناك إنت والهراس، بإعتباره رجل أعمال فاسد وإنت قاضى مرتشى، بس على الأقل كنا واضحين ف موقفنا، مش زي الهراس اللي حب يبيعك وسلم لوكيل النيابة من وراك CDبيعزز موقفه القانونى وبيسعى من خلاله إنه يكون شاهد مَلِك

القاضى المرتشى تتسع عيناه في إرتياع وقد سمح لأحاسيسه الداخلية بالإفصاح عن نفسها مستغلا انعدام بصر "رحمة"، قبل أن يستجمع شتات فكره ويقول بتهرب:

- CD إيه اللي بتتكلمى عنه؟ أنا مش فاهم حاجة

تبتسم "رحمة" بمكر مماثل قبل أن تقول وكأنها لم تسمعه:

— لو اللي في دماغى صح وفيه سر بيجمعكم إنت والهراس على الـ CD اللي سلمه فأكيد هيكون معاك نسخة تانية إنت مخبيها ليوم زي ده، أي حد ذكى ف مطرحك أكيد كان هياخد احتياطه ويعمل أكتر من نسخة، مقدرش أوعدك لو سلمتنى النسخة اللي معاك إنى هطلعك، لكن أقدر أحلف لك إنك مش هتبقى هنا لوحدك، ولو الهراس بيخطط إنه يطلع منها ويسيبك هخليه يفضل معاك، وزى ما فضحتك قدام الرأي العام هتكلم عن دورك في التكفير عن ذنبك، أكيد لو ماكانش ده فارق معاك هيفرق مع مراتك وولادك اللي مش قادرين يرفعوا عنيهم في وش حد بعد اللي عملته، ولو فعلا ماتعرفش حاجة عن الـ CD ف أديك عرفت، ويا ريت تفكر معايا بدل ما تشيل المشاريب لوحدك، قولت إيه؟

يسرح القاضى في كلماتها طويلا، قبل أن يحدثها بشرود وكأنه يحدث نفسه بصوت عالى كالمسحور:

— طالما مفيش فايدة والهراس عايز يغدر يبقى مبدهاش، بس إيه اللي يضمن لي إن إنتى كمان ما تغدريش؟

— لو كان ليا في الغدر والبيع كنت قبلت رشاوى كتير ياما اتعرضت عليا عشان ما اكتبش على أصحابها، أنا عايشة عشان هدف أغلى عندى من ملايين الدنيا، وزى ما بصيت للعار اللي عملته أكيد هقدّر الحاجة الصح لو عملتها، مفيش بينى وبينك تار

لم يعرف السبب الذي جعله يثق في كلامها لهذا الحد، إلا أنه أيقن صدقها ووافق على البوح، ليقترب منها قائلا:

— فيه نسخة تانية أنا شايلها في خزنة سرية في البنك، محتاج ورقة وقلم عشان أكتب لك كل التفاصيل، الموضوع مش سهل

* * *

في مطعم Bella الإيطالي بفندق الفورسيزونس، جلس "آسر الهراس" مع الناشط السياسي "مدحت أبو عابد" بعد العاشرة مساءا في الـNile view وهما يتناولا طبقي الفوكاشيا والتشياتاتا مع شوربة المنستروني وبعض أطباق الحبار والبنجر، وفي الخلفية تعزف نغمات موسيقية أضفت سحرا على العبق الإيطالي الذي يملأ جنبات المكان ذو الأرضيات والحوائط الخشبية الفاتحة التي تلمع بفعل الأباليك المنبعثة منها إضاءة خافتة تضفي الهدوء والسحر على رواد المكان، قبل أن يقول "الهراس" الصغير:

— كل الدعم والتمويل اللي طلبتهم موجودين، بس إيه اللي يضمن إن شباب البلاك بلوك هينفذوا تعليماتك بالشكل اللي حكيتهولي؟ ماتنساش إنهم مجرد شباب طايش ومش محترف ده أولا، ثانيا همّا متصورين إنهم بيخدموا البلد ومستحيل ينفذوا عمل تخريبي زي ده؟

– ومين قال إنهم هينفذوا بنفسهم؟ إحنا هنستخدمهم كتمويه مش أكتر، لكن في الناحية التانية هيكون فيه محترفين هينفذوا كل حاجة زي ما اتفقنا لحد ما قابيل بيه يخرج بسلام

– برضه مش متطمن، ماتنساش إن العيال دي ميكس من الأولتراس، على شوية شباب من الكنيسة، على قرايب وأصحاب للي ماتوا في أحداث زفت 25 يناير، يعني مفيش Harmony بينهم

– بالعكس، كلهم على اختلاف ثقافاتهم وانتماءاتهم عندهم رغبة كبيرة في الانتقام والتار، كل اللي محتاجه إنك تشاور على أي جهة مش عاجباك وتقول لهم هي دي العدو اللي تاركم عنده وهمّا هيقوموا بالواجب

يدس "الهراس" الصغير الشوكة في آخر قطعة تبقت من طبقه، قبل أن يقضمها وهو يتأمل كلام "أبو عابد"، ثم يرفع كفه الأيسر أمام الجرسون طالبا الشيك بلهجة إيطالية قائلا:

- porta il conto

يهز الجرسون رأسه بابتسامة مهذبة تنم عن احترامه الشديد، قبل أن ينصرف لإحضار الشيك، فيما نظر "الهراس" لساعة يده قائلا بحسم:

– أنا قدامي عشر دقايق وهقابل واحد صاحبي في البار، عايز حاجة قبل ما أمشي؟

– العفو يا آسر بيه، بُس يا ريت الـ.

يقاطعه "الهراس" الصغير بورقة يخرجها من جيبه ويضعها على المائدة قائلا:

– ده شيك بالمبلغ اللي طلبته، وطبعا مش محتاج أنبهك إن أي غلطة ثمنها هيبقى غالي أوي، لو قعدت عمرك كله تسدده مش

هيكفي

يلتقط "أبو عابد" الشيك بسرعة ويدسه في بذلته، ثم ينهض وقد فهم أن المقابلة انتهت ليقول في حسم:

– ما تقلقش يا فندم، كل حاجة محسوبة بالمللي، وأهم قاعدة في شغلنا إن نسبة الغلط فيه لازم تكون Zero

* * *

في منطقة وسط البلد، يقف دار القضاء العالى محاطا بالعديد من شباب أولتراس النادي الأهلي، وهم يرددون هتافاتهم التي تطالب القضاء بسرعة القصاص من قتلة شهداء مذبحة بورسعيد، ويرفعون شعاراتهم التي تطالب بإقالة النائب العام وتطهير القضاء.

وفى غمار ذلك كان هناك تكدس مرورى أمام الدار، تسببت في حبس الركاب داخل سيارتهم، ومن بينهم كان "براء" الذي أمسك بهاتفه الـ"سامسونج جلاكسى تاب" ليصور ما يحدث، وإلى جواره كانت تجلس "رحمة" التي سألته:

– إنما إنت ليه ما رضتش تقول لمجد على موضوع الـ CD؟

يتوقف عن التصوير، لينظر لها قائلا بلهجة ذات مغزى:

– كفاية عليه إنك عزمتيه على حفلتك النهارده

تبتسم قائلة:

– أعتبر دي غيرة؟

يتأمل ملامحها بحب، ليذوب عشقا في ابتسامتها الساحرة قائلا:

– اعتبريها واحد بيدافع عن حياته.. لو خدك مني يبقى خد روحي، وبعدين هيعمل إيه مجد بتاعك في CD متشفرة مش عارفين لها أول من آخر، على الأقل المفروض نستنى مالك أخوكي يرجع من أمريكا الأول ويفك شفراتها وبعدين نشوف هنعمل إيه؟

تطلق تنهيدة حارة وهي تقول بقلق:

– أنا خايفة يا براء من اللي جاي، المرة اللي فاتت ربنا بعت لي اللي ينقذني، تفتكر المرة الجاية ممكن يحصل إيه؟

يسرح في جملتها الأخيرة ككرباج يهوي على كرامته بكل عنف، "ربنا بعت لي اللي ينقذني"، "بعت لي اللي ينقذني"، ليتحسس كرامته التي هتكت تلك الجملة عرضها، وهو يتذكر ما حدث لها في وقت كان من المفترض أن تكون فيه حبيبته تحت حمايته، بينما أنقذها شخص أخر، فيزفر زفرة حارة قبل أن يقول بعصبية:

– لو خايفة مفيش حاجة تجبرك تكملى

لم تفهم ما يجيش به صدره، فقالت غاضبة:

– إنت عارف إن الموضوع ده قضية عمرى أنا وإنت بعد اللي حصل لنا وإحنا صغيرين، وعمرى ما هرجع عنه، لكن ده ما يمنعش أن الخوف غريزة

تثير حرقتها تعاطفه، فيتأمل ملامحها بتأثر قائلًا:

– قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

تطلق تنهيدة قبل أن تتمتم بخفوت:

– ونعم بالله، أدعى يا براء ربنا يوفقنى ف عرض النهارده، ماعندكش فكرة فوزى أنا والفرقة فارق معايا قد إيه خصوصا إنه الحاجة الحلوة اللي مستنياها وسط الخراب والغم اللي بيطاردني في كل حتة

زادت ضربات قلبه مع كلماتها حين سمع في كلامها نبرة إحتياج، لتمتد يده بحركة لا إرادية وتمسك يدها وهو يردد بكل حب وحنان الكون:

– لو ربنا هيحرمني من كل الدعوات اللي نفسى فيها ويحقق لي منهم دعوة واحدة بس، أكيد هتكون إنك تفرحي وتحققي كل اللي نفسك فيه

دغدغت كلماته تعاطفها، ليتسلل الدمع إلى عينيها وهى تقول بحرقة من يشعر بتأنيب الضمير على عدم القدرة على التجاوب مع هذا الحب:

- مش عارفة أقولك إيه على عظمتك يا براء

لكن هذا لم يمنع أن تسحب يدها من بين يديه، في الوقت الذي فتحت فيه الإشارة ليطلق أصحاب السيارات التي تقف خلف سيارته كلاكسات سيارتهم بنغمة متواصلة، طالبين من سوما العاشق سرعة التحرك!

* * *

في مكتب "حكيم المنصة" بمنظمة "نبض العدالة" السرية يجلس "مظلوم" مع السبع مستشارين الملقبين بـ«حماة الأوشحة»، على مائدة الاجتماعات وأمامه جريدة «المستقبل» المفتوحة على الصفحة التي يظهر فيها "مجد" وهو يقاتل المتحرشين في ميدان التحرير بينما يقول أحدهم:

– كل أعضاء المنظمة كوم ومجد كوم تانى، بس ده ما يمنعش إن ظهوره في الجرايد سواء بشخصيته الحقيقية أو شخصيته التانية فيه خطر عليه وعلى المنظمة بحالها

يتطلع "مظلوم" إلى عينيه قبل أن يقول بلهجة غامضة:

– ما تنساش إن سر الحرف قال كلمته من زمان، ويمكن يكون مجد هو الفارس اللي طول الوقت بندور عليه، خصوصاً إن بوادر الخلاف اللي بدأت تحصل دلوقت في المنظمة محتاجة لرمز

يسأله شخص أخر:

– تفتكر؟

يزداد الغموض في نبرة "مظلوم" وهو يقول:

– هيبان في اجتماع النهارده، بلغتوا كل الأعضاء إنهم لازم يحضروا؟

– كلهم اتبلغوا

"حكيم المنصة" يوزع نظراته على وجوههم قبل أن يقول:

– عظيم، يبقى لازم نستعد من دلوقت لمحضر الاجتماع، وكل حاجة هتبان الليلة

* * *

الفصل الرابع عشر

على المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية نشاهد "رحمة" في مقدمة فرقتها التي تراصت على هيئة صفوف على خشبة المسرح الغارق في ظلام دامس، بينما تحيط الفرقة إضاءة زرقاء خافتة، في حين يدخل "مجد" المسرح متأخرًا ليسير في الظلام باحثًا عن مقعد، وما أن يلمحه "براء" حتى يرفع له شاشة موبايله المضيء ليشير له بالجلوس إلى مقعد خالي إلى جواره، فيذهب "مجد" له ويجلس إلى جانبه، في حين يرمقه "براء" بنظرة نارية تمنى فيها لو نهشه بأسنانه جزاء اجترائه على الاقتراب من قلب حبيبته، لكنه وجده نفسه مضطرا أن يجلسه إلى جواره حتى يراقب حركاته وخلجاته، ويستكشف سر جاذبيته لقلب "رحمة"!

وفى تلك الأثناء عاد القدر مرة أخرى لصنع فوتومونتاج جديد في حياة "مجد" و"رحمة" و"براء"، ليرتبط ما يحدث في المسرح الكبير على دار الأوبرا، بما يتم في منظمة «نبض العدالة» السرية في نفس اللحظة، كأنه فيلما سينمائيا يقوم مخرج القدر بالتقطيع بين ما يحدث في كلا المكانين في وقت واحد

– المسرح الكبير

مايسترو الفرقة يطرقع أصبعيه الإبهام والوسطى، فيبدأ أعضاء الفرقة في حك أياديهم أمام ميكروفونات موضوعة أمامهم لتعطى أياديهم المحتكة أصوات تشبه صوت حفيف الرياح،

– منظمة نبض العدالة

"حكيم المنصة" يقف فوق أعلى درجة في مدرج بساحة المنظمة ناظرًا إلي باقي الأعضاء، وعلى الدرجة الأسفل منه يقف السبعة مستشارين الملقبين بـ"حماة الأوشحة" ناظرين أيضًا إلي باقي

الأعضاء، ثم يقف في الدرجة الأسفل منهم 10 من القضاة الملقبين بـ "أعوان العدالة المفقودة"، في حين يقف على الأرضية باقى أعضاء المنظمة الملقبين بـ "حراس الكلمة العليا" بأعدادهم الكبيرة في صورة صفوف عديدة تنظر إلى "حكيم المنصة" و"حماة الأوشحة" و"أعوان العدالة المفقودة"، وقد ارتدوا جميعًا زي المنظمة.

– المسرح الكبير

لا زال أعضاء الفرقة يحكون أياديهم أمام ميكروفونات موضوعة أمامهم لتعطى أياديهم أصوات تشبه صوت حفيف الرياح، في حين بدأ جزء أخر من أفراد الفرقة في طرقعة أصابع الإبهام مع أصابع الوسطى بطريقة تعطى صوت بداية نزول الأمطار واصطدامه بالأسفلت

– منظمة نبض العدالة

فجأة يقتحم ساحة المنظمة مجموعة من الملثمين يرتدون ملابس تشبه ملابس النينجا، ويحمل أصحابها السيوف البتارة القوية

– المسرح الكبير

أنقسم أعضاء الفرقة إلى ثلاث أقسام، قسم لا زال يحك أياديه أمام الميكروفونات لتعطى إنطباع حفيف الرياح، والقسم الثانى تزداد أصوات طرقعة أصابعهم الإبهام والوسطى بشكل يشبه سرعة هطول الأمطار، في حين يبدأ القسم الثالث بالخبط على ركبتيه بشكل يعطى صوت زيادة هطول الأمطار وقوة ارتطامها بالأرض

– منظمة نبض العدالة

أعضاء المنظمة يلتفتون للمقاتلين الملثمين الذين أقتحموا منظمتهم، ليعقد "مظلوم غلاب" حاجبيه، في حين ينقض المقاتلين بعنف مطلقين صيحات قتالية عنيفة

– المسرح الكبير

الآن تحول المشهد إلى سيمفونية بشرية لصنع صوت المطر، وقد تحولت أصوات أيادى الفرقة إلى ما يشبه أصوات سيول تهطل بشدة، قبل أن يقفز جزء من أعضاء الفريق ثم يقفز الجزء الثانى ثم الجزء الثالث على ثلاث حركات متتالية لتصنع أصوات قفزاتهم صوت هزيم الرعد في نفس لحظة توالى إضاءة المسرح باللون الأبيض ليصنع صورة البرق في مشهد سيول ورعد بشرى يسرق الألباب ويخطف من الجمهور شهقات الإعجاب والتصفيق الحار

– منظمة نبض العدالة

سيوف المقاتلين الملثمين تضرب الأعناق، وتنغرس في البطون، وتطيح بالرؤوس، لتسيل الدماء بعنف شديد

– المسرح الكبير

أعضاء الفرقة عادوا لعمل صوت المطر الذي يهطل بشدة قبل أن يتقافزون مرة أخرى بطريقتهم المتتالية لصنع صوت هزيم الرعد البشرى، وسط الإضاءة الخاطفة التي تشبه البرق، مع تزايد صوت تصفيق الجمهور

– منظمة نبض العدالة

أجساد أعضاء المنظمة تغرق الساحة وقد سبحوا في دمائهم، بينما يجرى عدد قليل منهم ليطاردهم المقاتلين الملثمين ويبيدونهم بسيوفهم

– المسرح الكبير

أعضاء الفرقة يتقافزون مرة أخرى بطريقتهم المتتالية لصنع صوت هزيم الرعد وسط الإضاءة الخاطفة التي تشبه البرق قبل أن يظلم المسرح

– منظمة نبض العدالة

الآن نرى المقاتلين الملثمين يقفون في أماكنهم بتشكيل معين رافعين سيوفهم في قوة وفخر لتقطر منها الدماء، وقد تجمدوا كتماثيل بشرية، بينما خر كل أعضاء المنظمة صرعى لتملأ جثثهم الساحة التي تحولت لبحيرة من الدم

– المسرح الكبير

"مجد" و"براء" يصفقون بشدة وحماس شديد وقد توقف جميع أعضاء الفرقة لتلقى التحية

* * *

الآن يقود "مجد" سيارته على طريق صحراوى مرتديًا سماعته البلوتوث، ليسمع "رحمة" التي تحدثه في الموبايل وهى تقول:

- ولما العرض تحفة وعجبك أوى، مشيت بسرعة ليه؟

يجيبها وهو ينحرف بسيارته في الصحراء:

– عايز أقول لك إني مرتبط بمعاد مهم جدًا، ولأول مرة بتأخر ف جياتى عن معادى عشان خاطرك

لا يرى تلك الابتسامة الرقيقة التي ارتسمت على ملامحها حين قالت:

– عموما الأيام جاية كتير، وأعمل حسابك المرة الجاية محدش..

تصرخ فجأة قبل أن يتوقف صوتها، بينما يسمع "مجد" صوت فرامل سيارة عنيف يعقبه صوت إرتطام، لتنتهى معه المحادثة بشكل مفاجئ، في نفس لحظة وصوله إلى مقر منظمة نبض العدالة، فيغادر سيارته وهو يصيح بقلق:

- آلو، رحمة

ثم يحاول الإتصال بها لكنه يسمع صوت الشبكة الذي يخبره أن الهاتف مغلق، فيعقد حاجبيه في قلق وهو يتجه لداخل المنظمة قبل أن يفجعه هول المنظر !!

الجميع تحولوا إلى جثث تسبح في حمام من الدم،

وعندما ينحنى لفحص أقرب الجثث إليه بعينين متسعتين، يجدها بلا أدنى أثر للحياة، ثم ينهض ويتأمل المشهد بإرتياع غير مصدق ما يرى،

وفى غمار ذلك يلمح على الحائط صورته الملثمة مرسومة بحجم كبير، فيتأملها بذهول، ثم ينظر إلى الأرض فيجد الدماء قاربت من ركبتيه من كثرتها، وأثناء ذلك يلمح قنبلة زمنية تنخفض الأرقام بسرعة على شاشة مؤشرها، 18،19،20، فينظر خلفه ليكتشف أنه توغل وابتعد عن باب الدخول إذ لا يسمح الوقت الكافى ليغادر المنظمة، بينما يجد على يساره باب تسيل من خلفه الدماء، فيفتحه لتظهر خلفه جثث متراصة على سلالم تؤدى لأعلى، فيجرى على السلالم مسرعًا وهو يتجه للسطح،

الآن يصل "مجد" إلى سطح منظمة «نبض العدالة»، ليجد به خفاشا طائرا، فيمسك به ويجرى بأقصى ما لديه من سرعة وقوة قبل أن يقفز في نفس لحظة وصول المؤشر للرقم صفر، لتنفجر المنظمة بكل من فيها ويطارد لسان من اللهب خفاش "مجد"، إلا أن "مجد" يدير الخفاش يمينًا ليتفادى لسان اللهب في اللحظة الأخيرة، ليبتعد ومن خلفه تنهار المنظمة ويختفى داخلها أي أثر للوجود!!

* * *

فى منزل "رحمة" نسمع صوت طرقات على الباب، بينما يتجه عمها العجوز "رءوف البدرى" لفتحه، وما أن يفتحه حتى يجد شابًا طويلًا ذو بشرة بيضاء حليبية، وتقاطيع وجه صغيرة، وشفتين ورديتين، وشعر كستنائى ناعم مسرح للأمام رغم طوله، ليبدو في

ملامح شكله الوسيمة أشبه إلى الأمريكان من المصريين، وقد ارتدى نظارة طبية ذو إطارات سوداء زادت من وسامته، وجاكت بذلة فاخر على بنطلون جينز، وما أن يشاهده العم حتى يقول بفرحة:

- مالِك؟ حمد الله على سلامتك يا إبنى

العم يعانق "مالك" إلا أن عيني "مالك" يطل منهما التساؤل، ليقول بنبرة متوترة وهو يتطلع في وجه عمه غير مهتم بالعناق:

— خير يا عمو، رحمة مالها؟

العم ينظر له بحيرة ويقول بعدم فهم:

— مالهاش يا إبنى، ما هي كويسة وزى الفل وكان عندها عرض النهارده في الأوبرا بس صحتى ما ساعدتنيش أحضره

يزداد إنعقاد حاجبى "مالِك" الذي يسأل:

— أومال ليه بعتت لي إيميل قالت لي فيه لازم تسيب أمريكا وتنزل مصر حالًا؟

التوتر والذهول يرتسمان على ملامح العم وهو يسأل للتأكيد:

- هي قالت لك كده؟!!

- أيوة، ولما اتصلت بيها عشان أفهم فيه إيه قالت مش هينفع في التليفون، ولما تيجى هقولك كل حاجة، ودلوقت بكلمها موبايلها مقفول

فجأة تدوى طرقات عنيفة على باب المنزل، فيهرع العم، و"مالِك" لفتحه، وما أن يفتحه "مالِك" حتى تدخل "رحمة" وهى تتحسس طريقها بلهفة ورعب وقد تناثر شعرها وصنع التراب والعرق طينا شوّه ملامحها، فيسألها "مالك" بتوتر لا مثيل له:

— مالك يا رحمة، فيه إيه؟

"رحمة" تتحسس وجهه وتقول بسرعة ولهفة:

— مالِك، الحمد لله إنك جيت، إحنا لازم نمشى من هنا دلوقت حالا

فيسألها عمها بقلق لا حدود له:

— فيه إيه يا بنتى؟

لتجيبه بتوتر ورعب:

— مش وقته يا عمى، نمشى من هنا الأول وهفهّمكوا كل حاجة بعدين

ثم تضع يدها على كتفى "مالك" وعمها وهى تتوسطهما لتتجه بهما نحو باب الشقة، وما أن يصبح "مالِك" أمام باب الشقة حتى يندفع الباب في وجهه فجأة ليطير بعنف شديد للخلف، قبل أن يطل شخصا ملثما بالسواد، ليندفع نحوه العم العجوز متساءلا في هلع:

- إيه ده؟ إنت مين؟ وعايز.

قبل أن يقاطعه الشخص الملثم بلكمة قوية بظهر يده، قبل أن يقتحم النافذة شخصين ملثمين أخرين، ويتجه الشخص الملثم الأول الذي صفع العم، نحو "رحمة" التي ترفع يدها نحو صدرها وقد غاصت رأسها بين كتفيها في رعب، ليطل من عينيه بريق مرعب وهو يقول بصوت أجش، ولغة عربية فصحى:

- حياتك أنتى وعائلتك مقابل الـ CD يا أنسة رحمة

"رحمة" ترتجف وتظل صامتة، فيقبض على عنقها بشراسة دون أن يكترث بحشرجة حنجرتها، ليضغط على حروف كلماته وهو يخرج مسدسا مزود بكاتم صوت يلصقه في رقبتها، قائلًا:

— ربما لا تشاهد عيناكِ مسدساتنا الموجهة للرؤس، لكن حتمًا بصيرتك تدرك ذلك

تجيبه وهى تحاول أن تستجمع شجاعتها التي هربت إلى سويسرا كأموال مهربة لن تعود:

— بصيرتى ماتعرفش غير إننا كده كده هنموت ف كل الأحوال

فيضغط بمسدسه على رقبتها بعنف أقوى قائلا:

— فلتموتوا بسرعة إذن بلا أدنى ألم، اعطنى الـ CD وهذا وعد

"مالِك" ينهض بضعوبة وقد أغرقت الدماء وجهه ليقول بضعف وهو يرفع يديه باستسلام:

- الـ CD ف جيب الجاكت

الشخص الملثم الذي يوجه مسدسه نحو "مالِك" يقترب منه بحذر، ثم يمد يده داخل الجاكت الذي يرتديه "مالك" ويخرج علبة CD، ثم يستدير ليسلمها إلى الشخص الملثم الأول، فيترك الملثم الأول يده القابضة على عنق "رحمة" ليأخذ العلبة، فينتهز "مالِك" الفرصة ويخرج مسدس يلقى الصواعق الكهربية من جاكت بذلته ويوجهه نحو الملثم الأول الذي كان يمسك "رحمة"، والملثم الثانى الذي أخذ علبة الـ CD منه، فيصعق كلاهما بضغطة زر لتتألق على صدريهما شرارات كهربية زرقاء، ويسقط كلاهما تحت تأثير الشلل المؤقت، بينما يصوب الملثم الثالث المتبقى مسدسه نحو "مالِك" وفى نفس لحظة ضغط الزناد، يتحرك العم العجوز وينقض عليه فيتلقى الطلقة بدلًا من "مالِك"، لكن العم العجوز يتشبث بيد الملثم الممسكة بالمسدس ويأبى أن يتركها وهو يحتضر، في حين يقفز "مالِك" نحو الملثم الثانى الذي سقط بفعل الصدمة الكهربية، ليلتقط مسدسه ويصوبه نحو رأس الملثم الثالث الذي قتل عمه، فيلمح الملثم الثالث "مالك" وهو يصوب نحوه المسدس، ويعلم أنه سيموت خاصة وقد تشبث العم بيده الممسكة بالسلاح، فيضغط بيده الثانية على زر في ملابسه فيطلق أزيزًا خافتًا، في نفس اللحظة التي يطلق فيها "مالِك" الرصاصة التي تخترق منتصف جبهته، لتنفجر منها الدماء وتتناثر على وجه "رحمة" التي تصرخ برعب، ثم يقترب "مالك" من عمه فيجده قد فارق الحياة، قبل أن يلمح من النافذة مجموعة من الملثمين يغادرون سيارة تقف في تأهب أمام المنزل، ويتجهون بسرعة نحو مدخل العقار، فيحمل "رحمة" مسرعًا نحو باب الشقة، ويوجه مسدسه نحو رأسي الملثمين الأخرين ويفجرهما برصاصتين وعلى وجهه الغل والغضب، قبل أن يغادر الشقة

* * *

"مالِك" الذي غادر الشقة حاملًا "رحمة"، يقترب من باب المصعد ويفتحه ثم يضغط زر النزول للطابق الأرضى ويسجله، قبل أن يغلق الباب فيتجه الأسانسير لأسفل خاليا من البشر، بينما يصعد "مالِك" الذي لا زال يحمل "رحمة" على السلالم متجهًا لأعلى،

وفى مدخل العقار نشاهد 4 ملثمين يقتحمون مدخل العقار، فيلمحون لوحة الإضاءة المصاحبة للأسانسير التي تشير إلى نزوله، فيتخذون مواقعهم لمباغتة الأشخاص الذين ينزلون فيه، وما أن يصل المصعد، حتى يقتحمه أولهم بعنف بينما يصوب الثلاثة الأخرين أسلحتهم لداخله، غير أنهم يجدوه خاليًا، فيصيح أولهم لأقرب ملثم له:

- أنت تعال معى، وانتما قوما بتأمين المكان

2 من الملثمين يبقيان في مدخل العمارة، قبل أن يتجه الإثنين الأخرين للسلم ويصعداه بسرعة حتى يقتحما شقة "رحمة" فيجدا زملائهم الثلاثة صرعى، وفى يد أحدهم علبة CD، فيقترب أحدهما من يد زميله المصروع، وينتشل علبة CD منها ويفتحها بلهفة، فيجد بها اسطوانة يتأملها، قبل أن يغلق العلبة بغيظ شديد ويتركها

تسقط من يده، وهو يصيح في زميله المتبقى:

- ليست هذه الـ CD المطلوبة، فلنتبعهم إلى السطح قبل أن يهربا

ثم يغادرا الشقة مسرعين لأعلى العقار

* * *

الإثنان الملثمان يصلا إلى السطح، ويديرا عينيهما بنظرة متفحصة للأسطح المجاورة القريبة، وما أن يهمان بالتقدم حتى يومض ضوء أحمر في زي أحدهما مطلقًا أزيزًا خافتًا، فيخرج من جيبه جهاز إتصال ينبعث منه صوت أحد زملائه الملثمين الذي يقول بلهجة تحذيرية:

— هناك سيارة شرطة قادمة من بعيد، الوقت الباقى يكفى فقط لإخفاء جثث زملائنا وتنفيذ خطة الطوارئ

ومع آخر حروف كلماته، ينبعث صوت سارينة شرطة، فيتبادل الإثنان الملثمان النظر، قبل أن يعودا أدراجهما للأسفل.

وفى تلك اللحظة كان "مالِك" و"رحمة" يجلسان على الأرض في جنح الظلام فوق أحد الأسطح المجاورة، ويستندان بظهريهما إلى جدار السور، وقد وارتهما عن الأنظار غرفة الأسانسير وبعض أطباق الدش، إذ يمسك "مالِك" المسدس الذي أخذه من الشخص الملثم بتحفز وتأهب، وما أن تصك مسامعهما سارينة الشرطة، حتى تتنفس "رحمة" الصعداء وتقول في لهجة بها شيء من الإرتياح وقدر من القلق في الوقت نفسه:

— الحمد لله، براء بلّغ البوليس من ساعة ما المطاردة بدأت وأخيرا وصلوا

"مالِك" ينهض وهو ينظر لها بحزن خالطه الغضب قائلًا:

— مش معنى إنهم وصلوا إننا ماخسرناش حاجة، عمك مات

تبكى "رحمة" وهى تقول بألم:

— ربنا يستر ومايكونش براء حصّله، أنا سايباه بيجرى منهم عشان يلفت نظرهم ويسيب لي فرصة أهرب

"مالِك" بغضب شديد:

— وأنا ضحيت بـ CD عليه Project مهم كنت جايبه معايا من أمريكا عشان أقنعهم إن هو ده الـ CD اللي بيدوروا عليه، أنا عايز أفهم إيه اللي بيحصل؟

"رحمة" تمد يدها إليه ليعاونها على النهوض قائلة:

— خدنى لعمك بسرعة، وإحنا ف الطريق هحكيلك كل حاجة

* * *

على سلم منزل "رحمة" ينزل "مالِك" وهو يأخذ بيدها، وفى يده الأخرى المسدس الذي يشهره في حذر بعد أن عادا من السطح في حين تتابع "رحمة":

— وبعد ما أقنعت القاضى المرتشى أنه يثق فيا، عرفت منه مكان النسخة التانية من الـ CD اللي مخبيه عشان يأمن نفسه، وعرفت إن عليها أسرار عدد كبير من القضاة المرتشين والقضايا اللي خدوا فيها رشوة من رجال أعمال، ولما وصلت أنا وبراء للنسخة التانية من الـ CD لاقينا المعلومات اللي عليه كلها متشفرة ف صورة أرقام، عشان كده بعت لك ف أمريكا وقولت لك لازم تيجى بأقصى سرعة لأن ماحدش هيعرف يفك الشفرات ولا نقدر نثق فيه غيرك

يسألها "مالِك" وهو يلتمس طريقه لأسفل في حذر دون أن ينظر إليها:

— وما رجعتيش للقاضى المتهم ف سجنه ليه عشان تعرف منه مفتاح الشفرة؟

— هو وقابيل الهراس هربوا من سجنهم، واتعرّضت أنا وبراء لمطاردة من الناس اللي إنت شوفتهم

الآن وصل كلاهما لشقة العم، ليجد "مالِك" عددا من الجنود والمخبرين واقفين على بابها، فيضع المسدس في جيبه، ثم يقول لها بصرامة قبل الدخول:

— فين الـ CD؟

"رحمة" تخرج الـ CD من طياتها، وتلوح به دون أن تتفوه بحرف واحد، فيأخذه منها وهو يتابع بحزم:

- البوليس لازم يعرف التفاصيل دي كلها، كفاية عليكي دور شارلوك هولمز لحد هنا

فى تلك اللحظة يتقدم نحوه أحد المخبرين الواقفين عند باب الشقة ليسأله:

— رايح فين؟

فيجيبه "مالك" وهو يزيحه:

- إحنا صحاب الشقة

"رحمة" و"مالِك" يدخلان شقتيهما، فيرى "مالك" عددا من رجال الشرطة والمباحث، وقد انتشروا في المكان ليقوم البعض بتفتيش الشقة، بينما يجمع فريق أخر بعض المتعلقات في كيس، ويقف المقدم "أمل" ليتابع الموقف مرتديًا بذلة مدنية، وما أن يلمح "رحمة" تدخل هي و"مالِك" حتى يخرج مسدسه من جيبه ويصوبه على "رحمة" صارخًا فيها:

— أقفي عندك، ولا حركة

"مالِك" يعقد حاجبيه في دهشة بينما تقول "رحمة" بإرتباك:

— في إيه؟

المقدم "أمل" يلتفت لإثنين من المخبرين يرتديان ملابس مدنية ويأمرهما:

- أقبضوا عليها

المخبرين ينقضان على "رحمة" ويهمان بجذبها بعيدًا عن "مالِك"، فيقاومهما وهو يصيح فيهما:

- هو مين ده اللي هيقبض عليها، إنتوا اتجننتوا؟!

فوهة مسدس تلتصق بصدغه فيترك "رحمة" للمخبرين اللذين يديرا يديها خلف ظهرها ويضعان بها الكلابشات، بينما يسمع "مالِك" صوت المقدم "أمل" الصارم من خلفه:

— اللي اتجنن فعلًا هو اللي بيقاوم السلطات أثناء تأدية عملها

"مالِك" يلتفت للمقدم "أمل" ويسأله بذهول امتزج بالغضب:

— وهو عمل السلطات إنها تقبض على المجني عليه وتسيب الجاني؟

تلتقط "رحمة" طرف الحديث وتتابع:

- إحنا اتعرّضنا قبل ما تيجوا لمحاولة قتل، مات فيها عمى وإحنا الإتنين نجينا بمعجزة

المقدم "أمل" يعقد حاجبيه بدهشة ويسألها:

— عمك مين اللي أتقتل؟"**يلتفت لمالِك ويسأله**" وإنت تطلع مين؟

فيجيبه "مالِك":

— أنا دكتور مالِك البدرى أخو رحمة، خبير شفرات بجامعة «هارفارد»، وأول ما رجعت من السفر ودخلت الشقة هجم علينا ناس شكلهم غريـــب...

«فين جثة عمك؟»

يقاطعه "أمل" بالسؤال، فينتبه "مالِك" لأول مرة أن جثة العم غير موجودة وكذلك اختفت جثتا المقاتلين اللذين قتلهما، فيتأمل المكان بدهشة، بينما تقول "رحمة":

– موجودة هنا أهيه، إنتوا مش شايفينها ولا إيه؟

"أمل" ينظر لعينيها الثابتتين، ثم يتابع بصرامة:

– إحنا مش شايفين غير إنك متورطة ف قضية تهريب قاضي ورجل أعمال من الحبس، وتزويدهم بخريطة فيها المعلومات اللازمة للهرب

««أنا؟»»

تقولها "رحمة" بصدمة شديدة، في حين يمد المقدم "أمل" يده ليناوله أحد رجاله كيس تم تحريز المتعلقات فيه، وتكون المتعلقات عبارة عن مبلغ نقدى وخريطة ورقية تم طيها، ليلوح "أمل" بالكيس أمام "رحمة" و"مالِك" ويتابع:

– إحنا حرّزنا خريطة تفصيلية للسجن، ومبلغ 150 ألف جنيه، كانوا محطوطين ف شنطة عليها شعار شركات الهراس، وجواها كارت فيه أرقام كل المساعدين بتوعه.. تقدرى تقولى الحاجات دي بتعمل ايه عندك؟ ده غير إنك كنتي آخر واحدة تزور القاضي في السجن قبل ما يهرب

"رحمة" وقد برقت عينيها بذهول:

– مش عارفة، وجثة عمى فين هو والناس اللي..

"مالِك" يمد يده ليضعها على فمها في اللحظة الأخيرة قبل أن تكمل كلامها قائلًا:

– مش وقت أي كلام يا رحمة، من حقك ما تتكلميش غير قدام النيابة

"رحمة" تسأل بعينيها الجامدتين:

– أنهى نيابة؟

يجيبها المقدم "أمل" بتحدى:

– النيابة اللي هتحقق معاكي الصبح بعد ما تشرفينا الليلة دي

ثم يشير المقدم "أمل" لرجاله بصرامة ويتابع:

– خدوها

الرجال ينقضون على "رحمة" ليصطحبوها إلى الخارج فيعترضهم "مالِك" الذي يقول إلى المقدم "أمل":

– آخر سؤال هسألهولها لو سمحت

"مالِك" يلتفت لـ"رحمة" ويسألها قبل حتى أن يسمع رد المقدم "أمل":

– اسمه إيه القاضى اللي حكيتي لي عنه قبل كده؟!

* * *

الفصل الخامس عشر

فى منزله الذي لا زال به أثار للحريق، يتأمل "مجد الدين" وجه "مالِك" بإهتمام شديد، بينما يزفر "مالِك" زفرة حارة قبل أن يقول بلهجة تجيش بما يعتمل في نفسه من صراع حاد:

— هى دي كل الحكاية، ومافيش قدامي حد أقدر أثق فيه غير حضرتك

يصمت "مجد" قليلًا وهو لا زال يمسح "مالِك" ببصره، ويحلل في أعماقه ما سمعه من كلام قبل أن يسأله:

— بس اللي إنت عملته مع المُقَنَّعين ده حسسنى إنك ظابط شرطة، مش خبير شفرات عاش معظم حياته ف أمريكا

فيرد عليه "مالِك":

— أنا اضطرتنى الظروف أعيش فترة من الوقت في حى «هارلم» المليان بالعصابات والبلطجية وكل أشكال العنف، وهناك اتعلمت إن مفيش رفاهية الإختيار، يا تكون فارس،أو فريسة

"مجد" ينهض وينظر من النافذة، ليقول وهو ينظر إلى الشارع دون أن يلتفت لـ "مالِك":

— تفتكر حد منهم ممكن يكون جه وراك؟

— ما أعتقدش، أكيد اهتموا يداروا أي أثر ليهم بدليل إنهم خبوا جثث زمايلهم وجثة عمي

"مجد" يلتفت له، قبل أن يقترب منه ويعود ليتأمله فيصطدم بصره من جديد بالصورة الموجودة على السلسلة المعلقة في صدر "مالِك"، فيمسكها ويتأمل ملامح السيدة التي قتلها في طفولته، قبل أن يقول بحزم:

— إنت حياتك ف خطر، م اللحظة دي مش مسموح تخرج من هنا تحت أي ظرف من الظروف غير لما تفك شفرة الـ CD، ويا ريت ده يكون في أسرع وقت لو كنت عايز تقف فعلا مع اختك

"مالك" بتردد:

— بس،

"مجد" مقاطعًا بصرامة وهو يميل نحوه:

— كنت بتقول مفيش قدامك غيرى تقدر تثق فيه، إثبت لي إن كلامك ماكانش مجرد مجاملة، وخلينى أثبت لك إنى قد الثقة دى

* * *

أمام منظمة نبض العدالة يقف المقدم "أمل" وسط 5 سيارات شرطة وإسعاف تضىء سارينانها المكان، وقد انتشر رجال الإسعاف والفحص الجنائي من حوله، بينما يقترب منه أحدهم حاملًا كيس بلاستيك أسود وقطعة صخر في يده، ليقول في أسى:

— ده كل اللي أتبقى منهم يا فندم بعد الإنفجار

الرجل يفتح الكيس، فينظر "أمل" داخله قبل أن يشيح بوجهه بإمتعاض، ثم يمد الرجل قطعة من الصخر أمام "أمل" قائلًا:

— ودى قطعة لقيناها ف الحطام وعليها صورة غريبة

"أمل" يأخذ منه القطعة، ويتأملها، إنها قطعة من الجدار الذي كانت عليه صورة "مجد" في زيه الملثم، حيث تبقت عليها بقايا ملامح وجهه في هيئته الغامضة التي ينتحلها في عالم الجريمة، لتتسع عيني "أمل" في دهشة فور أن يقع بصره على الصورة، قبل أن يعقد حاجبيه ويبعد قطعة الجدار عن وجهه ليتأمل بقايا الإنفجار في شرود

* * *

"نديم" الضابط متقاعد، وزميل "مجد" السابق في جهاز الداخلية

يجلس في حجرته الخاصة بمنزله، على كرسيه المتحرك، أمام جهاز الكمبيوتر، ليتأمل مقطع فيديو صممه لنفسه خصيصًا، ويستعرض المقطع صور متفرقة له وقت أن كان ضابط شرطة على خلفية موسيقية حزينة،

فى مقطع الفيديو تتوالى صور مختلفة،

صورة يتلقى بها "نديم" التدريبات الشاقة، وصورة أخرى يتناقش فيها مع أشخاص أجانب أمام أجهزة إتصالات لاسلكية متطورة، وصورة أخرى وهو يجلس على كمبيوتر ويؤدى عمله بإنهماك، بخلاف صورة له وهو يمسك جهاز تصنت وأمامه على المكتب أجهزة مختلفة، ثم صورة له هو و"مجد" الذي يضع يده على كتفه وكلاهما يبتسم ببراءة، ثم صورة له وهو يصافح الوزير في حفل التكريم الأخير الذي حضره على مقعد متحرك بعد أن فقد قدميه، لتسيل دموع "نديم" الساخنة على وجنتيه عند هذه النقطة، وهو يثبت مقطع الفيديو على هذه الصورة ويتأمل شاشة الكمبيوتر في حسرة،

عندها تهوى يد على كتفه لتخرجه من أحزانه،

"نديم" يلتفت فيفاجأ أنها يد "مجد" الذي ينظر له بابتسامة تحمل كل الود، بينما تلمع عينيه بالدموع فيقول "نديم" غير مصدق نفسه:

— مجد؟!

"مجد" يركع على ركبتيه ليصبح وجهه في مواجهة وجه "نديم"، ويتبادلا عناقا حارا تنهمر فيه دموعهما، ويقول "مجد" وهو لا زال حاضنًا "نديم" وقد تطلعت عينيه إلى شاشة الكمبيوتر التي تعرض مقطع الفيديو قائلًا:

— ما رضتش حد يخش لك يقولك إنى هنا عشان أعملهالك مفاجأة، بس إنت اللي فاجأتنى يا نديم

* * *

الآن يجلس "مجد" و"نديم" وهما يرتشفا الشأي بعد أن فرغ "مجد" من الحكى، في حين ينظر "نديم" لـ "مجد" بكل فرحة وسعادة الدنيا قبل أن يقول بحماس:

— دى أحلى حاجة إنت عملتها ف حياتك، ياه يا مجد، بجد مش عارف أشكرك إزاي

"مجد" بدهشة:

— ما تخيلتش إنك هتـفرح بالشكل ده بعد اللي حكيتهولك، إنت مش مستوعب أبعاد الموضوع؟

"نديم" بحماس أكبر:

— بالعكس، ده موضوع حياة أو موت، إنت داخل على مواجهة خطيرة ماحدش عارف هتنتهى على إيه، وهو ده سر سعادتى، **"يسرح ببصره ثم يناجي نفسه"** بعد اللي حصل لي أنا بقيت مجرد حطام بنى آدم ماحدش حاسس بيه، وياما جت عليا أيام فكرت فيها في الإنتحار، **"ينظر لمجد ويتابع بحماسة"** وأخيرا جت لي فرصة أنى أرجّع أمجاد زمان، وأثبت لنفسى قبل ما أثبت لأي حد تانى أن قوتى وذكائى ما اتأثروش لما رجلى طارت، تـفتكر مش من حقى أفرح حتى لو كانت نهايتى بعد الفرحة دى؟

يسرح "مجد" ببصره متأثرا بكلمات "نديم" الأخيرة، وهو يتخيل خاتمة تلك القصة المعقدة التي صار بطلها رغم أنفه؛ وقد احتملت أحداثها ألف نهاية

* * *

كعصفور مبلول، جلس اللواء "ماجد بهجت" أمام رئيس

الجمهورية الذي قال غاضبا:

– معناته إيه ده يا بهجت؟ إزاي تسمحوا لأكتر رجل سرق ونهب البلد واتمتع من خير بلدها في عهد النظام السابق إنه يهرب بالسهولة دي؟

يتنحنح رئيس جهاز الأمن الوطني قائلا:

– فخامتك مسئولية هروبه بتقع على مأمور السجن يا فندم، لو كان محبوس عندي كان حقك تشنقني لو حبيت

– لأ إنت المسئول قدامي، واللا نسيت الحوار اللي دار بيني وبينك من كام يوم ساعة ما وصل لنا خبر إنه معاه CD عليها معلومات خطيرة عن منظمة سرية فيها عدد كبير من القضاة والمستشارين

ينظر اللواء "بهجت" للأرض في خجل، بينما يتابع الرئيس:

– اسمع يا بهجت، إنت عارف بنفسك حجم الضغوط والحرب القذرة اللي بيمارسها علينا فلول مبارك وخصوصا بعض القضاة اللي عيّنهم ورباهم على إيده، وهما بدورهم ردوا ليه الجميل وعملوا قوانين تفصيل على مقاس نظامه، عشان كده لا يمكن هنعرف نحارب الدولة العميقة ونطهر القضاء غير لو مسكنا عليهم ذلة تخلينا نعرف ننفذ اللي إحنا عايزينه من غير ما متواطيء فيهم يفتح بقه.. الوصول للـ CD اللي قابيل الهراس اتكلم عنه مهمتك الفترة الجاية، ولو نجحت، ساعتها هعرف إنك فعلا يعتمد عليك، واوعدك إن فيه كرسي أهم هيكون في انتظارك، فاهمني يا سيادة الوزير؟

تتهلل أسارير العميد "بهجت"، لتتراقص الفرحة في عينيه وهو يردد بسعادة مراهق وافقت نانسي عجرم على إضافته في الفيس بوك:

– وزير؟

– ولسه اللي جاي أحلى، بس تنفذ اللي قولت لك عليه

اللواء "ماجد بهجت" يزدر ريقه ويردف:

– أنا خدامك يا فندم، رقبتي قصاد الـ CD اللي سيادتك عايزه

* * *

في مكتبه بجهاز الأمن الوطنى يضرب اللواء "ماجد بهجت" سطح مكتبه بعنف قائلًا في لهجة غاضبة للمقدم "أمل":

– معناه إيه اللي بيحصل ده؟ انت بتتقدم ولا بترجع ميت خطوة ورا وترجعنا معاك؟!

ليقول المقدم "أمل" بضيق شديد:

– حضرتك عارف يا فندم إن الموضوع شائك ومش هيخلص بسهولة، إحنا كنا خلاص وصلنا للعناصر المخربة اللي دخلت البلد وهربوا من إدينا على آخر لحظة بعد ما حد سرب لهم معلومات إنهم هيتقبض عليهم، وقابيل الهراس بعد ما طلب إعادة التحقيق معاه وقال إن معاه CD فيه معلومات خطيرة هرب فجأة، وحتى المنظمة السرية اللي رصدنا مكانها وبدأنا نراقب أعضائها اتدمرت من مجهولين

يصرخ فيه اللواء "بهجت" قائلا بعنف:

– ما هو لو كنت شايف شغلك كويس ومركز فيه بدل ما بتدور في ملفات مالهاش علاقة بالمهمة اللي إنت مكلف بيها ما كانش كل ده حصل

يعقد "أمل" حاجبيه وقد جاءت كلمات رئيسه على الجرح، فيسأل بصوت مخنوق:

— ملفات إيه اللي بدور فيها؟

تبرق عيني رئيس الأمن الوطني وهو يقول بصرامة شديدة وبلهجة أهدأ لكنها تحمل غلظة وحزم لا حدود له:

- إنت عارف كويس أنا أقصد إيه، ومش وقت الكلام في الموضوع ده عشان هنتحاسب بعدين، "**يرفع سبابته في وجه أمل ويلوح بتهديد:**" اللي يهمني دلوقت إن خبراء الاقتصاد أكدوا إن هروب الهراس بشركاته والأسهم اللي بيملكها في البورصة ممكن يهز اقتصاد البلد، ودلوقت بعد الانفجار اللي حصل وقتل عشرات رجال الشرطة والقضاء سمعة البلد كمان ممكن تتهز، عشان كده لازم نلاقى الهراس ونكشف سر الانفجار ده ف أسرع وقت، حتى لو اضطرينا نعمل صفقة مع ابنه

— صفقة؟

يميل اللواء "بهجت" للأمام ليتطلع إلى عيني "أمل" قائلا:

— أسمعني كويس ونفذ اللي هقولهولك بالحرف الواحد

* * *

في وكره السري، يفتح "مجد" الباب ليدخل "نديم" على كرسيه المتحرك، و"مجد" يدفعه أمامه، بينما يحمل في يده حقيبة صغيرة، وما أن يدخلا حتى يضىء "مجد" المكان، فينقض عليهما "ماكس"، فيتراجع "نديم" في قلق، بينما يقول "مجد" للكلب في هدوء:

- Stop ماكس

الكلب يتجمد في مكانه فجأة وكأنه رأي عيني «ميدوسا»، فيتقدم نحوه "مجد" ويربت على عنقه بحنان قائلا:

— ده نديم صاحبى، دافع عنه بحياتك

تتسع عينى "نديم" بإنبهار وهو يرى الكلب يومىء برأسه وكأنه يقول «حاضر»، قبل أن يقول "نديم":

لو عايزنى أعرف اشتغل كويس إنقل ماكس لشقتك التانية على الأقل عشان يحمى مالك، أنا مفيش عمار بينى وبين الكلاب رغم إني كنت ظابط سابق

يبتسم "مجد" بلا تعليق وهو يضع الحقيبة التي في يده على ترابيزة صغيرة بجوار كرسى "نديم" الذي يتأمل المكان حوله، ليجده شقة صغيرة تتكون من غرفة وصالة، لكنها مفروشة بعناية وذوق رفيع يتسم بالأناقة والبساطة، كما يجد "خفاش طائر" من النوع الذي يستخدم في الطيران من الأماكن المرتفعة، ويكون معلقا على الحائط، وجهاز كمبيوتر متطور موضوع على ترابيزة مخصصة له، قبل أن يسأل "نديم" في دهشة:

— إحنا فين يا مجد؟

— مكان متواضع ماحدش يعرف عنه حاجة، أجرته بعد اللي حصل وجهزته ليوم زي ده، ودلوقت بإعتبارك خبير إتصالات، إزاي أقدر أزرع عيون وودان ليا ف مؤسسة الهراس من غير ما حد يحس

"نديم" يفتح الحقيبة، ويبدأ في تفريغ محتوياتها التي تكون عبارة عن أجهزة إلكترونية تستخدم في التصنت والتجسس، وما إلى ذلك،

"نديم" يلتقط أحد الأجهزة ثم يلوح به أمام "مجد" قائلًا:

— دى أجهزة تصنت أنا اللي مصممها بنفسى من أيام شغلى بالداخلية، فكرة عملها بسيطة جدًا وبتعتمد على،

"مجد" مقاطعًا:

— المهم هتوف بالغرض؟

"نديم" بثقة مفرطة:

- بكل تأكيد

* * *

فوق سطح أحد أبراج كورنيش المعادى، في ليلة غير قمرية، نرى "مجد" الملثم بمظهره المثير للرعب والرهبة وقد رفع منظارا إلى عينيه، ومنه أخذ يراقب مقر شركة "الهراس" من بعيد، لنرى من خلاله مشهد بانورامى للشركة من الخارج، وشعار الشركة الضخم فوق سطحها، وقد اصطبغ المشهد باللون الأخضر الناجم عن نظارة الرؤية اللّيلية، قبل أن يترك "مجد" المنظار المقرب ثم يحمل "الخفاش الطائر" ويفرده ليكون مستعدًا للطيران.

"مجد" يجرى بالخفاش الطائر بسرعة نحو حافة السطح قبل أن يقـفز بجرأة، وبلا تردد، لنرى "مجد" بعدها من مسقط أعلى ممسكًا بالخفاش الطائر، ويطير به في الهواء متجهًا نحو سطح شركة "الهراس"، ليهبط بالخفاش الطائر فوقه في براعة، قبل أن يتجرد من الخفاش ثم يفتح حقيبة صغيرة كانت مربوطة حول جسده، ويخرج منها حبلا غليظا

* * *

من داخل مكتب "قابيل الهراس"، نرى من واجهته الزجاجية الأنيقة المطلة على الكورنيش، "مجد" في زيه الملثم ممسكًا بحبل يهبط به من السطح، قبل أن يعالج النافذة بعناية وحرص ثم يدخل المكتب بهدوء،

وما أن يدخل "مجد"، حتى يبدأ في زرع أجهزة التصنت بعناية وحرص، ثم يعود للنافذة ويمسك بالحبل ليصعد من جديد ويعود من حيث أتى

* * *

فى مكتب "أبيّ" بنيابة أمن الدولة طوارىء، تبكى "رحمة" في إنهيار، بينما ينظر هو إليها بصرامة دون أن يتأثر بدموعها، ويقول بلهجة من إعتاد انهيار الجميع أمامه حتى لم يتبق في قلبه مكانًا للشفقة:

– حتى لو صدقت كلامك، طالما مفيش أثر لجثة عمك ولا المقنعين التانيين مش هقدر أساعدك، أنا هنا بتعامل مع قوانين

"رحمة" تلمع عينيها بالدموع وتقول وقد طفح الكيل بها:

– القانون لازم يكون ليه نبض يحس بالناس عشان يحقـق العدالة السليمة، إنتوا بتحكموا بين بنى أدمين مش حيوانات

فيقول ببرود:

– ده كلام يتـقال ف رسالة دكتوراة والناس تسقف لك عليه، لكن مش هيفيدك هنا

وفجأة يسمع "أبيّ" صوت "مجد" الصارم يتردد بجانبه:

– بس أكيد اختفاء زميلها وعمها من إمبارح هيدعم كلامها على الأقل

"أبيّ" يلتفت إلى "مجد" الواقف أمامه بطلته المهيبة ونظراته الصارمة، ليقول بدهشة:

– مجد؟!

"رحمة" تنـتـفض في مكانها وتقف كالمشدوهة وهى تسمع صوت "مجد" الذي يقول:

– أنا لسه جاي من جريدة المستقبل اللي شغالة فيها رحمة وزميلها براء، وعرفت إنه ماراحش الشغل النهارده وتليفوناته كلها مقفولة

فيقول له "أبيّ" بمزيج من الخجل والحرج:

– إنت أكتر واحد عارف اللي بينى وبينك يا مجد، بس اعذرنى لو أضطريت أقولك إن هنا مش مجال ترد لها فيه الجميل، لا إنت المحامى بتاعها ولا وجودك هنا ليه صفة قانونية أصلا

فيسأله "مجد" بغموض:

– حتى لو كنت شاهد؟

"رحمة" تتسع عينيها الكفيفتين بذهول، بينما ينظر "أبيّ" بحيرة لـ "مجد" ويسأله بدهشة:

– شاهد على إيه؟

"مجد" بغموض أكتر:

– الإجابة مش هتعرفها النهارده، بس أوعدك إن الأيام اللي جاية هكون فيها طرف رئيسى ف القضية، وإنت بنفسك اللي هتستدعينى

فى نفس اللحظة يرن هاتف المكتب فيرفع "أبيّ" السماعة ليرد على المتصل:

– آلو، أؤمر يا فندم

يستغل "مجد" إنشغال "أبيّ" بالمكالمة، فيمد يده ليمسك بكف "رحمة" أسفل المكتب حتى لا يلاحظ "أبيّ" ذلك، ويحرك "مجد" سبابته على راحة يدها وكأنه يكتب لها رسالة خفية يقول فيها بإصبعه:

– مالك عندى ف البيت بيفك شفرات الـ CD، بس مش هقدر أعلن ده إلا لما نفك الشفرة حفاظًا على حياتك وحياته

"رحمة" تتسع عينيها بمزيج هائل من الدهشة والفرحة، وكأنها لا تصدق، قبل أن تحذو حذو "مجد" وتحرك بدورها إصبعها على كفه لترد عليه بتلك اللغة الحركية:

– مش هتصدق لو قولت لك انى كتبت اللي كتبته عنك، عشان أرد لك مقدمًا جميل كنت واثقة إنك هتعمله فيا ف يوم من الأيام

"مجد" يتأمل السلسلة المعلقة على صدرها، ويدقق النظر في صورة والدها ووالدتها، ثم ينهض وهو يمنحها ابتسامة رقيقة وكأنها تراه، وبالفعل أحست به هي الأخرى لتبادله البسمة بدورها وقد بدأ التوتر الجاسم على صدرها في التفتت، قبل أن ينهى "أبيّ" المكالمة لينهض ويمد يده لـمصافحة "مجد" قائلًا بإحراج:

– نتقابل بعدين يا مجد، في كارثة جديدة هضطر أروح أحقق فيها بعد ما أخلص التحقيق مع المتهمة، أشوفك ف ظروف أحسن من كده

ينهض "مجد" بدوره ليمد يده ويقول لـ "أبي" بسخرية مريرة وهو يصافحه:

– يبقى مش هنتقابل

* * *

الفصل السادس عشر

فى منزل "مجد" ينهمك "مالِك" بالضغط على لوحة مفاتيح اللاب توب، الموصل بهارد ديسك خارجى «External"، بينما نرى على الشاشة مجموعة من الأرقام المتراصة التي تتبدل وتتغير مع ضغطات "مالِك" لتتحول إلى حروف بعدة لغات سواء العربية والأنجليزية والصينية بجانب حروف غير لغوية مثل * و# و@، فيزفر زفرة حارة تعبر عن ضيقه، في الوقت الذي يدخل فيه "مجد" من الشقة مرتديًا قميصًا أسودًا مجسمًا، وبنطلونا ذو لون أسود مشحم، تقف خامته بين الجينز والقماش ويسأله باهتمام:

— إيه الأخبار؟

"مالِك" وهو لا زال يضرب أزرار الكيبورد بإصرار:

— الـ CD مكتوب بشفرة مالهاش أي علاقة بشفرات الكمبيوتر، أنا جربت كل الأنظمة الكمبيوترية، من أول النظام العشرى التقليدى، لغاية نظام أسكى والـ Unicode Worldwide Character Standard وبرضه مفيش فايدة

يقترب منه "مجد" ليلقى ناظرة عابرة على شاشة اللاب توب وهو يتساءل:

— والعمل؟

يتوقف "مالِك" عن ضرب مفاتيح الكيبورد، قبل أن يخلع نظارته الطبية ويفرك عينيه ثم ينظر لـ "مجد" قائلا:

— أنا معايا برنامج على الهارد الـ External يقدر يفك أي شفرة ف دقايق، بشرط إنك تعرف مفتاحها

يعقد "مجد" حاجبيه ويسأل:

— يطلع إيه مفتاح الشفرة ده؟

— أي شفرة ف الدنيا لها نظام معين هو اللي بيحدد طريقة تحويل حروفها وكلماتها لمصطلحات متفق عليها بين اللي بيستخدموا الشفرة دى، النظام ده بيطلق عليه مفتاح الشفرة

— والمفتاح ده نعرفه إزاي؟

— لازم تكون عندنا معلومات كافية عن الناس اللي شفّروا الـ CD عشان نقدر نستـنبط مفتاح الشفرة

"مجد" يسرح مع الكلمة دون أن يعلق بحرف واحد

* * *

داخل مقر شركة "الهراس" نرى "آسر" إبن "قابيل الهراس" بجسده الطويل، وعوده الرشيق، مرتديًا ملابس كاجوال غالية الثمن، وسلسلة ذهبية تزين عنقه، وقد جلس على مكتب والده، بينما تدخل عليه السكرتيرة قائلة:

— المقدم أمل يا آسر بيه

"آسر" يزفر زفرة حارة، قبل أن يقول بإمتعاض:

— خليه يدخل

المقدم "أمل" يدخل بخطوات واثقة، وفى عينيه نظرة حادة تمسح أرجاء المكتب، قبل أن يجلس على المقعد المواجه المقابل لمكتب "آسر" قائلًا بسخرية:

— هايل، اللي يشوف حالة المكتب بعد ما فتشناه وإحنا بندور على والدك، يفتكر إنه مش هيرجع زي ماكان قبل شهر

"آسر" بسخرية مماثلة:

— ما إحنا ف عصر السرعة يا أمل بيه

المقدم "أمل" بنظرة ثعلبية:

– عشان كده أنا جاي لك بعرض هيخلينا نفتح صفحة جديدة بعد كل اللي حصل

"آسر" بنظرة ثعلبية مماثلة:

– يا ريت

– نص الثروة، والتنازل عن كل الأسهم والسندات المملوكة للشركة لصالح الدولة، مقابل السماح لقابيل بيه بالخروج م البلد والسفر لأي دولة يختارها

"آسر الهراس" يضحك ساخرًا قبل أن تنقلب سحنته وهو يقول:

– قصدك تقول إن ده العرض اللي بابا عرضو عليكوا، وعرض فوقيه كمان يسلمكوا CD عليه أسرار صفقات مشبوهة بين قضاة مرتشين ورجال أعمال تقيلة ف البلد، وإنتوا خليتوا بيه بعد ما سلمكوا رقبته

المقدم "أمل" بصرامة:

– إحنا كلمتنا واحدة وما بنخلاش بحد

وفى تلك الأثناء كان "مجد" و"نديم" يستمعان لهذا الحديث في الوكر السرى لـ "مجد" أمام أجهزة الاستماع لمتابعة الحديث حين قال "آسر":

– واضح، بدليل إنكوا هيّجتوا الرأي العام عليه واتهمتوه إنه حاول اغتيال قاضى وقتل أمه، مع إنكوا عارفين كويس إن مش هو اللي عمل كده

– هو اللي اعترف على نفسه

– تحت ضغط، وانتوا بنفسكوا اتأكدتوا إن ناس هددوه ف السجن عشان يقول الكلام ده مع إنه لا قتلها ولا ليه دعوة باللي

حصل ورغم كده كتّمتوا ع الموضوع

يلتقط المقدم "أمل" نفسا طويلا قبل أن يقول بحزم:

– ما تنساش إن اعترافات أبوك اتنشرت ف الجرايد، ولو كنا قولنا حرف واحد عن إنه برىء من التهمة دى، كان الرأي العام هاج أكتر ما هو هايج وآديك شايف حال البلد عامل إزاي، كله بيخوّن كله، وبعدين ماتنساش إن مش دي القضية الوحيدة اللي متهم فيها، رشوته للقاضى كانت صح وإنت كمان عارف كده كويس

"آسر" غاضبا:

– وعشان غِلِط في قضية تشيّلوه باقى المشاريب؟

"أمل" بنبرة أهدأ:

– ماحدش قال كده، إحنا كنا مستنيين الموضوع ينام وكل حاجة تتم زي ما اتفقنا، بس أبوك اتسرع وهرب

"آسر الهراس" ببرود:

– صدقنى أنا معرفش مكان بابا عشان أبلغك الرد بلسانه

المقدم "أمل" يعود لعصبيته وهو يقول بصوت صارم ونبرة أعلى:

– مفيش داعى للف والدوران، إنت عارف كويس إن ماحدش هيصدقك

لكن "آسر" لم تهتز له شعرة، وهو يواصل الحديث بنفس البرود:

– الحال من بعضه يا أمل بيه، إنتوا كمان صفقاتكوا مبقتش تتصدق

فى وكره السرى يعقد "مجد" حاجبيه أكثر وهو ينتظر رد "أمل" الذي تأخر لثوانى قبل أن يقول:

– عموما أنا مش هاخد منك الرد دلوقت، فكر كويس وبعدين

كلّمنى، بس اعمل حسابك إن كل لحظة بتعدى بتعقد الدنيا أكتر، واللي مش هترضى بيه النهارده ممكن بكرة تحلم بربعه وماتطلهوش

يسمع"مجد" بعدها صوت خطوات "أمل" وهو يغادر المكتب دون أن ينبس بعدها "الهراس" الصغير ببنت شفة، في حين يرتسم الوجوم على ملامح "نديم" الذي ينظر لجهاز الاستماع غير مصدق نفسه قبل أن يتساءل بصدمة:

– لو الهراس فعلا مش هو اللي قتل والدتك الله يرحمها، مين اللي ممكن يكون له مصلحة ف كده؟

لكنه لا يسمع سوى صمت "مجد"، وعندما ينظر إليه ليكرر السؤال، لا يجد له أدنى أثر!

* * *

"للأسف يا فندم توقعاتك طلعت في محلها، كل ملفات الإخوان اختفت من الجهاز"

هكذا يقول الرائد "مجدي" وعلى ملامحه الضيق والاحباط، فيما يشيح "أمل" بوجهه وهو يجلس على مكتبه ليردد بخفوت وقلة حيلة:

– رغم إنه كان متوقع، بس كان نفسي أطلع غلطان، إحنا كده عاملين زي العبيد الرومان اللي بيصارعوا الأسود من غير سلاح جوه قفص حديد

يتنحنح الرائد "مجدي" في حرج ويبدو أنه يحمل داخله حملا ثقيلا على صدره، لكنه في الوقت نفسه أثقل من أن ينطقه لسانه، فينظر له "أمل" بتساؤل قائلا:

– مالك يا مجدي؟ عايز تقول حاجة؟

– أصل.. أصل يا فندم وأنا بدور على ملفات الإخوان لقيت في نفس المكان ملفات تانية خالص بس بتخص السيد الوالد

– أبويا أنا؟

– أيوة يا فندم

– ملفات إيه دي؟

– ملفات مكتوب عليها إنها سرية، وفيها تقارير بتقول إنه حاصل على مجموعة من أراضي الدولة بمرسى مطروح بشكل غير قانوني كنوع من الـ... إحم

– كنوع من الإيه، انطق

يبتلع "مجدي" ريقه وهو يغمغم بصوت مبحوح متردد:

- كنوع من الرشوة

يهب "أمل" واقفا كالممسوس قبل أن يصرخ غاضبا:

– أنا أبويا أشرف من كل الكلاب اللي كتبوا عنه الكلام الفارغ ده.. أكيد دي رسالة منهم بتقول إني لو حاولت أنبش وراهم هيشوهوا عيلتي ويضروا أقرب الناس ليا، وبكده يبقى مفيش فرق بينهم وبين النظام اللي فات في تشويه الخصوم، عشان كده هيلاقوا نفس المصير قريب أوي

* * *

فى منزله، يدخل المقدم "أمل" ليجد زوجته تجلس مع والده المستشار "أحمد العبد" في الريسبشن، قبل أن تنهض الزوجة وتقبله قائلة وهى تشير لوالده:

– إيه رأيك بقى في المفاجأة الحلوة دى؟

ينظر "أمل" لوالده في انكسار، حتى أن ذراعيه تجمدت حين احتضنه والده، ولم يقو على مبادلته بالعناق حين قال له المستشار "أحمد العبد":

– لقيتك مختفى وما بتسألش على أبوك فجيت لك بنفسى

يجيب "أمل" بلهجة ثقيلة وهو بين أحضان والده:

– غصب عنى والله يا سيادة المستشار، إيش حال إنت أدرى واحد بطبيعة شغلى

الأب يشير تجاه شاشة التلفاز التي يظهر عليها الإعلامي "محمود سعد" قائلا باهتمام:

– فريق الإعداد لسه قافل معايا وهعمل مداخلة خلال دقايق مع محمود سعد عشان أرد بيها على غيبوبة شوية القضاة اللي عاملين فيها زعماء سياسيين، أقعد شوف أبوك هيعمل إيه

تقوم زوجة "أمل" بمعاونته على خلع جاكت بذلته، وتأخذ منه سلاحه الميرى لتدخله في غرفة النوم، بينما يجلس "أمل" على مضض بجوار والده في إنتظار تلك المكالمة التي لا يقتنع بجدواها، قبل أن تأتى زوجته من غرفة النوم لتجلس معهما في الريسبشن وتلاعب لـ "أمل" حاجبيها في شقاوة دون أن يلحظ الأب ذلك، ليكتم "أمل" ابتسامته، قبل أن يرن هاتف المستشار في الوقت الذي يقول فيه "محمود سعد" على الشاشة:

– ويا ترى إيه تبعيات انقسام القضاء المصرى لتيار حكومى وتيار أخر مستقل له توجهات مختلفة عن توجه الحكومة؟ وهل فيه صراع بينهم؟ ولصالح مين الصراع ده؟ معانا على الهاتف المستشار أحمد العبد للإجابة على هذه التساؤلات، سيادة المستشار اتفضل

المستشار قائلا بخيلاء وثقة:

– فى الحقيقة يا محمود بيه أنا في غاية الإندهاش من اللي بيحصل من بعض الزملاء من القضاة والمستشارين، اللي بيطالبوا باستقلال القضاء

"محمود سعد":

– سيادة المستشار الصوت مش واضح، يا ريت توطى التليفزيون

المستشار "أحمد" يوجه الريموت كنترول للتلفاز ليخفض الصوت ويتابع مجددًا:

– بقول لحضرتك قضاء مصر الحقيقى برىء من بعض القضاة اللي لجأوا لتشويه صورته إعلاميًا، وتوجيه الإتهامات بدون أي دليل

"محمود سعد":

– سيادة المستشار أرجوك يا ريت توطى الصوت تانى

المستشار يوجه الريموت كنترول للتلفاز ليخفض الصوت مرة أخرى ويتابع:

– بقول لحضرتك هؤلاء القضاة استخدموا لغة العنف في الحوار، بخلاف عدم إتفاقهم فيما بينهم على كلمة واحدة، مما يؤكد انتهاجهم لمنهج الفوضى، ده غير إنهم جت لهم عروض مالية لتحسين أوضاعهم، لكنهم رفضوها بحجة إن ده بيؤثر على نزاهتهم، رغم أنها كانت عروض مشروعة وقانونية، ثم عادوا ليؤكدوا أن هناك عدم إهتمام من الدولة بتحسين أوضاع القضاة، وللأسف كل همهم إنهم يلبسوا ثوب البطولة فقط مش اكتر

نسمع صوت يشير إلى إنتهاء المكالمة في حين يقول "محمود سعد":

– واضح إن فيه مشكلة في الاتصال

بينما يغلق المستشار موبايله غاضبًا، قبل أن يمنحه "أمل" نظرة حزينة قائلا:

– قول لي يا بابا، ما خوفتش وإنت بتصارع خصومك تكون لك نقطة ضعف حد ممكن يمسكها عليك ويستغلها في ضربك تحت الحزام؟

— لسه ما اتخلقش اللي ممكن يضرب أبوك تحت الحزام، ثم إني ماليش نقطة ضعف، إنت ليه بتسأل السؤال ده؟

— عشان أنا وإنت النهارده في نفس الخندق قصاد خصم واحد حتى لو اختلفت المسميات، خصمك مسمي نفسه تيار القضاء المستقل اللي اتضح إن معظم أفراده خلايا نايمة لها ميول إخوانية، وخصمي الإخوان جندوه عشان يشغّل الداخلية لحسابهم، ولما حس إني كشفته ساب لي رسالة فيها ملفات سرية بتقول إن عندك أراضي حصلت عليها بشكل غير قانوني كنوع من الرشوة

يمتقع وجه المستشار "أحمد العبد" لثوان اصطبغت فيها بشرته باللون الأزرق قبل أن يقول:

— مين الخصم ده؟

— رئيس جهاز مباحث الأمن الوطني

— ده آخر واحد ممكن يتكلم عن الفساد، أنا لو حكيت لك عن الـ...

"أمل" مقاطعا:

— ما يهمنيش هو إيه، اللي يهمني هل كلامه عليك صح واللا غلط؟

يتلعثم المستشار قبل أن يقول:

— اتطمن يا ابني، أبوك ما يخطيش خطوة واحدة غير وهو واخد كل احتياطاته كويس، وكل الأراضي اللي معايا ورقها قانوني

— قانوني قدام الحكومة بس؟ واللا قدام الحكومة وربنا؟

— إنت هتحاسبني يا ولد؟

— العفو، بس لو كان فارق معاك اسمك وسمعتك قدام الحكومة والمجتمع بس، أحب أنبه حضرتك إن عدالة السما أهم بكتير، وبعدين عمرك ما جبيت لي سيرة عن الأرض دي

المستشار "العبد" بعصبية:

— عشان أجمل هدية ممكن تهاديها لولادك هي اللي بيكتشفوا إنها من ريحتك بعد ما تموت، لكن للأسف إبني بيحقق معايا بتهمة إني كنت عايز أأمن مستقبله

— ابنك خايف عليك من عقاب أخطر بكتير من قفص حديد وحبس بين أربع حيطان وفضيحة هتلازمك طول العمر، وإذا كان أبويا المستشار الكبير اللي بيحاكم الناس وقع في نفس غلطهم، يبقى نسيبنا بقى من النضال والكفاح ومداخلات التوك شو وخلينا ف روتانا سينما

قال "أمل" جملته الأخيرة وهو يوجه الريموت كنترول نحو التلفاز ليجلب قناة "روتانا سينما" بالفعل، ليوجه القدر رسالته حين ظهر على الشاشة "أحمد ذكي" في فيلم "ضد الحكومة" وهو يصيح:

— كلنا فاسدون، كلنا فاسدون، لا استثنى أحدًا، حتى بالصمت العاجز الموافق قليل الحيلة.. سيدي الرئيس، كل ما أطالب به أن نصلى جميعًا صلاة واحدة لإله واحد.. إله العدل، الواحد، الأحد، القهار.. لست صاحب مصلحة خاصة، وليس لديّ سابق معرفة بشخوص الذين أطلب مساءلتهم.. ولكن لديّ علاقة ومصلحة في هذا البلد، لديّ مستقبل هنا أريد أن أحميه، أنا لا أدين أحدًا بشكل مسبق، ولكني أطالب المسئولين الحقيقيين عن هذه الكارثة بالمثول أمام عدالتكم لسؤالهم واستجوابهم.. فهل هذا كثير؟ أليسوا بشرًا خطائين مثلنا؟ أليسوا قابلين للحساب وللعقاب مثل باقى البشر؟ سيدي الرئيس، أنا ومعي المستقبل كله نلوذ بكم، ونلجأ إليكم، فأغيثونا، أغيثونا، أغيثونا والله الموفق

ليتوارى الوالد خلف كلمات المشهد، وينصرف من المنزل في خجل،

بينما يدخل "أمل" غرفة نومه ذات الإضاءة الخافتة وهو يزفر في سخط مغمغما:

— إمتى هنخلص من وجع القلب ده بقى؟!

فتأتيه الإجابة بصوت "مجد" من الجانب المظلم في غرفته:

— لما ما يكونش فيه فرق بين القانون والعدالة

"أمل" يلتفت للصوت، فيخرج "مجد" من الجانب المظلم بشخصيته المقنعة

- إنت؟

قالها "أمل" وهو يقفز نحو مسدسه الموضوع على الكومودينو، قبل أن يلتقطه ويصوبه نحو "مجد" الذي لم تجاهل المسدس تماما وهو يضغط على زر في ملابسه ليعيد تشغيل مقطع من ذلك الحوار المسجل مع "آسر الهراس"، ليتردد صوت "أمل":

— نص الثروة، والتنازل عن كل الأسهم والسندات المملوكة للشركة لصالح الدولة، مقابل السماح لقابيل بيه بالخروج م البلد والسفر لأي دولة يختارها

المقدم "أمل" تتسع عينيه بصدمة، قبل أن يحاول تمالك أعصابه ليقول بنبرة غاضبة ووعيد صارم:

- أرفع إيدك فوق وإلا هضربك بالنار

"مجد" ساخرا:

— تضربنى بالنار وتعرض على المجرمين إنهم يخرجوا برة البلد؟

"أمل" بتحدى:

- لو راجل شيل القناع اللي على وشك

"مجد" بتحدى مماثل:

— لو راجل أعلن صفقتك مع آسر الهراس قدام الرأي العام

"أمل" يصمت وقد عجز عن الكلام بينما يتابع "مجد":

— كلنا ف رحلتنا للحقيقة بنلبس ماسكات، بدليل إنك ظابط صالح ورط نفسه ف صفقة وسخة عشان توصل لهدفك

يعقد "أمل" حاجبيه وهو يمسك بالمسدس أكثر وقد تنافرت عروق يديه وهو يتساءل:

— إنت عايز إيه؟

— بما إنك ليك في الصفقات، أنا جاي اعرض عليك صفقة

— صفقة إيه؟

— التسجيل اللي معايا هيدينك إنت وجهاز الأمن الوطني بحاله لو وصل للصحافة ومواقع النت والفضائيات، وإنتوا مش ناقصين، عشان كده أنا بعرض عليك نكفي على الخبر ماجور مقابل إني أعرف إجابة سؤال مهم بالنسبة لي

يعقد "أمل" حاجبيه في إنتظار السؤال، قبل أن يسأل "مجد":

— ليه سكت لما آسر الهراس قال لك إن أبوه بريء من قضية القتل؟ ومين الناس اللي هددوه جوه السجن عشان يعترف تحت ضغط؟

يصمت "أمل" بدون جواب للحظات فيقول "مجد" بصرامة:

— صدقني أنا عارفك كويس، وعارف إنك أنضف من قياداتك اللي وروطوك في الصفقة دي، وأكيد إنت كمان مهما كنت مختلف معايا لاحظت من خلال تحرياتك إني في صف الحق وماليش أي نشاط مشبوه، جاوب على سؤالي بدل ما نصنع عداوة مالهاش مبرر

يلتقط "أمل" نفسا عميقا قبل أن يقول بتردد:

– لما قابيل الهراس حب يعيد التحقيق من جديد، قدم C.D قال إن عليه معلومات خطيرة عن منظمة اسمها نبض العدالة فيها قضاة ومستشارين وظباط شرطة بيشكلوا تنظيم سري، وحكى كل اللي حصل له من ضغوط وتعذيب جوه السجن عشان يعترف إنه حاول يقتل القاضي مجد الدين مهران مع إنه مالوش علاقة باللي حصل، لكن للأسف فجأة اختفى وكيل النيابة اللي فتح التحقيق من جديد في ظروف غامضة واختفت معاه الـ C.D اللي عليها المعلومات، وبعدها بيومين هرب قابيل الهراس وكل الخيوط اللي توصلنا لشيء اتقطعت

– ومين اللي هيكون ليه مصلحة في محاولة اغتيال مجد الدين وتفجير المنظمة غير الهراس؟

– الجريمتين متورط فيهم عناصر إجرامية لها نشاط دولي، دخلوا البلد لجهة مجهولة أوهمتنا إن لها علاقة بقابيل الهراس، بس طلع ف الآخر مالهمش علاقة بيه

يستدير "مجد" متوجهًا للنافذة وهو يقول:

– يبقى لازم تواجه اللي بيحصل بخطة مش تقليدية، اللي بيحصل حوالينا جنون مايوقفهوش غير جنون أكبر منه

"أمل" وهو يصيح فيه ملوحا بمسدسه:

– أقف عندك

"مجد" يستمر ف السير فيكرر "أمل":

– قولت لك أقف

لكن "مجد" يستمر ف السير، فيضغط "أمل" على زناد الضرب موجها المسدس إلى قدميه، لكن المسدس لا يصدر سوى تكة معدنية، فيتسمر "مجد" في مكانه ثم يستدير ليخرج من جيبه خزنة الرصاص الخاصة بمسدس "أمل" قائلًا:

– أبقى أتأكد إن مسدسك متعمر قبل ما تضرب يا سيادة المقدم، ولما تضرب، أضرب عدو، مش واحد معاك ف نفس الفريق

"مجد" يلقى خزنة الرصاص تحت قدمي "أمل"، ثم يقفز من الشباك، فيجرى "أمل" إلى النافذة وينظر منها، فلا يجد له أدنى أثر بعد أن ذاب في الظلام

* * *

الفصل السابع عشر

في مجلس الشورى، وقف وزير الدولة للشئون القانونية والمجالس النيابية سابقا، ليلقي خطبته العصماء التي يسعى من خلالها لاستمالة باقي أعضاء المجلس للموافقة على تعديل قانون السلطة القضائية قائلا:

— ولأن الشعب هو صاحب المحكمة العليا لهذا الوطن، ولأن مجلس الشورى هو نتاج هذا الشعب، وهو صاحب الحق الأصيل في التشريع في ظل غياب مجلس النواب، وليس لأي جهة في الدولة حق التشريع غيره، فها نحن اليوم نستند إلى حقنا القانوني والدستوري في تحريك المياه الراكدة. والبحث عن إصلاح وتعديل لما أصاب قضائنا الشامخ من عطب وآفات سياسية في عصر اتسم بالفساد، وبما أن نقطة البدء يجب أن تكون تشخيص المشكلة قبل طرح علاج لها، فلا ريب أن السلطة القضائية كانت هي الأكثر استقلالا من باقي السلطات في عصر مبارك إذا ما قُورنت بالسلطتين التشريعية والتنفيذية، فعلي خلاف السلطتين المشار إليهما فإن القضاء وحده استطاع أن يواجه كثيرا من قرارات السلطة التنفيذية بالإلغاء أو التعويض، ومن بين ذلك أحكام بطلان بعض عقود التخصيص أو الخصخصة، وكذلك رأينا أحكاما صدرت عن قضاة عظام بإلغاء إحالة المدنيين لمحاكم عسكرية، بل ولن ينسي أحد عندما يؤرخ للقضاء المصري وللمحكمة الدستورية العليا بالذات تصدي هذه المحكمة لكثير من التشريعات الظالمة فقضت بعدم دستوريتها، بخلاف فريق الاستقلال من القضاة الشرفاء الذين نزلوا من علياء منصاتهم إلي الشارع للدفاع عن استقلال أحكامهم، لكن، الحقيقة أن هذه الصورة الوردية في مجملها أصابتها الشوائب المتطايرة في عصر اتسم بالفساد والتدخل بإفساد كل صالح

في تلك الأثناء كان هناك مجموعة من الملثمين يتسللون بخفة واحتراف في أروقة الدور الثالث بمحكمة جنوب القاهرة، وقد حمل كل منهم جركنا من البنزين، ليوزعوا أنفسهم على الغرف المليئة بالملفات والأوراق، ثم يبدأ كل منهم بموقعه في سكب البنزين وتوزيعه في كل جنبات الغرفة، بينما يواصل وزير الدولة السابق للشئون القانونية والمجالس النيابية إلقاء كلمته بمجلس الشورى قائلا:

— إن الاستقلال والحيادية التي اتسم بها القضاء كانت نسبية في كثير من المراحل والحالات، إذ لم يخلُ الأمر من محاولات للنظام السابق للتدخل في شئون العدالة مستخدما العصا والجزرة، وكان مدّ سن الإحالة للمعاش جزءا من الجزرة، كما تعامل النظام السابق مع منصب النائب العام باعتباره وظيفة تنفيذية لا قضائية، فكان يعينه ويقيله بنقله لوظيفة أخرى دون أدنى احتجاج من أحد

أحد الملثمين يدس في الفيشة سلكا ذو طرفين مكشوفين، ثم يقربهما من البنزين المسكوب على الأرض قبل أن يلامسهما ليصدرا شرارة كهربائية سرعان ما تتحول إلى حريق ينتشر في ثوان بجنبات الدور الثالث، فيما يواصل وزير الدولة السابق للشئون القانونية والمجالس النيابية كلامه:

— وأهم ما قام به النظام السابق هو إغماض عينه عن معايير التعيين في القضاء فترك الأمر كاملا بيد القضاة ورجال مباحث أمن الدولة، بغض النظر عن وجود معايير موضوعية أو تخلفها، ونأمل أن يحقق مشروع قانون السلطة القضائية العدالة لأوائل خريجي كليات الحقوق والشريعة والقانون بعد أن حرموا من أحقيتهم في التعيين بالقضاء المصري بناءً علي جدارتهم، لصالح أبناء القضاة و أقاربهم الذين لم يمتلكوا لا الكفاءة ولا الجدارة، وكانت تكفيهم

صلات القرابة والمصاهرة لأعضاء الهيئات القضائية حتى يتم تعيينهم، وبذلك أُهدرت معايير العدالة في اختيار وتعيين القضاة الذين من واجبهم أن يحققوا العدالة، فهل هناك عبث أكثر من ذلك؟

في تلك الأثناء، كان المستشار "حسين مكي" يتقدم بتحفز في القصر الجمهوري نحو مكتب رئيس الجمهورية، قبل أن يصل إليه ويفتح الباب بغضب، لتتلاقى عينيه بعيني الرئيس قبل أن يقول بصرامة وحزم:

— برضه سيادتك نفذت اللي في دماغك من غير ما تدرس مع النائب بتاعك تبعيات قانون زي ده، ونسيت إن البلد مقسومة ومش مستحملة غليان أكتر، أنا بحملك المسئولية

ليجيبه الرئيس بعينين يطل منهما الصلف والعناد:

— يظهر إنك نسيت إزاي المفروض تتكلم مع رئيسك يا حسين، من هنا ورايح لازم تراعي اللهجة الرسمية في كلامك، ولو إن الكلام والمقابلات هتقل بحكم المنصب الجديد اللي رشحتك ليه

تضيق عيني نائب رئيس الجمهورية متساءلا:

— منصب إيه؟

— سفير مصر في الفاتيكان

لتتسع عيني نائب الرئيس غير مصدق نفسه، بينما لا زال وزير الدولة السابق للشئون القانونية والمجالس النيابية يواصل إلقاء بيانه تحت قبة مجلس الشورى قائلا:

— لقد انتشرت الوساطة والمحسوبية على حساب الجدارة والكفاءة لسنوات طويلة حتى منّ الله علينا بدستور يعيد الأمور إلى نصابها الصحيح بتولي أصحاب الكفاءة والجدارة للوظائف العامة، ولذلك فإن من المحزن أن نسمع اتهامات للقائمين على السلطة التنفيذية بالعمل علي أخونة القضاء لمجرد طرح مشروع تعديل قانون السلطة القضائية للنقاش، وكأن القضاة من الإخوان موجودون بالمئات ينتظرون أن يتولوا الوظائف العليا في القضاء بمجرد خلوها، في حين تسعى السلطة التنفيذية بمعونة السلطة التشريعية على إصلاح أخطاء الماضي ورد حقوق المظلومين لأهلها في بلد كان الظلم فيها أساس الحكم، فإذا بالعدل فيها يصبح أساس المـــُـلك

ومع انطلاق حروف كلماته الأخيرة، اهتزت القاعة بتصفيق الأعضاء الحاد، لنرى في نفس اللحظة "مجد" وهو يجلس في منزله، يتابع ما يبث على الهواء مباشرة، وقد انقسمت شاشة التلفاز إلى نصفين،نصف يذيع وقائع جلسة مجلس الشورى، والنصف الأخر يبث حريق محكمة جنوب القاهرة التي كانت تنظر دعوى اتهام جماعة الإخوان المسلمين بتزوير انتخابات رئاسة الجمهورية، وقد امتد حريقها إلى عنان السماء، ليداري دخانه الأسود على ميزان العدالة المنحوت على واجهة المحكمة

* * *

فوق هضبة المقطم، وقف المستشارين "حسام البسطاويسي" و"حسين مكي"، وقد ارتدى كل منهما معطفا ثقيلا تحركه الرياح القوية، ليقول الأول بلهجة حزينة حملت حروفها الهواء الساخن الذي يخرج من شفتيه كدخان سجائر في قلب ليلة باردة:

— لو سألتني إيه أكتر كلمة بتكرهها في حياتك، هقولك ما أكرهش أكتر من جملة "مش قولت لك"، لكن المرة دي مش لاقي جملة غيرها ممكن أقولها

يرد عليه نائب رئيس الجمهورية السابق بحزن يقطر من كلماته:

— قول كل اللي عايز تقوله، أنا جاي النهارده اتطهر بكرباج كلامك

لحد ما أكفّر عن ذنوبي وأعرف أرجع تاني لمحراب العدالة

— من الغباء إنك تتوب في لحظة المجتمع بيخوّن فيها الشرفاء، ويرمي التهم على اللي مالهمش ذنب، فما بالك باللي غلطوا بالفعل، نصيحة مني ليك يا حسين أقبل المنصب الجديد وروح توب هناك في الفاتيكان،أرض سيدنا الحسين وستنا زينب مابقاش عليها ناس ممكن تسامح، خصوصا مع اللي حط ايده في إيد خونة لحد ما طردوه من جنتهم بعد ما خدوا منه اللي هما عايزينه

تلمع عيني نائب الرئيس بالدمع ليقول جاهدا وهو يمنعها من الانفلات:

— خايف بعد العمر ده كله أموت برة مصر

— موت براها أحسن ما تعيش فيها وهي اللي تموت جواك، الإخوان خلاص أيامهم معدودة وكل اللي حط ايده في اديهم هيتحط عليه

— كنت فاكرك هتاخدني بالحضن وتقول لي يالا نرجّع أيام زمان ونقف في وش النظام لحد ما نجيب للعدالة حقها

— لو حطيت ايدي في إيدك يبقى هحكم بالإعدام على القضية اللي عيشت طول عمري أناضل عشانها، الناس ممكن تصدق إن واحدة شريفة بقت رقاصة، لكن مستحيل تقتنع إنها رجعت شريفة تاني

— والناس برضه كانت مستحيل تصدق إن قاضي شريف زيك ياما حارب نظام مبارك وكل القضاة المنتمين ليه، فجأة يقبل إنه يحط إيده في إيد المستشار أحمد العبد اللي وجّه لنا التهم ووقف مع نظام مبارك ضد استقلال القضاء

— حتى الظابط الفاسد اللي كل فضايحه معروفة، ممكن في لحظة تبوس إيده عشان يحميك من حرامي بيهدد حياتك، وساعتها هتنسى له كل بلاويه وتحلف بحياته لمجرد إن مسدسه نجح إنه ينقذك، إنما إنت وقضاة الاستقلال رميتوا سلاحكم على بوابة القصر الجمهوري ومبقاش معاكم حاجة ممكن تطمن الناس أو تحميهم

نائب الرئيس السابق بضيق ونرفزة:

— لكن اللي حطوا إديهم في إيد مبارك كانوا ملايكة، مش كده؟

— الإخوان أثبتوا إن مبارك مش هو أصل كل الشرور، وعملوا لنظامه وأعوانه دعاية هو نفسه ما كانش يحلم بيها، وكل اللي كانوا بيتشتموا عشان انتمائهم ليه، النهارده الشعب مستعد يحط إيده في إديهم عشان يخلصوه من كابوس أكبر، وحاشية فاشلة ماعندهاش القدرة إنها تخلي الناس تاكل وتشرب زي ما كانوا بياكلوا ويشربوا في عز الطغيان والجبروت والفساد

يصمت المستشار "حسين مكي"، وقد فرت الحروف من على لسانه، بينما لا زالت الرياح تحرك معطفه، قبل أن يستطرد المستشار "البسطاويسي":

- أشوف وشك بخير يا حسين، أنا والمصريين خلاص هنعتبرك في حكم المسافرين، حتى لو استنيت

ثم يوليه ظهره وينصرف.

* * *

في منزل "مجد الدين"، يتصفح "مالِك" شقيق رحمة كتابا عن فك الشفرات، وبجواره عدد كبير من الكتب التي تتحدث عن الجماعات السرية على مر التاريخ، بخلاف كتب أخرى عن علم التعمية والترميز، ثم يدون بقلمه بعض الملحوظات في ورقة بيضاء إلى جواره، قبل أن يضرب أزرار كيبورد اللاب توب وبجواره "مجد"

الذي يتابعه بإهتمام ثم يلتفت "مالِك" لـ "مجد" قائلًا:

– أشهر الحركات السرية اللي ظهرت على مر التاريخ، زي الماسونيين، والخناقين، والحشاشين، والماوماو، اختلفت ف طقوسها وطريقة إختيار أعضاءها، لكن كلها اتفقت على ضرورة وجود مبادىء روحانية بتقوم عليها الجماعات دى، يعنى كل أهدافها الدنيوية والمادية، كانت ف الأصل لخدمة أهداف روحانية أكبر، مش أي عضو بيعرفها غير لما بيوصل لمستوى معين من التأهيل والثقة، عشان كده رؤساء الجماعات دي كانوا بيلجأوا لشفرات سرية تحمى أسرار جماعاتهم وتعمى عنين أي متطفل، وعدد كبير منهم كان بيشفر معلوماته ف صورة أرقام

"مالِك" يخرج الـ CD من اللاب توب ويلتفت لـ "مجد" وهو يلوح به قائلًا:

– يعنى اللي عمل الـ CD ده غالبا جماعة سرية، مش قابيل الهراس زي ما إنتوا فاكرين، ولو كان معاه نسخة منه، يبقى حصل عليها منهم بالسرقة،أو حد منهم هربهوله

تتسع عينى "مجد" غير مصدق ما سمع، لتنهال على عقله ألف مطرقة، فيبحث عن مُسَكّن في ذلك السؤال الذي يطرحه على "مالِك":

– ولو قابلت عضو من الجماعة دى، إيه أول سؤال هتسألهوله عشان تفك الشفرة؟

يخلع "مالك" نظارته الطبية وهو يقول بحسم:

– ساعتها هسأله: إيه درجة التأهيل اللي وصلت لها معاهم، يعنى كنت عضو ثقة قدر يوصل لمفتاح الشفرة؟ واللا لسه مبتدىء؟

يصمت "مجد" مع الإجابة، قبل أن يرن هاتفه المحمول حاملا اسم "نديم"، فيرد على الفور، وما أن يضغط على زر الإجابة ويضع الهاتف على أذنه حتى يأتيه صوت "نديم" مشحونًا بالانفعال:

– مجد، أطلع دلوقت حالًا على مؤسسة الهراس، وإنت ف السكة هفهمك كل حاجة

* * *

على طريق كورنيش المعادى يقود "مجد" سيارته بسرعة شديدة، ليأخذ العديد من الغرز متفاديا العديد من السيارات التي تعترض طريقه، وقد ارتدى سماعة بلوتوث يسمع منها ذلك الحوار الدائر بين "براء" و"آسر الهراس"، وينقله له "نديم" من مكتب "الهراس" عبر الموبايل:

– أسمع يا براء، أنا أقدر ما أخرجكش من هنا غير جثة متشوهة تقرف كلاب السكك إنها حتى تشخ عليها

– ساعتها هدمر إمبراطورية الهراس وأنا ف قبرى بالتسجيلات اللي معايا يا آسر بيه

– تسجيلات إيه؟

– تسجيلات عن كل نشاطاتك المشبوهة في التهريب والدعارة وتجارة السلاح

وداخل مكتب "الهراس"، نرى "آسر" يقف أمام "براء" وجهًا لوجه بعيدًا عن مكتبه الخشبى، حيث زاره "براء" في هيئة تنكرية وهو يرتدى شاربا مستعارا، وطاقية ضخمة تخفى نصف وجهه، ليخرج هاتفه المحمول من جيبه ويلوح به في وجه "الهراس الصغير قائلا:

– ده غير طبعا تمويلك السري لمدحت أبو عابد عشان يؤسس تنظيم البلاك بلوك ويضرب بيه خصومك السياسيين، وينشر الفوضى والخراب في الوقت اللي عايز تلهي بيه الرأي العام عن مخططات تانية بتنفذها في الخفا، ودي عينة بسيطة تحت الحساب

قال جملته الأخيرة وهو يضغط على زر في الموبايل لتدور مكالمة هاتفية بين "آسر الهراس" و"مدحت أبو عابد":

صوت "آسر الهراس":

- بتقول إيه يا روح أمك؟ أومال أبويا راح فين؟

صوت "مدحت أبو عابد":

- والمصحف يا فندم ما أعرفش حاجة

- والمصحف؟! كنت عارف م الأول إنك أولعبان ونصاب.. بس شوية النصب اللي ضحكت بيهم ع المسيحيين مش هياكلوا معايا

- يا آسر بيه والله العظيم أبوك هرب من قبل حتى ما أعرض الخطة على رجالتي، وعرفت الخبر من الجرايد زي أي واحد في مصر، أنا حتى ساعتها استغربت وقولت ليه دفعتوا لي المبلغ ده كله طالما انتوا كده كده قادرين تهربوه بمعرفتكم

- أومال هيكون راح فين إذا كان من ساعة ما هرب ما كلمنيش ولا فيه عنه خبر؟

- معرفش

- بقول لك إيه، الكلام مش هينفع في التليفون، انا مستنيك تعدي عليا في مكتبي دلوقت حالا

وبعد انتهاء تشغيل المكالمة المسجلة، يعقد "آسر الهراس" حاجبيه بشدة، قبل أن يقول لـ"براء":

- وإيه طلباتك؟

- رحمة تخرج من السجن فورا، إنت عارف كويس إنها مستحيل تكون هربت أبوك

- وإنت سمعت بنفسك إني ما أعرفش مكانه

- المكالمة دي متسجلة من يومين.. ومن ساعة ما قابلت أبو عابد ومفيش مكالمات تانية تمت بينكم، أكيد لما اتقابلتم وصلت لحاجة جديدة

- ولا الهوا

- يبقى على الأقل تثبت للبوليس إن الأوراق اللي لقيوها في شقة رحمة حد حطها لها عشان يورطها، إزاي بقى دي مش قصتي، المهم إنها تطلع بأي تمن، يا إما مش هتبقى جوّه لوحدها

يتأمله "آسر" للحظات قبل أن يقول:

- وإيه اللي يضمن إنها لو طلعت ما يفضلش صباعي تحت درسك وتبتزني كل شوية؟

- إنك بتجهز من دلوقت للهروب برة البلد، وكده كده لو سلمت التسجيلات اللي معايا مش هيلاقوك عشان تتحاكم

- يبقى أخرّج لك حبيبة القلب في نفس اليوم اللي حهرب فيه

"مجد" يتوقف بسيارته أمام مقر شركة "الهراس"، ليتابع نهاية الحوار الذي ينقله لها "نديم" عبر سماعة البلوتوث، حيث يقول "براء":

- اتفقنا، وبالمناسبة، يا ريت تقول لرجالتك إن مراقبتهم ليا معناها إنهم بيحكموا على ولى نعمتهم بالإعدام

الآن يسمع "مجد" صوت خطوات تبتعد، ثم صوت باب ينغلق، فينظر إلى مدخل الشركة في إنتظار خروج "براء"، وما أن يغادر "براء" الشركة حتى يتلفت حوله في حذر، قبل أن يدخل في أحد الشوارع الجانبية، وخلفه يسير "مجد" بخفة شديدة وحذر،

"براء" يدخل في أول يمين، ثم ينظر خلفه ويتلفت بحذر، قبل أن يدخل في أول شمال، ثم ينظر لأحد الأبراج نظرة طويلة، قبل أن

يواصل الدخول والخروج في أكثر من شارع، ويظل على هذه الحالة لتضليل أي شخص يراقبه، حتى يعود مرة أخرى للبرج الذي نظر إليه، والموجود في أحد الشوارع الجانبية القريبة من مقر الشركة، ويدخله مسرعًا

* * *

الآن يغادر "براء" الأسانسير ويتلفت حوله في حذر، قبل أن يخرج مفاتيح الشقة ويدسها في الباب ثم يدلف إلى شقته المظلمة وهو ينهج من المجهود الذي بذله، قبل أن يضغط زر إضاءة الريسبشن لكنه يسمع من خلفه صوت "مجد" الصارم قائلًا:

— احتياطاتك مش ف محلها

"براء" يلتفت خلفه في فزع، فينتفض في مكانه عندما يرى "مجد" في هيئته المُقَنَّعة وهو يقف على مقربة منه، فيخرج "براء" مسدسًا لكن قبل أن يصوبه على "مجد"، يكون "مجد" كأنما اختفى من مكانه، ليظهر أمامه مباشرة وهو يركل المسدس من يده، ثم يهوى على فكه بلكمة ساحقة، غير أن "براء" يتلقاها على ساعده، ثم يغوص لأسفل ليلكم "مجد" في معدته، في اللحظة نفسها التي يدور فيها "مجد" حول نفسه وهو يقبض على ساعد "براء" الأيمن ليلويه خلف ظهره ويجبره على التأوه بآهة ألم، بينما يقول "مجد" وهو يزيد من الضغط على ساعد "براء":

- كفاية لحد كده

"براء" يتأوه أكثر، قبل أن يقول من بين آلامه:

— تبقوا غلطانين لو أفتكرتوا..

يقطع كلامه وهو يدفع رأسه فجأة بعنف للخلف لترتطم بوجه "مجد" وهو يتابع:

— إنى فريسة سهلة

"مجد" يفلت "براء" الذي أخرج خنجرا من جراب ملفوف حول ساقه، قبل أن ينقض به بعنف على "مجد"، فيقفز "مجد" في الهواء كبهلوان ليصبح خلف "براء" الذي يجد نفسه يطعن الهواء ليسقط أرضا، ثم يلمح مسدسه الذي سقط على الأرض ليمد أصابعه نحوه وما أن يمسكه حتى يشعر بيد "مجد" تقبض على شعره وتدفع وجهه بعنف في الأرض، قبل أن يجثم فوق ظهره ويأخذ منه خنجره ويضعه على رقبته قائلًا في غضب شديد:

— كلمنى بلغة المفرد لأنى مش مع حد

"براء" متألما والدماء تنزف من وجهه:

— يظهر إن الهراس الصغير اختار واحد غبى عشان يلعب معايا، كنت حاسس م الأول إنك تبعه

"مجد" بصرامة تجمد الدماء في العروق:

— التسجيلات اللي بتهدد بيها الهراس موجودة معاك هنا، إدينى سبب يخلينى أبقى على حياتك بعد ما لعبتك اتكشفت لو كنت أنا من طرفه

"براء" تتسع عينيه بهلع، وتخمد مقاومته تماما وهو يقول بحيرة:

- إنت مين؟

"مجد" يتركه وينهض قائلًا بحزم:

— واحد بيخطط زيك عشان ينقذ رحمة،بس بطريقة مختلفة

"براء" ينهض ويمسح بساعده بعض الدماء التي تغرق وجهه قائلًا:

— وعرفت منين إنى هنا؟

— مش إنت لوحدك اللي بيعرف يتصنت ويراقب

"براء" ينظر له بإنبهار لبرهة من الوقت لا يعرف ماذا يقول، فيقول "مجد":

- خش أغسل وشك وسد النزيف عشان نعرف نكمل كلامنا

* * *

بعد أن تخلص من اللون الأحمر الذي كان يزين وجهه منذ لحظات، دخل "براء" إحدى الغرف وخلفه "مجد"، قبل أن يشير "براء" لكمبيوتر في الغرفة قائلًا:

— كل محمول في العالم ليه Serial Number، وكل مكالمات المحمول بتتم من خلال نظام محادثة اسمه G S M، النظام ده متوصل بأقمار صناعية بتمر منها المكالمات، كل اللي عليك إنك تدخل لنظام الـ GSM عن طريق الإنترنت وتدخّل الـ Serial Number بتاع المحمول اللي عايز تتصنت عليه وساعتها كل المكالمات اللي بتتم هتتسجل عندك على جهاز الكمبيوتر

يعقد "مجد" حاجبيه من خلف قناعه متساءلا:

— والـ Serial بتاع المحمول، بتعرفه إزاي؟

"براء" يلتفت إلى "مجد" ويتابع:

— من فترة بسيطة عرفت أجيب من الصين جهاز توصله بالموبايل بتاعك، وتعمل من عليه مكالمة للموبايل اللي عايز تجيب الـ Serial Number بتاعه، يقوم يظهر لك ع الشاشة

يتأمله "مجد" لبرهة قبل أن يسأل:

— وليه اختفيت عن الأنظار من ساعة اللي حصل؟

يقول "براء" بلهجة تصدق على كلامه وتقر بما فيه:

— عشان اكتشفت إني كنت حمار لما تخيلت إن حال البلد هينصلح بالنضال والكفاح، إحنا وصلنا لمرحلة التاريخ نفسه هيقف عاجز عن وصفها والحكم عليها، ومحدش من اللي هييجوا بعدينا هيقدر يفهمها، عشان كده الأجيال الجاية هتجرّيها بسرعة وتدخل على اللي بعدها، لكن اللي عاش حلوها ومرها زي حالاتي هيوصل لقناعة إن الأنبيا والرسل هما بس اللي كان عندهم Option مواجهة الشر بالخير، لكن دلوقت ما عادش ينفع نواجه الشر غير بشر أكبر منه.

يلتقط جريدة من على ترابيزة الكمبيوتر، ويشير إلى خبر منشور فيها بالبنط العريض: **مصرع اللواء ياسر حجازي كبير ياوران القصر الجمهوري في حادث سيارة مروع**، ويتابع:

— اللي هيعمل فيها فارس أو مثالي هيموت مهزوم من غير ما موته يصنع أي فرق، حارب شرهم بنفس سلاحهم، اتجسس عليهم، أحرقهم، خرّب ممتلكاتهم، جمع كل الأدلة اللي ممكن تدينهم وحطها في بلاعة ما يكونش مع حد مفتاحها غيرك، ولما البلاعة تتملي على آخرها بأوسخ وأقذر فضلات في الدنيا أفتحها مرة واحدة، ساعتها كل الناس هتجري وتتلم عشان تمنع الريحة اللي طالعة وهيقفوا جنب بعض كتف بكتف لحد ما يتخلصوا من الوساخة والتلوث، لكن لو فضلت تحارب بالقطعة وتسرب الوساخة اللي بتجي لك أول بأول، الناس هتقول إف في كل مرة وبعدين هينسوا ويكملوا حياتهم عادي جدا، بعد ما الكبار يحطوا لهم المسكنات ومكسبات الطعم والرائحة اللي زيفوا بيها الحقايق ولعبوا بيها في دماغنا طول السنين اللي فاتت

"مجد" ينظر لـ "براء" بدهشة قائلًا:

- ما تخيلتش إن عندنا صحفيين ف مصر ممكن يفكروا بالشكل ده

فيتابع "براء":

- إلا لو كان الموضوع بالنسبة لهم تار

"مجد" يحملق في وجهه عاقدًا حاجبيه بتساؤل، بينما يعود "براء" بذاكرته للخلف وهو يحكى شاعرا أن ذكرياته تتجسد أمام عينيه.

والد "براء" يسير وسط الزراعات ليلًا، وفجأة يخرج من وسط الزراعات شخص يحمل مدافع آلي يفرغه فيه بعنف!

الشرطة تلقى القبض على والد "رحمة" وسط صرخة زوجته، وبكاء الصغيرة "رحمة" والرضيع "مالك"

"من وأنا صغير، قابيل الهراس قتل أبويا ولفق التهمة لأبو رحمة، بعد ما كشفوا سر مصنعه اللي اتسبب في إصابة قرية بلدنا بمرض التيفود"

"قابيل الهراس" يخرج من النيابة بثقة وسط حراسة أمنية مشددة، وينظر لتجمعات الأهالى بسخرية

"كان أبويا وأبوها من كبار القرية وعندهم تلت أرضها، ولما استنجد بيهم الأهالى عشان يقفوا ف وش الهراس، بمكر الشياطين اتحالف مع وكيل نيابة مرتشى، خفى كل الأدلة ولعب ف القضية لصالحه، وحوّل الجريمة لخلاف بين أبويا وأبو رحمة على الأرض"

ملثمون يقتحمون منزل والد "رحمة" ليلًا مستغلين حبسه، لينهالون بالضرب على والدة "رحمة" بعنف قبل أن تتلقى الصغيرة "رحمة" ضربة عنيفة على عينيها، ثم يفتحون الخزنة ويأخذون الأموال والذهب والأوراق

الصغيرة "رحمة" تسير وهى مكفوفة وسط الزراعات، وقبل أن تسقط يأخذ الصغير "براء" بيدها ويعاونها على السير

"كل الأوراق اللي كانت بتدين الهراس بعت رجالته يسرقوها من بيت أبو رحمة بالقوة وهو محبوس، عشان ما يلحقش يديها للمحامى بتاعه ويثبت إنه برىء من دم أبويا، وفعلا، خرج الهراس من قضيته زي الشعرة من العجينة، واتعدم أبو رحمة ظلم بعد ما اتحرمت رحمة من نور عنيها، وبعد ما اتعدم أبوها قبضت الشرطة على الراجل اللي قتل أبويا واعترف إن الهراس هو اللي سلطه، بس قبل ما يتسجل اعترافه في الأوراق الرسمية لاقوه ميت في زنزانته وقالوا إنه انتحر"

صورة الصغيرة "رحمة" التي يساندها الصغير "براء" على السير، تتحول إلى صورتيهما بعد أن كبرا، ولا زال "براء" يساندها، بينما يعود "براء" من ذكرياته قائلا لـ "مجد":

— ومن ساعتها أنا ورحمة مالناش ف الحياة غير هدف واحد، أظن مش محتاج أقوله

يتأمله "مجد" بتأثر قبل أن يسأله:

— يا ترى لسه فاكر اسم وكيل النيابة المرتشى اللي اتحالف مع قابيل الهراس؟ واللا بعد السنين دي كلها،

"براء" مقاطعا:

— مظلوم غلاب، عمرى ما هنساه

"مجد" بصدمة شديدة:

— مين؟

"براء" مكررا:

— مظلوم غلاب

يصمت "مجد" بعد أن ألجمته المفاجأة، فيما يتابع "براء":

— وزي ما حرمتني قوانين مبارك وديناصورات الفساد اللي كبرت في عهده من إني انتقم لأبويا، حرمتني جماعة الإخوان من حضن أمي، لحد ما عشت يتيم الأب اللي فضل عايش جوايا، ويتيم الأم

اللي ماتت وهي لسه عايشة، وآدي النتيجة، وصلنا لنقطة خيار بين نظامين أوسخ من بعض، وكل واحد عامل التاني فزاعة وخيال مآتة عشان يمنع عنا خير بلدنا ويحتفظ بيه لنفسه هو والاضيشه، وحدش بيدفع التمن غير الغلابة

يجز "مجد" على أسنانه وتمتليء ملامح وجهه من تحت القناع بغضب رهيب يكفي لإشعال الكون قبل أن يقول:

– لحد هنا ودورك انتهى، هدف عمرك جزء صغير من هدف أكبر أنا ندرت نفسى ليه

"براء" بغضب:

– تطلع مين إنت عشان تقرر توزيع الأدوار، إنت مجرد واحد جبان متدرأي ورا قناع، أما إحنا وأهالينا حاربنا بوش مكشوف ودفعنا التمن ولسه بندفعه

"مجد" فجأة يقبض على عنق "براء"، ويكبل حركته بيده اليسرى، بينما ينزع شاربه المستعار بيده اليمنى قائلًا بحزم وصرامة شديدة:

– و ف الآخر اضطريت تـتـنكر زيى، طول ما ماحدش عارفك مالكش نقطة ضعف تـتمسك منها، ده قانون الغموض بتاعى اللي مالوش ثغرات

"براء" بتحدى وهو يحاول التملص:

– تطلع مين أنت عشان تصنع القوانين؟

مجد:

– مجرد بنى آدم، بس ماتنساش إن اللي حط القوانين اللي إحنا عايشين بيها، كانوا برضه مجرد بشر

"براء" يحاول التملص بلا جدوى، فتبدأ الدنيا تغيم حول عينيه وهو يفقد الوعى من جراء ضغط "مجد" على عنقه ليمنع وصول

الأكسجين إلى مخه، في حين تتردد كلمات "مجد" الأخيرة:

– كلٍ مُيسَر لما خُلق له، أرجع لوشك المكشوف

ما أن يفقد "براء" الوعى حتى يحمله "مجد" برفق ويضعه على السرير ثم ينصرف

* * *

فى مكتبه بجهاز الأمن الوطنى، يجلس المقدم "أمل" ليتابع تلك المواجهة الساخنة في التلفاز بين المستشار "حسام البسطاويسي"، ووزير الدولة للشئون القانونية والمجالس النيابية ومعهما الإعلامي "وائل الإبراشي" الذي يقول:

– سيادة المستشار حسام البسطاويسي، أنت هاجمت نظام مبارك وأكدت أنه حاول ترويض السلطة القضائية وتفصيل قوانينها على مقاسه، فلماذا تعارض اليوم تعديل قانون السلطة القضائية إذا كانت القضية التي أفنيت فيها عمرك هي استقلال القضاء؟

يجيبه المستشار "البسطاويسي" بثقة وثبات:

– في نظام مبارك كانت 60% من الأحكام الصادرة عن المحاكم الجزئية بتتلغى في الاستئناف، و90% من أحكام الجنح المستأنفة بتتلغى في محكمة النقض، يعنى 96% من إجمالى الأحكام القضائية الصادرة عن المحاكم الجزئية بتصدر بالغلط، دي مش أرقامى أنا، دي أرقام الصحف القومية، يعنى الحكومية، وبالتالي كان من واجبي إني أطالب بتعديل القوانين والسيستم القضائي من جذوره، لكن تبقى المشكلة الرئيسية في التوقيت وطريقة التطهير، قبل ثورة يناير قام الرئيس المخلوع بمد السن القانونية للقضاة حتى يشتري بعضهم، ولجأ النظام إلى رشوة القضاة بانتدابهم في الجهاز التنفيذي كمستشارين عشان يحصلوا على المزيد من المنافع والمبالغ المالية بشكل قانوني ظاهريا، والنهارده بيحاول نظام مرسي

وجماعته عن طريق مشروع قانون السلطة القضائية تخفيض سن القضاة لإزاحة أكثر من 3 آلاف قاضي، وتعيين 3 آلاف قاضي جديد، ماحدش عارف معايير اختيارهم وتعيينهم، ولا إيه هي ميولهم وانتماءاتهم السياسية، لتبقى مصلحة النظام الحاكم سواء في عهد مبارك أو عهد مرسي هي المصدر الرئيسي لرفع وتخفيض السن القانونية، وليس مصلحة القضاء أو تطهيره أو العمل على خدمة الشعب المصري، وبناء عليه، فالأزمة الحقيقية ليست في تطهير القضاء من عدمه، بقدر ما تكمن في كيفية تطهيره، ومن الذي يقوم بهذه المهمة المقدسة، الأزمة الحقيقية فيمن يقدر على صنع نقطة نظام، ويفصل بين السلطات، ويدعو المؤيدين والمعارضين إلى مائدة حوار للوصول إلى كلمة سواء، في وقت احترف فيه كل فصيل تخوين الآخر وتشويهه وكَيل الاتهامات، فهل تعتقد معي أن الرئيس مرسي على قدر من الثقة والحكمة للعب هذا الدور؟ إن كانت إجابتك بنعم فدعني أختلف معك بناء على أنه خالف القانون أكثر من مرة، وحاول التمرد على أحكام القضاء في أكثر من واقعة، سواء محاولة إرجاع مجلس الشعب المنحل أو الإعلان الدستوري المعيب، بالإضافة إلى تعيين نائب عام بطريقة غير قانونية، فضلا عن صمته المعيب وغض الطرف عن حصار أنصاره للمحكمة الدستورية لإرهاب أعضائها، ومنع أي حكم بحل اللجنة التأسيسية لوضع الدستور، وفي النهاية الكل يشيد بالقضاء الشامخ إذا ما توافقت أحكامه مع أهوائه ومطالبه، والكل يسب ويلعن هذا القضاء الفاسد وأعضاءه الفلول الذين عيّنهم مبارك إذا ما صدر حكم يخالف ما يتوقعونه، إنها لعبة المصالح، والحكم بأكثر من معيار، ليصبح لكل طرف قولان وذمتان حتى يتم استخدام إحداهما وقت الحاجة، بينما تبقى الأخرى لموقف آخر حسب مقاس المصلحة، حتى القضاة أنفسهم فقدوا حصانتهم، وتلاعبت ببعضهم الميول السياسية والأهواء، ليهووا من فوق منصّاتهم الحصينة، إلى الخناقة السياسية التي تهين كل المشاركين فيها، ويفجُر فيها المتشاجرون بالقول والفعل، فصار هناك قضاة إخوان، وقضاة فلول، وقضاة مستقلون، في أكبر لحظة عبث انسحبت فيها الألقاب والأوصاف التي يتقاذفها البعض على المؤسسة القضائية التي يفترض أن تكون آخر مؤسسة من المسموح أن يطالها اللغط، حيث تتعلق بقراراتها وأحكامها مصائر الأمم طبقا للحكمة الراسخة بأن العدل أساس الملك، والخلاصة، إن العيب في القوانين ونظام العمل نفسه قبل أن يكون في الأشخاص، وسيبقى التطهير وإعادة الهيكلة أمانة في عنق القضاة المحترمين الشرفاء، الذين عليهم أن يقودوا هذه المهمة وحدهم لتطهير محراب العدالة المقدس من أي دنس أو مخلّفات نظامية سابقة، وبمعزل عن الرئيس الحالي وجماعته وقوى المعارضة أيضا لضمان نزاهة هذا التطهير بيد أبنائه المختصين بهذا الشأن وحدهم، ليكون التعديل والإصلاح منهم فيهم، إذ أن باقي الوجوه التي تحيط بهم وتريد التدخل في اللعبة غير مؤهلين للقيام بهذا الدور، وغير أمناء على هذه المسئولية، وفقد الشعب ثقته فيهم وصار يبحث عن أمل جديد، ووجوه جديدة غير محروقة

مساعد المقدم "أمل" يطرق مكتبه، فيصوب "أمل" الريموت كنترول ويكتم صوت التلفاز في لحظة دخول مساعده الذي يسلمه تقريرًا وهو يقول:

— بكل أسف يا فندم مضطر أقول لك إن آسر الهراس فعلًا ما يعرفش مكان أبوه فين، كل تحرياتنا ومتابعتنا أكدت ده

"أمل" يرفع عينيه من التقرير لينظر إلى المساعد ويسأله:

— وعملتوا إيه مع الصحفى اللي اسمه براء؟

المساعد ساخرًا:

— ده طلع نمرة بجد يا فندم، افتكر انه لما يحط شنب مستعار ويلبس طاقية مش هنعرفه

— عرفتوا مكانه؟

— تمام يا فندم، هو مأجر شقة مفروشة جنب مقر شركة الهراس عشان يراقب رد فعل آسر إبنه ويحاول يوصل لأبوه

فيقول "أمل" بلهجة آمرة:

— يفضل تحت عنيكوا هو وأي حد يدخل شقته

المساعد يخرج صورة يسلمها للمقدم "أمل" قائلًا:

— هو واحد بس يا فندم اللي راح له

"أمل" يأخذ الصورة ويتأملها، ثم يصعق عندما يجد بها "مجد" مرتديًا قميصه الأسود المجسم، وبنطلونه الأسود بلا قناع، ليعقد حاجبيه، وقد فجرت الصورة في عقله عاصفة من التساؤلات

* * *

في منزل "مجد"، يضرب "مالِك" أزرار الكيبورد، قبل أن ينظر لشاشة الكمبيوتر بإنبهار، وترتسم سعادة الدنيا كلها على وجهه غير مصدق عينيه، ليمسك الموبايل ويتصل بـ"مجد" قائلا بلهجة طفل في دريم بارك:

- أيوة يا مجد، عرفت مفتاح الشفرة

ليرتسم في تلك اللحظة انفعال مشحون على ملامح وجه "مجد" الذي يصمت لبرهة غير مصدق نفسه وهو يقود سيارته، قبل أن ينتزع نفسه من صمته قائلًا:

- إيه هو؟

فيقول له "مالِك" بحماس:

— أبجد هوز حطى كلمن، سعفص قرشت ثخذ ضظغن، ده النظام الأبجدى المعروف للغة العربية، واستخدمه العرب زمان كنظام عددى مرتبط بالحروف الأبجدية

"مالِك" ينظر إلى جدول على الشاشة مكتوب فيه الحروف الأبجدية وأسفل كل حرف الرقم الذي يوازيه وهو يتابع بسعادة:

— النظام ده كان اسمه الترتيب على حساب الجمل، وكانوا بيرمزوا فيه لكل حرف برقم،

"مالِك" يسير بأصبعه على الشاشة التي يظهر بها جدول يعطى لكل حرف قيمته الرقمية متابعًا:

— الـ أ مثلًا= 1، ب=2، ك=20، غ=1000 وهكذا

فى سيارته ينصت "مجد" لـ "مالِك" بإهتمام شديد بينما يتابع "مالِك":

— وكان العرب لما بيحبوا يسجلوا رقم حسابي بيسجلوه ف صورة حروف، فمثلًا 950 دينار كانوا بيكتوبها ظن، لأن الـ ظ =900 والـ ن=50

وفى منزل "مجد" يضرب "مالِك" أزرار الكيبورد وهو يتابع:

— القاعدة دي لما طبقتها على الأرقام الموجودة في الـ CD

فى نفس اللحظة نرى الأرقام المتراصة على الشاشة تتحول إلى كلمات مفهومة و"مالك" يتابع:

— اتفكت الشفرة واتحولت الأرقام لحروف وكلام مفهوم

"مجد" يتنفس الصعداء متابعًا بصوت مشحون مفعم بالمشاعر المختلطة:

— هايل يا مالك، ما تعملش أي حاجة تانى غير لما أجى لك

وفي تلك اللحظة يسمع "مالِك" صوت طرقات على الباب يصل صداها إلى هاتف "مجد" الذي يسأل بتوتر:

— فيه حد جه والا إيه؟

"مالِك" ينظر من العين السحرية فيجد المقدم "أمل" قبل أن يجيب "مجد" بهمس:

— ده المقدم أمل

ليأتيه صوت "مجد" بانفعال:

— ماتفتحلوش، ماحدش يعرف إنك عندى

"مالِك" هامسًا:

— حاضر

قبل أن يؤثر "مالِك" الصمت ولا يفتح الباب لبرهة، فيعيد "أمل" الطرق مجددا ثم ينصرف.

* * *

المقدم "أمل" يغادر العمارة منصرفًا، في حين نرى من أعلى شبح أسود لأحد المقاتلين وهو يقفز من سطح العمارة المقابلة إلى سطح عمارة "مجد"، فيسمع "أمل" صوت فحيح في الظلام، فينظر خلفه متطلعا لأعلى لكنه لا يجد أي شيء

* * *

"مالِك" لا زال يضرب أزرار كيبورد اللاب توب بإهتمام، بينما نرى من خلفه شبح مقاتل ملثم يحمل سيفًا ويقترب منه في حذر، في نفس لحظة فراغ بطارية اللاب توب، لينطفىء الجهاز وتصبح شاشته المظلمة بمثابة مرآة عاكسة لما يحدث خلفه، فيرى "مالِك" الشبح وهو ينقض عليه ليطيح رأسه بسيفه، فيخفض "مالِك" رأسه بسرعة، ليمرق السيف من فوقها، قبل أن يدفع "مالِك" مقعده للخلف ليرتطم بالمقاتل الملثم، قبل أن ينقض عليه "مالِك" ويشتبك معه، في نفس لحظة إندفاع مقاتلين أخرين من المطبخ والشرفة فيصيح "مالِك":

— كسَّر يا ماكس

فيظهر الكلب الضخم المملوك لـ "مجد" لينقض بزمجرته المرعبة على أحد المقاتلين قابضا بأسنانه على عنقه، في نفس لحظة إنكسار الباب وإقتحام المقدم "أمل" للمنزل، ليضرب النار على المقاتل الثالث فيرديه قتيلًا، بينما يدفع المقاتل الأول "مالِك" جانبًا قبل أن ينهض ويلقى خنجرا مسموما يستقر في بطن "أمل"، بينما يستل المقاتل الثانى المشتبك مع الكلب خنجرًا يطعن به "ماكس" في لحظة دخول البواب والأمن وتدافع السكان في الشقة، فيندفع "مالك" نحو المقاتل الأول ويشتبك معه، بينما يلوح المقاتل الثانى الذي طعن الكلب، بسيفه أمام الجميع الذين وقفوا في أماكنهم، فيهم أحد رجال الأمن بإخراج مسدسه، فيلقي عليه المقاتل الثانى نجمة مسممة تستقر في بطنه هو الأخر، في حين ينجح المقاتل الأول المشتبك مع "مالِك" في استلال خنجر يطعنه به، قبل أن يتجه لجهاز اللاب توب ويخرج منه الـ CD، وينسحب هو وزميله ليقفزا من الشرفة ويختفيا، في لحظة دخول "مجد" الشقة ومفاجأته بما حدث

* * *

الفصل الثامن عشر

فى المستشفى الذي يعالج فيه "مالِك" و"أمل"، نرى "براء" يسير في الطرقة المؤدية إلى غرفة العمليات ونلاحظ أن الطرقة مكتظة بجنود الأمن والضباط، وما أن يلاحظ "براء" خروج "مالِك" و"أمل" فوق الترولى من غرفة العمليات، حتى يمد الخطى نحوهما ليستوقفه ضابط برتبة رائد قائلا:

– على فين؟

"براء" وهو يشهر كارنيه نقابة الصحفيين:

– براء فاروق، صحفى بجريدة المستقبل

ثم يهم "براء" بتخطى الرائد ليقترب من "مالِك"، إلا أن الرائد يستوقفه بإشارة من يده قائلا في تحدى:

– ممنوع

"براء" بعصبية وتحدى:

– يعنى إيه ممنوع، بأي حق تمنعني من أداء وظيفتي، لو انت سلطة تنفيذية أنا سلطة رابعة

الرائد وهو يقرب وجهه من براء بنظرة مخيفة:

– السلطة الرابعة ما بتخرّجش من المعتقلات، لو فرحان إن قانون الطوارئ اتلغى ماتنساش إن فيه محاكمات عسكرية

قبل أن يسمع كلاهما صوت "مجد" الذي يقول للرائد:

– سيبه يا سيادة الرائد، ده يعتبر ولى أمر دكتور مالِك

"براء" يلتفت لـ "مجد" فيجده مرتديًا قميصه وبنطلونه الأسودين، حاملًا كلبه "ماكس" الذي نجده مصابًا وتم ربط بطنه برباط عليه ميكروكروم، فيقول "براء" وهو يفحص "مجد" بعينيه:

– مصدقتش لما عرفت اللي حصل، مكنتش أتخيل إن مالك كان عندك

– ولا أنا كنت أتخيل إنك تختفى الفترة اللي فاتت وتتخلى عن رحمة

– أنا مستحيل أتخلى عنها، كل ما في الأمر إني حاولت أساعدها بطريقتي، طمنى على مالك

– نجى بمعجزة هو والمقدم أمل، الإتنين أتصابوا بسلاح أبيض مسمم، لكن ده مش للنشر

فى اللحظة نفسها تهبط يد "أُبيّ" على كتف "مجد"، قائلا له بصرامة غير معتادة:

– خلّص عشان عايزك على إنفراد، ويستحسن مايكونش هنا

"مجد" و"براء" يلتفتان إليه ليتأمله "مجد" بنظرة طويلة قبل أن يرد بصرامة مماثلة:

– أوى أوى

ثم يلتفت "مجد" لـ "براء" قائلا:

– نكمل كلامنا بعدين، عن إذنك

"مجد" يهم بالسير مع "أُبيّ" فيستوقفه "براء" قائلًا بإلحاح:

– طب معلش سؤال أخير،الشخص المقنع ليه علاقة بالموضوع؟

يتطلع "مجد" إلى عينيه بنظرة حائرة، وقد حملت عيناه كما هائلًا من الغضب والحزن

* * *

فى ردهة منزل المستشار "حسام" يجلس "مجد" و"أُبيّ" على إنفراد، وخلفهما شاشة التلفاز التي تعرض قناة "الجزيرة مباشر

مصر" دون أن يصدر التلفاز صوتا بعد أن تم ضبطه على وضع الـ Mute، بينما يقول "أبيّ":

— من فترة بقيت أنا والمقدم أمل صحاب بحكم إننا شغالين في قضية مشتركة، ماصدقتوش لما كلمني بشكل شخصى وحكى لي عن شكوكه فيك، بس لما ربطت الأحداث ببعضها وعرفت إن مالك أخو رحمة كان في بيتك بدأت أصدق، لأول مرة ف حياتى بحس إنك مخبى عليا حاجة يا مجد

فيرد عليه "مجد" بضيق:

— وأنا لأول مرة بتأكد إنك ياما خبيت عليا، إنت عرفت إن الهراس مش هو اللي قتل أمى وما قولتليش

"أبيّ" بإصرار:

— كل حاجة خبيتها عليك كانت ف مصلحتك، القاضى من سلطاته إنه يحكم ف أي قضية، إلا قضيته الشخصية، لأنه ساعتها هيبقى الخصم والحكم، وده مش قانونى

"مجد" بتحدى:

— لو القانون ضد العدالة يبقى من حقى أخرج عليه

"أبيّ" بعصبية:

— الخروج على القانون عمره ما يحقق عدالة

"مجد" صارخًا بتحدى وإصرار أكبر:

— والقانون اللي ما يحققش العدالة عمره ما يَصلُح قانون

يهب "أبيّ" واقفا ليقول بغضب وانفعال:

— محدش بيهرب من ذنوبه، كل ما جريت من سيئاتك كل ما فضلت تِنهَج أكتر وهى بتقبض عليك، أنا أخوك وبنصحك، واللي بيرفض النهارده نصيحة ببلاش، بكرة يشترى الأسف بأغلى سعر

فيهب "مجد" واقفا بدوره ليرد بانفعال مماثل:

— قولتهالك قبل كده وبكررها النهارده، قبل ما تكلمنى عن بكرة علمنى الأول إزاي أقطع صلتى بالماضى، طول مافيه أسئلة في مصر مالهاش إجابات يبقي إحنا ماشين غلط

"أبيّ":

— سيب القانون ياخد مجراه وهو كفيل بكده

يصرخ فيه "مجد" بكل غضب الكون:

— أنهى قانون؟ القانون اللي بنحكم بيه على الفقرا والغلابة؟ واللا القانون اللي رجال القانون نفسهم بيخرجوا عليه؟

ثم يقترب "مجد" منه حتى تتلامس أنفاسهما، وتتلاقى عينيهما الغاضبة قبل أن يتابع بنبرة أهدأ لكنها تحمل كل المقت والتحدى:

— بقالك كام يوم بتحقق ف إنفجار مكان مجهول، مات فيه ظباط ووكلاء نيابة وقضاة، قدرت تعرف إنه تنظيم سرى كان بيتزعمه مستشار اسمه مظلوم غلاب؟

عندها يسمع "مجد" من خلفه صوت المستشار "حسام البسطاويسي" الذي يقول:

— ما دام عرفت مظلوم غلاب، يبقى أنضميت لـ"نبض العدالة"

يلتفت "مجد" للمستشار "حسام" الذي يدخل بوقار وشموخ، وقد وقع كلامه عليه وقع الصاعقة، قبل أن يقول "مجد" بدهشة غير مصدق إذنيه:

— ماتقوليش إن انت كمان كنت عضو

— كنت هبقى، بس ربنا وفر لي خيار الرفض اللي مابيتوفرش لأي ضحية بيرموا شباكهم عليها

لتتجسد ذكريات المستشار "حسام" أمام عينيه وهو يعود للماضى،

ويحكى لـ "مجد" ما حدث،

"القصة بدأت بإتصال من واحدة ست طلبت منى أقابلها ف بيتها لموضوع مهم، لكن أنا أصريت إن المقابلة تبقى ف نادي القضاة"

سيدة أنيقة تدخل نادي القضاة وعلى بوابته ترى العديد من الناشطين السياسين والحقوقيين الذين يحملون لافتات، وداخله تشاهد اعتصام عدد كبير من القضاة ووكلاء النيابة، لتتأمل السيدة ما تشاهد بإنبهار غير مصدقة عينيها

"ولما جَت لي النادي وشافت الإعتصامات والزخم السياسى، وإزاي الصحفيين سموا النادي وقتها بيت الأمة، انهارت واعترفت"

السيدة الأنيقة تنظر للمستشار "حسام" في مكتبه الذي تجلس فيه معه على إنفراد وتقول من بين دموعها:

— أرجوك سامحنى

فيسألها بدهشة:

— أسامحك على إيه؟

— أنا كنت جاية استدرجك لبرة النادي، وساعتها كانوا هيخطفوك ويخدروك، وبعدها يصوروك عريان ف أوضاع مخلة عشان يقـنعوك إن الحكومة هي اللي عملت فيك كده بسبب معارضتك ليها، فتقبل تنضم لهم

— هم مين دول اللي انضم لهم؟

— منظمة نبض العدالة، اللي بـيـديرها المستشار مظلوم غلاب

المستشار "حسام" يسألها وهو يجذب منها خيط الحقيقة:

— وإيه اللي خلاكى تصارحينى؟

فتقول له السيدة بلهجة صادقة يشعر أنها تخرج من القلب:

— اللي شوفته هنا عرّفنى قد إيه إنت راجل شريف وقلبه ع البلد، مش عارفة إزاي اعترفت لك بالسهولة دى

ليسير بعدها المستشار "حسام" مع السيدة على السلالم الخارجية للنادي، ثم يصفعها ويوبخها قبل أن يعود أدراجه إلى الداخل!!

"ساعتها اتفقنا نخرج لغاية باب النادي، وبعدين أتخانق معاها لأي سبب وأدخل تانى عشان ماحدش يشك فيها"

المستشار "حسام" ينتهى من ذكرياته، ليهز راسه بقوة قائلا في ندم:

— وندمت بعدها إنى ماخدتش تليفون الست دى، لأنها كانت الدليل الوحيد اللي ممكن يدعم كلامى ضد مظلوم اللي اختفى تماما بعد ما استقال من شغله، بس الأكيد إن كل المنظمات السرية بتحاول دايما تصنع مخاوف وهمية ترعب بيها أعضائها عشان يحسوا إن إنضمامهم لها هو الأمل والأمان

الذهول يرتسم بأعتى صوره على وجه "مجد" وهو يتذكر أحاديثه المليئة بالرعب والمخاوف مع "مظلوم غلاب"، وكيف كان ذلك سببا لاقتناعه بأهمية انضمامه للمنظمة والسير على مبادئها، ثم يقول بصدمة من سمع أنه من أهل النار:

— معنى كده إن مظلوم غلاب هو اللي قتل أمى عشان يقنعنى أنضم لمنظمته، وإن العناصر الإجرامية اللي دخلت البلد وبتدوّر على الـ CD تبعه مش تبع قابيل الهراس، بس مين اللي دمر المنظمة؟ وإيه اللي على الـ CD يخليهم يعملوا كل ده؟

فيقول له "أبيّ" بتأثر وحسرة:

— للأسف يا مجد، إنت اتورطت ف قضية أكبر منك ومش هتقدر تحلها لوحدك، أسلم حل إنك تسلم نفسك وتقول كل اللي تعرفه

ف التحقيق

"مجد" بسخرية مريرة:

— مش قولت لك م الأول إنى طرف ف القضية دى، وإنك إنت بنفسك اللي هتستدعينى؟

فيقول له المستشار "حسام" باحثا عن أي شيء يدعو للأمل:

— الصورة مش سودا للدرجة دي يا مجد، لسه فيه أمل ف بكرة، وإذا كنت عملت اللي عملته عشان هدفك إن مايكونش فيه فرق بين القانون والعدالة، أحب اطمنك إن فيه مؤتمر شعبى معمول النهارده عشان نعلن للعالم كله إن القضاة اللي كانوا مختلفين في عهد مبارك رجعوا إيد واحدة ضد أخونة القضاء واللعب في قوانينه، المؤتمر ده هديره أنا والمستشار أحمد العبد، أخيرا عرفنا نتفاهم بعد ما الإخوان حطونا في خندق واحد

فجأة تتسع عينا "مجد" بذهول وهو ينظر لشاشة التلفاز، ليلتقط الريموت كنترول ويوجهه نحوه ليعلى من صوته، في حين يلتفت مع نظرته المصدومة "أبيَ" والمستشار "حسام" لمتابعة التلفاز، ليشاهد ثلاثتهم تقريرا يفيد بعثور الشرطة على جثث القاضى المرتشى، و"قابيل الهراس" و"رءوف البدرى" عم "رحمة" في الصحراء، بينما يمسك أحدهم صورة ورقية للبطل المقنع، في حين نسمع صوت المراسلة التي تقول:

— وبالمصادفة، عثر أحد رجال عمال الحفر والتنقيب، على جثة رجل الأعمال الهارب قابيل الهراس، والقاضى المتهم معه في قَضيتِه، بخلافِ جُثةٍ ثالثة لم يستدل بعد على هويتها، ومع الجثث صورةٍ ورقيةٍ للشخص المقنع الذي ظهر في الآونة الأخيرة، كطرف في العديد من القضايا

"مجد" يلتفت لـ "أبيَ" و"حسام" قبل أن يقول بعينين دامعتين:

— أنا هعترف بكل حاجة، اللي بيحصل فعلا بقى فوق طاقتي

"أبيَ" بتأثر:

— وأنا هقف جنبك ومش هسيبك

المستشار "حسام البسطاويسي" لإبنه "أبيَ":

— مش أنت لوحدك اللي هتقف جنبه

فينظر "مجد" لعينى المستشار الذي يعتبره بمثابة والده متساءلا:

— تسمح لي يا سيادة المستشار أحضر معاك المؤتمر؟ على الأقل أودعك على خبر حلو يبدى الأمل ف البلد

المستشار "حسام" يبتسم ابتسامة جاهد ألا تخرج حزينة، حتى تعطى الأمل لـ "مجد" على الرغم من دقة الموقف

* * *

ف ميدان التحرير نرى حشدا كبيرا جدًا من الناشطين الحقوقيين والسياسيين، والشباب المنتمى لمختلف الأحزاب والقوى السياسية، وأعضاء العديد من الجمعيات الأهلية، والمحامين، بينما في الصفوف الأولى عدد كبير من القضاة والمستشارين الذين يرتدون أوشحة القضاة، في حين تناثرت كاميرات الفضائيات والمصورين الصحفيين في مختلف أرجاء المكان، ونرى "براء" يشق الصفوف ليتابع المؤتمر، وكذا انتشر رجال الشرطة والجنود، بينما نجد منصة تعلو فوق رؤوس الحضور بمترين،

وعلى المنصة، توجد ميكروفونات عديدة تحمل مختلف شعارات القنوات الفضائية والأرضية، ويقف بجواره كلا المستشارين "حسام البسطاويسي" و"أحمد العبد" الذي يقول:

— وطبقا لما تمر به الأمة الآن من مرحلة حرجة، وحالة تمزق في الصف الوطنى بين مختلف القوى السياسية، وفى ظل دعواتنا الدءوبة للجميع لرأب الصدع وإعادة الإلتئام في أسرع وقت قبل

أن يقضى علينا الخلاف، كان لزاما علينا أن نضرب المثل بأنفسنا لأن فاقد الشيء لا يعطيه

تصفيق حاد يدوى بين الحضور، قبل أن يقول المستشار "حسام" بدوره:

– محدش بينكر إن الفترة اللي فاتت شهدت انقسامات حادة بين رجال القضاء، دفع تمنها المجتمع والناس الغلابة، عشان كده النهارده قررنا ننسى كل خلافتنا، واتفقنا نجتمع على كلمةٍ سواء، ونحط إدينا ف إيد بعض ضد أي خطر ممكن يهدد استقرار البلد، القضاء المصرى ليس حكرا لتيار داخله على حساب تيار أخر، لكنه الحصن الحصين لكل المصريين ليفصل بين الجميع في أوقات الخلاف، ويزود عنهم في أوقات الخطر

من جديد يدوى تصفيق الحضور الحاد، ليتابع الموقف "مجد" و"أبيّ"، بينما تنهمر أضواء فلاشات الكاميرات على المستشارين الخصمين اللذين وحدتهما الظروف والأحداث، قبل أن يلمح "مجد" في السماء خفاش طائر يقوده شخص ملثم يشبهه تمامًا في الزى والهيئة، وتلمحه الجماهير التي تنظر للسماء

الآن يصرخ "مجد" وهو يحاول أن يشق الصفوف متجهًا نحو المنصة لحماية المستشارين "البسطاويسي" و"والعبد" مطلقًا صرخات التحذير، بينما يتقدم الخفاش الطائر نحو المستشارين، وما أن يطير فوقهما حتى تنفجر المنصة وتطيح بكلا المستشارين ومعهما القضاة والمستشارين الواقفين في الصفوف الأولى، في حين يصرخ "أبيّ" صرخة ملتاعة على والده، بينما تتفرق حشود الجماهير في فوضى عارمة وقد أخذ كل فرد يجرى في إتجاه مختلف، في محاولة للهرب والنجاة، في الوقت الذي يقتحم فيه "مجد" النيران

* * *

بعد ساعات مضت على الإنفجار، عاد المشهد لطبيعته في ساحة المؤتمر الشعبى، حيث عم الهدوء المكان وقد خلى من الجمهور، بينما تناثر الحطام وشظايا اللهب في كل مكان، لنرى جثث القضاة والمستشارين، بينما يركع "أبيّ" على ركبتيه أمام جثة والده وقد سيطر الوجوم على وجهه، أما "مجد" فأخذ يتأمل المشهد بعيون لامعة وقد بكى قلبه بالدم، في حين أحاط رجال المعمل الجنائى وسيارات الإسعاف بموقع الحادث، وقد تم عمل كوردون حول المكان بالكامل لمنع اقتراب أي شخص، في حين أحاط رجال الإعلام والصحافة بالكوردون في محاولة للدخول والتقاط الصور.

وفى بلكونة تطل على الميدان وترصد المشهد المأساوى عن قرب، نرى "براء" جالسا على مقعد يتأمل الكارثة، وعلى حجريه يضع جهاز اللاب توب الخاص به ليكتب تغطيته لما يرى، وهو يردد ما يكتبه بصوت عال:

"وأنكشف الشخص المقنع على حقيقته، لم أشعر يومًا بالإرتياح إلى شخصيته الغامضة والسواد الذي يعتريه، رجال الصاعقة أيضًا يخفون ملامحهم بالسواد، ويرتدون الزى المموه في أرض المعركة، لكنهم على الأقل لهم قادة يرجعون إليهم، ونظام يسيرون عليه، أما هذا المختل فلا أحد يعرف من أين أتى وإلى أين يذهب، وها هو يؤكد إثمه بجريمته النكراء، التي أضافت لفوضى القضاء فوضى جديدة، في اللحظةِ التي كنا فيها على مشارفِ عصرٍ جديد، وأملٍ مشرقٍ في غدٍ أفضل، أيها السادة، فلنعلن الحرب على الغموض"

* * *

الفصل التاسع عشر

قامت الدنيا ولم تقعد وقد اختصرت كل ما حدث ويحدث في صورة الشخص الملثم الذي فاق في شهرته ذلك الملثم الذي يفجر خط أنابيب الغاز!

صار هو المسئول عن فاتورة كل ما يحدث، بعد أن تطوع البعض في تحميله مسئولية باقى المصائب والخراب الذي يحدث في البلد.

فى الصحافة طاردته المانيشتات الساخنة، وتحت قبة برلمان مجلس الشورى تفانى الأعضاء في شن الحرب عليه في جلسة استثنائية اكتظ فيها الأعضاء تحت القبة بينما قال أحد الأعضاء بحماس شديد:

— لذا اتقدم باستجواب إلى وزير الداخلية، لمعرفة كيف فشلت الدولة في كشف هوية هذا المجرم

عضوة أخرى تقف تحت المنصة وتقول بصرامة وعصبية شديدة:

— المرة دي إحنا قصاد جريمة واضحة، ولا هتقولولنا الفاعل طلع ماس كهربائى المرة دي كمان؟

بينما نرى عضو أخر ملتحى، وعلى جبهته زبيبة الصلاة، ويتكلم بهدوء لا يخلو من الحسم:

- إما القبض عليه، أو يقدم وزير الداخلية استقالته

وعلى قناة "الفراعين" أطل "توفيق عكاشة" قائلا بطريقة كلامه الشهيرة:

- طب هقول إيه تاني بعد اللي حصل؟ بقى حتة واحد لابس اسود في اسود زي مطاريد الجبل يطلع منه كل ده؟ **"يغلظ من نبرة صوته ويبرق عينيه وهو يمد في حروف كلماته بايقاع بطيء"** فين وزير الداخلية؟ وفين المخابرات؟ وفين الجهات السيادية؟ البلد بتتخرب ومحدش عارف يوقف البتاع داهون عند حده، **"تزداد درجة انفعاله وغضبه ليتابع بصوت عالي عصبي"** ده أنا لو خدت

عشرة من القرية بتاعتي ونزلت أدور عليه، هجيبه من قفاه وأعلقه على عمود نور وأخليه عبرة للي يسوى واللي ما يسواش، حسبنا الله ونعم الوكيل

* * *

داخل مكتب قيادة وحدة التأمين والاشتباك، تحدث "صهيب البنجاوي" مع القيادي الإخواني البارز دكتور "محمد التاجي" قائلا بلهجة واثقة:

— أنا عايزك تطمن تماما يا دكتور وما تشيلش هم شوية الأذناب دول، هما شافوا العين الحمرا في الاتحادية ومحدش منهم هيقدر يعمل حاجة مع رجالتنا اللي نازلين بكرة في جمعة تطهير القضاء، أيوة يا دكتور كلهم جاهزين، ومعاهم ليستة جديدة باسماء الكلاب اللي يستحقوا التصفية

قال جملته الأخيرة دون أن يدري أن هناك من يتصنت على مكالمته في مخبأ قرر أن يدخر فيه كل قاذورات الوطن قبل أن يخرجها بالجملة في لحظة الحسم، وأن هذا المتصنت كان أخوه "براء" الذي ارتسمت على ملامحه أعتى علامات الغضب والكراهية وهو يستمع للمكالمة وينظر إلى صورة "الحسيني" المعلقة على الحائط وعليها شريط أسود، في حين راحت أظافر يده تنهش خشب المائدة التي يستند عليها وهو يقرر أن يثأر لأخوه الذي لم تلده أمه، من أخيه الذي تبرأ منه وحال بينهما الدم رغم أنهما من بطنٍ واحدة!

* * *

في حديقة إحدى المصحات النفسية، تجلس "فاطمة" خطيبة "الحسيني" على أحد المقاعد، وهي تنظر إلى اللا شيء، وقد تجمدت الدموع في عينيها، وارتسم المجهول على ملامح وجهها، بينما يجلس

إلى جوارها "براء" ليتأمل ملامحها البائسة قائلا:

– قالوا لي إن حالتك فضلت تدهور بعد موت الحسيني الله يرحمه لحد ما أضطروا يحطوكي في مصحة نفسية، بس أنا مصدقتش ولسه مش مصدق حتى وأنا شايفك قدامي هنا

تظل على صمتها وسرحانها فيتابع بعيون حزينة ولهجة بذل قصارى جهده لتخرج مرحة:

– فاكرة لما قال لك مرة لو مت ولاقيتك بتضيعي من بعدي هطلع من قبري أضربك وبعدين هرجع تاني؟

تلتفت إليه فجأة، وتسمح بوابات عينيها للدمع بالمرور قائلة بصوت تهدجت نبراته:

– عشان كده مخصوص تعمدت أضيع، بس هو ما طلعش زي ما قال

تلمع عينيه بالدموع قبل أن يقول بلهجة غامضة:

– يظهر إن طلوعه فيه مشكلة، عشان كده حبيت أسألك النهارده إذا كان عندك رسالة حابة توصليها له معايا لما أنزل له قريب

– تنزل له فين؟

– أنزل له فوق، أصلي زهقت أوي من العيشة مع اللي طلعوا لتحت

تجيبه بالمزيد من الدموع الساخنة التي كادت أن تحرق وجنتيها، دون أن تنبس ببنت شفة، فيخرج كارت Memory من جيب بذلته ليفتح يدها اليمنى ويدسه فيها قائلا:

– بكرة الإخوان عاملين مليونية لتطهير القضاء على طريقتهم، وبما إن حق حسيني لسه ما رجعش فأنا كمان هطالب بتطهير القضاء على طريقتي، واللي قتل الحسيني لازم ياخد جزاته قبل ما يتحط في قفص والقاضي يدي له براءة أو حكم مخفف بعد شهور طويلة من المحاكمة، لو ما رجعتش كمّلي المسيرة بالكارت اللي ف إيدك، مش هلاقي حد يؤتمن عليه أكتر منك بعد ما ضاع مني كل اللي بحبهم، يا بالموت يا بالسجن

ينهض من مكانه قائلا:

– خلي بالك من نفسك

وما أن يوليها ظهره ويهم بالإنصراف حتى تنادي عليه بصوت باكي:

– براء

يستدير نحوها ببطء، وما أن تتلاقى عينيهما حتى تنهض بدورها وتقترب منه قائلة:

– طول الوقت كنا فاكرين حسيني مالوش في الحب والرومانسية، بس عيد ميلادي كان من فترة، وفوجئت بالباب بيخبّط، ولما فتحت لقيت واحد شايل بوكيه ورد، سلمهولي وهو بيقول البوكيه ده من أستاذ حسيني، خدت منه البوكيه وأنا مش مصدقة نفسي، وروحت معاه لصاحب المحل استفسر وقولت له إن حسيني مات، فرد عليا صاحب المحل وقال لي خطيبك دفع تمن بوكيهات كتير عشان نبعت لك بوكيه كل سنة، عارف كان مكتوب في البوكيه إيه؟

– إيه؟

– كل سنة وإنتي طيبة، حبي ليكي هيفضل أبدي، من ساعتها وأنا مش قادرة اتلم على أعصابي وجابوني لحد هنا عشان ارتاح، لكن مفيش فايدة

قالتها ثم تحول مطر عينيها إلى سيول، قبل أن تضع كفها على فمها لتمنع صرخة عارمة تكاد أن تخرج من أعمق أعماق قلبها،

لتهب واقفة وتركض مبتعدة في محاولة يائسة للهروب من الدنيا والبشر، بحثا عن حضن لم يعد موجودا على الأقل في هذا العالم.

* * *

ولأن التاريخ يعيد نفسه، استدعت أحداث جمعة "تطهير القضاء" نفس خصوم الأمس في موقعة مشابهة، حين خرجت مسيرة من الإخوان المسلمين ومؤيديهم من باقي الأحزاب الإسلامية وتيارات الإسلام السياسي متوجهة من مسجد "الفتح" بميدان "رمسيس" إلى محيط وسط البلد لحصار دار القضاء العالي، والمطالبة بسرعة تعديل قانون السلطة القضائية وعزل قضاة مبارك.

وفي قلب التجمع كان هناك "صهيب البنجاوي" الذي أمسك بميكروفون وأخذ يصيح في الحشد بلهجة قائد يهم بجيشه لملاقاة الأعداء في غزوة جديدة، والكل يردد خلفه:

– يا قضاء يا عرة، الثورة مستمرة

– يا قضاء فينك فينك، دم الشهداء بنا وبينك

– يلا ياريس طهر طهر، وإحنا وراك نبني ونعمر

– الشعب يريد، تطهير القضاء

– يا أماني قولي للعبد، المصريين ما يجوش بالعند

وفي ذات الوقت وبمكان قريب، توجهت جموع أخرى من شباب حركة 6 أبريل وباقي القوى الثورية في مظاهرات مضادة لمنع أخونة القضاء، ليقف "براء" في مكان هادىء نسبيا يتابع المشهد من على بعد وهو يضع على عينيه منظار مقرب، وبجواره زميلته في حركة 6 أبريل التي تتابع بدورها المشهد أيضا قبل أن يقول لها "براء" من خلف منظاره:

– آخر حاجة كنت أتوقعها إني أبقى ضد شعار تطهير القضاء وأنا اللي عيشت عمري كله بحلم بتطهيره من وكلاء النيابة والقضاة الفاسدين اللي فيه

لترد عليه زميلته بتحفز:

– ما هو لو سكتنا هيفسدوا بتطهيرهم آخر جزء نضيف، ويموت معاه الأمل إن البلد دي ينصلح حالها في يوم من الأيام

إلا أنه بتر حديثه معها وهو يمعن التركيز في متابعة المشهد عبر العدسات المكبرة، ليراقب مظاهرات القوى الثورية المناهضة للإخوان، ويلمح في قلبها رجل يمسك بخروف صغير ويصيح بأعلى ما تملكه حنجرته من صوت:

– يا خروف قولها قوية، الإخوان باعوا القضية

– يا خروف قولها قوية، الإخوان طلعت حرامية

بينما راح عقله يردد جزءا من قصيدة "الأحزان العادية" للشاعر عبد الرحمن الأبنودي، وبصوت وجيتار فريق "كايروكي الغنائي"

انتوا التوقيف وإحنا السير

انتوا لصوص القوت

واحنا بنبنى بيوت

إحنا الصوت ساعة ما تحبوا الدنيا سكوت

أيوة الصوت ساعة ما تحبوا الدنيا سكوت

إحنا شعبين، شعبين، شعبين

شوف الأول فين ؟؟

والتانى فين ؟؟

وآدى الخط بين الاتنين،

بيفوت

انتوا بعتوا الأرض بفاسها بناسها

فى ميدان الدنيا

باتت وش وضهر

بطن وصدر

والريحة سبقت، طِلعِت أنفاسها

أحنا الشعب، بتوع الأجمل، والطريق الصعب

إحنا الشعب، بتوع الضرب ببوز الجزمة، وسن الكعب

وفي حشد وحشد مقابل، تقدمت مسيرتيّ مؤيدي الرئيس والقوى الثورية المعارضة، لتتلاقى كلتاهما عند دار القضاء العالي، قبل أن تنضم إلى أرض المعركة كتيبة من متظاهري البلاك بلوك، ليكون ظهورهم بمثابة بدء الإشارة لإشعال فتيل الحرب.

عندها استل مؤيدو الرئيس أسلحة بيضاء تفوق ما ظهر في فيلم Brave Heart بينما أخرج شباب البلاك بلوك من طياتهم مسدسات الخرطوش وزجاجات المولوتوف لتشتعل المعركة.

ومن خلال المنظار المقرب الذي يضعه على عينيه رأي "براء" أخيه "صهيب" في قلب الأحداث وهو يمسك بأحد شباب البلاك بلوك وينزع عنه قناعه، قبل أن يتكالب عليه هو ورفاقه ليوسعوه طعنا بالسيوف والخناجر والسنج بضربات متتالية لا تعرف الرحمة، حتى تمزق الجلد واللحم إلى شرائح جعلت من الشاب "شاورما بني آدمين"!

بعدها بلحظات قاد "صهيب" مجموعة من شباب الجماعة وقد أمسك كل منهم بعصا طويلة في نهايتها رول لدهان البوية، ليدهنوا حائط دار القضاء التي تحمل جرافيتي صور ضحايا الإخوان وعلى رأسهم "الحسيني"، و"جيكا"، و"كريستي"، بهدف طمس هويتهم ومحو ذكراهم، لتسأل الفتاة الأبريلية "براء" بغضب واستنكار:

– إيه علاقة الصور اللي بيمسحوها لجيكا والحسيني بالمظاهرة اللي عاملينها عشان يطهروا القضاء؟

فيخفض "براء" منظاره بدوره ليجيبها بعينين يطل منها التأهب، ولهجة بدت أنها آخر ما لديه من كلام:

- عشان قوانينهم غير قوانينا، وشهدائنا غير شهدائهم

قبل أن يلقي المنظار ثم يمد الخطا مخترقا حشود المتصارعين دون أن يشعر به أو يشتبك معه أحد، وما أن وصل إلى مكان "صهيب" وأصبح خلفه حتى أخرج من طياته خنجرا ماضيا وصرخ في أخيه:

- صهيب

ليلتفت "صهيب" نحو مصدر الصوت وقد انسدلت خصلات شعره الناعم الطويل على وجهه، في نفس اللحظة التي انقض فيها "براء" ليغرس الخنجر في رقبته، إلا أن "صهيب" مال برأسه لليسار ليتفادى الطعنة في مهارة، وهو يمسك بيد "براء" ويلويها بعنف حتى يسقط الخنجر من يده، ثم يعود "صهيب" برأسه للخلف قبل أن يدفعها بأقصى قوته للأمام لترتطم بأنف "براء" وتنفجر منها الدماء ويشعر الأخير أن الدنيا تميد به، وأن جاذبية الأرض قد تضاعفت ألف مرة فيستسلم للسقوط، قبل أن يمسكه "صهيب" من ياقة قميصه ويركله بأقصى قوته في خصيته، ثم يعقب الركلة بركلتين في بطنه بشكل أجبر "براء" على الإنحناء للأمام وهو يطلق شهقة عنيفة خرجت معها الدماء من فمه ليتركه "صهيب" يسقط أرضا بعد أن خارت قواه وتمنى الموت العاجل ليخلصه من تلك الألام الرهيبة التي تطارد كيانه، قبل أن ينحني "صهيب" ويلتقط الخنجر من على الأرض ويضعه على عنق "براء" بهدف ذبحه وقد التف حوله عشرات شباب الجماعة

الذين أخرجوا هواتفهم المحمولة ليصوروا ما يحدث فيديو، في حين اتسعت عينا "براء" وقد عجزت أطرافه عن الحركة للفرار من قدره المحتوم ليبدأ الخنجر في ذبحه بالفعل قبل أن تتجمد فجأة حركة "صهيب" وتتسع عيناه في ألم ليسقط فوق "براء" جثة هامدة وقد انغرست سكين ضخم في ظهره خلف موضع القلب تماما، في حين تقف خلفه "فاطمة" خطيبة "الحسيني" وقد أطلت من عينيها نظرة ناقمة تحمل أقصى ما لدى البشر من رغبة في التشفي والانتقام، ومن جانبه، تطلع "براء" إلى عيني "فاطمة" بامتنان، في حين انحدرت من عينيها دمعة ساخنة وهي تنظر لصورة "الحسيني" التي أخفى الطلاء نصفها، لتطلع إلى النصف الأخر، دون أن تبالي بما هو قادم على يد حشود الإخوان التي التفت حولها

* * *

فى الطرقة المؤدية لمكتب "أبيّ" بالنيابة، يسير "مجد" ليقدم كل ما لديه من معلومات بعد أن أيقن أن اللعبة انتهت، وحان وقت الحساب، فيفاجأ بـ "رحمة" وهى تسير بصحبة أحد العساكر، وما أن يراها حتى يرمقها بنظرة طويلة، حتى تمر إلى جواره،

عندها ينادي عليها باسمها، وبصوت حزين:

– رحمة

لتتوقف وتلتفت إليه بعينيها الجامدتين وهى تقول بفرحة:

– مجد! والله العظيم كنت لسه بفكر فيك، أنا خدت إفراج بعد ما لقوا جثة عمى مع جثة قابيل الهراس وعرفوا إن القضية متلفقة لى، أول حاجة كنت ناوية أعملها لما أخرج إنى أشكرك ع اللي عملته معايا، وأديك هدية بسيطة جهزتها وأنا في السجن

ينظر لها بحزن وتأثر قائلًا:

– مالوش لزوم، "ينظر لصورة والدتها في السلسلة التي ترتديها ويتابع"، أنا مديون لك بكتير

تفتح حقيبتها وتخرج علبة صغيرة تمدها إليه في رقة قائلة:

– دلوقت إحنا متعادلين، لأنى أنا كمان مديونة لك، اتفضل

"مجد" يأخذ العلبة ثم يقول لها:

– تعرفي إن شبكية العين بتشوف الصورة مقلوبة، ومركز الإبصار في المخ هو اللي بيعدلها؟ كأن العيون لوحدها مش كفاية عشان نشوف الصورة كاملة، والعقل والقلب هما اللي بيخلوا الرؤية أصدق، وأجمل ما فيكي إن عقلك وقلبك قادرين يشوفوا صح، أكتر من ناس كتير ما بتشوفش حتى ولو كان نظرها ستة على ستة

يتراقص قلبها فرحا من كلماته، في حين يسألها بابتسامة حزينة:

– هو أنا قولت لك قبل كده إنى بكتب شعر؟

تهز كتفيها قائلة برقة:

– لأ

فيتأمل عينيها قائلًا:

بسرح كتير أوى في الصور

رغم إنى لسه ما شوفتهاش

لسه الأمل، ماسك بريشته

لسه الشاويش، رافع عصايته

والحلم مش عارف نهايته

وآدى الدموع، ألوان جواش

وأيات عظيمة في السوّر

تشرح فؤادى اللي انجرح
وتبكّى عينى من الفرح
وجوّا قلبى ترسم صورة الإله
ألقى الشيطان واقف بعيد
ماسك بأستيكة السراب
عمال بيمسح في الثواب
وصوت بعيد جاي م السما
بيقول في أيات العذاب
أصرخ وأقوله والنبى،
أرجوك بلاش
صوت الكمان قطع ف قلبى
وأغانى صحت فيا ذنبى
من وقت أيام الطفولة
لحد أيام تانية، لسه ما عشتهاش
وسؤال ملوش حل مطاردنى
هو إنت ليه عايز تسيبنى؟
قرب أشوية، هقرب أكتر
دى الدنيا فانية، والجنة أكبر
أمسح دموعك،
كفكف ف قلبك بين ضلوعك
مد الأيادى لفوق أوى
وألمس نجوم مسيرها يوم راح تنطفى
وأهمس بصوت واثق خفى
آخرتها خير
طول ما الدعا دايما بإيد رحمن قدير
لو ننساه يوم، ما بينساناش

تلمع الدموع في عينيها مع كلماته؛ لكنها تبتسم رغم ذلك قائلة بلهجة يملؤها التفاؤل:

– حلوة أوى، فعلا ربنا ما بينساناش ولا عمره هينسانا، استأذنك هنشرها في الجورنال، باسمك طبعا

يتأمل عينيها مجددا قائلا:

– يا ريت، خلّي بالك من نفسك

– وإنت كمان، أشوفك على خير

الدموع تلمع في عينيه والعسكرى يأخذها ويبتعد، بينما يفتح "مجد" العلبة ويخرج ما بها، فيعقد حاجبيه بدهشة غير مصدق نفسه،

إنه "الجوانتي" الذي انتزعته منه وقت أن أنقذها هي و"براء" أسفل منزلها، ومعه ورقة مكتوب عليها بخط ركيك يليق بفتاة مكفوفة: "إلى عزيزى بتاع الجوانتيات"!!

ينظر لها وقد ابتعدت من ظهرها، لتتوقف وكأنها شعرت به، قبل أن تلتفت إليه وتمنحه ابتسامة رقيقة كأنها تراه، ثم تستدير وتكمل المسير مع العسكرى

* * *

فى مكتبه يجلس "أبي" كسير الفؤاد، في هيئة رثة على غير عادته، وقد نبتت ذقنه، وتناثر شعره، في حين يظهر تحت بذلته قميصا غير مكوى كصورة حية للبؤس مجسدا في إنسان، أكدها حين وضع رأسه

بين كفيه وقد أسند مرفقيه على المكتب، ليغرق في بحر من الأفكار والتساؤلات دون حتى أن يجيب على طرقات الباب أو يهتم بمن هو قادم، لنسمع صوت خطوات تقترب منه قبل أن يظهر جسد "مجد" واقفا أمام مكتبه بقامة منتصبة لبقايا بطل يستعد لمواجهة مصيره المحتوم قبل أن يهمس:

– وقت الحساب جه يا أبيّ

فيرفع "أبيّ" وجهه بملامح ذابلة، قبل أن ينهض متقدما نحو "مجد" بعد أن سمح لدموعه الساخنة بالإنسياب على وجنتيه قائلا:

– دلوقت بس آمنت بيك وعرفت إنك كنت صح، كمل المعركة يا مجد، العدو الغامض مايوقفوش غير بطل غامض، خلي بالك من نفسك

ثم يحتضن كل منهما الأخر،

وفي اللحظة نفسها، كان الرائد "مجدي" يزور المقدم "أمل" في حجرته وهو راقدًا فوق سريره قائلا:

– البقية ف حياتك يا أمل بيه، والدك استشهد وإنت في الغيبوبة

– استشهد؟

ينظر الرائد "مجدي" للأرض وهو يقول بحزن:

- قتله الشخص المقنع وهو في المؤتمر الشعبي لنصرة القضاء

لنرى بعدها "أمل" مرتديًا بذلته ونظارته الشمسية وهو يغادر المستشفى بوجه مليء بالغضب دون أن يبالي بكلام "مجدي" الذي يصيح:

- تخرج إزاي بس يا فندم، أنت لسه محتاج رعاية، ده غير إن الإدارة استبعدتك من المهمة دي

"الموضوع محسوم يا مجدي، بلغهم في الإدارة إنهم يقدروا يعفوني من القضية، لكن مفيش قوة هتمنعنى أنهش الشخص ده بسناني، حتى لو ماليش صفة قانونية"

قبل أن يركب "أمل" سيارته ثم ينطلق بها فجأة لتطلق إطارتها صريرًا مزعجًا، ينبىء أن اللحظات القادمة ستكون ساخنة لأقصى درجة

* * *

الفصل العشرين

فى مكتب "الهراس" يقف إبنه "آسر" يدخن سيجاره وسط 4 من الرجال ضخام الجثة الذين يحملون الأسلحة، قبل أن يدخل عليه مساعده في المكتب وهو يقول:

– كل حاجة جاهزة يا باشا

"آسر":

– فاضل قد إيه ع الطيارة؟

– ساعتين بالظبط، يعنى يا دوب تلحق

يأخذ "آسر" نفسا أخيرا قبل أن يلقى سيجاره ويفركه وهو يقول:

– عايز أول ما طيارتى تطلع، البت الصحفية هي وزميلها وأخوها يتمحوا م الوجود، هما السبب ف كل اللي حصل

– ماتقلقش يا باشا، أعتبرهم من دلوقت ف سجل الوفيات

وفجأة، يقتحم البطل الملثم نافذة المكتب المطل على النيل، ليصبح وسط رجال "الهراس" الأربعة، وفى يده عصا مثل تلك التي يستخدمها جنود الأمن المركزى، فيستخدمها لضربهم في وجوههم، وسيقانهم وبطونهم وخصيهم بسرعة ورشاقة دون أن يمهلهم الوقت الكافى ليرفعوا أسلحتهم نحوه، بينما نرى "الهراس" الصغير يفتح درج مكتبه ويخرج مسدسا، ثم يسحب أجزاءه، وما أن يرفع مسدسه حتى يجد البطل الملثم أمامه ليركل المسدس من يده، بينما سقط كل من في المكتب فاقدى الوعى، فيتراجع "آسر" قائلًا في رعب:

– كان لازم أهرب، أبويا مات والدور أكيد جاي عليا

البطل المثلم ينقض عليه، ويمسكه من ياقة قميصه ليجبره على الإنحناء بين يديه كدجاجة تنتظر الذبح، قائلا بلهجة تجمد الدم في العروق:

– وعشان ما تحصّلهوش لازم تحكى لي إيه علاقته بالـ CD اللي بيدوروا عليه؟

- وأنا إيش ضمنى إنك مش هتأذينى؟

البطل الملثم يجذب "آسر" من شعره ويضرب رأسه في المكتب بعنف، ثن يحمله ويلقيه من النافذة، فيصرخ "آسر" بهلع قبل أن يمسكه البطل الملثم في اللحظة الأخيرة ليتأرجح خارج النافذة وينظر لأسفل على إرتفاع البرج الذي كاد يناطح السحاب، قبل أن يقول له البطل:

– الحقيقة هي التمن الوحيد لحياتك

فيقول "آسر" بهلع شديد وقد مزق الهواء كلماته:

– طب طلعنى وأنا هقول لك على كل حاجة، إيدك هتتعبك وهقع

– مفيش طلوع قبل ما أعرف

فيقول "آسر" برعب واستسلام:

– ورا باب سرى ف المكتب هتلاقى كل اللي بتدور عليه، طلعنى عشان ما بيتفتحش غير ببصمة الإيد

البطل الملثم يجذبه لأعلى، فيلهث "آسر" بشدة، وهو يتجه لمكتبه، ثم يزيح بعض كتبها جانبًا، ليدس إصبعه الإبهام في ثقب صغير في الحائط فيلتف الجدار حول نفسه كاشفًا خزينة ضخمة بالداخل، فيدخل "آسر" ويضغط على بعض أزرارها لتنفتح ونرى العديد من الأوراق، وعلبة CD يلتقطها "آسر" ويعطيها للبطل وهو يقول:

– ده الـ CD اللي أبويا اتقتل بسببه

فيلتقطه البطل منه متساءلا:

— الـ CD ده وصل لأبوك إزاي؟ وإيه الأسرار اللي عليه؟

"آسر" ينظر للبطل ويفكر لبرهة وكأنه سيلقى بسر ثقيل، قبل أن يتجسد أمام عينيه ذلك التاريخ الذي حكاه له والده قبل رحيله.

الزعيم "عبد الناصر" يسير في جولاته الميدانية في أحد الشوارع بسيارته المكشوفة، والجماهير تلتف حوله بحب جارف لم يصل إليه زعيم مصرى من قبل

"في سنة 1962، عمل الرئيس عبد الناصر تنظيم سرى سماه التنظيم الطليعى، وكان هدفه تجنيد أعضائه عشان يأثروا على الناس بطريقة تحببهم ف ثورة 52 ومبادئها، ويحمى الدولة من أي عناصر خفية ممكن تحاول تعادى الثورة أو تتمرد عليها"

أعضاء التنظيم يجتمعون في مقر سرى ويتشاورون فيما بينهم، قبل أن تتزايد أعدادهم

"وف ظرف أيام انضم للتنظيم 30 ألف عضو من كبار ورموز الدولة، ولما كان قضاء مصر مستقل، شاف أعضاء التنظيم إن الدولة لها توجهات سياسية واجتماعية لازم القضاة يعرفوها، عشان تتوافق أحكامهم مع سياسات وأهداف الدولة، فقرروا تجنيد القضاة، ومن هنا انقسم القضاء لتيار مستقل، وتيار تانى تابع للحكومة، من ضمن تيار الحكومة كان فيه مستشار اسمه غلاب البراجيلى، وكان صديق شخصى لجدى رجل الأعمال رشدي الهراس"

وفاة "عبد الناصر" وتشييع جنازته المهيبة التي سارت فيها الملايين، الخلاف يدب بين أعضاء التنظيم الطليعى حتى أن أحدهم يهب واقفًا ويلوح بيده في وجه الجميع بعصبية وتهديد.

"رشدي الهراس" و"غلاب البراجيلى" عند مقر منظمة "نبض العدالة" في الصحراء وقت أن كانت مجرد فكرة، قبل أن يقوم بعض العمال بإعداد المقر وتجهيزه.

"غلاب البراجيلى" مع إبنه الشاب "مظلوم غلاب" ومعهم عدد من المستشارين والقضاة، ويحضر معهم اللقاء رجل الأعمال "رشدي الهراس" وإبنه "قابيل".

"غلاب البراجيلى" يجلس وحده في المقر السرى في إضاءة خافتة وأمامه على المائدة لوح ورقى كبير به مجموعة من الحروف المتراصة بشكل هندسى معين.

" غلاب البراجيلى ورشدي الهراس ماعجبهمش حال التنظيم اللي أتغير أعضاؤه بعد وفاة عبد الناصر، وبدل ما كانوا بيكتبوا تقارير عن اللي بيحصل ف البلد، بقوا يكتبوا تقارير ف بعض عشان يتقربوا من السلطة، ومنهم اللي غير مبادئه وقناعاته عشان يتأقلم مع عصر السادات، ساعتها قرر الإتنين يعملوا تنظيم سرى اسمه نبض العدالة، عشان يضموا ليه أكبر عدد ممكن من رجال الشرطة والقضاء، وكان مبدأهم إنهم يساعدوا رجال الأعمال في قضاياهم ويطلعوهم من مشاكلهم، مقابل فلوس نصها بيروح ف أعمال خيرية لخدمة المجتمع، والنص التانى لتطوير إمكانيات المنظمة وتمويلها، واتفق غلاب البراجيلى مع جدي إنهم يمولوا التنظيم وغلاب هو اللي يشرف عليه، كان هدف جدى إنه يضمن ولاء أكبر عدد ممكن من رجال القانون ليه، عشان يسندوه لو وقع، أما غلاب البراجيلى فظهرت مع الوقت أفكاره الغريبة اللي بتعتمد على السحر والروحانيات عشان يوصل للحقيقة، وبدأ يعتمد على الزيارجة"

— تطلع إيه الزيارجة دى؟!

— لعبة روحانية من عصر النبى أدريس، تدخل لها أي سؤال

تديك إجابته

— إزاي؟

— بتعتمد على سر الحرف، يعنى تحول حروف السؤال لأرقام بطريقة معينة، وبعدين تجمع عليهم أرقام تانية خاصة بحالة البرج بتاعك، والناتج الرقمى تحوله لحروف هتلاقى فيها إجابة السؤال اللي سألته

يصمت "آسر" قليلا لالتقاط نفسه، فيصيح فيه البطل بغلظة:

— كمّل

ليبتلع "آسر" ريقه ثم يكمل سرد ذكرياته

"لما مات المستشار غلاب البراجيلى كمّل إبنه مظلوم المشوار، وساعد بابا ف أكتر من قضية، لغاية ما اتورط بابا ف قضية جديدة وإحتاج للمنظمة عشان تخرّجه منها، لكن مظلوم غلاب رفض وأعلن العصيان"

"قابيل الهراس" يجلس في مكتب "مظلوم غلاب" بالمنظمة، ويقول له بغضب هادر:

- إزاي تتجرأ، إنت نسيت أنا مين؟

ليرد عليه "مظلوم" بتحدى:

— إنت اللي نسيت إننا عارفين كل اسرارك ونقدر نمحى امبراطوريتك من الوجود، من النهارده نبض العدالة منظمة مستقلة مالهاش علاقة بيك، وقضيتك اللي ورطت نفسك فيها إنت المسئول عن حلها، ولو فكرت تنطق بحرف، بدل ما إنت متورط ف قضية هتبقى متورط ف قضايا كتير مالهاش أول من آخر

"ساعتها قرر بابا إنه يجند عضو من المنظمة عشان يساعده ف قضيته، ويجيب له كل أسرار نبض العدالة عشان يقدر يرجعها تانى تحت سيطرته، فاستعان بالقاضى المرتشى اللي قدر يسرق CD عليه أسرار المنظمة، بس لما جه يفتحها اكتشف إنها متشفرة، ولما عرف مظلوم غلاب باللي حصل، حط القاضى مجد الدين ف سكة بابا والقاضى المرتشي عشان يكشف قضية الرشوة ويبلغ عنهم، وبعدين ورط بابا ف قضية محاولة قتل مجد هو وأمه عشان يهيج الرأي العام علينا"

يعود "آسر" من سرد ذكرياته ليقول للبطل:

— ده غير إن وكيل النيابة اللي بابا وثق فيه وسلمه الـ CD اللي اتهرب،طلع عضو جديد ف المنظمة، ورجّع الـ CD لمظلوم تانى، ولحسن الحظ كان والدى معاه نسخة تانية عملها احتياطى، النسخة دي هي اللي ف ايدك دلوقت

فيسأله البطل الملثم بدهشة:

— وليه ما قولتش الكلام ده للبوليس وسلمت النسخة اللي معاك؟

— بابا كلمنى أول ما هرب مكالمة واحدة، قال لي فيها ما اتكلمش مع حد أبدًا لحد ما يرتب اموره ويرجع يكلمني، لكن بعد ما اتقتل كتبت كل اللي أعرفه ف جواب، وكنت هبعته مع الـ CD للبوليس بعد ما أسافر

يصفعه البطل الملثم بقسوة قائلا بغضب شديد:

— غبى، الطب الشرعى أثبت إن أبوك اتقتل جوة السجن وهما اللي هربوا جثته، يعنى مش هو اللي كلمك، ودلوقت إنت خسرت كل حاجة

"آسر" تتسع عينيه من هول الصدمة، ثم يضغط فجأة على زر خفى في الحائط فيسقط لوح حديدى من السقف على البطل

الملثم، ليفقد الوعى على الفور، بينما ينظر "آسر" لجسد البطل الملثم بغل شديد قائلا:

— مش آسر الهراس اللي يخسر، أنا خارج برة البلد، وكل حاجة هتتباع لمستثمرين أجانب هييجوا يعلموكوا الأدب.

ثم يمد "آسر" يده لينزع عن البطل قناعه، فيجده المقدم "أمل"، لتتسع عيناه غير مصدق نفسه، قبل أن ينزع من يده الـ CD، ويقول بمقت:

— سلم لي على اقتصاد البلد يا سيادة المقدم، ووروني إزاي القوانين هتأكل الناس وتشرّبها

"آسر" يغادر المخبأ السرى ويضغط على الزر الخفى ليستدير الباب من جديد ويبقى المقدم "أمل" في الداخل حبيسًا فاقد الوعى، وما أن يستدير "آسر" حتى يجد أمامه "مجد" بزيه الملثم فينتفض "آسر" كالممسوس، بينما يقول "مجد" بلهجة ساخرة:

— ماكانش المفروض تصدق إنه أنا لمجرد إنه لبس لبسى، المرة الجاية أبقى شوف بطاقته

ثم يهوى "مجد" على وجه "آسر" بلكمة كالقنبلة فيسقط أرضا، وفي تلك الأثناء استيقظ أحد رجال "الهراس" من إغماءته ليصوب مسدسه على رأس "مجد" من خلفه دون أن يلاحظه، وما أن يشاهد "آسر" ذلك حتى يمد يده بالإسطوانة لـ"مجد" قائلًا بلهجة ثعلبية:

— إذا كان الـ CD هو اللي عامل المشاكل دي كلها اتفضل خده

"مجد" يمد يده ليأخذ الـ CD، فينقض عليه "آسر" فجأة ليلف ساعديه على خصره ويكبل حركته، وهو يصيح في الرجل الذي يصوب مسدسه على رأس "مجد":

— خلص عليه بسرعة

الرجل يضرب النار بالفعل، في نفس اللحظة التي يستدير فيها "مجد" بأقصى قوته، لتتبدل الأوضاع، فتصيب الطلقة "آسر"، بينما تقتحم قوات من الشرطة المكان فجأة ليقتل أول المقتحمين الرجل الذي كان يهم بقتل "مجد" ويسأل "مجد" وقد ظنه قائده المقدم "أمل":

— إنت بخير يا فندم؟

"مجد" يضع الـ CD في ملابسه، ثم يشير للمكتبة التي تخبىء خلفها المخبأ السرى الذي يرقد فيه "أمل" قائلا:

— الفندم بتاعك اللي أنتحل شخصيتي مغمى عليه جوه، يا ريت تقوله ما يعملش كده تانى حفاظًا على حقوق الملكية الفكرية

الضابط ينظر لـ "مجد" غير مستوعب، قبل أن يفهم معنى كلامه ليقول بلهجة من يفوق من غيبوبة وهو يصوب سلاحه لـ "مجد":

— إثبت مكانك

لكن "مجد" يجرى نحو النافذة ويقفز منها بلا تردد بينما تضرب الشرطة النار عليه من الخلف،

الضابط يجرى نحو النافذة ليبحث عن "مجد" فلا يجد له أدنى أثر، بينما نشاهد من أعلى "مجد" وهو يجرى على السطح نحو خفاشه الطائر، ليمسكه جيدًا ثم يجرى ويقفز من السطح محلقا به بعيدا عن المكان!

* * *

عند غرفة كهرباء المستشفى الذي يعالج فيه "مالِك" أخو "رحمة"، نرى 4 من رجال "الهراس" يضعون المتفجرات عندها، ويضبطونها على التفجير بعد 3 دقائق، ثم يبدأ العد التنازلى للإنفجار، وفجأة يهبط وسطهم البطل الملثم بعصاه التي يديرها بسرعة ومهارة في

مناطق ضعفهم ليفقدوا جميعا الوعى

* * *

فى غرفة المراقبة بالمستشفى نرى موظف الأمن وهو يتابع كاميرات المستشفى التي يرى فيها البطل وهو ينتقل بين طرقات المستشفى وغرفها بسرعة رهيبة، حتى أنه لا يلمح سوى ظله، فيمسك سماعة التليفون وقبل أن يتفوه بحرف واحد، يفاجأ بالبطل يقتحم غرفته مسرعًا قائلًا بلهجة حاسمة:

– ف أقل من 3 دقايق المستشفى هتنفجر، شغل الإنذار حالًا وخلى الكل يــخلى المستشفى فورًا

ثم يستدير البطل مغادرًا الغرفة في حين يفتح الموظف فمه بدهشة غير مستوعب ما رأي،

* * *

سيارات الشرطة تقتحم بوابة المستشفى في نفس اللحظة التي يقفز منها الجنود وينتشرون في طرقات المستشفى، بينما يغادر "أمل" إحدى السيارات مرتديًا نفس ملابس البطل الملثم لكن بلا قناع، بينما ربط رأسه بضمادة، ليدخل المستشفى مسرعًا وفى يده طبنجته، وقد انطلق صوت سارينة الإنذار وصوت موظف الأمن يتردد في الخلفية:

– على جميع النزلاء إخلاء المستشفى فورًا، المبنى هينفجر خلال 3 دقايق

فى حين يغادر المستشفى النزلاء في صورة فوضوية،

فى تلك الأثناء نرى "مجد" يجرى مسرعًا نحو غرفة "مالك"، بينما نسمع في الخلفية صوت صافرة الإنذار، وصوت موظف الأمن، لنرى النزلاء يجرون بشكل عشوائى ومتخبط في طرقة المستشفى، ومنهم

من يحاول الهرب حاملًا "درنقة" الدم، وآخر يحمل قسطرة البول، ومنهم من يتعكز على ذويه وهو عاجز،

وفى غرفة "مالِك" نرى "براء" يحمله بعد أن استرد وعيه، لكن على وجهه علامات التعب، بينما تتعكز "رحمة" على "براء"، قبل أن يقتحم "مجد" الغرفة ويحمل "رحمة" قائلًا:

– يالا بسرعة مفيش وقت، المبنى هينفجر

"مجد" يحمل "رحمة"، بينما ينظر له "براء" شظرًا، لكنه يرضخ للأمر في ظل الموقف الحرج الذي يمرون به، ليحمل بدوره "مالك" ويغادرون الغرفة جميعًا مهرولين في طرقة الدور الثانى لمغادرة المستشفى وعلى وجوههم التقزز من رائحة غريبة يشمونها، بينما تقول "رحمة":

– فيه ريحة غاز رهيبة، أنا هتخنق

قبل أن يظهر في بداية الطرقة المقدم "أمل" ومعه قواته، ثم تظهر قوات أخرى في نهاية الطرقة من الجهة المقابلة، ليصبح "مجد" بين المطرقة والسندان بينما يقول "أمل" بشماتة:

– أخيرًا وقعت

– مش وقته يا سيادة المقدم، المبنى كله هينـ

"أمل" مقاطعا:

– كان هينفجر، قبل ما خبراء المفرقعات يوقفوا مفعول القنابل، الحكومة شايفة شغلها بيك أو من غيرك

فيقول له "مجد" وقد برقت عينيه بتحدى:

– شامم ريحة الغاز؟ أكيد رجالة الهراس فتحوا الأنابيب ف كل أنحاء المستشفى عشان تولع أول ما القنابل تنفجر، لكن طلقة واحدة منك ممكن تأدى نفس الغرض

"أمل" يعقد حاجبيه وقد أدرك صحة كلام "مجد"، قبل أن يقول غاضبًا:

— لو فكرت إن دي نقطة ضعف، أنا أقسمت أني همسكك حتى لو كت دي آخر حاجة هعملها ف حياتي

"مجد" بصرامة:

— ما أعتقدش إن قواتك بتشاركك نفس الرغبة، **"ينظر للقوات الواقفة في أول الطرقة وآخرها ويتابع"** ده غير إنكوا لو ضربتوا النار هتقتلوا بعض

لكن "أمل" يصوب مسدسه نحوه قائلا في عصبية بالغة:

— أقلع القـناع يا مجد، أنا عارف إنه إنت

لتفجّر كلماته دهشة "براء" العارمة، في حين انتفضت "رحمة" وقد تمنت ألا تأتي تلك اللحظة أبدا، بينما أخذ "مالك" يهز رأسه غير مصدق ما سمع، وقد خيم الصمت على المكان، في الوقت الذي تلاقت فيه عيني "مجد" و"أمل" في تحدي، وقد عزفت في عقليهما أوتار الإثارة وموسيقى الترقب،

الآن حانت لحظة الصراع بين حملة نجوم ونسور الداخلية، وحملة أوشحة القضاء في لحظة عبثية تصارعت فيها السلطات بدلا من التوحد في خندق واحد أمام عدو خفى ينشر خرابه في النفوس، قبل أن ينشره في العالم المادى الملموس،

السلطة التنفيذية تحاول إصدار الحكم، والسلطة القضائية تريد تنفيذه بيدها، وقد تبدلت الأوضاع بعد أن عكستها الظروف!

وفي غمار ذلك الصمت الذي سادت فيه نظرات التحدي، وعلت فيه أصوات المزيكا العقلية التي لو خرجت للوجود لألهبت كفوف الجماهير تصفيقا وحماسا، فجأة انكسر زجاج النوافذ، ليلتفت "مجد" و"أمل" نحو القادم بدهشة،

إنها القوات الملثمة التي اقتحمت نوافذ الطرقة ليطلقوا نجومهم المسمومة ويصيبوا بعض القوات، قبل أن يندفع "أمل" نحو أحدهم ويشتبك معه بيده العارية، وكذا يحدث إشتباك يدوى وبالأسلحة البيضاء بين الشرطة والمقاتلين الملثمين وقد حرص الجميع على عدم استخدام الطلق النارى حتى لا يفتحون ابواب الجحيم، في حين حمل "مجد" "رحمة" ليدفعها هي و"براء" و"مالك" نحو غرفة جانبية ضمن غرف الطرقة،

داخل الغرفة يجذب "مجد" دولابا داخلها ويحركه بحسم بحيث يجعل ظهر الدولاب نحو الباب، بينما يجعل ضلفتيه نحو شباك الغرفة، ليفتح ضلفتى الدولاب، ويقول لـ "براء" الذي يحمل "مالك" بلهجة صارمة:

— أدخلوا بسرعة ومحدش يخرج تحت أي ظرف، النار ممكن تاكل المكان في أي لحظة

"براء" يدخل حاملًا "مالك"، ثم يجذب "مجد" "رحمة" ويضعها معهم، وما أن يهم بإغلاق الدولاب عليهم حتى يسأله "براء":

— إنت مجد فعلًا؟!

فينظر له "مجد" دون أن ينبس ببنت شفة،

أما خارج الغرفة، نرى الاشتباك وصل إلى أشده، بين قوات الشرطة، وأفراد المافيا، قبل أن يخرج "مجد" من الغرفة الجانبية، في لحظة نرى فيها "أمل" راقدًا على الأرض بينما يهم مقاتل ملثم بغرس سيفه في رقبته، فينقض "مجد" على يد المقاتل ويركل السيف منها، قبل أن يحمل مقاتل أخر ويلقيه على زميل له يهم بطعن شرطى، ثم يتجه "مجد" نحو جثة مقاتل ثالث وينتزع منها خنجرا ليلقيه على مقاتل رابع يهم بطعن ضابط، بينما ينقض "أمل" على "مجد"

من خلفه بغتة محاولًا أن ينزع عنه قناعه، فيستدير به "مجد" قبل أن يقفز ليركل مقاتل ملثم كان يهم بطعن "أمل" في ظهره ليسقط "مجد" و"أمل" أرضًا، في نفس لحظة سقوط ضابط بفعل خنجر أصاب صدره من أحد المقاتلين، ليصوب الضابط مسدسه وهو يحتضر نحو المقاتل الذي قتله، فيصيح فيه "أمل":

– لأ، أوعى تضرب النار

لكن الضابط يطلق طلقـته، لتنفتح أبواب جهنم، وتندلع النيران التي تظهر من بعيد وهى تجرى نحو الجميع،

مقاتلى المافيا يقفزون من النوافذ للهروب من النيران، بينما يقفز خلفهم "أمل" من الدور الثانى ليتعلق من أفريز النافذة هربا من النار، وفى الوقت نفسه يصوب مسدسه نحو المقاتلين ويحصد عددا منهم، وكذا يحذو حذوه بعض رجال الشرطة، بينما يجرى بعض الضباط الأخرين مبتعدين عن الطرقة بأقصى سرعتهم متجهين للأسفل، في حين يقتحم "مجد" الغرفة الجانبية وخلفه تجرى النيران بسرعة وشراهة، فتخرج "رحمة" من الدولاب وهى تتجه نحوه صائحة:

– مجد

فيتلقفها بين ذراعيه، قبل أن يركل الدولاب الذي يوجد به "براء" و"مالك" فيصبحون داخله وقد سقط الدولاب فوقهم ليحميهم من النيران التي تمرق من فوقه، بينما يصعد "مجد" فوق الدولاب حاملًا "رحمة" ويقفز بها من نافذة الغرفة وخلفهما تسعى النيران نحوهما بشراسة،

الآن نرى "مجد" يطير في الهواء حاملًا "رحمة" وخلفهما النيران، لتمسك النيران في جسد "مجد" الذي وجد نفسه يهوى هو و"رحمة" بعنف من الدور الثانى والنيران مشتعلة في جسده، قبل أن يصطدم بـ"تاندة" تخفف من أثر السقوط، ورغم ذلك يصطدم بالأرض في عنف والنيران تأكله، فيتجه نحو "نافورة" بالمستشفى، ويلقى نفسه بها هو و"رحمة" لتطفىء النيران، قبل أ، يظهر "مجد" من تحت الماء، لينهض حاملًا "رحمة" التي فقدت الوعى، وعلى وجهه الألم والمعاناة، ويغادر المستشفى سريعا مستغلا حالة الفوضى.

* * *

على باب شقة الوكر السرى الخاص به، يحمل "مجد" "رحمة" في الطرقة المؤدية إلى شقته، فيكتشف أن الباب مفتوح، ليعقد حاجبيه في قلق، ثم يدخل الوكر، وما أن يدخل حتى يجد صديقه "نديم" مقتولًا، وكذا كلبه "ماكس"، بينما تم تحطيم الشقة من الداخل، لتتسع عينيه في رعب وهو يصيح بحرقة شديدة:

– نديييييم

قبل أن يظهر خلفه فجأة المقدم "أمل" ومعه قواته صائحًا بصرامة وغضب:

– سلّم نفسك يا مجد

وفجأة يظهر من داخل الشقة مقاتلى المافيا الملثمين، الذين ينقضون بسيوفهم على "مجد" مطلقين صيحاتهم القتالية المخيفة، ليشتبك معهم "مجد" في قتال غير متكافىء، لتنقض على جسده السيوف وتسيل منه الدماء، بينما يصيح "أمل" في قواته:

– أضرب

مع حروف كلماته الأخيرة تفتح القوات نيرانها على الجميع في غزارة

* * *

على صوت أذان الفجر تفتح "رحمة" عينيها وهى تصرخ بلوعة:

– لاااااا

قبل أن يندفع نحوها "مجد" في توتر قائلًا:

– رحمة

"رحمة" تتحسس وجهه، قبل أن ترتمى في حضنه دون أن تشعر وهى تبكى قائلة برعشة وتلجلج بعد أن سرت برودة غير عادية في كل أوصال جسدها الهزيل:

– الحمد لله، ألف حمد وشكر ليك يا رب، ألف حمد وشكر

يتأمل ملامحها الرقيقة رغم حالتها المزرية بفعل الحريق والقتال متساءلا بتعاطف:

– كان كابوس؟

تجيبه وقد سال المطر الأسود من عينيها الكحيلتين:

– كان حقيقة محتملة

"مجد" يتأمل ملامحها من جديد قبل أن يقول ببطء:

– كلنا هنموت

– كلنا نفسنا نعيش، **"تبكى وتنهار في حضنه فجأة"**، بالذات لما نلاقى نصنا التانى

من جديد عادت إليسا لتظهر في حياتها بنبرات حزينة، وكلمات تعبر عما تجيش به مشاعرها لتسمع في خيالها صوتها القوي وهي تردد:

يا عالم بكرة يا حبيبي مخبي لنا إيه

يا خوفي بكرة يا حبيبي ما أشوفكش فيه

أيامنا بجد بخاف منها

مهما بتوعدنا بخوّنها

وبخاف تنسى اللي بتوعد بيه

دي الليلة اللي بقابلك فيها

خايفة ما أقابلكش أنا بعديها

والدنيا دي إيه ناوية لنا عليه

يا نعيش مع بعض حبيبي، يا نموت إحنا الإتنين

أوعدنا نكون يا حبيبي، مع بعضنا في الحالتين

ومن جانبه التمعت الدموع في عينيه وقد شعر بالعجز تجاه مشاعر إنسانة أحبها في لحظات كان يهيء نفسه فيها لوداع العالم، ليحتضنها بحب ميئوس منه، وتداعب أنامله شعرها برفق وحنان، وقد عجز لسانه عن الكلام، بينما يتساءل عقله: لِمَ كل اللقاءات الجميلة تأتينا ونحن على أعتاب الرحيل؟! ثم يبعدها عن صدره برفق لينهض في خجل عندما لاحظ دخول صديقه "نديم" على كرسيه المتحرك، وهو يحمل لاب توب "مالك" وهارده الخارجى قائلًا:

– لحسن الحظ اللاب توب والهارد الإكسترنال ماحصلهمش حاجة، دلوقت مالك يقدر يستخدمهم في فك الشفرة

"مجد" يلتقط منه اللاب توب والهارد قائلا:

– طب والـ CD، انا اتحرقت وهو في هدومى

"نديم" مطمئنا:

- الحمد لله النار ما وصلتلهوش

إلا أن "رحمة" تقول من بين دموعها بتوسل واستعطاف:

– كفاية لحد كده يا مجد، طريق البطولة كله هتافات وتسقيف،

لكن ف النهاية ماحدش هيكون شهيد غيرك

"مجد" يستدير إليها ويتأمل ملامحها بتعاطف، قبل أن يقول بمزيج من الحنان والصرامة:

- لو موتنا هنعيش أكتـر!

* * *

الفصل الأخير

مع بداية شروق الشمس، يتـقلب "براء" على سريره فيصطدم بعلبة تشبه تلك العلب التي يوضع بها القمصان، فيفتح عينيه في دهشة ويتأملها للحظات قبل أن يفتحها، ليجد قميص "مجد" وبنطلونه اللذين أكلت النيران جزءا منهما، فيتأملهما بحاجبين معقودين، ثم يجد تحتهما اللاب توب والهارد الخارجي المزود ببرنامج فك الشفرات، والـ CD، فيضعهم جميعًا في العلبة ويتجه مسرعًا خارج الغرفة، ليدخل على "مالك" الذي غرق في ثبات عميق ليوقظه في عنف صائحا:

— مالك، مالك

"مالك" يستيقظ مفزوعًا:

— إيه!

"براء" يضع العلبة أمام "مالك" على السرير قائلا:

— صاحبك حط العلبة دي جنبى وأنا نايم ع السرير واختفى

"براء" يفتح العلبة ويستعرض محتوياتها لـ"مالك" ثم يستطرد:

— تفتكر ده معناه إيه؟

"مالك" يتأمل المحتويات بإهتمام ثم يقول:

— هدومه المحروقة بيقول لك بيها إنه مش جبان، واللاب توب والـ CD دول ليا عشان أفك الشفرة اللي عرفت مفتاحها قبل ما يهاجمونى

فيقول له "براء" بلهجة متوسلة:

— طب يالا بسرعة قوم اشتغل، الله أعلم اللحظات اللي جاية هيحصل فيها إيه

* * *

في ساحة المستشفى يتأمل "أمل" جثث المقاتلين الملثمين الذين ضرب عليهم النار هو ورجاله، بعد أن نزع عن وجوههم الأقنعة وتبين ملامحهم الأجنبية، قبل أن يقول له مساعده الذي يقف خلفه:

— للأسف يا فندم كل اللي وقعوا ف إدينا ماتوا برصاص رجالتنا، والشخص الوحيد اللي ماماتش خد حباية قضت عليه ف الحال، واضح إنهم إنتحاريين

فيقول له "أمل" وهو يستدير نحوه:

— اتأكدت إن كل رجالتك مراقبين بيت براء كويس؟

فيجيبه مساعده:

— اطّمن يا فندم، بعد ما وصلناه لشقته هو ومالك، حطينا حراسة مشددة حوالين العمارة والمربع اللي فيه بالكامل

* * *

"براء" يقف بجوار "مالك" الذي نجح في فك شفرة الـ CD، ليقرأ له "مالك" مقطعا من محتواها المعروض أمامه على شاشة اللاب توب:

— سيظل الظلام ممتدًا في الأفق عصرًا بعد عصر، حتى ينقسم أولئك الرجال الذين حملوا على عاتقهم عبء العدالة المقدس، حينها سنقدم أرواحهم فداءًا لعصر جديد تنضبط فيه الموازين، بظهور فارس العدالة الذي سيحقق المجد فعلًا واسمًا، وفقًا لمبادىء العدمية السياسية، التي تنص على أن دمار كافة الأوامر السياسية والاجتماعية هو شرط لازم لأي تطور مستقبلي

"مالك" يلتفت لـ "براء" ويتابع:

— زى ما توقعت، جماعة سرية مبدأها تحقيق العدالة على

طريقتهم، وكالمعتاد زي ما بيحصل ف معظم الجماعات السرية، الزعيم المؤسس للجماعة دي تنبأ بطريقة روحانية إن فيه يوم هيحصل فيه إنشقاق بين أفراد الجماعة، عشان كده أكد إن الحل هو إنها تدمر نفسها بنفسها، وساعتها تـتبنى من أول وجديد باللي أتبقى من أعضائها، وتحقق هدفها اللي أتعملت أصلًا عشانه من عشرات السنين، وربط اليوم ده بظهور رمز سماه فارس العدالة، اللي هيحقق المجد اسمًا وفعلا

"براء" يعقد حاجبيه وهو يغمغم:

— مجد!

ثم يتجه "براء" لجهاز الكمبيوتر الخاص به، ويشغل برنامج الدخول على نظام الـ GSM الذي تتم من عليه مكالمات المحمول، قبل أن يدخل رقم هاتف "مجد" المحمول ليتصنت عليه،

في تلك الأثناء كان "مجد" يدخل وكره السرى، قبل أن يجد كلبه "ماكس" راقدًا بينما تنزف دمائه بغزارة، ويجد حال الوكر مقلوبًا، في حين يرن هاتفه المحمول ليجد على الشاشة عبارة **«مكالمة فيديو، رقم خاص»**، فيضغط "مجد" زر الإجابة ليظهر له على شاشة المحمول وجه "مظلوم غلاب" الذي يقول بهدوء صارم:

— اللعبة انتهت يا مجد

ليتابع "براء" مكالمة الفيديو على شاشة الكمبيوتر الخاص به الذي يتصنت على هاتف "مجد"، ويرى على الشاشة "مظلوم غلاب" وهو يبعد وجهه عن شاشة الموبايل ليظهر خلفه "نديم" و"رحمة" المقيدين على مقعدين منفصلين، ثم يتابع "مظلوم" بصرامة قاسية:

— حياتك قصاد حياتهم، والإختيار دلوقت حالا

"مالك" تتسع عينيه وهو يتابع الموقف بجوار "براء" على الشاشة،

قبل أن يظهر أمام "مجد" 10 من المقاتلين الملثمين ليحيطوا بـه، بينما ينظر "مجد" لشاشة الموبايل ويتأمل "نديم" و"رحمة" اللذان شل منظرهما لسانه ليعجز عن الكلام، فيتابع "حكيم المنصة":

— سلّم نفسك من غير أي مقاومة، النهارده معادنا مع تاريخ جديد هيتولد على إديك

المقاتلين الملثمين يصنعون دائرة حول "مجد" الذي تجمد في مكانه كتمثال، حتى تغطى أجسادهم الشاشة ليعم السواد المكان، ثم تنتهى المكالمة، فيصيح "براء" في "مالك":

— الكلب، هو ده وكيل النيابة المرتشى اللي اتحالف مع الهراس ضد أبويا وأبوك

"مالك" يرتسم على وجهه الوجوم، بينما ينظر "براء" لشاشة الكمبيوتر التي حددت موقع المكالمة، ثم يتأمل ملابس "مجد"، قبل أن يمسك بهاتفه المحمول ويضرب أزراره، فيسأله "مالك":

— إنت هتعمل إيه؟

فيجيبه "براء" بحسم:

— اللي يمليه عليا ضميرى، مجد ورط نفسه

ثم يضع الهاتف المحمول على إذنه

* * *

فى مكان يشبه الغابة، تحيطه الأشجار العالية والأرض المليئة بأوراق الشجر المتساقط، نلمح من بعيد بيتًا صغيراً يختبىء خلف هذا المشهد، إنه المقر الجديد لمنظمة "نبض العدالة"، وبجواره اسطبل داخله عدد من الخيول يظهر بعضها من نافذة الاسطبل،

وفى الداخل يقف "مظلوم غلاب" وسط السبع مستشارين الملقبين بـ"حماة الأوشحة" وقد أرتدوا الزى الرسمى للمنظمة، وحولهم المقاتلين الملثمين الذين يتراصون في توزيع حربى استعدادًا لأي هجوم، ثم يرن هاتف "مظلوم" المحمول ليلتقطه في لهفة قائلا:

— آلو

فيأتيه صوت أحد المرتزقة الأجانب الذي يقول بلهجته العربية الفصحى:

— لقد فر منا يا سيدى بمعجزة

"مظلوم" بغضب هادر:

— إزاااااااي، 10 مش قادرين عليه؟!

فيقول الرجل بتلعثم:

— لقد استغل،

"مظلوم غلاب" مقاطعًا بغضب:

— خلاااااص، مش وقته، راقبوا بيته وبيت قريبه اللي اسمه أبيّ كويس، ومحدش ييجى على هنا، ممكن يكون هو اللي مراقبكم

"مظلوم" يغلق هاتفه في غضب، لكنه فجأة يسمع صوت صارم يقول:

— وممكن يكون سبقهم

الآن نرى البطل الملثم وهو يمتطى جوادًا عربيًا أصيلًا، وما أن تغادر الحروف فمه، حتى يهجم بالجواد على "مظلوم" في عنترية مذهلة رغم كل الرجال الموجودين حوله، إلا أن "مظلوم" يقفز بعيدًا، ليتفادى الجواد في اللحظة الأخيرة، بينما يندفع مقاتلى المافيا بسيوفهم وخناجرهم نحو البطل، وسط صرخات "رحمة" و"نديم"، ليبلى البطل الملثم بلاءًا حسنًا في البداية، إلا أنهم يشلون حركته ويحكمون الحصار حوله حتى أنه يختفى وسطهم تمامًا، قبل أن يظهر مرة أخرى بعد أن كبلوه بأياديهم، والدماء تنزف منه وسط صرخات "رحمة" و"نديم"،

ليسحبوه نحو "مظلوم" الذي التقط حقنة ورفعها أمام وجه البطل بتشفى وشماتة، قبل أن يغرسها في ذراعه قائلا:

– من دلوقت مضطر أشل حركتك، عصر الكر والفر خلاص انتهى، والأيام الجاية أيام دمار شامل ع البلد بحالها

البطل الملثم يلهث بشدة، لينزف وهو يبذل مجهودا هائلا حتى يرفع رأسه في وجه "مظلوم" رغم مفعول الحقنة الذي بدأ في السريان داخل جسده، قبل أن يقول بضعف:

– عمرك ما هتنجح ف دمار بلد ربنا نفسه اتعهد بحمايتها ف كتبه السماوية

فيقول له "مظلوم" بتحدى:

– أوقات كتير بيكون الدمار هو البنا الحقيقي لمجتمع مبنى ع الغلط، أرجع للتاريخ وبص لكل الأمم اللي اتقدمت وانت تفهمنى أكتر، ايطاليا ما رفعتش راسها غير من بعد حريق روما، اليابان ما اتقدمتش غير بعد ما انضربت بالقنبلة النووية، وحتى عبورنا ف 73 ما تمش غير من بعد نكسة، العدو مش عايز يضربنا عشان عارف إنه لو ضربك هيفوّقك، يبقى لازم الضربة تيجى منا لو كنا فعلا بنحب البلد دى!

إلا أن البطل يسأله بتحدى رغم قواه التي بدأت تخور:

– والرشاوى اللي أخدتها من رجال الأعمال عشان تنصرهم ع الغلابة والمساكين، كانت برضه عشان حبك للبلد؟

لتبرق عينى "مظلوم" وهو يجيب بلهجة غامضة:

– لو ظلمت الغلابة تبقى ضمنت لهم الجنة والرحمة، لكن لو عدلت بينهم هما اللي هيظلموا نفسهم بنفسهم، واللي مش هيقدر يظلم غيره على الأقل هيظلم نفسه، ثم إن الرشاوى اللي أخدتها

من رجال الأعمال بنيت بيها مستشفيات وجوامع وكنايس، وجوزت بيها شباب مش قادر يتجوز، تقدر تقول لي لو كانوا اتحبسوا كانت البلد هتستفاد إيه؟

مع كلماته تخور قوى البطل تماما، في حين تسأل "رحمة" من بين دموعها:

– مادام بتبنى، ليه جاي دلوقتي تهد ؟

فيجيبها "مظلوم" بإصرار:

– عشان اكتشفت إن العمارة اللي أتأسست على أساس غلط وطلعت معووجة مااينفعش ترمهما، الحل السليم إنها تتهد وتتبنى من اول وجديد، فولتير قال كده في الثورة الفرنسية وطلع كان عنده حق، ومصر كمان لازم تتهد وتمر بنفس المسار عشان توصل للنور

فيصرخ "نديم":

– بأي حق تحكم حكم زي ده؟

ينظر له "مظلوم" بتحدى ويقول بظفر:

– بحق القوة.. عمر المختار أتعدم بحكم محكمة، عشان قانون القوة ف العصر ده كان إن المظلوم يتعدم لو فكر يدافع عن نفسه ضد الظلم.. والفلاحين الغلابة اللي أتعدموا ف مدبحة دنشوأي، أتعدموا بحكم من قاضى مصرى، برضه عشان قانون القوة كان بيقول إن اللي يقول لأ يتعدم.. وصدام حسين اللي عدمه الأمريكان، أتعدم بحكم من قضاة عراقيين.. لكن مفيش قاضى ف العالم كله قدر يحاكم الرئيس الأمريكى على جرايمه.. على مدار التاريخ كله، دايمًا حق القوة أقوى من قوة الحق، وإحنا النهارده معانا القوة

ومع آخر حروف كلماته، يطرقع "مظلوم" إبهامه وسبابته فيتم إظلام المكان، في حين يعمل بروجكتور ينقل صورة لمقاتلى المافيا

وهم يضعون المتفجرات في أسطح العديد من المحاكم ليلا قبل أن يردف:

– دمّر القضاء وإنت تحول المجتمع لمجرمين وقتلة، وساعتها ماحدش هيحكم بينهم مين الظالم ومين المظلوم، لغاية ما المجتمع يتحول لغابة، وبعدين ينهار ويتبنى من جديد على عدل حقيقى، وقوانين مافيهاش ثغرات

"مظلوم" ينظر لجسد البطل الملثم الذي بدا وكأنه في عالم أخر قبل أن يتابع:

– إنت حاولت تصنع من نفسك رمز، فسيبناك تحاول، بس ف الآخر شكّلنا الرمز بمعرفتنا، ماحدش هيعرف خبر موتك غيرنا، لكن قدام المجتمع هتفضل عايش بصورتك الغامضة اللي هتدمّر القضاء، وبعد ما أحقق هدفى هتظهر جثك، والناس هترحم عليك بعد ما يبان أثر اللي عملته ف خدمة مجتمعهم الحيوانى اللي هيتحول على إديك لمجتمع بنى أدمين، وبكده هنمنحك الخلود ف الدنيا، وهنقتلك شهيد عشان تفوز بالجنة ف الآخرة، زي كل رجالتنا اللي قتلناهم بإدينا قبل ما ينفرط العقد ونضيع كلنا ف لحظة خلاف، وما تقلقش، كل الناس اللي بتحبك هتموت معاك، عشان ماحدش يزعل على حد

"رحمة" باكية:

– مجرم

"مظلوم غلاب" بغضب هادر:

– وبإجرامى هصنع قانون يمنع الإجرام، في المسيحية المسيح إختار يتصلب عشان يفدى البشر، وف جمعيتنا أنا أخترت أصلب القضاء عشان أفدى المجتمع وأحركه لقدام

ثم ينزع "مظلوم" قناع البطل وهو يصيح فيمن حوله بجنون:

– أقتلوه

ليتضح فجأة أن البطل الذي يرتدى القناع هو "براء"، فيصيح "مظلوم" في رجاله الذين يهموا بقتله:

– استنوا!!!!!!

ثم يقبض على شعر "براء" ليرفع وجهه المدفون في صدره قائلا:

– إنت جيت هنا إزاي؟

"براء" ينظر له بضعف دون أن يقوى على الكلام، بينما يعود بذاكرته إلى الخلف على طريقة الفلاش باك

* * *

"براء" يطلب رقما ثم يضع الموبايل على أذنه، وبجواره "مالك" الذي يتابع الموقف بقلق، قبل أن يسمع صوت المقدم "أمل" وهو يرد على المكالمة،

المقدم "أمل":

- آلو

"براء":

– أيوة يا أمل بيه، أنا براء فاروق الصحفى بجورنال المستقبل

المقدم "أمل":

– خير

"براء" يأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يقول:

– أنا الشخص المقنع اللي البلد كلها بتدور عليه

المقدم "أمل":

– الظاهر إن اللي حصل أثر على نافوخك، انت ناسى إن إنت

وهو كنتوا واقفين قدامي من كام ساعة؟

"براء":

– ما أنا مش لوحدي يا أمل بيه، أنا كنت واحد من جماعة سرية خدعتنا باسم العدالة، بس اتضح إنها عايزة تدمر البلد ومخططها قدامه ساعات ويتنفذ لو ما لحقناهوش

المقدم "أمل":

– مخطط إيه؟

"براء":

– كل التفاصيل هتوصلك دلوقت حالًا على الـ CD اللي بقى ف إيدى وفكيت شفراته، بس المهم يكون الوقت ف صالحنا

ثم ينهى "براء" المكالمة، ويبدأ في ارتداء زي "مجد" في حين ينظر له "مالك" ويقول مصدومًا:

– ليه عملت كده يا براء؟

فيجيبه "براء" وهو يلف الإيشارب حول وجهه:

– جوّه كل واحد تعرفه إنسان ما تعرفهوش، أنا ظلمت مجد وده الوقت اللي لازم أكفر فيه عن غلطي

***

"براء" يفوق من ذكرياته، ليبتسم بشماتة رغم ضعفه الشديد، ويبذل قصارى جهده حتى يستطيع النطق قائلا لـ"مظلوم":

– الـ CD اللي أنت افتكرت إنك انقذته من التسريب، كان فاضل منه نسخة أخيرة مع آسر الهراس واتفكت شفرتها، ودلوقت كل أجهزة الدولة بقت على علم بكل مخططاتك

ومع حروف كلماته الأخيرة يقتحم المقدم "أمل" الأحداث بقفزة رشيقة من فتحة في السقف، وما أن يهبط حتى يتدحرج سريعًا في لحظة إنقضاض المقاتلين الملثمين عليه، لكنه يسبقهم إلى "مظلوم" قبل أن يهب واقفًا ويضع فوهة مسدسه على رقبته، فيتجمد المشهد تمامًا، بينما يقول "أمل" بصرامة:

– انتهت اللعبة يا مظلوم، المكان كله محاصر، والقوات اللي برة مستنية كلمة واحدة عشان تدمرك إنت ورجالتك

ورغم دقة الموقف، يقول "مظلوم" ساخرا:

– أراهنك إنكوا قريتوا الخطة الأصلية وانشغلتوا بتفاصيلها، من غير ما تاخدوا حتى بالكوا إن فيه خطة بديلة

يد "مظلوم" تتسلل في نعومة وخبث إلى مكان خفى في طياته، قبل أن يضغط على زر نسمع صوت أزيزه، فيظلم المكان وتضاء من جديد شاشة البروجكتور لتظهر فيها عدة صور حية لمحاكم مصر، بينما يقول "مظلوم" بشماتة:

– فات المعاد، كل المحاكم اللي بتشغى دلوقت بالقضاة والمستشارين ووكلاء النيابة، مزروع فيها قنابل جاهزة تنسفها بدوسة زرار إيدى محطوطة عليه، والمكان اللي إحنا فيه دلوقت خد أمر منى ينفجر كمان دقيقتين، يا تسيبنى أخرج من هنا وتدى أمر لقواتك بالإنسحاب وتموت انت وأبطالك مقابل أنى ما أفجرش المحاكم، يا تحاول تقتلنى وكل حاجة تنفجر معايا

المقدم "أمل" بشك وريبة:

– حيلة مكشوفة

"مظلوم" يشير للشاشة ويتابع:

– تقدر تجرب بنفسك، وإنت تشوف بعنيك حالًا القضاء المصرى بيتمحى م الوجود

فيصيح "نديم" في "أمل" محذرا:

– ما تصدقهوش يا أمل، كده واللا كده هو قرر إنه يدمر القضاء

إلا أن "أمل" يصمت لثوان كملك شطرنج لا يجد أي حركة تنجيه من الكش، فيحسم أمره ويترك "مظلوم" ثم يلقى بمسدسه في استسلام، قبل يلتقط جهازا من بذلته، ويقربه لفمه قائلًا:

– القوات تنسحب الآن لحين إشعار أخر

ثم يقوم المقاتلين الملثمين بتقييد "أمل"، في حين ينسحب "مظلوم" ورجاله حتى يضغط زرًا خفيًا في الحائط، فيكشف عن ممر سرى، يدخله رجال "مظلوم" وهم يحيطون به لحمايته، بينما يقول بشماتة ساخرة:

– كان حقك تسمع نصيحة صاحبك يا سيادة المقدم، كده واللا كده القضاء فعلا هيتدمر، وزي ما دمرنا نخبة القضاة والمستشارين في المؤتمر الشعبي اللي انفجر من كام يوم، هنقضي النهارده على اللي باقيين وبعدها المجتمع هيقوم بدوره ويدمر نفسه بنفسه

ثم يدخل "مظلوم" النفق بصحبة رجاله ليختفون، قبل أن يعود الحائط لطبيعته

* * *

"مظلوم" ورجاله يسيرون في الممر السرى المؤدى للخارج، قبل أن يجد فجأة أمامه جوادًا عربيًا أصيلًا بلا فارس، وإلى جواره الكلب الـ «بيتبول» الخاص بـ "مجد"، فيعقد حاجبيه في دهشة متساءلًا:

– إيه ده، اللي جاب دول هنا

قبل أن يهوى "مجد" من السقف دون أن يكون مرتديا لزيه الملثم، ليسقط على الحصان قبل أن يجذب "مظلوم" بقوة رهيبة ترفعه في سرعة ومرونة على الحصان ليشل "مجد" حركته وهو يضع مسدس على رقبته في حين يزمجر الكلب بوحشية شديدة في حين يقول "مجد" بصرامة:

– ميزة اللي بيوصل متأخر إنه بيكون عرف الخطة البديلة، وحط خطة مضادة

فيرد عليه "مظلوم" بسرعة وتوتر:

– عمرك ما هتلاقى وقت كفاية، حط إيدك ف إيدى يا مجد وإحنا نرجّع للبلد عدالتها المفقودة ومجدها القديم

فيقول له "مجد" بصرامة:

– عمر الظلم ما يصنع عدالة

"مظلوم" وهو يحاول التملص:

– العدالة ماتبقاش عدالة من غير ظلم، لازم يكون فيه اسود عشان يبقى فيه ابيض، ولازم يكون فيه شر عشان يكون فيه خير، ربنا حرم الظلم لكن ما منعهوش، عشان الكون كله لا يمكن يستمر غير لو كان فيه ظالم ومظلوم

فجأة تسقط قطعة من الصخر من سقف الممر، فيلتفت لها "مجد" فيستغل "مظلوم" الموقف ويقفز من الجواد قائلًا بعيني شيطان رجيم:

– إنت اللي اخترت

ثم يضغط "مظلوم" على زر تفجير القنابل الموجود في طياته، لكن "مجد" يقول بثقة:

– مفيش نظام ف الكون كله مفيهوش ثغرة، وغلطتك إن جدران الممر ما بتوصلش أي إشارات لا سلكية

"مظلوم" تتسع عينيه قبل أن يفر عائدًا إلى حيث ترك "أمل" ليعطى إشارة التفجير من هناك، بينما يصيح في رجاله:

— أقتلوه

"مجد" يصوب مسدسه على "مظلوم" لكن سيفًا بتارًا من مقاتلى المافيا يهوى على المسدس ويطيره من يده، قبل أن يشتعل صراعًا رهيبًا بين "مجد" الذي قفز من على جواده، وبين المقاتلين الملثمين لينضم معه كلبه ماكس إلى الصراع وهو يقفز لينقض على عنق أحدهم، في حين يتراجع 3 من المقاتلين مع "مظلوم" لتأمينه.

"مظلوم" يصل لنهاية الممر، لكنه فجأة يجد أمامه "أمل" مصوبًا مسدسه نحوه وقد تخلص من قيوده وخرج من الوكر، فينقض على "أمل" الثلاثة مقاتلين، ويحدث إشتباك رهيب.

وداخل الوكر الموجود فيه "براء" و"رحمة" و"نديم"، نرى عداد القنبلة يتراجع في سرعة مخيفة، 110،109، 108، بينما على وجوه الجميع الضعف والاستسلام للمصير المحتوم

الآن نرى أحد المقاتلين الثلاثة الذين انقضوا على "أمل" ملقى صريعًا، بينما يغرس "أمل" خنجرًا حادًا في بطن الثانى، لكن سيفًا حادًا يهوى على رأسه من المقاتل الثالث، لكننا نسمع صوت طلقة تصيب المقاتل الثالث، أطلقها "مجد" الذي عاد ليمتطى جواده بعد أن تغلب على المقاتلين الذين اشتبك معهم لينقذ حياة "أمل" في اللحظة الأخيرة، في حين ينظر "أمل" لـ "مجد" وتتلاقى عينيهما.

الآن أصبح "مظلوم" داخل الوكر وما أن يهم بالضغط على زر تفجير قنابل المحاكم، حتى يجد فجأة يد امتدت لتقبض على يده بعنف.

إنها يد "براء" الذي نرى وجهه المتصبب بالعرق، وقد بذل مجهودًا رهيبًا ليقاوم العقار الذي شل حركته، وقد حركت غريزة الخطر كل كمية الأدرينالين المحفز للطاقة داخله، فتتسع عيني "مظلوم" غير مصدق نفسه، بينما يقول "براء" بضعف، وهو يخرج قلمًا من جيبه:

— ما كدبوش لما قالوا إن القلم سلاح الصحفيين

قبل أن يدب "براء" قلمه في عين "مظلوم" بآخر ما تبقى لديه من قوة، فينتفض "مظلوم" صارخًا صرخة رهيبة.

"براء" ينظر لمؤشر الإنفجار فيجده وهو يزحف إلى لحظات النهاية بتراجع مرعب 50،51،52، فيزحف نحو "رحمة" بضعف وتخاذل، حتى يصل إليها هي و"نديم" ليحاول النهوض بصعوبة حتى يفك قيودهما، قبل أن نسمع فجأة صوت طلقة يدوى في المكان، فيندفع "براء" للأمام ويحتضن "رحمة" التي تصرخ بذعر، في حين تنزف الدماء من فمه ليقول وهو يحتضر:

— يمكن هو أولى بيكى، بس أنا بحبك أكتر

وقبل صعود روحه إلى بارئها هتف قلبه: كُل الأمانى التي انتهت، كانت في البداية ممكنة، فليت كل شيء ظل كما كان في البدايات

لنرى بعدها "مظلوم" وهو يمسك بالمسدس الذي صوبه على "براء" وقتله به، في حين تتسلل يده إلى زر تفجير القنابل في ملابسه ليضغط عليه، فيلكز "نديم" الحصان الذي كان يركبه "براء" حين اقتحم المكان، ليندفع الحصان نحو "مظلوم" ويصعد فوق جسده ويمنعه من الضغط على الزر، في لحظة دخول "مجد" وهو يمسك بلجام حصانه ومعه كلبه، وإلى جوارهما يدخل "أمل"، فيشاهد "مجد" "مظلوم" وهو يحاول بضعف وتخاذل أن يضغط على الزر مجددا فيطلق عليه النار ويقتله، قبل أن يتقدم "مجد" و"أمل" نحو "رحمة" و"نديم" ومؤشر الإنفجار يتراجع،11،12،13 فيحمل "مجد" "رحمة" المنهارة بشدة، ويضعها على جواده، وكذا يضع جثة "براء"، بينما يحمل "أمل" "نديم" ويضعه على الجواد الأخر،

ثم يتحرك الجميع بالجوادين بسرعة شديدة ومعهما "ماكس" في محاولة يائسة للفرار من الوكر، ومن خلفهما يحدث الإنفجار الشديد الذي يسبب الهلع للجوادين والكلب، فتزداد سرعتهم بشدة والصخور تتساقط على الجميع، ومن خلفهم نرى النيران تندفع نحوهم بسرعة مخيفة، حتى يصل الجميع إلى نهاية الممر في اللحظة الأخيرة لتدفع الموجة التضاغطية الجميع من فوق الجوادين ليطيروا في الهواء ويرتطموا بالأرض الزراعية ويزحفا عليها بعنف شديد، وسط قوات الأمن التي تراجعت مع عنف الإنفجار، وما أن يهدأ الإنفجار، حتى تتجه القوات نحو الجميع لفحصهما، حيث أصيب "نديم" بجرح غائر في رأسه، بينما امتلأ وجه "رحمة" بالكدمات والسحجات، أما جثة "براء" فسالت منها الدماء بغزارة لتغطى وجهه تماما، وبجرعة أقل نزفت الدماء من وجهى "أمل" و"مجد" الذي اقترب منه كلبه ليلعقه بوفاء متناسيا آلامه.

أحد الضباط يقترب منهم وهو يصوب سلاحه نحو "مجد" قائلًا:

– أرفع إيدك لفوق

فيهم الكلب بالإنقضاض عليه إلا أن "مجد" يصيح فيه:

- Stop ماكس

قبل أن يصيح "أمل" بصرامة في الضابط:

– نزّل السلاح، واطلبوا الإسعاف بسرعة للبطل

الضابط في دهشة:

– بس يا فندم،

"أمل" مقاطعًا وهو يشير لجثة "براء":

– ده المدان، ومات خلاص

لكن "مجد" يقول في إصرار:

– لحظة يا أمل،

فيقاطعه "أمل" مجددا:

– ماتكمّلش، أنا عارف كل حاجة، لكنماينفعش تكون جزاتك العقاب بعد كل اللي عملته

فينظر "مجد" لجثة "براء" في تأثر ويتابع:

– بس ده مش قانونى!

قبل أن يرد عليه "أمل" بحزن:

– لكن عادل، الـ CD اللي بيدين منظمتك مش وقته يظهر للنور خالص وإلا أعداء العدالة هياخدوه سلاح عشان يعلنوا للرأي العام إن قضائنا مش بخير وفيه عناصر فاسدة لازم يتطهر منها، وساعتها ماحدش هيلومهم لما ينادوا بتطهير القضاء وفي الخفا يأخونوه على طريقتهم، ويبقى أبويا وجوز خالتك ماتوا ع الفاضي

يعقد "مجد" حاجبيه في غير اقتناع، فيستطرد "أمل":

– ساعات لازم نداري على الغلط لما يكون الإعلان عنه غلطة أكبر

يتساءل "مجد" وهو ينظر لعينيه مباشرة:

- وقياداتك، هتقول لهم إيه؟

"أمل":

- قياداتي اللي باعوا ضمايرهم براء سلّمني تسجيلات ليهم كشفتهم على حقيقتهم، ولازم يتعمل معاهم صفقة يسكتوا بيها ويخلص الموضوع بهدوء بدل ما تخرب ع الكل

* * *

في قاعة مؤتمر صحفى تعقده وزارة الداخلية لكشف ملابسات القضية، وقف وزير الداخلية على منصة المؤتمر وبجواره "أمل"

وعدد من قيادات الداخلية، بينما يجلس في الصف الأول من القاعة "رحمة"، و"نديم"، و"أبيّ"، و"مالك"، وعدد من الصحفيين والإعلاميين، قبل أن يقول الوزير أمام ميكروفونات الفضائيات وهو يشير إلى شاشة في القاعة عليها صورة "براء":

– ونتيجة لقتل والده وهو في طفولته، وإحساسه بإنه ضحية من ضحايا العدالة، قرر الصحفى الشاب براء فاروق صنع شخصية غامضة شبه شخصيات السينما والروايات، عشان ينفذ بيها العدل على طريقته الخاصة على أرض الواقع

وزير الداخلية يشير إلى الشاشة في لحظة استبدال صورة "براء" بصورة شخص يبدو أنه مختل عقليًا في ملامحه وهيئته ويتابع:

– لكن مختل عقليًا اتأثر بشخصية براء، وقرر إنتحالها في تنفيذ مخطط مجنون، يستهدف رجال القضاء المصرى النزيه، ومن خلال التحريات، توصلنا للشخص المختل في لحظة إغتياله لبراء، وأحبطنا مخططه في قتل عدد من القضاة والمستشارين، ليظل قضائنا في مأمن من المختلين عقليًا، وتظل مصر بلد الأمن والأمان

صوت همهمة يسود في القاعة، في حين تبكى "رحمة" في حرقة، ويحتل الوجوم ملامح وجهى "نديم"، و"أبيّ"، بينما يدارى "أمل" عينيه، ليتحاشى سهام النظرات المصوبة إليه وقد أثقل البيان الكاذب ضميره!

في تلك الأثناء كان هناك ظل شخص ملثم يسير في القاعة بين الناس، لتستدير نحوه الأعناق وسط صيحات الذهول وإتساع العيون المندهشة قبل أن يقف أمام المنصة.

إنه القاضى "مجد الدين مهران" في زيه الملثم، قبل أن يخلع الإيشارب من على وجهه أمام الحضور، فينظر له "أمل" بدهشة، بينما يقول "مجد" بصرامة:

– أنا عندى معلومات مختلفة عن بيان حضراتكم اللي بتملّوه للصحف ووسائل الإعلام

وزير الداخلية محاولًا التعتيم على الموقف:

– أبقى هات معلوماتك بعدين، المؤتمر خلص

فيتحداه "مجد" بنظراته قبل أن يتابع في إصرار:

– لو حضرتك عايز تمشى تقدر تمشى

"مجد" يستدير نحو الجميع ويتابع:

– بس الإعلاميين اللي هنا أعتقد إنهم مهتمين يسمعوا كلامى

العيون كلها تركز على "مجد"، في حين يستطرد بهدوء:

– المعلومات اللي عندى بتقول إن فيه أوضاع كتير لازم تتغير، وإن هيبة الدولة مش هنحافظ عليها بكدبة بنلبسها كل مرة لمختل عقليًا، حتى لو كانت الحقيقة هتعمل بلبلة، وأول حقيقة أنا بعلنها على الملأ ومسئول عنها.. أنا الشخص المقنع الحقيقى، "**تزداد همهمة الحضور في حين يتابع:**" وبعد اللي حصل قررت أعمل بنصيحة الشهيد براء، وأحارب بوش مكشوف، ومستعد للحساب.. بس مش هتحاسب لوحدى

الجميع يصفق بشدة، في حين يزداد إنهمار دموع "رحمة" الحزينة بعد أن ذبح القدر قلبها على ناصية مدينة العدل، بينما يسند "أمل" مرفقه على المنصة ثم يريح جبهته على كفه ليدارى وجهه، ويعقد وزير الداخلية حاجبيه في غضب ممتزج بالحرج، وينظر "أبيّ" و"نديم" و"مالك" لـ "مجد" بذهول، بينما تصفق أياديهم بمزيج من الحزن والتأثر، قبل أن يرفع "أمل" وجهه ويدخل يده في جيب بذلته ليخرج كارت الميموري الذي أخذه من "براء" قبل وفاته، ليتأمل الكارت بحزن وخجل ثم تنزل على وجنتيه دمعة

ساخنة ويصفق هو الأخر قبل أن ينهض قائلا وهو ينظر لـ"مجد":
- أنا شاهد على كل الكلام ده، ومعايا تسجيلات تانية هتكشف كل الأقنعة عن الخونة اللي يستحقوا العقاب

* * *

في مختلف الصحف، نرى العديد من المانشيتات الصحفية:

– آن الأوان للقضاء المصرى أن يترافع عن نفسه

– وسقط حاجز الصمت بين القانون والعدالة

– بين القاضي مجد الدين مهران وشباب البلاك بلوك، هل أصبحنا نعيش في زمن الأقنعة؟

– حقيقة الرمز الغامض في مصر والفرق بينه وبين تنظيم البلاك بلوك ومصادر تمويل الطرفين

– وبدأ العد التنازلي لإنهيار دولة المرشد

– في محاكمة عصر بأكمله، الحُكم بعد المداولة

في حين تجلس "رحمة" على جهاز الكمبيوتر الخاص بها في الجورنال، والمجهز ببرنامج يحول الصوت لكلمات مكتوبة على الشاشة حتى يسهل الكتابة للمكفوفين، في حين تمسك بميكروفون موصل بالجهاز لتتحدث فيه في الوقت الذي تتراص فيه حروف تلك الكلمات على الشاشة وهى تقول:

بعد الحرب العالمية الثانية، سأل الزعيم الفرنسى شارل ديجول صديقه الأديب مارلو عن حال فرنسا وقال له: أعرف أن الوضع في فرنسا سئ، ولكن كيف حال الجامعة والقضاء؟ فأجابه بأنهما لم يطلهما بعد الفساد الذي انتشر في المجتمع، فرد الزعيم ديجول قائلًا: إذن نستطيع بناء فرنسا من جديد.

فمتى سنبنى مصر من جديد؟

ومن الذي يستحق العقاب حقًا، قاضى تمرد على القانون بعد أن وجد فيه ثغرات لا تحقق العدالة الحقيقية، أم نظام قضائي بطيء يسير بخطواتٍ وئيدة، حتى فقد الناس ثقتهم فيه وصاروا يؤمنون بقانون الغاب والعنف والسلاح؟ أم فصيل سياسي حاول المزايدة بتطهير القضاء عن طريق تسييسه والسيطرة عليه ليعمل لصالحه؟

تلك هي الأسئلة التي تحتاجُ لإجابةٍ جماعيةٍ من كلِ أفرادِ المجتمع، ضمن منهجٍ يشاركونَ جميعًا في وضعهِ والإتفاقِ عليه، في محاكمة لمجتمع وعصر بأكمله وعندها سنعرف، من الذي يستحق الثواب والعقاب، حين يصدر الحكم من قضاء شامخ مستقل حقا، بعد المداولة

النهاية

بعد النهاية!

في عالم أخر استقبل "الحسيني" صديقه "براء" ليقول الأول بنبرة صوته المميزة، وبحس لا يخلو من السخرية:

– والله ورديت وصحتك جت ع الموت يا أبو براء

يدور "براء" حول نفسه وهو يتأمل ذلك العالم الجديد المليء بالخضرة والأنهار، قبل أن ينظر لصديقه "الحسيني" الذي تقف إلى جواره خطيبته "فاطمة" و"جيكا" و"كريستي" وعدد من الشهداء قبل أن يقول:

– اتعودنا دايما نقول أنا آسف إني جيت في وقت مش مناسب، لكن ما اتعلمناش نقول أنا آسف إني همشي في وقت مش مناسب، كان نفسي ألحق اعتذر لها قبل ما أمشي واسيبها في عز المعمعة

يضحك "الحسيني" هو والشهداء المحيطين به قبل أن يقول لهم ساخرا:

– معلش يا جماعة أعذروه، أصله ميت جديد

ثم يقترب من "براء" قائلا بجدية مفاجأة:

– هنا مفيش حاجة اسمها إحساس ومشاعر، هنا فيه حاجة اسمها حقيقة مطلقة هتشوفها مجسمة بعنيك من غير ما تملك تغييرها، بس على الأقل هتؤمن مع الوقت إن كل حاجة بتشوفها هي الصح مهما كانت باينة لأهل الدنيا غير كده، هتشوف بنفسك على شاشة ضخمة حياتك اللي فاتت من أول ما اتولدت لحد ما جيت هنا، وكل الاختيارات اللي كانت قدامك، وكل اختيار كان هيوديك لفين، هتتفرج على نهايات كتير أوي لحياتك، ومواقف بديلة كان ممكن تعيشها لو كنت اخترت اختيارات تانية غير اللي اخترتها وإنت عايش، وساعتها مش هيكون قدامك أي إحساس ممكن تحس بيه غير إحساس الندم على كل لحظة اتترفزت فيها ع القدر ومشيئة ربنا بعد ما تتأكد إن كل اختيارته كانت هي الأحسن، وكل اختياراتك كانت مجرد بلح

ثم يمسك بيديه وهو يصطحبه بنعومة ورفق قائلا:

– تعالى أما أفرجك ع الدنيا من فوق، التليفزيونات هنا فيها أوبشن الفرجة ع الماضي والمستقبل، والعرض مستمر 24 ساعة، بس الساعة بتاعتنا تفرق كتير عن ساعتهم

ومع آخر حروف كلماته، صكت مسامع "براء" أصوات جيتار سريعة الإيقاع امتزجت بطبول الحرب قبل أن يصل مع "الحسيني" لشاشة عرض ضخمة تعرض لهما آخر التطورات،

* * *

شباب حركة "تمرد" يجمعون ملايين الاستمارات من الشعب وقد حملت الأوراق توقيعات وأرقام بطاقات المواطنين المؤيدين لسحب الثقة من الرئيس محمد مرسي

* * *

في مكتب الإرشاد يجلس المرشد بتأهب مع أعضاء المكتب وعلى رأسهم "جودت الناظر" الذي يقول:

– حتى لو كانت الأرقام اللي أعلنتها حملة تمرد صحيحة، برضه الرقم ده أقل من أغلبية الشعب اللي هتبقى معانا يوم ما تحصل في الأمور أمور، إحنا اتعودنا إن صوت المعارضة عالي لكن صوت الصناديق هو اللي بينفذ إرادتنا في الآخر

"المرشد" متوترا:

– بس المرة دي طالبين منا نعمل استفتاء شعبي إذا كان الشعب

عايز الرئيس واللا لأ، لو ماكانوش واثقين إن الصناديق هتبقى معاهم ما كانوش قالوا كده

• "جودت الناظر" بغرور:

– ومين قال إن الناس اللي إدتنا أصواتها في مجلس الشعب والشورى وانتخابات الرياسة وفي التصويت على الدستور هتقبل أصلا باستفتاء شعبي على شرعية رئيس هما اختاروه بالفعل، هو لعب عيال واللا إيه؟ اللي مش عاجبه الرئيس يبقى ينزل يصوت ضده في انتخابات 2016 وعليك خير

– طب ولو لجأوا للعنف؟

– ساعتها يبقى هما اللي اختاروا، ويبقوا يورونا هيعملوا إيه مع شبابنا ومع الجماعات الإسلامية وأنصار أبو إسماعين وغيرهم من الإسلاميين اللي عندهم استعداد يولعوا مصر يوم ما حد يفكر يخلع الرئيس الشرعي المنتخب ويرجّعهم السجون، وما تنساش فضيلتك إن أمريكا عندها استعداد تام للتعاون معانا لو اتأزمت الأمور

* * *

في مبنى جهاز المخابرات العامة، جلس مدير الجهاز مع وزيري الدفاع والداخلية ليقول بجدية شديدة:

– وبناء على آخر المعلومات اللي وصلتنا، نقدر نقول إن المخابرات الأمريكية بدأت تنفيذ مخطط وضع مصر ضمن الدول الداعمة للإرهاب والمأهولة بالصراعات العرقية، عن طريق تمويل بعض الجماعات الإسلامية بالسلاح لاستخدامه ضد المتظاهرين يوم 30 يونيو، لحد ما يقع عدد كبير من القتلى والمصابين مع تفجيرات هنا وهناك لزعزعة الأمن وتخويف الشعب من النزول، وبمجرد ما يتدخّل الجيش وقواته المسلحة، هتكتمل الخطة بالهجوم عليه من عناصر مخرّبة في الداخل والخارج، لغاية ما ينهار الجيش وتغرق مصر في الفوضى، وساعتها يحصل تحالف بين الإخوان والجماعات الإسلامية والجهاديين لحد ما يسيطر الإسلاميين سيطرة تامة على البلد، وينصبوا المشانق لأي صوت معارض

وزير الداخلية:

– أنا كلفت وحدة الأمن المعلوماتي في الوزارة بمراقبة تليفونات وتحركات كل العناصر المحتمل صدور عنف منها عشان نقبض عليهم لو فكروا يتحركوا، ده غير إننا سيطرنا على بريدهم الالكتروني ورصدنا كل المراسلات اللي بتدينهم

وزير الدفاع:

– عظيم، كده القوات المسلحة مش محتاجة تنجر لصراعات داخلية في ظل التحالف بين الشرطة والمخابرات اللي هيسيطروا على الموقف، ويقبضوا على رؤوس الأفاعي لو الأمور اتأزمت، وبكده نبقى أفسدنا المخطط الأمريكي وحمينا المدنيين العزل في نفس الوقت، أعتقد كده مش هيكون ناقص غير تكليف مجموعة من الطيارين برصد ومراقبة الشوارع والميادين لاستكشاف أي مخطط، واستخدام الفيديوهات اللي هنرصدها كدليل حي على الإرادة الشعبية قدام العالم كله

* * *

ملايين المصريين يخرجون من كل فج عميق بمختلف أنحاء الجمهورية، يطالبون بخلع الرئيس محمد مرسي، وحل جماعة الإخوان المسلمين، بينما يحمل بعضهم ضباط الشرطة فوق الأعناق في لحظة تصالح بين الشعب والداخلية التي انحازت للإرادة الشعبية، ورفض ضباطها أن يكونوا أداة في يد النظام، بينما تحلق الطيارات الحربية في السماء المصرية لتصور ما يحدث في حين

يهتف المواطنون من أسفل:

– إنزل يا سيسي، مرسي مش رئيسي

* * *

في منزله، يتابع المرشد شاشة التلفاز التي تعرض حريق مبنى مكتب الإرشاد في المقطم، وتلك الصراعات الدائرة حوله بين شباب الجماعة، وآلاف الثوار الذي سيطروا على الموقف لصالحهم، قبل أن يجري إتصالا تليفونيا يبدو صوته من خلاله مذعورا مرتبكا وهو يقول:

– أيوة يا جودت، إزاي تسيبوهم يقتحموا المبنى ويحرقوه بالسهولة دي؟ فين رجالتنا اللي كانوا في الأسطح والعماير اللي حواليه؟

– فضيلتك إحنا بذلنا أقصى ما في وسعنا، وشبابنا اللي كانوا في المبنى حاربوا بكل قوتهم بس العدد كان رهيب ومستحيل مقاومته، وللأسف الشرطة قبضت على رجالتنا اللي فوق الأسطح وكشفوا شخصيات الفلسطينيين رغم إننا كنا مسلمينهم بطاقات رقم قومي

– وفين باقي رجالتنا اللي ع الحدود وباقي المحافظات؟

– المخابرات الحربية بدأت الحرب على الجماعات الإسلامية في رفح وسينا، وعربيات كتير كانت متحملة بالسلاح والعتاد واتمسكت وهي في طريقها للقاهرة والسويس والإسكندرية، مفيش حل قدامنا دلوقت غير إننا نلحق نستخبى في اعتصام رابعة العدوية، كل القيادات متحصنة هناك

* * *

وزير الدفاع يسير بخطوات متأهبة داخل أروقة القصر الجمهوري وخلفه عدد من الضباط التي تتباين على أكتافهم الرتب، وتتنوع النجوم والنسور والسيوف، في حين أخذ يتلقى التحية من قوات الحرس الجمهوري داخل القصر بمهابة واحترام، قبل أن يصل إلى مكتب الرئيس ويلتفت إلى القوات المصاحبة له قائلا:

– استنوني هنا، الحوار اللي جوه لازم يكون بيني وبينه على انفراد

قالها ويديه تطرق الباب بصرامة، ثم تثني مقبض الباب ليدخل على الرئيس بعيني نمر متحفز، في حين بادره الرئيس بالحديث قائلا:

- الجيش موقفه إيه من اللي بيحصل؟ هيفضل كدا يتفرج؟ مش المفروض يحمى الشرعية واللا إيه؟

وزير الدفاع:

– شرعية إيه؟ الجيش كله مع إرادة الشعب، وأغلبية الشعب حسب تقارير موثقة مش عايزينك

رئيس الجمهورية:

– أنا أنصارى كتير ومش هيسكتوا

وزير الدفاع:

– الجيش مش هيسمح لأي حد يخرّب البلد مهما حصل

رئيس الجمهورية:

– طيب، لو أنا مش عايز أمشي؟

وزير الدفاع:

– الموضوع منتهى وما عادش بمزاجك، ويا ريت تطلب من أنصارك يرجعوا بيوتهم وحاول تمشى بكرامتك بدل ما تهدد شعبك، ده لو لسه بتعتبره شعبك

رئيس الجمهورية:

— بس كده يبقى انقلاب عسكرى وأمريكا مش هتسيبكم

وزير الدفاع:

— إحنا يهمنا الشعب مش أمريكا، وطالما إنت بتتكلم كده أنا هكلمك ع المكشوف، إحنا معانا أدلة بتدينك وتدين عدد كبير من قيادات حكومتك، وبتثبت إنكم حاولتم الإضرار بالأمن القومى المصري، والقضاء هيقول كلمته فيها، وهتتحاكموا قدام الشعب كله

رئيس الجمهورية:

— طيب ممكن تسمحوا لي أعمل شوية اتصالات وبعد كدا أقرر هعمل إيه؟

وزير الدفاع:

- مش مسموح لك، بس ممكن نخليك تطمئن على أهلك وبس

رئيس الجمهورية:

— هو أنا محبوس واللا إيه؟

وزير الدفاع:

— إنت تحت الإقامة الجبرية من دلوقتى

رئيس الجمهورية:

— ما تفتكرش إن الإخوان هيسكتوا لو أنا سيبت الحكم، دول هيولّعوا الدنيا

وزير الدفاع:

— خليهم بس يعملوا حاجة وهتشوف رد فعل الجيش، اللي عايز يعيش فيهم باحترام أهلًا وسهلًا، غير كده مش هنسيبهم، وإحنا مش هنُقصى حد، والإخوان من الشعب المصرى ومتحاولش تخليهم وقود في حربكم القذرة، لو بتحبهم بجد اتنحى عن الحكم وخليهم يروّحوا بيوتهم

رئيس الجمهورية:

— عموما أنا مش همشى والناس برة مصر كلها معايا وأنصارى مش هيمشوا.

وزير الدفاع:

— عمومًا أنا نصحتك

رئيس الجمهورية:

— طيب خد بالك، أنا اللي عينتك وزير وممكن أشيلك

وزير الدفاع:

— أنا مسكت وزير دفاع برغبة الجيش كله مش بمزاجك، وإنت عارف كده كويس، وبعدين إنت ما تقدرش تشيلني، أنت خلاص ما عادش ليك أي شرعية

رئيس الجمهورية:

— طيب لو وافقت أتنحى، ممكن تسيبونى أسافر برة وتوعدنى أنكم مش هتسجنوني؟

وزير الدفاع:

— مقدرش أوعدك بأي حاجة، العدالة هي اللي هتقول كلمتها

رئيس الجمهورية:

— طيب طالما كده بقى أنا هعملها حرب ونشوف مين اللي هينتصر في الآخر

وزير الدفاع:

— الشعب طبعًا اللي هينتصر، إنت من دلوقتى محبوس

* * *

في رد فعل لا يختلف كثيرا عن أهل الدنيا، لم يتمالك "براء" نفسه عند هذا المشهد ليرتمي في حضن "الحسيني" ويغمره بالقبلات مرددا:

– ألف حمد وشكر ليك يا رب، دمنا ما ضاعش هدر يا حسيني، جه من بعدنا اللي خد حقنا وكمل المسيرة

إلا أن "الحسيني" تسمر في مكانه، واستطرد ساخرا وهو ينظر لباقي الشهداء:

– مش قولت لكم ميت جديد؟

قبل أن يشير للشاشة وهو يقول لـ"براء":

– أينعم كابوس الإخوان إنزاح، بس كل الفاسدين خدوا براءة

ينظر "براء" للشاشة بعينين متسعتين وهو يشاهد أبرز رموز عهد مبارك وهم يغادرون السجن، قبل أن يردد ساخرا:

– الظاهر إن التاريخ هيكتب إن القضاء المصري الشامخ ما اعترفش من يناير 2011 ليونيو 2013 غير بـ3 جرايم بس، إهانة القضاء، وإهانة الجيش، وإهانة إلهام شاهين

"الحسيني" و"فاطمة" وباقي الشهداء يضحكون، قبل أن ينظر "الحسيني" للشاشة ويشير لصورة "مجد" في زيه الملثم قائلا:

– وعشان كده لسه قدام صاحبك معركة تانية أهم بكتير

"براء" ينظر للشاشة بلهفة قائلا:

– هو إنت عرفت إيه اللي هيحصل له هو ورحمة؟

– عيب عليك، ما رضتش أبيعك وقولت أستناك تشرفني عشان نتفرج مع بعض

ثم يخرج "الحسيني" قطعة شيكولاتة ويمد بها يده نحو "براء" قائلا:

– اتفضل يا معلم

إلا أن "براء" يبتسم دون أن يمد يده قائلا:

– شكرا يا حبيبي، ما بحبهاش

ثم ينظر للشاشة السماوية التي تعرض ما يحدث في الحياة الدنيا لتصعقه المفاجآت ويهم بالغضب والضيق، قبل أن يكتشف أنه لا يملك خيار الغل والضغينة في عالمه الجديد، فيبتسم رغما عنه ويبدأ المشاهدة بنفس راضية مطمئنة وقد علم أن دوره قد انتهى عند هذا الحد، وجاء الوقت على غيره لاستكمال مسيرة العدالة الغائبة، ويا لها من معركة.

لكن لهذا حديث أخر.

تمت بحمد الله

كلمة أخيرة

عزيزي القارىء، هذه الرواية ليست تأليفي وحدي، بل بها تجميع لجمل وكلمات عبقرية، قيلت على ألسنة المصريين خلال عام عصيب من حكم الإخوان.

عام كامل رصدت من خلاله مأساة فترة زمنية قاحلة من تاريخ مصر، عانيت فيها نفس معاناتك في بلد شعرنا أنها لم تعد بلادنا، وسخرت فيها في الواقع وعبر شبكات التواصل الاجتماعي من نفس الأمور التي كنت تسخر منها بدورك أنت الأخر،

ووقعت عيناي كراصد وكاتب على العديد من النكات والإفيهات المضحكة التي صاغها مصريون ربما كنت أنت واحدا منهم، فكانت مهمتي هي تجميع ما حدث في تاريخ مصر عبر تلك السنة، وما دار خلالها على الألسن، وعبر مواقع الإنترنت، وفي صفحات الجرائد، ووضعها ضمن أحداث تحمل هدفا أخطر وأعمق بكثير من محاربة حكم الإخوان الفاشي المستبد، ألا وهو المطالبة بإصلاح القضاء على يد رجاله الشرفاء المخلصين الذين لا غبار على سمعتهم وتاريخهم، والتصدي لثغرات القانون وتأثيرها الخطير على تحقيق العدالة.

فالشكر كل الشكر لكل مجهول أطلق إفيه أو حكمة في الفضاء الالكتروني ليتناقلها الملايين من بعده دون أن يعرفوه معرفة شخصية، أو ينسبوا إليه الفضل فيما كتب وقال.

وشكر خاص لكل من ساندني بالنصيحة، والمشورة، والدعم، ولكل من اقتبست منه مقولة أو حكمة أو جزء من مقال حتى يرى هذا العمل النور، وعلى رأسهم المستشار أشرف العشماوي، والمحامي الراحل هشام الشافعي -رحمة الله عليه- والمحامي علاء الدين كامل، والأم الجميلة والكاتبة المصرية الأصيلة نشوى الحوفي، والمؤلف والمخرج عمرو سلامة، والكاتب والمفكر محمد

الدويك، والأصدقاء محمود زينهم، ومحمد مصطفى، ومحمد عثمان، وسارة أحمد، وسارة شاهين، وحسام عادل، ووليد عبد المنعم و"دون ماندو".

أبابيل

مُنذ مذبحة القضاة في عهد جمال عبد الناصر، ولا يزال اللغط مُستمرًا حول "نزاهة القضاء"، إلى أن حقق "مجد الدين مهران" حلمه وأصبح قاضيًا مرموقًا يحكم بين الناس بالعدل، قبل أن يكتشف كوارث وخطايا ارتكبها قضاة ومستشارون تلاعبوا بمصائر البشر، متخذين من القانون سلاحًا يقهرون به خصومهم، ودرعًا يحمون به أنفسهم من المُساءلة. حينها شعر أن الأقدار قد انتخبته ليقول لهذا العبث "كفى".

شريف عبد الهادي

كاتب صحفي، وناقد فني، عمل بموقع "بص وطل" الإلكتروني، وجريدة "روز اليوسف"، وموقع وإذاعة "حُريتنا"، وجريدة "اضحك للدنيا"، وجريدة "صوت الأمة"، ومجلة "إحنا"، وغيرها. كذلك عمل بإعداد البرامج التلفزيونية والإذاعية في قنوات "التحرير"، و"النهار"، و"نايل دراما"، والقناة الأولى المصرية، وإذاعة "نجوم F.M"، و"راديو مصر"، و"الشرق الأوسط"، وغيرها.



الربيع العربي
للنشر والتوزيع